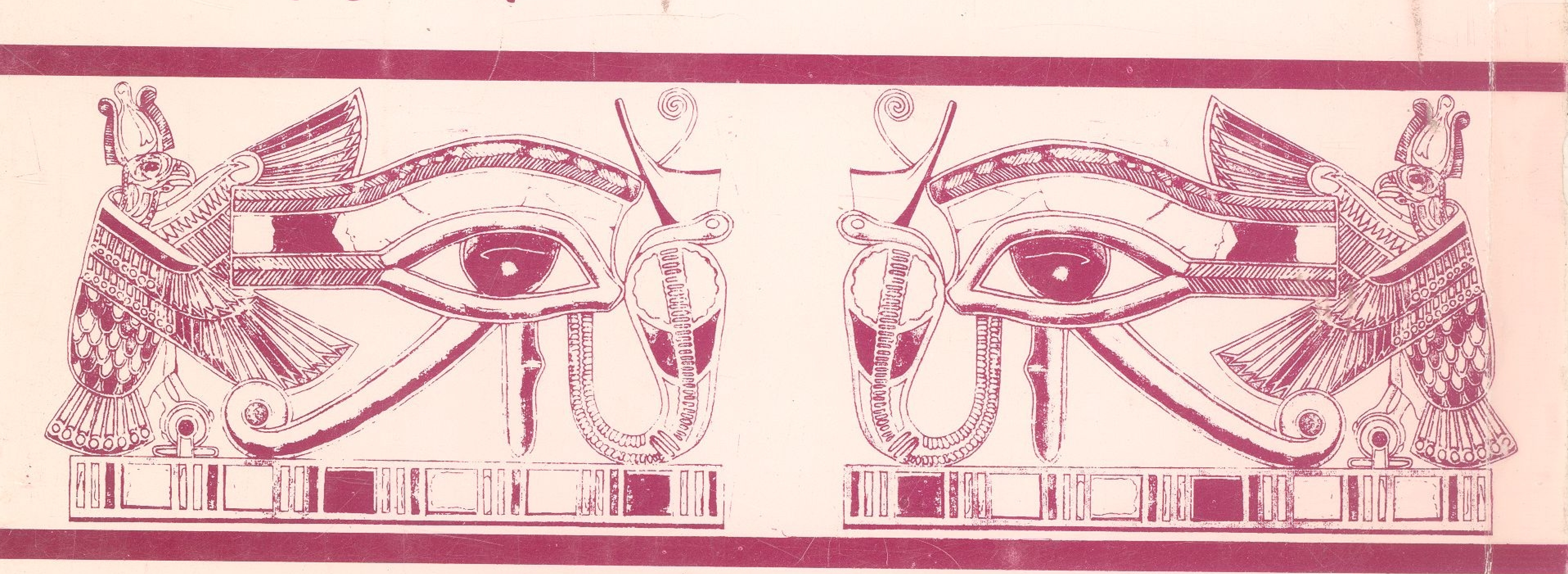
نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٢١

تاريخ مصر القديمة

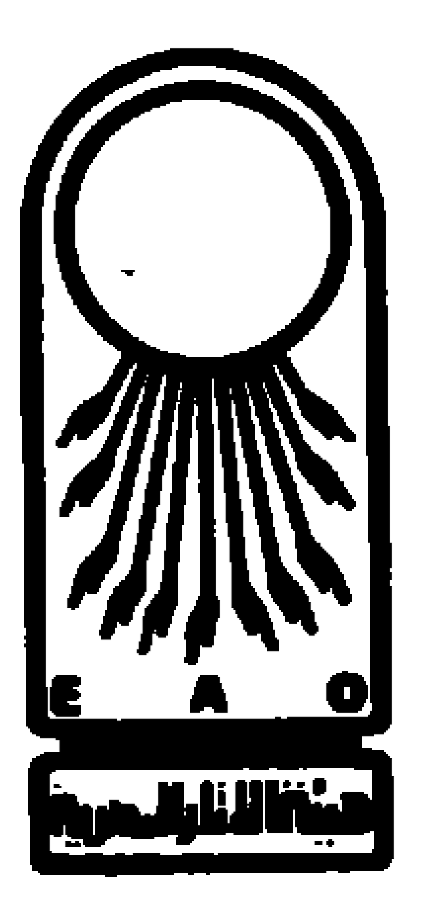
الجزء الثانى

منذ بداية الأسرة الخامسة عشرة
حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر
عام ٣٣٢ ق.م



تأليف : د. رمضان السيد





وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

تصميم وتنفيذ : آمال صفــوت الألفــى
مطابع هيئة الآثار المصرية

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٢١

تاريخ مصر القديمة

الجزء الثانى

منذ بداية الأسرة الخامسة عشرة
حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر
عام ٣٣٢ ق.م

تأليف : د. رمضان السيد



الفصل الحادى عشر

عصر الهكسوس

الأسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة

(١٦٧٥ ـــ ١٥٦٧ ق.م) [١]

فى الحقيقة ان بعض الغزاه كانوا قد استقروا فى شرق الدلتا منذ نهاية الأسرة الثالثة عشرة وبدأت حركة التوسع تتركز فى نهاية حكم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ومع بداية حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، ففى الواقع نجد ان الملك نحسى [٢] قد اعتبر نفسه منفذاً فى ذلك الوقت لاوامر الهكسوس مما يعنى ان الغزو كان قد انتشر بسرعة .

من هم الهكسوس ؟

كان هؤلاء الأجانب الذين سماهم مانيتون « هكسوس» لا ينتمون فى مجموعهم إلى جنس واحد ، والواقع ان الأصل الجنسى للهكسوس لا يزال مشكلة تنتظر الدراسة ، والرأى المقبول هو أن هجرة الهكسوس إلى مصر كانت ذات صلة بتحركات شعوب بربرية وقبلية وأجنبية هاجرت تباعاً من مناطق فى أواسط آسيا ، تحت ضغط ظروف طبيعية أو بشرية لا نعرفها [٣] منذ اوائل الالف الثانى ق.م ، ثم اخذت تتدفق على فترات متقطعة طويلة إلى شرق اوروبا من ناحية ، وإلى الاناضول واراضى الهلال الخصيب من ناحية اخرى .

واختلفت الاسماء التى عبر عنهم بها اهل البلاد التى دخلوها . وهكذا عرفهم بعض المؤرخين باسم عام وهو اسم الآريين أو الهندوآريين ، وعرفتهم مصادر بلاد النهرين باسم الكاسيين أو الكاشيين ، الذين استقروا فى بابل ، جنوب العراق ، فى حوالى عام ١٧٤٠ ق.م وعرفتهم مصادر آسيا الصغرى باسم الحاثيين (ثم الحيثيين) ، وعرفتهم شواطئ الفرات العليا والمناطق السورية الشمالية الشرقية باسم الحوريين أو الخوريين الذين استقروا فى ميتانى [٤] ، وعرفتهم المصادر الاغريقية باسم الآخيين وعرفتهم المصادر المصرية باسم حقاوخاسوت الذى تحرف إلى الهكسوس [٥] .

واحدثت هذه الهجرات القلاقل فى الامارات السورية ، وبدأ الاموريون فى

الشام يعانون من هذه الهجرات ، وتأثرت مصر فعلا بهذه التحركات فى عصر اسرتها الثالثة عشرة واخذ كهنتها يستنزلون اللعنات على اصحابها ، ثم اخذت جماعات المهاجرين تقترب من الحدود المصرية الشمالية الشرقية ، وكانوا خليطاً من الغالبين والمغلوبين ، وبمعنى آخر كانوا خليطاً من جماعات آرية غازية ومن جماعات أمورية هاربة عجزت عن الاحتفاظ بارضها فى سهول الشام . ولم يدخل هؤلاء وهؤلاء حدود مصر دفعة واحدة ، وانما بدأوا بالأنتشار قرب الحدود الشرقية ، وبقيت هذه الجماعات وراء الحدود المصرية فترة من الزمن .
ولكن من المحتمل انها اقدمت على اختراق الحدود المصرية كرد فعل لضغط آرى جديد فى اوائل القرن السابع عشر ق.م . [٦] .

وتعد الفترة منذ بداية القرن الثامن عشر إلى عام ١٧٣٠ ق.م الذى ارخت به لوحة الأربعمائة العام الشهيرة التى عثر عليها فى تانيس ، فترة مظلمة فى تاريخ مصر القديمة .

ولكن : **الم يلاحظ المصريون قرب هذا الخطر؟ وما هو موقفهم؟**

يمكن القول بانه عندما رأى المصريون هزيمة جيرانهم فى الشمال الشرقى امام هجرات الهكسوس ، بدأوا يشعرون بالخطر الفعلى ، وكانوا يشعرون فى الوقت نفسه بضعفهم وعدم قوتهم وعدم كفاءة اسلحتهم ، وتمزق وحدتهم السياسية نتيجة لاشتداد نزاع العائلات الكبرى فى مصر على السلطة فى أواخر عصر الأسرة الثالثة عشرة ، وما ترتب على ذلك من تمزيق وحدة امتهم واضعاف امكانياتها ومعنوياتها [٧] .

وكان المصريون على علم بعادات وثقافة شعوب غرب آسيا ، وكانوا على علم بما فيه الكفاية بما يحدث فى سوريا العليا وفينيقيا وفى فلسطين من تطورات للأحداث ، وكان كتبة الادارات المختصة بالشئون الخارجية فى مصر على معرفة جيدة ايضا باسماء المناطق والقبائل والأمراء والرؤساء هناك .

لذلك لجأوا إلى القضاء على هذا الخطر عن طريق الصيغ السحرية [٨] .
وكان يكتب اسم رئيس القبيلة أو الأمير الاجنبى وعائلته على اوان من الفخار أو على

تماثيل من الطين تمثل اسرى مقيدى الأيدى ، وطبقاً للطقوس السحرية كان يجب تحطيم هذه الأوانى بعد الكتابة عليها فى حفل خاص . املا فى ان يؤدى تحطيمها إلى تحطيم عزائم اسماء المذكورين عليها [٩] . وكانت تماثيل هؤلاء الأسرة تدفن فى توابيت صغيرة رمزية . وفى اعتقادهم سوف يجد العدو نفسه محاطا بالفناء من كل الجوانب ، وسوف يلقى حتفه فى النهاية .

وكان هناك نوعان من هذه النصوص السحرية قام بنشر اولها العالم زيته Sethe [١٠] والأخرى بواسطة بوزنر Posener [١١]، وهى عبارة عن قوائم باسماء اعداء مصر .

والنصوص التى قام بترجمتها زيته وقام بالتعقيب عليها آلت Alt [١٢] ، تضع على رأس الغزاه الجدد ، شعوباً (وليس امراء أو حكاما) من بيبلوس وشعوباً صغيرة من فلسطين مثل « العناكيم — Anaqium» مع اسماء مدنهم هبرون (الخليل) ودبير وعناب ، ثم يأتى بعدها اسم بلاد كوشو وبعد ذلك اسماء ثلاثة من بلاد شوتو . ويبدو ان بلاد شوتو كانت تمتد إلى الشرق من نهر الأردن .

اما عن الاسماء فهى طبقاً لراى ديسو Dussaud اسماء أمورية ولكن ترجمتها ليست بالشيئ الهين [١٣]

اما عن النصوص التى نشرها بوزنر فهى ترجع إلى نهاية الأسرة الثانية عشرة ، وهى تذكر من جديد بلاد كوشو ولكن فى هذه المرة يوجد على رأسها رئيس قبيلة ، ومن ناحية اخرى نرى فى هذه النصوص جزأين لبلاد شوتو ، العليا والسفلى ، وايضا المدن الفلسطينية اروشاليم (القدس) ، عسقلون ، عشتاروت ، اجرون ، بيت شمش ، سيشم ، هاتزور ، يافا ، اكرا (او عكى اى عكا) ، بيبلوس ، ثم بلاد عناكيم ، زبلون ، سيمون ، زبول هاداد ، وابو راهان واسماء أخرى . [١٤] وكان يكتب اسم الشخص وعائلته وجميع من ينتمون إليه. وفى هذه القائمة وغيرها من القوائم الأخرى نرى ان اغلب الشعوب كانت من أصل سامى ، كنعانيين وأموريين .

ومن بين الاسماء التى ذكرت فى هذه النصوص اسم سيمون التى يرى ديسو انها كانت قبيلة كنعانية استقرت فى صحراء النقب منذ الأسرة الثانية عشرة .

وعلى ارض قبيلة سيمون التى جاء ذكرها فى التوراة وجدت بقايا حصن

شاروهن الذى كان مأوى للهكسوس . وفى هذا المكان ايضا كانت تقع مدن اخرى اسماء معروفة مثل « هاتزار سوسا وبيت مركبوت (بيت العربات) وايضا جوشن » . ويبدو انه فى منطقة جوشن كان يوجد المركز التقليدى لتجمع الهكسوس فى كنعان [١٥] . ومن المحتمل انه كان يوجد حولشاروهن تجمعات اخرى أصغر عدداً حيث حدث نوع من الاختلاط بين السكان الأصليين وهذه العناصر . وتسمح لنا هذه النصوص بالخروج بنقطتين وهما :

١ ــ ان كلاهما يؤيد فيما يبدو وجود القبائل الرحل فى فلسطين .

٢ ــ كما ذكرنا من قبل ان المصريين كانوا على معرفة جيدة بكل احوال جيرانهم من الفينيقيين والآموريين والكنعانيين [١٦] ، لذلك اعدوا لهم هذا الحاجز السحرى من التعاويذ واللعنات . ويرى بعض العلماء ان الشعوب التى ذكرت فى نصوص اللعنة لا يمكن باية حال من الأحوال ان تكون النواة لحركة الهكسوس التى جلبت إلى مصر ، شعوبا غير معروفة .

ويرى آلت [١٧] عكس ذلك فالهكسوس هم الاعداء الذين ذكروا فى النصوص التى نشرها بوزنر وخاصة هؤلاء الأعداء الذين استقروا حديثا فى شمال فلسطين وفى سوريا .

ولكن اسماءهم لم تتواجد فى مصر تحت حكم الهكسوس ، ومن ناحية اخرى فان الكتبة المصريين لم يطلقوا اسم « الهكسوس » أو « رؤساء البلاد الأجنبية » على هؤلاء الاعداء الحاليين ، وهكذا كان الحال بالنسبة للعناكيميين والشوتو ، ولم يتغير الموقف بعد تحرير مصر .

ولم يذكر المصريون الشوتو أو العناكيميين على انهم جزء من الهكسوس الذين طردوا [١٨] . وبالأضافة إلى ذلك فان هذه النصوص لم تكن خاصة بالاسيويين فقط بل بالنوبيين ايضا .

وقد ارخ بوزنر تلك النصوص بعد عام ١٨٥٠ ق.م وذلك بعد دراسة لتلك الاسماء وطريقة كتابتها . ومن الطبيعى ان العناصر السامية المطرودة حاولت الاستقرار فى أقصى الجنوب فى بلاد كنعان وقد تبعتهم جماعات من الآريين . وفى نهاية

المطاف كان لهذه الموجة من الهجرات تأثيرها على الحدود المصرية وهذا ما يفسر إلى حد ما وجود بعض البقايا الأثرية الاسيوية فى تلك المناطق من هذه الفترة .

وذكر مانيتون ان هذه الهجرة الآسيوية الكبرى حدثت إلى مصر تحت حكم الملك توتيمايوس ويبدو ان هذه الهجرة كانت سابقة بقليل على استقرار الهكسوس فى مصر .

حكم الهكسوس فى مصر :

وقع نوع من الفزع الذى ألم بالمصريين وقت حدوث غزو الهكسوس ، هذا الفزع الذى نلمسه فى الوصف الذى اعطانا اياه مانيتون ، فيذكر يوسيفوس طبقاً لما جاء عند مانيتون :

« تحت حكمه (اى توتيمايوس) عصف بنا غضب المعبود ، ولا ادرى السبب فى ذلك ، وفجأة جاء من جهة الشرق رجال من أصل غير معروف ، كانت لديهم الجرأة لغزو بلادنا ، واستولوا عليها بعنف بدون صعوبة وبلا اى قتال . وتغلب هؤلاء الأشخاص على الرؤساء ، واحرقوا المدن بوحشية ، وهدموا معابد المعبودات من اساسها وعاملوا الأهالى بقسوة بالغة ، فذبحوا بعضا منهم ، واتخذوا الاطفال والنساء عبيداً واخيراً عينوا احدهم « ساليتيس » ملكا ، فاقام فى منف وفرض الضرائب على مصر العليا والسفلى ، تاركاً الحاميات فى الاماكن الاكثر ملاءمة » (١٩) .

وقام بوجه خاص بتحصين المنطقة الشرقية لانه كان يتوقع ان الآشوريين عندما تكتمل قوتهم فى يوم ما سوف يطمعون فى مملكته ويهاجمونه ، كما انه وجد فى إلى اقليم « ستروبت » مدينة ذات موقع مناسب وتقع إلى الشرق من الفرع البوباسطى وكانت تسمى طبقا للعرف الدينى القديم « افاريس » ، وقد اعاد بناءها وحصنها باسوار منيعة ، واقام بها ، بالأضافة إلى ذلك العديد من الجنود وحامية قوامها ٢٤٠ الف رجل تقريباً لحمايتها . وكان يأتى إليها كل صيف لكى يوزع عليهم الحبوب والجراية ، أو ليدربهم بعناية على المناورات وليدخل الرعب على الأجانب وبعد حكم استمر ١٩ سنة مات ساليتيس ، وتبعه ملك ثان ، يسمى « بنون » ، حكم لمدة ٤٤ سنة ، وجاء من بعده ابشنان ، الذى حكم ٣٦ سنة وسبعة شهور ، وبعد ذلك ابوفيس الذى حكم

لمدة ٦١ سنة واياناس لمدة خمسين عاماً وشهر ، وبعد ذلك واخيرا اسيسى لمدة ٤٩ سنه وشهرين [٢٠] ، هؤلاء الملوك الستة ، هم حكامهم الاوائل ، وكانوا دائما مولعين بابادة ممتلكات المصريين . ويطلق مانيتون على هذه الشعوب لفظ « هكسوس » وفى رأيه ان هذا النفظ يعنى « الملوك الرعاة » لأن كلمة هك Hyk تعنى فى اللغة المقدسة « ملك » وسوس Sos فى اللغة العامية تعنى « رعاة » واتحاد الكلمتين معاً يعطى كلمة « هكسوس » [٢١]

ولكن هذه التفسيرات التى يعطينا اياها مانيتون عن أصل كلمة الهكسوس خاطئة لأن اسم الهكسوس مشتق على الارجح من اللقب المصرى القديم « حقاخاسوت » الذى يعنى « حاكم البلاد الأجنبية » أو (حاكم البلاد الجبلية) . وهذا التفسير قائم على اساس ان لقب « حقاخاسوت » كان معروفاً منذ الأسرة الثانية عشرة ، وكان يعنى رؤساء القبائل الآسيوية الذين كانوا يحضرون محملين بالهدايا إلى حكام اقليم بنى حسن الأقوياء [٢٢]. ومن ناحية أخرى نجد فى نقوش بعض الجعارين والآثار الأخرى الصغيرة ــ التى ترجع إلى نهاية الدولة الوسطى ــ هذا اللقب فى اسماء بعض الملوك الذين عدوا كملوك للهكسوس .

ويقال إن المصريين قبل عهد الهكسوس كانوا قليلى العدد (حوالى مليون نسمه) غزا الهكسوس الدلتا ، وتركزوا فى مكان اطلق عليه « حت وعرت » [٢٣] ، الذى اسماه الأغريق « افاريس » ، ومن المحتمل انها تقع فوق المكان الذى يحتله تل اليهودية حاليا ، بين بوباست (الزقازيق حاليا) وقناة السويس . وقدحصنها الهكسوس ليجعلوا منها عاصمة لهم ، مما يجعلهم قريبين من قواعدهم الآسيوية ويسمح لهم ، بالتحكم بسهولة فى اقاليم الدلتا [٢٤]، واندفع الهكسوس بقواتهم حتى منف فى بداية الأمر ثم فيما وراءها بعد ذلك . وهناك نص هام سمح لنا بان تحدد على وجه التقريب عام ١٧٣٠ ق.م كبداية لظهور الأجانب فى الدلتا ، وتأسيسهم عاصمتهم فى مدينة افاريس ، وخصصوا المدينة للمعبود ست ، الذى كان معروفاً فى تلك المنطقة ، وكان أصلا من معبودات مصر العليا ، وانتقلت عبادته إلى منطقة « افاريس » فى الشمال الشرقى من الدلتا ، قبل بداية الأسرة الرابعة [٢٥] . والمقصود هنا هى لوحة « الاربعمائة

العام » التى عثر عليها ماريت فى تانيس فى عام ١٨٦٣م ، ثم دفنت مرة أخرى فى الرمال ، ولكن لحسن الحظ انه قد تم نقل ما عليها من النصوص . وحاول بترى وبارزانتى العثور عليها مرة أخرى ولكن بدون جدوى . واخيراً عثر عليها مونتيه Montet [٢٦].

وقد اقيمت هذه اللوحة فى عصر الملك رمسيس الثانى وهى مؤرخة بالعام الأربعمائة من حكم الملك عابحتى ست نوبتى . ولم كانت هذه اللوحة قد اقيمت فى حكم الملك رمسيس الثانى فان عام اربعمائة العام لا يسقط فى اثناء حكم هذا الملك فربما كان اسم الملك هو المقصود به المعبود ست نفسه فيصبح عامل التاريخ هنا مقبولا [٢٧] .

وهذا التاريخ نقطة بداية توافق تأسيس تانيس ودخول الهكسوس إلى الدلتا . ففى الواقع فى هذا العام بالذات جاء احد اسلاف الملك وهو سيتى الأول إلى تانيس لكى يتعبد للمعبود ست . وقد رجحت الآراء ان هذه الزيارة حدثت عام ١٣٣٠ ق.م ونتيجة لذلك فان تأسيس تانيس يرجع إلى عام ١٧٣٠ ق.م[٢٨] . وهو بدء اعلان تتويج المعبود ست معبوداً للبلاد كلها ويوافق بدء سيطرة الهكسوس على مصر [٢٩] .ومن المحتمل ان ملوك الأسرة الثالثة عشرة قد نجحوا فى الحد من تقدم الغزاة فترة طويلة فى الدلتا ولم يستطيع الهكسوس إلا فى نهاية هذه الأسرة ان يبدأوا مرة أخرى تقدمهم واحرزوا النصر بسهولة وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ حارب الهكسوس خصما اضعفته السنين الطويلة من الفوضى والاضطراب ومن ناحية اخرى كانت الادارة المصرية فى حالة سيئة تماما من حيث التنظيم .

٢ ــ ان الجيش المصرى قد غلب على امره بواسطة الغزاة الجدد الذين كانوا يمتلكون عدة وعتاداً عظيماً وقوة حربية تفوق بكثير قوته ، وذلك بفضل معرفتهم استخدام الخيول والعربات الحربية التى ادخلت إلى آسيا بواسطة الآريين منذ قرنين أو ثلاثة من قبل . وتبنى استعمالها بسرعة من بعدهم الهكسوس ولنا ان ندرك مدى فزع المصريين وجزعهم ، عندما كان عليهم ان يواجهوا لأول مرة هذه العربات المقاتلة .

٣ ـــ نجد ان الهكسوس قد استخدموا اسلحة من البرونز كانت افضل واسهل استعمالا من تلك التى كانت تستخدم بواسطة الجيش المصرى [٣٠] .

٤ ـــ ضعف تحصينات الأمير التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة عبر خليج سويس ، لهذا اصبحت حدود مصر الشرقية مفتوحة امام الأعداء .

ولهذه الاسباب كان انتصار الهكسوس سهلا وسريعاً فى الوقت نفسه ، واحتفظ المصريون بذكرى سيئة عن هذا الغزو وتلك الأحداث ، وبقيت ذكرى هذه الهزيمة القاسية حية فى نفوسهم ، وقد كانوا يشيرون إليها فى نصوصهم فيما بعد ، فالملكة حتشبسوت تتفاخر فى معبدها المنحوت فى الصخر بمنطقة بنى حسن (اصطبل عنتر) بانها رممت الآثار التى هدمت « وذلك منذ ان كان الاسيويون يحكمون فى افاريس فى الدلتا وحيث كان البدو يهدمون كل ما كان قائماً من قبل ، وانهم يحكمون دون اعتراف بسلطان رع (حرفيا بتجاهل رع) [٣١] وما من احد يقوم بتنفيذ الواجبات المقدسة حتى جاء عهد جلالتى » [٣٢] . ومرنبتاح يقارن بين العهد السئ الذى حلت فيه الكوارث بأرض مصر والعصر المجيد فى اثناء فترة حكمه [٣٣] .

وتبعا لذلك فقد مرت فترة طويلة إلى حد ما كانت الدلتا تحكم بواسطة المصريون الذين احتفظوا فيها بنوع من السلطة السياسة (خاصة فى الغرب) وبواسطة الهكسوس فى الشرق ، ولكننا لا نعرف ما هى طبيعة العلاقة بين الطرفين ولنا ان نتخيل ان قبائل الغزاة قد اكتفت بنهب وسلب المدنيين دون اهتمام كبير من جانبهم بالادارة المحلية ، ومن جانبها كانت الحكومة المحلية المصرية ـــ تعكس حالة البلاد ـــ من تمزق لوحدتها وضعف امكانياتها ومعنوياتها ، الامر الذى لم يتح لها مقاومة الغزاة أو مجرد الدفاع عن نفسها ، فاضطرت إلى ان تقبل الأمر الواقع . ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا ، ورأينا غزاة يتوافدون دون انقطاع لشد ازر المهاجرين الأوائل . وبدأ الهكسوس فى تنظيم انفسهم شيئا فشيئا واختاروا لانفسهم رئيساً موحدا أخذ على عاتقه غزو مصر كلها . وعندما دخل الهكسوس البلاد لابد وانهم لاقوا مقاومة من جانب المصريين لأنهم سلكوا طريق العنف فأحرقوا المدن ، وهدموا دور العبادة .

وقد قام « ساف سودربرج ـــ Save Soderbergh » بدراسة حكم الهكسوس

في مصر [٣٤]. وتتبع اماكن الحصون والحاميات التى شيدوها ابتداء من شمال سوريا حتى جنوب فلسطين ، ونجح فى التعرف على حوالى ٢٥ موقعاً ، ولم يصل من دراسته هذه إلى اى نوع من النتائج . وهذه المواقع عبارة عن سلسلة متتابعة تبدأ من مخارج للجبال فى الشمال والشمال الشرقى من سيبار وقرقيش وتمتد إلى رأس الشمرا حتى مجدو وتل تا آناك ثم تدخل فى فلسطين ، وتمتد حتى ساحل البحر المتوسط حتى تل الدوير ثم تمر بعد ذلك حتى تل فرعه وتنتهى فى مصر فى تل اليهودية وهليوبوليس ، ومن الملاحظ ان اثنين من هذه الحصون يقعان على نهر الفرات ، وستة على نهر العاصى ، وستة على الساحل ، وثلاثة على نهر الأردن ، واثنان على نهر النيل ، واثنان آخران فى منطقة السهول ، وهذا يعنى ان واحدا وعشرين حصناً من الخمسة والعشرين تقع على الطرق المعتادة للقبائل الرحل[٣٥] .

وقد بقيت بعض اطلال حصون الهكسوس وكذلك بعض الفخار من عصرهم فى منطقة تل اليهودية . وللأسف ينقصنا الكثير من الوثائق لكى نستطيع ان نتتبع خطوات غزوة الهكسوس واستقرار ملوكهم على بعض اجزاء من أرض مصر .

وترتيب توالى ملوك الهكسوس لا يزال غير مؤكد حتى الأن فيما عدا بعضاً منهم امكن التحقق من شخصياتهم عن طريق الآثار التى خلفوها . وقد ترك لنا مانيتون اسماء عشرة من هؤلاء الملوك الأجانب واذا رجعنا قليلا إلى الوراء ، نقول انه عندما كان يحكم خع سخم رع ـــ نفرحتب من الأسرة الثالثة عشرة كسيد مطلق فى مصر العليا ، كان يحكم فى مصر السفلى بعض امراء الاقاليم غير المعروفين جيداً من الأسرة الرابعة عشرة ممن كانوا موالين لنفر حتب ، ويبدو ان هؤلاء الغزاه الأجانب الهندوآريين قد اختاروا لانفسهم رئيساً أعلى ، كان يسيطر على شرق الدلتا ، ويبدو أن المصريين فى تلك المنطقة حاولوا ان يحموا انفسهم من شر هذا الحاكم الأجنبى ، فقبلوه كملك ، واطلقوا عليه الاسماء والالقاب الملكية المصرية المعروفة من قبل [٣٦].

سالیتیس :

كان هذا الملك يسمى ساليتى Saliti (ساليتيس Salitis عند مانيتون) واطلق عليه المصريون اسم ساناتى Sanati . ومع هذا الملك تبدأ السلالة الملكية

للهكسوس التى اصبحت تمثل الأسرة الخامسة عشرة من ١٧٣٠ ق.م تقريبا . وعلى عرش هذه الملكية الصغيرة فى شرق الدلتا تولى من بعده ساليتيس العديد من الملوك من بينهم :

١ ــ ماى ايب رع ــ شيش

٢ ــ مراوسر رع ــ يعقوب هر

٣ ــ ساوسر ان رع ــ خيان

٤ ــ عاوسر رع ــ ابو فيس الأول

٥ ــ عاقنن رع ــ ابو فيس الثانى

٦ ــ عاسهر رع ــ خامودى (؟)

وقد اعطى مانيتون بعض اسماء الهكسوس الذين يكونون الأسرة الخامسة عشرة ، وربما حكم هؤلاء الملوك حوالى قرن من الزمان ، فشغلوا بذلك الجزء الثانى من عصر الانتقال الثانى ، وفى اثناء ذلك الوقت توالى على عرش مصر العليا ستة ملوك آخرين من سلال الأسرة الثالثة عشرة منهم ثلاثة يحملون اسم سبك ــ حتب ، وكانوا يحكمون فى مصر العليا وفى طيبة بوجه خاص ، ثم جاء بعد ذلك ملك سابع هو مرنفر رع ــ آى الذى تولى مهام العرش فى الاقاليم الجنوبية ، على حين توالى على عرش غرب الدلتا الكثير من ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وأخيراً اعتلى العرش فى مصر السفلى حاكم اسماه مانيتون « توتيمايوس» .

وهذه هى المرة الأولى منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً فى تاريخ مصر القديمة ، اى منذ عصر الأسرة الأولى ، نجد البلاد قد سقطت تحت السطرة الأجنبية من الواضح ان هذا العامل الأخير لم يغير اى شئ فى اوضاع الحكم والأدارة المصرية ، ولكن الشئون الأدارية اخذت تسير فى مجرى متشابه ، إلى حد ما ، للعصور السابقة .

بقية ملوك الهكسوس :

خيان : لا نعلم اى شئ عن أول ملوك الهكسوس وثانيهم ، ونجد ثالثهم ، خيان (ايناس طبقا لمانيتون) يمحو اسماء الملوك الأواخر والوطنيين من الأسرتين الثالثة والرابعة عشرة فى مصر العليا والسفلى ، وبذلك اصبحت الأسرة الخامسة عشرة التى

ينتمى إليها ــ هى البيت الملكى الوحيد فى مصر ــ وهكذا ارغم المصريون على ان يحكموا بواسطة ملك أجنبى .

والظاهر ان خيان حاول ان يتقيد بالعادات والتقاليد المصرية ، وحاول ايضا ان يظهر كمصرى حقيقى فى تصرفاته. فنجد انه حلق اللحية على الطريقة المصرية ، وتلقب بكل الألقاب الملكية القديمة ، واضاف اليها لقب « امير الصحراء » وفى بعض المدن كانت توجد الحاميات من قوات العدو ذوى اللحية وذوى الميول العدوانية وربما نجح الهكسوس إلى حد ما فى السيطرة على اغلب اقاليم شرق الدلتا .

ويبدوا انه كانت تربط خيان بممالك أخرى علاقة صداقة ، وكان يشجع التبادل التجارى . وقد عثر له فى بغداد على تمثال أسد من الجرانيت يحمل اسمه [٣٧] . وعثر على بعض الجعارين باسمه فى سوريا وفلسطين [٣٨] . كما عثر على غطاء آنية من المرمر عليها اسمه فى كنوسوس فى كريت[٣٩] .

وقد عثر على بعض الاحجار المصقولة فى جبلين على بعد ٣٠ كم جنوب الأقصر ، وهى تحمل اسماء خيان وابو فيس [٤٠] ، وتدل على ان بعضا منهم قد نصب نفسه حاكما على البلاد[٤١] .

إلى جانب هذه الآثار عثر على بقايا تمثال فى بوباست فى شرق الدلتا [٤٢] . كما عثر له ايضا على لوح خشب بناحية الفيوم ويوجد الآن بمتحف برلين [٤٣] . مما يدل على ان الفن والمهن والحرف المصرية كانت تتمتع بمستوى رفيع خلال المائة والعشرين عاماً الأخيرة منذ سقوط الأسرة الثانية عشرة [٤٤] .

ونعلم انه فى العام الحادى عشر من حكمه قد تم تغيير التقويم ، ففى هذه الفترة تبين ان التقويم المصرى الذى بدأ العمل به فى بداية الأسرة الأولى قد اتم الدورة كاملة للسنة الفعلية ، ولهذا جاءت متأخرة شهراً كاملا عن الفصول ، ولهذا امر خيان بان يضاف إليها شهر تكميلى وان الشهر الثانى من السنة يصبح الشهر الأول . ولم يرض المصريون فيما يبدو بهذا التغيير وعدوا هذا الأمر نوعاً من الخروج على التقاليد . وقد سجل كاتب فى احدى البرديات ــ هذا التغير ــ وسجل ذلك بنوع من الغضب ، وذكر ايضا ان المعبودات كانت غير راضية ومنفعلة لذلك كان الرعد ينطلق

فى اثناء الاحتفال باحد الأعياد التى تأخر بها شهراً كاملا .

ولم يتوصل رجال الفلك فى عهد الملك خيان إلى معرفة ان الخطأ من التقويم قد حدث نتيجة لغياب « البسنة الكبيسة » ولم يتم التصحيح إلا باعادة تنظيم الشهور بصفة مؤقتة فى دورة تتابع فيها الفصول ، وسوف يتجدد هذا التأخير أو الأختلاف فيما بعد [٤٥] .

ابو فيس الأول أو ماع ايب رع :

توفى خيان بعد ان حكم حوالى خمسين عاما ، وجاء من بعده الملك « ابو فيس» الأول ، الذى يبدو انه قد تم فى عهده غزو مصر بالمعنى المفهوم ، وقد استقر هذا الملك فى منف واعلن نفسه سيداً على البلاد كلها ، وكان مواليا له من الملوك المصريين الملك مر نفر رع ـــ أى من الأسرة الثالثة عشرة فى الجنوب ، وديدى ـــ مس من الأسرة الرابعة عشرة فى الشمال ، وقد خلف لنا ابو فيس العديد من الآثار فى مختلف انحاء البلاد ، وهى تدل على بعض احداث عصره ، فمثلا عثر على نسخة من بردية رند وهى بردية هامة للحساب والرياضة مؤرخة بالعام الثلاثين من حكمه [٤٦] .

وتذكر بعض المصادر اسم ملك آخر جاء بعد خيان ، وتولى العرش من بعده هو ما ايب رع ربما كان ابنه ، وفى السنة الأولى من حكمه اعلن المصريون فى الجنوب استقلالهم وتوجوا احد امرائهم ملكاً عليهم تحت اسم جد حتب رع ، وكان احد حكام الأقاليم ، واصبح أول ملوك الأسرة السابعة عشرة الوطنية (١٦٨٠ ـــ ١٥٨٠ ق.م) وبينما كان الملوك يتوالون بالتتابع فى هذه الأسرة الوطنية ويحكمون فى الجنوب ، إذ نجد فى الشمال ان وفاة ماع ايب رع قد ادت إلى القضاء على سلالته ، وبعد ذلك جاءت مجموعة من ملوك الهكسوس الذين كونوا الأسرة السادسة عشرة .

ابو فيس الثانى :

عثر على بعض الآثار فى بوباست تحمل اسم ابو فيس الثانى ويوجد الآن بالمتحف البريطانى خنجر باسمه عثر عليه فى سقارة [٤٧] .

كان ملوك الأسرة السادسة عشرة الأجانب اقل قوة من اسلافهم فى الأسرة الخامسة عشرة . وعلى الرغم من ذلك فقد نجحوا فى الأحتفاظ بنوع من السيطرة فى

الشمال وفى الجنوب ، ويبدو من ناحية اخرى ان سيطرة الهكسوس على كل البلاد لم تكن إلا لفترة قصيرة ، وسرعان ما فقدوا السيطرة على مصر العليا (واصبح سلطانهم لا يمتد إلا على الدلتا وحدها) ، وكان هذا من العوامل التى سهلت على المصريين مقاومتهم وطردهم بعد ذلك . ومن ناحية اخرى كان النوبيون قد استغلوا فرصة انهيار الملكية المصرية وبعد ملك الهكسوس عنهم وتمركزه فى الدلتا أو فى منف ، لكى يؤسسوا لانفسهم مملكة مستقلة فى جنوب الشلال الأول ، وإلى هذه الفترة يرجع فيما يبدو ، تاريخ تأسيس أول مملكة متحدة لدولة كوش [٤٨] .

ويبدو ان الهكسوس فى اثناء احتلالهم للبلاد قد اكتفوا فى اغلب الاحوال بفرض الجزية ، تاركين الادارة المحلية المصرية كما كانت عليه. ومن المعروف انه كانت هناك بعض الحاميات فى تل اليهودية [٤٩] . وفى الواقع اصبحت مصر مقسمة إلى ثلاثة اقسام :

- الدلتا ومصر الوسطى تحت حكم الهكسوس بطريقة مباشرة .
- ومصر العليا كانت موالية للغزاة الأجانب المستقرين فى افاريس ، وكانت تتمتع باستقلال تام .
- اما بلاد النوبة وكوتش فقد حررت نفسها ، وأصبحت محكومة بواسطة ملك كوشى .

وفى البداية كانت مصر العليا مقسمة فيما يبدو إلى ثلاث ممالك صغيرة تخضع إلى حد ما لسيطرة امير طيبة . وهكذا سوف نرى امراء طيبة يؤدون مرة اخرى دور الموحدين للبلاد . واوائل هؤلاء الامراء الطيبيين كانوا معاصرين للهكسوس .

ويقص علينا مانيتون ان الأسرة السابعة عشرة الأجنبية كانت تتكون من « كهنة اخوة » جاءوا من فينيقيا ومن ملوك اجانب ، وفى الواقع ان لفظ « أخ» كان يستخدم غالبا فى خطابات تل العمارنة بمعنى حليف وتذكر بردية تورين اسماء ستة ملوك من الهكسوس حكموا حوالى ١٠٨ عاما [٥٠] .

حاول الملوك الوطنيون فى الأسرة السابعة عشرة من جانبهم ان يمدوا نفوذهم

ببطء نحو الجنوب متخذين من طيبة عاصة لهم ، وجمعوا حولهم تدريجيا اقاليم الجنوب ، وقد ترك هؤلاء الملوك بقايا اثرية تدل على اعمالهم واحداثهم فى الجنوب ، وقد عثر فى جبانة طيبة على بقايا بعض الاهرام الصغيرة الخاصة بهم مشيدة بالطوب اللبن .

وقد اندهش بترى لعدم العثور على مقابر للهكسوس فى مصر ولكن باهور لبيب عثر فى انشاص على سبعين مقبرة للهكسوس من الطوب اللبن تحتوى على تابوت ذى غطاء مقوس [٥١] . وعثر على مقبرة تحتوى على عظام حمار كما عثر على بقايا فخار أسود وعدة جعارين . وكانت رأس المتوفى توضع على قالب من الطوب . وهناك بعض المقابر التى عثر عليها فى تل اليهودية وابو صير الملق وقاو وسدمنت ودشاشة من عصر الهكسوس ولم يعثر على اى حصان مدفون فى اية مقبرة من عصر الهكسوس فى مصر [٥٢] .

وعثر على هيكل حصان يرجع إلى عام ١٥٠٠ ق.م فى الدير البحرى عام ١٩٢٦ بواسطة لا نسينج وهيس Lansing and Hayes . وهو يرجع إلى عصر ما بعد الهكسوس ، وانه حفظ فى زمن يرجع إلى ٦٠ عاماً أو ٧٠ عاماً بعد حكم الهكسوس ، ويرى ونلوك Winlock ان هذا الحصان يرجع إلى عصر الهكسوس وانه دفن طبقاً للطقوس الدينية لدى الهكسوس [٥٣] .

وفيما يختص بالاشخاص الذين كانوا فى خدمة الهكسوس فقد عثر على خنجر من البرونز فى سقارة فى مقبرة شخص يسمى « عبد » وعليه نص من عصر الملك « ابو فيس الأول » إلى الخادم « نهمن » [٥٤]، وكان هناك مستشار للهكسوس يسمى حور [٥٥] .

ودخل الهكسوس فى علاقات مع بابل وكريت حيث عثر على اثار منقوشة باسمهم ، واغرقوا المدن الفلسطينية الجنوبية بجعارين مميزة خاصة بعصرهم [٥٦]. وكان الهكسوس يكتبون اسماءهم على الجعارين فاذا كانوا رؤساء قبائل فانهم يحيطون الاسم بخانة ملكية يسبقها لقب « ابن رع »،وإلى هؤلاء الرؤساء الصغار ترجع فيما يبدو ملكية مجموعة الجعارين التى لا تعد ، والتى عثر عليها فى مصر وهى مزينة طبقاً للطريقة

الآسيوية باشكال هندسة وحلزونية . وكان الاسم يكتب الهيروغليفى الذى يمكن التعرف عليه وقراءته بصعوبة (٥٧) .

ويلاحظ فى أول الأمر ، ان الهكسوس الغزاة قد اندمجوا مع المصريين وتقلدوا بالطابع المصرى ، واطلقوا على انفسهم اسماء مصرية ، ونجد ان ثلاثة من ملوك الهكسوس يضعون اسماءهم داخل خانات ملكية ، واتخذوا لقب « حقا خاسوت» أى « حاكم البلاد الأجنبية» وهم :سمقن ، عنات هر ، وخيان . وكانوا ينتمون فى الأصل إلى قبائل جبلية تفتقدوا الأصالة الحضارية ، وبالتالى فقد عجزوا عن اضافة اى شئ جديد إلى الحضارة المصرية ، كما عجزوا عن تغير معتقداتها الدينية ومفاهيمها اللغوية واوضاعها الفنية وتقاليدها الأدبية ، بل على العكس من ذلك ، فقد تأثروا وتطبعوا هم بتلك المظاهر الحضارية ، ويبدو انه لم يكن لديهم ثقافة متقدمة ، وكان تأثيرهم بالحضارة المصرية العريقة واضحاً واقتبسوا منا الشئ الكثير .

وكانت هناك بعض الشعوب التى كانت تصطحبهم فى الطريق مثل صانعى البرونز والزراع من منطقة الكاسبيه فى شمال العراق . وان بعضاً منهم جاءوا من السهول فاهتموا بتربية الحيوان (٥٨) . وقد تعلم المصريون منهم كيفية استخدام الخيل فى جر العربات الحربية وكذا صناعة الخناجر البرونزية والسيوف (٥٩) .

الأسرة السابعة عشرة الوطنية (١٦٨٠ ـــ ١٥٨٠ ق.م) :

تتكون هذه الأسرة الوطنية من خمسة عشر ملكا (٦٠) . وذلك بدون عد الملك احمس ضمن هذه الأسرة . وقد جاء ذكر بعض هؤلاء الملوك على بردية تورين بعد ان رممها العالم ابشر ـــ Ibsher . وقام بعمل قائمة لهؤلاء الملوك العالم شتوك Stock (٦١) . عند قيامه بدراسة عصر الانتقال الثانى ونذكر هنا الستة الملوك الاواخر من هذه

القائمة نظراً لأهميتهم :

١ ـــ سخم رع هرو ارماعت ـــ انيوتف
٢ ـــ سخم رع نب ماعت ـــ انيوتف
٣ ـــ نب خبر رع ـــ انيوتف
٤ ـــ سقنن رع ـــ تاعا العظيم

٥ ــ سقنن رع ــ تاعا الشجاع
٦ ــ واج خبر رع ــ كامس

وإذا نظرنا إلى هذه القائمة نجدها غير وافية بما فيه الكفاية لذلك يجب علينا ان نتقبلها بشئ من الحرص . ففى الواقع اننا لسنا على يقين إلا من الاسماء التى جاءت فى آخر القائمة . ومن المحتمل جدا ان الملوك الاناتفة لم يحكموا إلا فى نهاية الأسرة وليس فى بدايتها .

اما عن بقية الملوك فلم يتركوا لنا اى اثر ذى أهمية تاريخية سوى انهم ذكروا على لوحة قانونية اقيمت تحت حكم الملك سواج ان رع ــ نب ــ ايروت خامس ملك فى قائمة شتوك . وقد ترك لنا الملك نب خبر رع ــ انيوتف مرسوماً فى قفط يحرم فيه تيتى بن مين حتب من وظيفته ، ربما لأنه دبر مؤامرة أو تحالفا مع الهكسوس مما دعى الملك بان يصدر هذا المرسوم والأمر بحرمانه من وظيفته وكذلك اولاده وكل ورثته [٦٢] .

وعثر لهذا الملك على نقوش فى معبد المعبود مين ومعبد المعبود اوزير فى ابيدوس ونقوش أخرى فى الكرنك وادفو والكاب . وذكر هذا الملك فى قائمة الكرنك وبردية ابوت ، ويبدو ان دور هؤلاء الملوك كان محددا فى تنظيم ممالكهم الصغيرة وبث الروح الوطنية عند اتباعهم لكى يولد عندهم الرغبة فى طرد العدو من ارض مصر [٦٣] .

وطبقا للعالم هيس كان هناك ملكان يحملان نفس الأسم سقنن رع ولكن الأول يلقب بلقب تاعا العظيم والثانى بتاعا الشجاع . وقد جاء ذكرهما على بردية تورين . وتذكر بردية ابوت عن سرقة المقابر ان المفتشين قاموا بفحص مقبرتين فى البر الغربى ايام الملك رمسيس التاسع باسم ملكين يدعيان تاعا ؟ ولا نعلم اى شئ عن تاعا العظيم غير انه تزوج من الملكة تيتى شرى التى عاشت حتى بداية الأسرة الثامنة عشرة [٦٤] .

المقاومة وطرد الهكسوس :

كانت العلاقات بين ملوك طيبة وملوك الهكسوس تمتاز بنوع من الحذر

والهدوء النسبى ، وكان ملوك طيبة يتمتعون بنوع من الاستقلال بالنسبة للملك الأجنبى . فبعد مرور خمسين عاما أو اكثر من الغزو عن حكام طيبة انفسهم شبه مستقلين عن ملوك افاريس واتخذوا الالقاب الملكية واصبحوا مناهضين للهكسوس واصبحوا مستقلين بما فيه الكفاية لكى يعطوا الأوامر إلى من حولهم وخاصة إلى امراء اقليم قفط [٦٥] .

ومن المحتمل ان الصراع قد بدأ تحت حكم ملك الهكسوس عاقنن رع — ابوفيس الثانى ، الذى عده بعض المؤرخين من الأسرة السادسة عشرة ، حيث كان يحكم فى منف فى الشمال ، على حين كان يحكم الملك المصرى سقنن رع — **تاعا الشجاع** من الأسرة السابعة عشرة فى طيبة فى الجنوب ، وبمرور الوقت يبدو ان ملك الهكسوس قرر ان يتعرض لمنافسه المصرى ملك الجنوب وربما فكر ايضا فى القضاء عليه .

وتقص علينا بردية قديمة هى بردية ساليبه رقم ١ قصة هذا الصراع ، وهى بردية كتبها طالب مصرى يدعى بنتاؤر خلال القرن الثالث عشر ق.م [٦٦] . وبالطبع اذا تأملنا القصة التى لا تخلو من بعض الخيال فيجب ان نكون على جانب من الحرص ، وهذا لا يعنى اننا ننكر انها تقوم على اسس تاريخي ، وهى للأسف غير كاملة ، **وتقص الآتى** : [٦٧] .

« حدث انه حكمت البلاد المصرية بواسطة العاموندس (تسمية مختلفة بعض الشئ لملوك الهكسوس الأجانب) وفى هذه الفترة ، لم يكن احد ملكا أو سيداً على البلاد كلها . وفى هذا الوقت ايضا كان يحكم ملك يسمى سقنن رع ، ولكنه لم يكن ملكاً للمنطقة الجنوبية وكان العاموندس يحتلون مدن الشمال ، وكان ابوفيس حاكما عليها ، وكانت كل البلاد خاضعة له بكل منتجاتها وكل الاشياء الطيبة التى تخرجها ارض مصر » [٦٨] .

وفى ذلك الوقت ، كان الملك ابو فيس يفكر جيداً فى الرسالة التى يعتزم ارسالها إلى الملك سقنن رع ، سيد بلاد الجنوب ، وذلك لاختلاق ذريعة للنزاع . وبعد عدة أيام عرض الملك ابوفيس الأمر على معاونيه وقواده وكبار موظفيه ، ولكنهم لم

يستطيعوا ابداء الرأى فيما يجب ان يقوله ابو فيس للملك سقنن رع ، لذلك لجأ الملك ابو فيس إلى الاستعانة بحكمائه وكتابه، واقتراح عليه هؤلاء ما يأتى :

« ملكنا ، سيدنا ، لعل ذلك يلقى تأييدك » ، واعطوا للملك ابو فيس الحجة لخلق النزاع الذى يريده ، واقترحوا عليه ان يبعث برسول إلى ملك الجنوب لكى يقول له :

« ان الملك ابو فيس يطلب منك أن تتوقف عن صيد افراس النهر التى توجد فى البحيرات وانهار وترع المناطق (التى تقع إلى الشرق من مدينة طيبة) لكى يستطيع ان ينام فى هدوء ، لان صياحهم يمنع عنه النوم ، ويملأ أذنه فى النهار والليل » (٦٩).

وكان الغرض من هذه الرسالة هو وضع ملك الجنوب فى موقف حرج لأن ملوك الهكسوس كانوا يظهرون دائما احترامهم وولاءهم الشديد للمعبود ست ولم يعبدوا اى معبود آخر ، وهو أحد المعبودات المصرية ، وكانوا يشبهونه بمعبودهم الخاص بهم سوتخ ، وكان فرس النهر هو أحد الحيوانات المقدسة المخصصة لهذا المعبود (٧٠) . لم يصبح هذا المعبود منذ وقت طويل محل احترام مصري الجنوب ، الذين كانوا يقومون بصيد فرس النهر دون اى عائق . وقد طلب ابو فيس من حكمائه ان يلجأوا إلى سبب دينى ، لمحاولة اثارة ملك الجنوب .

وانتابت الحيرة سقنن رع (٧١) عندما وصلته هذه الرسالة وتقص البردية :
« كان ملك الجنوب مضطربا ، ولا يعرف كيف يجيب ، واخيراً قال الملك سقنن رع للرسول : (٧٢) ان الموضوع الذى من اجله ارسلك سيدك ... (يوجد هنا للأسف فراغ فى البردية) عندئذ رحل رسول الملك ابو فيس ووصل إلى المكان الذى يوجد فيه سيده ، ولكن حاكم بلاد الجنوب نادى كبار مساعديه وقص عليهم كل الأمر ، وسادهم الصمت جميعا والاضطراب الشديد ، ولم يستطيعوا كيف يجيبون » .

وفقدت نهاية البردية ، ويبدو ان الأمر قد اختلط على ملك الهكسوس وكل ما نعرفه هو ان الحرب قد اندلعت ، وان سقنن رع قد هلك بسبب حادث عنيف وانه قتل اثناءها (٧٣).

فقد عثر على مومياته فى خبيئة الدير البحرى عام ١٨٨٠ وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى (٧٤) ، وتحمل اثار جروح تغطى الجمجمة والوجه. ويبدو انه اصيب فى اعلى جبهته وفى قمة رأسه من ناحية اليمين ، وعدم الدقه فى تحنيط الجثة يدل على انها كانت مشوهة بدرجة كبيرة ، ويبدو انه اثناء المعركة أو بعد انتهائها نقله اعوانه إلى العاصمة فى الجنوب ، وادوا إليه المراسيم الجنائزية السريعة . وكان الملك يبلغ فيما يبدو عند وفاته حوالى خمسة وثلاثين عاماً تقريباً . وكان ينتمى فى الواقع إلى جنس أهل الجنوب وكان يبلغ فى الطول حوالى ستة اقدام ، عريض الأكتاف ذا رأس كبيرة تنم عن ذكاء حاد .

وعلى الرغم من مقتل القائد فقد ظل الجيش المصرى سيداً للموقف ، ولو ان بعض العلماء يرى ان الملك ربما قتل اثناء مؤامرة أو حرب أهلية ، واحتفظ اعوانه بالسلطة . وحمل راية الجهاد من بعده ابنه :

كامس :

ترك سقنن رع من ورائه ولداً صغيراً يبلغ من العمر ستة اعوام يسمى أحمس أصبح فيما بعد ملكاً ، ولكن اعتلى العرش الأمير كامس الذى كان ابنا آخر لسقنن رع ويكبر أحمس ، وعلى اية حال نشبت الحرب مرة اخرى بدون شك تحت حكمه. وعثر اللورد كارنارفون على لوحة فى طيبة قام بنشرها عام ١٩١٢ وعليها نص كتب بالخط الهيراطيقى يقص علينا تطورات الصراع .(٧٥) .

وحتى فترة قريبة كان بعض العلماء يعتقد ان نص هذه اللوحة ما هو إلا عبارة عن قصة خيالية مثل تلك التى جاءت على بردية ساليبه رقم ١ أو انها كانت عبارة عن نسخة من لوحة نصر تذكارية .

« وعثر شفرييه ــ Chevrier » فى الكرنك فى مارس ١٩٣٥ على جزء من لوحة تحمل اسم كامس وهى الجزء المكمل لجزء آخر عثر عليه من قبل (٧٦) وتعطينا الأجزاء المجمعة نفس النص على لوحة كارنارفون ؛ وهذا مؤرخ بالسنة الثالثة من حكمه ويتحدث فيه الملك قائلا : (٧٧)

« بماذا تفيد سلطتى فهناك حاكم فى افاريس وآخر فى كوش ؛ وانا هنا مقيد

بين اسيوى من ناحية وزنجى من ناحية اخرى ، وكل منهم يسيطر على جزء من مصر هذه [٧٨] ، وانا لا اريد ان اتنازل على الاطلاق للملك ابوفيس الذى يحكم معى هذه البلاد من مجرى النهر فيما بعد منف فى اتجاه الجنوب ، وعلى الرغم من انه يسيطر على الاشمونين ولا يوجد اى شخص فى تلك المنطقة إلا وتراه متعباً من خدمة الآسيويين ، فاننى سوف اقاومه وسوف امزقه من اعلى إلى اسفل لأن رغبتى هى ان احرر مصر وأقضى على هؤلاء الاسيويين » .

كانت النزعة الوطنية هى العامل الرئيسى الذى دفع بكامس إلى الشروع فى مهاجمة الهكسوس . ويبدو ان الملك الجنوبى قد استولى بالتدريج أو دخل تحت سلطته اغلب الاراضى التى فقدت عند غزو الهكسوس وتقدم بحدوده الشمالية بضعة كيلو مترات شمال شمال اسيوط . وقال نبلاء المجلس :

« فى الحقيقة ان هؤلاء الاسيويين قد تقدموا حتى القوصية [٧٩] (على بعد ٥٠ كم شمال اسيوط) ، ثم تحدونا ، وفى هذه الاثناء نحن نستطيع ان نحتفظ بسهولة بهذا الجزء من البلاد والذى نسيطر عليه، فالفنتين (عند الشلال الأول) هى مدينة محصنة ؛ ومصر الوسطى مواليه لنا حتى القوصية فالبلاد (على ذلك) فى رخاء ولكن نتيجة الحرب غير مضمونة » .

وكانت هذه الكلمات ذات وقع سئ على قلب جلالته، ولم يرض بهذه الأجابة ، وصمم على عزمه فى طرد الاجانب وكانت اجابته :

« لا انى اريد ان احارب الآسيويين ، فالنصر حليفنا » ويوجد فراغ هنا فى النص ولكن اذا تتبعنا بقية القصة ، فنجد ان الملك يصف الأحداث كالآتى :

« عندئذ نزلت النهر بقوة لكى ابعد الآسيويين تحت امرة آمون ، فقد اصاب خطط جيشى النجاح ، لأن كل جندى اصبح امامى وكأنه شعلة من النار وكانت قوات المجاو (محاربون زنوج تلقو تدريبهم على ايدى المصريين) قد خرجت من خطوطنا لكى تتبع الآسيويين وتقضى على مواقعهم . واحرزنا النصر فى الشرق وفى الغرب ، وكان الجيش سعيداً بتلك الأنتصارات المتوالية »

وتقدم الملك بجيشه حتى « نفروسى» المدينة التى تقع فى شمال

الاشمونين ببضعة كيلو مترات والتى كانت تمثل اقصى حدود الهكسوس تجاه الجنوب وشن الملك حرباً شعواء واصاب العدو بهزيمة قاسية ، وكانت تعسكر فى نفروسى قوة موالية للكسوس تحت إمرة تيتى الذى كان فيما يبدو مصرياً وموالياً للهكسوس وليس آسيويا ، وكان يحارب فى صفوف الهكسوس ، وقد كتب الملك عنه قائلا :

« وقد ارسلت فرقة هامة من المجاو على حين قضت يومى فى محاولة حصار تيتى بن بيبى فى منطقة نفروسى لأننى لم أكن ارغب فى ان اتركه يفر لقد تحديت الآسيويين ، وبهذه المناسبة قضيت الليلة فوق سطح سفينتى وقلبى يملؤه الفرح . وفى الصباح انقضضت عليه مثل الصقر ، وقضيت عليه فى اللحظة التى كان ينظف فيها اسنانه (اى عند قيامه من النوم) وهدمت جدرانه وقضيت على افراد على قواته وارغمت زوجته على ان تقذف بنفسها من اعلى شاطئ النهر وكان جنودى مثل الذئاب التى تنقض على الفريسة .... » (٨٠) .

وهنا تنقص بعض الكلمات فى النص من جديد ، ولكن ما بقى الكفاية لكى نعلم ان كامس قد نجح فى ابعاد العدو نحو الشمال (ربما حتى منف) . من الواضح ان قوات كامس لم تشتبك فى عمليات عسكرية اكثر جدية قبل ذلك ، وكان هذا الهجوم من جانب كامس غير متوقع لأن العلاقات بين الجنوب والشمال كان يسودها سلام نسبى . ويبدو ان الهجوم قد نفذ بواسطة قوة من المجاو ، الذين كانوا من أصل نوبى ، وقد استخدموا بواسطة الملوك المصريين كقوات مساعدة منذ عصر الدولة القديمة(٨١) .

وهناك فجوة فى قصة هجوم كامس على نفروسى وبين الاحداث التى سجلت على اللوحة الثانية ، ومعظم النص على الاثر الأخير يتكون من عبارات تفاخر اعلنت على لسان كامس . وان كان هناك بعض الغموض فى النص يلتبس معه الأمر فهل كان يشير إلى احداث معاصرة ، او انه يعكس نوايا الملك ؛ وهناك وصف قد اعطى لهجوم قوات كامس فى الشمال على معقل الهكسوس فى افاريس الذى دمرت خلاله حصون هذه المدينة . ومهما يكن من أمر فيبدو ان كل ما حققه كامس هو نوع من التدخل الجزئى فى قلب الاماكن التى كانت موالية للهكسوس . وعدم ذكر منف

وبعض المدن الأخرى الهامة على طريق الشمال تجاه افاريس يؤيد هذا الرأى [٨٢] .

ويوجد على لوحة كارنارفون أول ذكر فى النصوص المصرية لكلمة العربات الحربية ، والمقصود بها هنا هى التى كان يمتلكها الهكسوس الذين هربوا فى اضطراب عند الهجوم المصرى .

وإلى جانب مقدرته الحربية فان كامس كان ذكيا ، فقد نجح فى تحرير جزء من الدلتا ، وقد لجأ إلى الاستيلاء على المؤن المصرية المرسلة إلى ملك افاريس فقد كان هناك ثلثمائة مركب محملة بالخيرات والمنتجات الغذائية والأخشاب . وقد عمل على اعداد اسطول حربى ضخم وضم إليه حاملات للعربات الحربية ، التى كانت موجودة من قبل ، ولكنه ادخل عليها نوعاً من التحسينات أو انه هو أول من قام باختراعها .واخيراً عندما شعر بقوته لجأ إلى تحطيم الروح المعنوية للعدو على الرغم من حماية اسواره . وقد حاول العدو ان يخفف من هذا العبء أو يدافع عن نفسه بطريقة اخرى ، فلجأ إلى التحالف مع ملك كوش .

ويتحدث نص اللوحة عن القبض على رسول بواسطة قوات كامس كان فى طريقة إلى أمير كوش ، وهو يحمل خطابا طالباً فيه العون [٨٣] . ومنه عرفنا ان الذى ارسله هو الملك « ابو فيس عا اوسرع » ومنه ايضا تبرز حقيقة هى ان كامس حاول التحرش بأمير كوش ، وقد تم القبض على هذا الرسول اثناء قيام كامس بحملة بجوار سكو (القوصية) فقد توقع كامس هذا التقارب بين ملك الهكسوس وامير كوش ، وبخطة ماهرة ارسل حامية لكى تحتل الواحات البحرية ومن هناك اصبح التحكم فى الطريق الصحراوى للعمليات الحربية فى الجنوب اكثر سهولة واختصاراً بسبب قرب موسم الفيضان [٨٤] .

وقد قام كامس بسحب قواته إلى اسيوط ، ولم يتحقق هذا الانسحاب دون وقوع بعض الخسائر فى مؤخرة الجيش . وبعد ان قبض على الرسول واستولى على الرسالة ارسله مرة اخرى إلى افاريس لكى يخبر سيده بما حدث .كانت هناك علاقة صداقة بين امير كوش وحاكم الهكسوس فى افاريس ، ولكن لا يوجد اى دليل مؤكد وجهة النظر بان هذه العلاقة كانت علاقة جزية وطبقا للجعارين الخاصة بالهكسوس ،

والتى عثر عليها فى مقابر بلاد النوبة السفلى ، فانها تؤكد بعض الاتصالات بين كوش وافاريس ، وربما كانت هذه الصلات ذات طابع تعاون ودفاع مشترك اكثر منها ذات صفة تجارية . وهو ما يتضح من الخطاب الذى وقع فى ايدى قوات كامس ، وكان ابو فيس يحيى امير كوش بانه « ولده » ، ويعتب عليه انه لم يخبره عن ارتقائه عرش مملكته ويخبره عن هجوم كامس ، ويذكره ببعض الهجمات الأولى للطيبيين على كوش ، ويحثه على مهاجمة حدود مصر الجنوبية عندما يكون كامس فى الشمال(٨٥) .

ويقول له « اصبحت حاكما دون ان تبلغنى ؟ الم تر ما صنعته مصر نحوى ، ان حاكمها كامس القوى اخرجنى من ارضى ولم استطع ان أصل اليه .... » ويتضح من هذا الخطاب عدة نقاط تاريخية هامة :

- فهو يشير اولا إلى تنصيب جديد لأمير كوش مما يدل على ان الامراء الاصليين لكوش كانوا جيلين على الاقل .
- الامر الثانى الذى يتضح من هذا الخطاب هو انه كان يوجد فى ذلك الوقت عرف ذو طابع دبلوماسى يحتم على الحكام الذين فى سبيلهم للصعود على العرش ان يخبروا حلفاءهم بذلك .
- ثالثا ، يذكر ان كامس قام ببعض الهجمات ونجد اشارة إلى هذه الهجمات فى النقوش الصخرية التى شوهدت بالقرب من توشكا والتى تحوى اسم كامس واسم اخيه احمس ويعتقد بوجه عام ان كلا الأسمين كانا قد نقشا اثناء حملة قام بها احمس إلى بلاد النوية فى تاريخ لاحق . وان احمس ذكر اسم كامس معه، وذلك تخليدا لذكرى الاعمال الحربية المجيدة التى قام بها أول محرر لمصر .

والعثور على جعارين فى فرس تحمل اسم كامس لا يدل على ان الطيبيين قد غزو النوبة فى عهده ، ولم يتعد الامر سوى بعض الاضطرابات على الحدود خلال عصر كامس (٨٦) ، وهذا الامر هو الذى جعل النوبيين يفكرون جيدا قبل التعاون مع الهكسوس (٨٧) . وقام الملك بالتهديد بعقاب كل من يتعاون مع الآسيويين من المصريين .

ويذكر لنا نص اللوحة انه بعد عودة كامس إلى طيبة امر أحد رجاله بان ينقشوا

كل ذلك على لوحة اقيمت بالكرنك [٨٨] . وينتهى النص بوصف حالة السرور التى قوبل بها هذا الانتصار على الهكسوس .

وقد تم نجاح كامس فى مهمته، ولم يتم هذا النجاح إلا بعد اجتياز قليل من الصعوبات ، وقد تحقق بفضل عنصر المفاجأة بالهجوم وايضا بفضل تفوق قوات طيبة . ولم يتضمن حكم الهكسوس اى نوع من السيطرة المسلحة على رعايا المناطق والاراضى التى احتلوها ، ولكن هذه السيطرة قد فرضت بواسطة الحكام المحليين امثال تيتى من نفروسى ، وتبعاً لذلك فان اى هجوم محكم سوف يحقق نجاحاً كبيراً ، وقد فسرها بعض العلماء بان كامس قد استأنف عملياته الحربية فى الشمال بعد نهاية موسم الفيضان الذى كان سببا فى انهاء اول حملة على وجه السرعة ، وفى الواقع ان هذا الهجوم يمثل أول محاولة تاريخية لطرد الهكسوس من الدلتا ، والتى حدثت فى السنة الثالثة من حكم كامس .

اختلفت الآراء حول مدة حكمه، فيوجد اكثر من رأى يرجح وجود العديد ممن تسموا باسم كامس [٨٩] . وقد عثر على ثلاثة اسماء حورية مختلفة على الآثار التى تحمل الأسم الملكى لكامس ، وقد رأى بعض العلماء ان هناك اثنين أو ثلاثة ملوك حملوا هذا الأسم ولكن الرأى السائد الآن هو انه كان يوجد ملك واحد يدعى كامس والذى غير اسمه الحورى لأول مرة بعد هزيمة ابو فيس ومرة أخرى بعد عدة احداث هامة فى عهده . فالمشكلة لا يمكن ان تحل بدون دليل مادى مدعم ولا يوجد دليل اثرى على وجود اثنين أو ثلاثة ملوك يحملون هذا الأسم .

توفى كامس عام ١٠٧٦ ق.س ودفن فى مقبرته فى البر الغربى . ونقل التابوت إلى جبانة دراع ابو النجا . وكشف عنه ماريت عام ١٨٥٧ . وعثر فيه على خنجره وطوله ٢١ سم ، وهو محفوظ الآن فى متحف بروكسل . وتبين طبيعة دفنه انه مات فجأة بدون ان تعد له المراسيم الجنائزية المناسبة . وفى التقرير الذى احتوته بردية ابوت عن سرقة المقابر ، ظهر اسم مقبرته من بين المقابر التى كانت لا تزال سليمة خلال حكم الملك رمسيس الحادى عشر . ويبدو من ذلك انه فى تاريخ متأخر نقل التابوت من المقبرة ودفن فى مقبرة مجاورة خوفاً من الاعتداء على المومياء .

وعندما عثر على هذا التابوت وجد فى حالة جيدة ، وهو من الطراز الريشى الذى كان سائداً فى عصر الأسرة السابعة عشرة ، ولم يكن مطعماً بالذهب ، ويفتقر إلى الكثير من الزينات . وعثر على بعض المجوهرات وبعض الأمتعه الملكية الأخرى . وكانت احدى قطع الحلى تحمل اسم الملك أحمس ، الذى ربما كان مسئولا عن الدفن بصفته خليفة لكامس .

وعلى اية حال كان كامس هو البادئ لحركة تحرير مصر ضد الهكسوس . ولعل فى البساطة التى كان عليها متاعه الجنائزى ، ما يدعو إلى الدهشة ، ولكن ربما كان ذلك دليلا على الصفات المتواضعة للأسرة الطيبية فيى نهاية عصر الأنتقال الثانى (٩٠) .

أحمس :

والفصل الثالث والأخير من قصة الكفاح ضد الهكسوس حدث فى عهد الملك احمس ، على الرغم من ان مانيتون يعد هذا الملك مؤسساً للأسرة الثامنة عشرة ، وليس من المنطقى ان نضع قصة الأستيلاء على افاريس بواسطة أحمس فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . فهذه الفترة الجديدة اى الدولة الحديثة لم تبدأ حقيقة إلا بعد طرد الهكسوس .

كان أحمس يبلغ من العمر ستة عشر عاماً ، وهو سن النضوج فى مصر القديمة وقد اعلنه الجيش رئيساً عليه لكى يكمل رسالته أخيه.

بعثت انتصارات كامس فى مصر كلها روح القتال للتخلص من الهكسوس الأجانب ، واتجهت الانظار كلها إلى أحمس الشاب ، آمله ان تجد فيه المحرر الكبير ، وكان الجيش مستعداً لأن يسير من ورائه وكانت القوات تسودها الثقة بسبب وجود العناصر القوية الصلبة من المجاو ، والتى اصبحت تحت امرة القيادة المصرية تمثل أفضل العناصر المحاربة فى الشرق القديم .

وفى الواقع ان اليقظة المصرية بدأت تظهر فى عهد كامس واخذت تسير فى طريقها الطبيعى تحت حكم احمس وذلك عن طريق القيام بعدة حملات حربية ضد الهكسوس ، ولسوف نرى أحمس هو الذى يقود المعركة النهائية محرراً جميع اراضى

الدلتا وتغلغل فى آسيا ، واكثر من هذا نجده هو نفسه الذى اعاد الحدود المصرية فى الجنوب إلى ما كانت عليه تحت حكم الملك سنوسرت الأول ، هذا بالأضافة إلى انه قضى على المنازعات الداخلية التى ربما قد نشأت فى فترة الضعف السابقة على حركة التحرير ، وبدأ يظهر عند بعض الحكام بعض الطموح والميل إلى الاستقلال بالسلطة ، فجعل من مصر امة واحدة لها هدف واحد (٩١) .

وللأسف تنقصنا الوثائق المعاصرة التى تقص علينا بقية الأحداث وتفاصيل وقائع الحرب ، فليس هناك نوع من التتابع لحملات كامس فى النقوش التى وصلت إلينا . ويبدو ان وفاة كامس كانت غير متوقعة ، ومن اخرى لم يبحث الهكسوس من جانبهم على معاودة الهجوم فى مصر الوسطى نظراً لوفاة ابو فيس بعد حكم دام اربعين عاماً أو اكثر .

ولكن النتائج التى تحققت فى الهجوم الأول هى التى شجعت الطيبيين على مواصلة القتال . ويبدو انه فى حوالى هذه الفترة لعبت الملكة اعح حتب زوجة سقنن رع وام كامس وأحمس دوراً هاماً اعادة استقرار الامور فى طيبة بعد اضطرابات هامة ، اشير اليها اخيراً فى اللوحة التى اقامها احمس فى الكرنك (٩٢) .

وعندما استأنف احمس الحرب ضد الهكسوس كان قد توج اميراً على طيبة منذ فترة . وهناك بعض الاشارات عن استئناف القتال نجدها فى النصوص التى تتحدث عن تاريخ حياة احد ضباط البحرية من الكاب والذى كان يسمى ايضا أحمس بن ابانا (٩٣) . فقد كان والده الذى يسمى بابا يعمل فى خدمة سقنن رع . ولم يكن هناك اى ذكر لاشتراك والده فى حملات كامس ، ونستنتج من هذا ان والده قد توفى ، أو أنه أعتزل الخدمة قبل العام الثالث لحكم كامس ، ويقص علينا هذا الضابط فى نقوث مقبرته فى مدينة الكاب ــ نخب (المواجهة لنخن العاصمة القديمة) كيفية سقوط افاريس وطرد الهكسوس من شرق البلاد (٩٤) . ويقص احداث طرد الهكسوس فى خمسة وثلاثين عموداً فى نقش غائر على الجدران الصخرية لمقبرته (٩٥) . وفى تلك النصوص يقص علينا أيضا أحداث تاريخ حياتة العسكرية ، وكذلك حكم أحمس الذى استمر حوالى خمسة وعشرين عاماً تقريباً .

ولقد خدم أحمس بن ابانا تحت قيادة أحمس على حين كان صغيراً ولم يتزوج . وبعد مضى وقت قصير ، تزوج ، وكان ناضجاً فى السن بما فيه الكفاية لكى يذهب إلى الشمال ففى احدى المراحل كان قد رقى لكى يخدم فى سفينة يطلق عليها اسم « الشروق فى منف » ومن هذا الأسم نرجح ان عاصمة مصر السفلى القديمة كانت قد احتلت بواسطة أحمس ، ونتيجة لذلك يبدو أنه كان هناك اكثر من معركة حربية قبل ان يلحق أحمس بن ابانا بالجيش المنتصر . ويذكر فى نقوشه العمليات الحربية الناجحة التى اشترك فيها [٩٧] ، ويذكر على الأخص تصرفاته التى تنم عن شجاعته، ويعدد المكافآت والترقيات التى حصل عليها ، وهو يقول :

« لقد قضيت شبابى وكان أبى ضابطاً للملك المتوفى سقنن رع وكان يسمى بابا ، وعند وفاته اخذت مكانه كضابط على السفينة الحربية « الثور البرى» . وفى هذه الفترة كان أحمس ، شابا صغيراً وعزبا وفيما بعد عندما أسست منزلا (اى تزوج) نقلت إلى اسطول الشمال لكى استطيع ان أساهم فى القتال ، وتتبعت الملك مشيا على قدمى ، عندما ذهب لكى يحارب على عربته الحربية » [٩٨]. « وعندما قام جلالته بحصار افاريس [٩٩] كنت احارب مترجلا امام جلالته، ثم عينت بعد ذلك على السفينة الحربية « الشروق فى منف» ثم حارب الملك ايضا على مياه قناة افاريس . وتصارعت فى قتال صعب مع أحد الأعداء ، الذى قطعت له ذراعاً ... وعندما روى الحدث إلى نائب الملك ، قدم الملك لى ذهباً كمكافأة على شجاعتى » .

« وبعد هذا تجدد القتال فى نفس المكان وخضت من جديد صراعاً فريداً ونجحت فى قطع يد عدوى ولهذا السبب كافأنى الملك بالذهب للمرة الثانية» [١٠٠]. وعقب سقوط افاريس ، وهى اللحظة الكبيرة التى حقق فيها الملك الطيبى طموحه وهدفه نجده يقول :

« انهم نهبوا افاريس ، واحضرت غنيمة من هناك : رجل واحد وثلاث نسوة ، ومجموعهم اربعة رءوس وقد اعطاهم جلالته لى لكى يصبحوا عبيداً » .

وهذه الفقرة الأخيرة هى كل ما بقى عن الهزيمة الأخيرة للهكسوس وطردهم من أرض مصر ، وليس من شك فى ان هذه المهمة قد استغرقت من أحمس عدة

سنوات وقد رأى بعض العلماء ، أن أحمس لم تتحقق له السيطرة الكاملة على افاريس وابعاد الهكسوس عن معاقلهم إلا فى العام العاشر .ولم نر اية اشارات فى نقوش أحمس عن ملوك الهكسوس خلفاء ابو فيس الأول أو فترات حكمهم .

ويقص علينا أحمس بن ابانا فى النص التالى حصار شاروهن ، وهى مدينة تقع فى جنوب غرب فلسطين [١٠١] ، والتى سقطت بعد ثلاث سنوات . وقد وصفت على انها كانت معقلا للهكسوس ، ويبدو ان هذه المدينة قد احتلت بواسطة عناصر ينتمون إلى جنس الهكسوس الذين كانوا يحكمون فى افاريس ، وبعد سقوط افاريس ، كان العمل التالى لأحمس هو تأمين حدود مصر الشرقية من التهديدات الثأرية وغزوات الآسيويين .

وباستيلائه على شاروهن فقد حقق أحمس الغاية التى حددها لنفسه. وفى نفس الوقت اظهر للأسيويين بان مصر قد حكمت مرة اخرى بواسطة ملك قوى ونشيط ويقص علينا أحمس بن ابانا كل هذه الأحداث باسلوب دقيق ولا يفوته ان يذكر انه اظهر شجاعة بالغة ، وان الملك علم بذلك وانه كافأه على بسالته، وكانت المكافآت التى تمنح اما الذهب واما الترقية العسكرية ، واما اهداء العبيد وهبات من الارض .

ويبدو ان أحمس بن ابانا كان سعيداً لتلك الأحداث التاريخية التى ساهم فيها لذلك سطرها على جدران مقبرته. ويتحدث فى بقية النص عن حملات الملك إلى بلاد النوبة [١٠٢] . وسجلت النقوش ثلاث حملات قام بها الملك هناك . ومهما يكن من أمر ، فلا يمكن تحديد ما اذا كان حصار شاروهن قد تلا الاستيلاء على افاريس ، أو ان ذلك تحقق نتيجة لحملة سريعة من الهجوم أولا ، ومن المحتمل ان اعمال الملك أحمس فى الشمال الشرقى قد تحققت فيما بين السنة السادسة والعاشرة من حكمه. وكان ابان ذلك قادراً على ان يكرس جهوده لاعادة غزو بلاد النوبة ، غير انه لم يعاود نشاطه فى آسيا حتى وقت متأخر من حكمه.

ولا يقص علينا أحمس بن ابانا أى غزو آخر فى آسيا خلال حكم أحمس . وبالأضافة إلى نقوش أحمس بن ابانا ، هناك ايضا نصوص مشابهة لها منها سطر ورد فى نقوش شخص يدعى أحمس بن نخبت ، وبعض الاشارات توجد على اللوحات

التى نقشت فى العام الثانى والعشرين بواسطة نفربرت فى محاجر المعصرة ، وكذلك ثلاثة اسطر وردت فى نقوش لوحة للملك عثر عليها فى الكرنك فى جنوب الصرح الثامن والتى يدعو فيها أحمس مصر كلها إلى تكريم أمة اعح حتب التى لعبت دوراً هاماً اثناء حكمه (١٠٣) .

ويقص علينا أحمس بن نخبت كيف انه امضى الوقت فى خيمة مع أحمس فى منطقة جاهى (١٠٤) . واعتماداً على هذا النص رأى بعض المؤرخين ان أحمس اتبع استيلاءه على شاروهن بتغلغل فى عمق فلسطين .

وقد عاش أحمس بن نخبت حتى حكم الملوك الاوائل للدولة الحديثة وتوفى فى عهد حتشبسوت ، ولا بد انه كان صغير السن فى نهاية حكم أحمس ، ونادراً ما نراه يساهم فى الحملات فى النصف الأول من هذا الحكم . فضلا عن ذلك ، هناك دليل على وجود حملة أخيرة إلى آسيا اشير اليها فى نص من العام الثانى والعشرين من حكم أحمس ، يذكر انه استخدم فى محاجر المعصرة نوعاً من الثيران كانت عبارة عن جزء من جزية من الآسيويين (١٠٥) .

ويقص علينا مانيتون نهاية هذه الحرب بصفة عامة ، ويقول :

« بعد ان هزم الاعداء لجأوا إلى الاحتماء داخل افاريس »،ويقص انها استسلموا اخيراً بشروط وسمح لهم بترك مصر ، وكان هناك حوالى ٢٤٠ الف جندى من الهكسوس قد تركوا مصر ، وعبروا الحدود الشرقية إلى البلاد التى قد جاءوا منها والمجاورة لفلسطين ، وتركزوا فى مدينة شاروهن ، ولكن لانهم كانوا لا يزالون يمثلون ـــ حتى ذلك الوقت ـــ خطرا كبيرا يهدد مصر ، لذلك هاجمهم الملك واستولى على شاروهن بعد حصار تام نحو ثلاثة اعوام ،ويبدو ان الهكسوس كانوا قد ضعفوا من الناحية العسكرية على الرغم من وجود عناصر كنعانية وغيرها بين صفوفهم ، ولم يتعود المصريون على فن حصار الحصون لذلك كان لا بد لهم من وقت طويل حتى تحقق لهم النصر (١٠٦) .

ونهاية سيطرة الهكسوس لم تسجل إلا فى القليل من النصوص الباقية ، ومن الصعب القول بانها تحققت دون ان يكون هناك عدة حملات وبعض التضحيات . وان

كانت نصوص أحمس بن ابانا قد اظهرت انه كان لابد من اعداد عدة هجمات قبل سقوط افاريس ، فانها لا تخبرنا بأى شئ عن تطهير بقية اراضى الدلتا ، وعلى اية حال فان الاستيلاء على افاريس وطرد الهكسوس منها كان من شأنه ان يبعد التهديد الذى كانت تعانى منه العائلات المحلية فى الدلتا .

وهكذا نجح أحمس فى تحقيق طرد الهكسوس وتأمين حدود مصر الشمالية الشرقية وسجلت نقوش أحمس بن ابانا ثلاث حملات قام بها إلى بلاد النوبة . واقتصرت الأولى على غارات لاظهار قوته، وفى الثانية والثالثة استطاعت مصر ان تستعيد نفوذها هناك ويعد هذا عاملا سياسياًهاما . واصبح ملكاً على مصر كلها ، ويبدو انه لهذا السبب وضعه مانيتون على أسرة جديدة وقام الملك بنشاط معمارى كبير فى الداخل نراه فى تلك اللوحات التى خصصها فى العام الثانى والعشرين لذكرى إعادة افتتاح محاجر المعصرة،والبقايا المعمارية الأخرى التى تركها فى ابيدوس حتى الشلال الثانى .

ويعد حكم الملك أحمس من الفترات الهامة فى التاريخ المصرى القديم ، وذلك لأن المصريين شعروا هم انفسهم بأهمية هذه الفترة لذلك يبدأون به أسرة جديدة وعصراً جديداً ، يعد من أمجد عصورهم التاريخية نظراً للدور الشخصى الذى اداه أحمس مما ربط بين الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة .

وبهذا الأنتصار ينتهى عصر الأنتقال الثانى وتبدأ الدولة الحديثة أو الدولة الطيبية الثانية . وقد رأينا كيف ان تاريخ عصر الانتقال الثانى لا يزال غير معروف جيداً لكى يسمح لنا بأن نقرر النتائج التى أثرت على الفترة التى جاءت بعد ذلك ، ولكن يبدو ان الضعف والانهيار فى نهاية الدولة الوسطى قد هز البلاد بعنف ، وأصبحت القبائل الآسيوية تمثل خطراً كبيراً على مصر ، ولم يصبحوا مجرد جيران مشاغبين ، بل غزاة يطمعون فى اكثر من ذلك ، ولم تمنع تحصينات « الأمير » التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة عبر خليج السويس ، تلك القبائل البدوية من المجئ « لكيى تسمح لقطعانها بان تنهل من مياه النيل » .

وغزو الهكسوس فى حد ذاته قد اوضح مدى ضعف هذه التحصينات ،

وأصبحت حدود مصر مهددة وهذا هو العامل الاساسى الذى سوف يحدد معالم السياسة الخارجة لمصر فى الفترة التالية .

الفصل الثانى عشر

عصر الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة

(١٥٨٠ ــ ١٣٢٠ ق.م.)

مع بداية الأسرة الثامنة عشرة ، تبدأ صفحة جديدة من المجد فى تاريخ مصر ، فعندما تنتهى هذه الفترة فلن تصل مصر على الاطلاق إلى ذلك الازدهار والقوة التى وصلت إليها فى عصر الدولة الحديثة ، ولن يصبح تاريخها بعد ذلك إلا فترة افول طويلة تتخللها فترات يقظة ونهضة ولكنها لا تستمر طويلا ، ولكن قبل فترة الاحتضار الطويلة هذه ، التى يمكن ان نطلق عليها ــ عصر الانتقال الثالث ــ عرفت مصر فترة قوة ومجد ألا وهى **فترة الدولة الحديثة** وهى فترة تختلف كثيراً فى عدة نواح عن الفترات التى سبقتها .

ويبدو ان اقليم طيبة هو الذى جنى أولا وقبل كل شئ كل ثمار تلك الفترة الطويلة من المجد . فقد أصبح ذلك الاقليم المركز الادارى لمصر ، بعد ان كانت العاصمة مركزة فى منف واحيانا فى مصر الوسطى حتى عصر الانتقال الثانى . وهذا التغير أو.نقل المركز الادارى لم ينبع من اية ضرورة جغرافية أو اقتصادية أو سياسية ، بل نجد ان ملوك طيبة دانوا بالولاء لمدينتهم ومعبودها المحلى آمون ، وارادوا ان يجعلوها فى مركز الصدارة ، وهكذا اصبحت طيبة عاصمة لمصر كلها ، لأنها موطن الأسرة الحاكمة الجديدة والآتون الذى انبعثت منه شرارة التحرير ، ولن تستمر فى هذا الدور إلا بفضل تلك القوة التى سوف يتمتع بها كهنة معبودها المحلى آمون فى داخل الحكومة المركزية منذ بداية الأسرة . وإلى جانب طيبة ظهرت أهمية مدن أخرى مثل منف نظرا للظروف السياسية الجديدة وقيام علاقات جديدة مع آسيا . وكان لمعبودها بتاح نفوذ كبير فى طيبة أيضا [١] .

اطلق على طيبة أسماء عديدة ، فقد عرفت باسم « واست » بمعنى « الصولجان » وهو اسم معروف منذ عصر الدولة القديمة ، وأطلق عليها فى عصر الدولة الوسطى اسمين هما : « المدينة الجنوبية » ، و« ايونو الجنوبية » واطلق عليها فى عصر

الدولة الحديثة اسم ثالث هو « نيوت » أى المدينة وذلك لشهرتها وباعتبارها عاصمة للبلاد كلها وأحيانا يقال لها فى عصر الدولة الحديثة « مدينة آمون » أو « المدينة المنتصرة » أو « واست المنتصرة » .

وفى العصر البطلمى عرفت باسم : « واست مدينة آمون ، سيدة كل المدن » و« طيبة » وهم الاسم المشهور لها ربما لوجود شبه بينها وبين احدى المدن الاغريقية المعروفة بهذا الاسم . وعرفت فى الياذة هومير « طيبة ذات المنازل الغنية ذات المئة باب » ، و« مدينة (المعبود) زيوس العظيمة » .

وأطلق الرومان عليها نفس الاسم « ديوس بوليس ماجنا » أى مدينة زيوس العظيمة بجانب اسم « متروبوليس » (العاصمة) . ولما دخل العرب مصر فى أعقاب الرومان ، أطلقوا عليها اسم الأقصر أى مدينة القصور لما كان فيها من مبانى ضخمة كانت لا زالت قائمة .

واذا كانت الدولة الحديثة تختلف عن الفترات الأخرى للوحدة السياسية نظرا لتغير العاصمة ، إلا انها تمتاز أيضا باختلاف سياستها الخارجية . فقد رأى ملوك الدولة الحديثة انه من الأفضل الاتجاه نحو آسيا على حساب التوسع نحو الجنوب ، وذلك على عكس ملوك الدولة القديمة وأيضا ملوك الدولة الوسطى ، فقد عد ملوك طيبة ان الغزو قد تحقق بالفعل من جهة الجنوب وذلك بعد الوصول إلى الشلال الرابع بالقرب من نباتا .

فبينما كان الطابع العام للسياسة الخارجية فى عصر الدولتين القديمة والوسطى ، هو الدفاع [٢] نجد ان ملوك الدولة الحديثة اتبعوا سياسة الغزو والفتح ، ويمكن ان نقول عنها أيضا سياسة دفاع وتأمين الحدود فى نفس الوقت .

هذا الاتجاه كان جديدا فى مصر . فقد لاحظنا سابقا ان السياسة التقليدية لمصر تجاه آسيا هو الحذر والدفاع ، ولكن هذه السياسة غلبت على أمرها بواسطة الأحداث نفسها ، وحدث الغزو الأجنبى لمصر ، ولأول مرة فى تاريخها وعلى مدى أكثر من قرن ، قاست مصر من نير الاحتلال الأجنبى ، فأخذت تبحث عن طريقة تتجنب بها عودة مثل هذه الكوارث مرة أخرى ، ففى فكر ملوك هذا العصر ان الغزو

والفتح هما الوسيلتان المثليان لمنع الغزوات المهينة التى تعرضت لها البلاد على غرار غزو الهكسوس ، فتركز اهتمامهم على الجيش وتنمية قدراته الدفاعية والهجومية ، وقد اثبتت الأحداث نفسها ــ صحة هذه الفكرة ــ وكانت هذه السياسة تتطلب اتصالات دائمة مع آسيا ، وكان لها رد فعل عميق على البلاد نفسها من الداخل ، وانعكس ذلك على نفوس المصريين فأصبحوا أمة منتصرة قوية بعد ان كانوا أمة منهزمة ضعيفة ، فأخذوا فى التوسع أكثر وبقدر الامكان نحو الشرق لمواجهة القبائل الآسيوية المشاغبة الطامعة ، التى أخذت تتحد إلى حد ما مع الميتانيين ، وتدفع بواسطتهم لاثارة القلاقل على الحدود المصرية ، وهؤلاء الميتانيون ، هم الغزاة الآريون الذين استقروا بين نهر العاصى وأعالى نهر الفرات .

وتعرض الجيش فى ذلك الوقت لتغيرات اساسية بسبب اتصاله بآسيا وتكوين مناطق نفوذ فى الخارج .

وسوف نرى هذه السياسة الجديدة تؤثر بعمق فى مظاهر الحضارة المصرية ، فحتى ذلك العصر وعلى الرغم من الغزوات والتسربات الأجنبية السابقة ، إلا ان مصر عاشت على ثرواتها الطبيعية ولكن عندما بدأت تتدخل فى بلاد الشرق ، كان طبيعيا ان تتجاوب وتدخل فى اتصالات مباشرة مع الحضارات الكبرى فى آسيا ، ولم يغب عن اذهان الملوك ، الرواج الاقتصادى الناتج عن قيام وجود مناطق نفوذ ، وجنى المصريون ثمار انتفاضتهم القوية عندما ابعدوا خطر الغزو الأجنبى ، وتغير المناخ السياسى فى البلاد الذى كان وليداً لمجهوداتهم الحربية أساساً ، وكان ينهمر على مصر فى كل عام سيل من الجزية المختلفة من ثروات تلك البلاد وكان المستفيد منها هو الملك والكهنة ، (وخاصة كهنة آمون) ، وأيضا الضباط والجنود والموظفون الذين كان لهم نصيب فى موارد الدولة .

حافظت مصر بقدر الامكان على اصالتها ويمكن القول « مصريتها » وسوف تخرج من كل هذه الاتصالات بنوع من التغير الشكلى ، فمصر التى كانت تحتفظ بذوق يمتاز بالوضوح والدقة ، اعتنقت نوعاً من الثراء ذا طابع شرقى كلية . واصاب الشعب نوع من الرقى خلال النصف الثانى من الدولة الحديثة ، وظهر هذا التغير فى

جميع المجالات فى الديانة ، فى العادات ، فى الأدب ، فى الملابس والزينة وفى حب الترف الذى ولد فى هذه الفترة والذى تطور بسرعة ، وفى الفن ، وليس لنا ان نأسف كثيراً على ذلك ، فالفن فى ذلك العصر ، وان فقد القليل من قواعده وتقاليده إلا انه اكتسب الكثير من الرقة والذوق وهنا تتجلى وتتضح عبقرية الفنان المصرى القديم فيما أخرج .

وكان نجاح السياسة الخارجية ، والاستقرار والتقدم فى الداخل ، يرتبط بنوعية شخصية الملك الجالس على العرش . فمن المعروف ان أغلب ملوك هذه الفترة كانوا يتمتعون بقوة الشخصية . ولهم تأثير لا يمكن انكاره على مجريات التاريخ المصرى فى ذلك العصر ، وكان الاتجاه السياسى متأثراً بصفاتهم وحسن تفكيرهم .

ويجب أن نشير هنا إلى أهمية آثار هذه الفترة وتتمثل فى المعابد فى البر الشرقى من طيبة وفى مقابر الملوك والملكات والأشراف والعمال فى البر الغربى والتى تعكس لنا الكثير من جوانب المياه الحضارية فى هذه الفترة . وقد عثر حتى الآن على أربع وستون مقبرة ملكية لا يزار منها سوى تسع عشرة مقبرة فى وادى الملوك . وهناك سبعون مقبرة للملكات فى وادى الملكات وأكثر من ثلثمائة مقبرة للأشراف موزعة بين جبانة دراع أبو النجا والعساسيف وشيخ عبد القرنة ، وقرنة مرعى . وهى تخص وزراء وكبار كهنة وقواد للجيش وأطباء ومشرفين على الخزانة والشون ومشرفين على المهن المختلفة فى القصر الملكى وادارات الحكومة . وهناك حوالى اربعمائة مقبرة للعمال فى جبانة دير المدينة ، وهى تخص العمال والحرفيين الذين أشرفوا على حفر ونحت وتزيين مقابر ومعابد البر الشرقى والغربى .

الملوك الكبار للأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ــ ١٣٠٨ (؟) ق.م.) :

كما رأينا انه لا يوجد فاصل واضح بين الأسرة السابعة عشرة والثامنة عشرة . فآخر ملوك الأسرة السابعة عشرة أحمس هو فى نفس الوقت أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

فتغير الأسرة يمكن تفسيره بسقوط افاريس الذى يعنى نهاية الاحتلال الأجنبى وبداية وحدة سياسية جديدة لمصر . وقد استمرت الأسرة الثامنة عشرة أكثر

من قرنين ونصف قرن على عرش مصر ، وهى تعد فترة كبيرة إلى حد ما ، وتعاقب على عرشها اثنا عشر ملكاً من ملوكها ، وكان أولهم بطبيعة الحال .

نب بحتى رع ــ أحمس (١٥٧٦ ــ ١٥٥١ ق.م.)

وهو أول ملوك الأسرة الكبار ، وقد اطلق عليه مانيتون اسم « اموزيس ــ Amosis » (إعح ــ مسو) الذى يعنى « المولود من القمر أو القمر ولده » وقد ارتقى العرش فى حوالى ١٥٧٦ ق.م. وكان يبلغ سن السادسة عشرة . وكان ابنا لسقنن رع تاعا الشجاع وزوجته اعح ــ حتب ، وعندما تولى مقاليد الحكم ، تزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت (٣) والتى كانت تسمى مثله أحمس وأضافت إلى هذا الاسم لقب « نفرتارى » الذى يعنى « الرفيقة الجميلة » .

ومن هذا الزواج انجب ولده امنحتب الذى سوف يخلفه على العرش . ويلاحظ ان اسماء افراد العائلة : اعح حتب ، احمس وزوجته احمس ــ نفرتارى وغيرهم تتصل بالقمر الذى عبد فى الاشمونين وربما كان أصل هذه الأسرة من الأشمونين وقد استقرت فيما بعد فى طيبة .

ولا نعرف على وجه التحديد ما هى ابعاد السياسة الداخلية التى قام بها الملك أحمس ، وكان عليه تكوين دولة جديدة فى ظروف جديدة ولدت بحكم الأحداث نفسها ، ونعلم انه لم يستقر فى منطقة الفيوم كما فعل من قبل الملك امنمحات الأول ، واحتفظ بطيبة كعاصمة لملكه.

وعن أعماله الداخلية فاننا لا نعرف أى شئ سوى انه اهتم بترميم الكثير من المعابد وقام بتشييد المقاصير للمعبودات الأخرى ، وكأنما كان يريد ان يثبت بذلك كله عرفانه بالجميل تجاه المعبودات التى ساعدته فى تحقيق هذا النصر ، وابتداء من هذا العصر اصبحت الديانة تتداخل أكثر فأكثر فى السياسة وأصبح الاعتقاد السائد فى مصر ، هو ان المعبودات وخاصة المعبود آمون هو الذى ساعد الملك على تحقيق النصر على أعدائه، وليس الملك وحده هو الذى هزم الأعداء ، وسوف نرى فيما بعد مدى تأثير هذا الاعتقاد على الملكية نفسها ، وسوف نرى ايضا ان الملكية المصرية بدأت تتجه أكثر فأكثر نحو ملكية مقدسة حقيقية حتى اللحظة التى سوف ينجح فيها

كبار كهنة آمون فى ان يصبحوا الأسياد الحقيقيين للبلاد .

وقد ساعدت عامة الشعب الملك فى تحقيق الاستقرار والهدوء فى الداخل فقد بعث فيهم الانتصار الحمية والايمان بمستقبل البلاد . وفى مثل هذه الحالة لنا ان نتخيل ان الملك حاول اعادة تنظيم البلاد من الداخل التى اضعفتها الحروب ، واستطاع بذكائه ونشاطه ان يحقق لمصر نوعاً من الرخاء ، ويكمل علينا نفس الضباط احمس بن ابانا نصه قائلا فيما يخص أحمس :

« بعد ان قضى جلالته على الآسيويين ، صعد مجرى النيل حتى خنت — ان — نفر (بعد الشلال الثانى) لكى يقضى على القبائل الصحراوية فى بلاد النوبة ، ونجح فى القضاء على أغلبهم ، وبعد ذلك نزل جلالته مجرى النهر ، سعيداً بنصره العظيم لأنه هزم من هم فى الشمال ومن هم فى الجنوب أيضاً » [٤] .

وهكذا أكمل أحمس سياسته كموحد ، وذلك بربط بلاد النوبة بمصر ، التى كانت قد انفصلت عنها أثناء عصر الانتقال الثانى إلى حد أنها انضمت إلى صفوف الهكسوس ، ويبدو انه اثناء فترة حكمه أخذ الثوار يتوالون على بلاد كوش واضطر لمواجهة هذا الأمر بالقيام بثلاث حملات ، وهى ثورات اشعلها فى الأصل المتعاونون مع الهكسوس ، ويبدو انه وصل إلى جزيرة ساى التى تقع بين الشلال الثانى والثالث . وبعد عدة سنوات ؛ ومن المحتمل فى حوالى العام العشرين من حكمه اضطر الملك إلى الذهاب مرة أخيرة إلى سوريا ، وذلك لكى يقضى على العناصر الباقية من قوات الهكسوس ، ووصل حتى جاهى فى شمال فلسطين وفينيقيا . ولا نعلم أى شئ بالتفصيل عن هذه الحملة ، إلا انه عاد منها بعدد من الأسرى الذين عملوا فى محاجر الأحجار الجيرية فى طره فى مواجهة منف ، وتقص النقوش :

« ان الخوف الذى يثيره كان يملأ بلاد سوريا ، والقبائل التى كانت تقترب منه كانت تقترب بخطى يملؤها الخوف وتسرع إحداها وراء الأخرى فى صالة الاجتماعات » [٥] .

وهكذا امتازت تلك الفترة التى عاشتها مصر بما يسمى الدفاع الوطنى اذ اشترك المصريون جميعا فى الذود عن الوطن ، وتأججت فى نفوسهم الرغبة فى الانتقام

والاعتزاز بتحرير أرض مصر ، وتمثل ذلك فى خروجهم فى تلك الحملات إلى الشرق لكى ينتقموا لأنفسهم كلما واتتهم الفرصة .

أقام الملك أحمس لوحة كبيرة فى الكرنك [٦]ذكر عليها الكثير من أوجه نشاطه وما قامت به أمه اعح حتب ، واسرافه فى الاهتمام بدور العبادة وغيرها من المنشآت ، وذكر نفربرت حامل خاتم الملك نشاطه فى محاجر طره على لوحتين [٧] ، جاء ذكر اسم زوجته أحمس ــ نفرتارى على احداهما ، وعثر على لوحة ثالثة فى العرابة المدفونة عليها نقش يبين حب الملك أحمس لجدته تيتى شرى [٨] .

أما عن مقبرة الملك أحمس فلم يعثر عليها أو يتعرف حتى الآن ، [٩] وان كان يغلب على الظن أنها لابد ان تكون قريبة من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة . ولكن عثر على مومياته ومن فحصها تبين انه بلغ سن السبعين أو أقل من ذلك عند وفاته ، وقد توفى عام ١٥٥١ ق.م أى بعد ان حكم حوالى خمسة وعشرين عاماً طبقا لمانيتون ، وكان ملكاً قوى البنية عريض الكتفين متوسط الطول .

وقد أصبح أحمس وولده امنحتب الأول محل تقديس وعبادة من أهل طيبة ورأوا فى شخصيتهما ما دعاهم إلى التبرك بتصويرهما داخل مقابرهم بعد وفاتهما بعدة قرون .

كان لأحمس أولاد وبنات : مريت آمون ، سات آمون واعح حتب وسات كامس أما الأبناء فهم سابا ايرى أحمس ، سا آمون وامنحتب . ومن بين كبار الموظفين الذين عاشوا فى عهده نائب الملك لبلاد كوش المدعو سنى الذى عاش حتى عصر الملك تحوتمس الثانى ، وأيضا تيتى كى الذى كان رئيسا للمدينة الجنوبية أى طيبة وفى مقبرته رقم ١٥ فى جبانة دارع ابو النجا مناظر تمثل الحياة اليومية والاجتماعية . ولاننسى أيضا كبار قواده العسكريين أحمس بن ابانا الذى كان رئيسا للبحارة وعاش حتى خكم امنحتب الأول ، واحمس بن نخبت الذى عمر حتى عهد تحوتمس الثالث وكان يحمل لقب مربى الأميرة نفرورع ابنة حتشبسوت . [١٠]

دور الملكات الثلاث فى الحياة السياسية :

من النصوص القليلة من بداية الأسرة الثامنة عشرة ، يتضح ان دوراً كبيرا قد

لعب في تاريخ الدولة الموحدة الجديدة بواسطة ثلاث ملكات : تيتى شرى جدة احمس ، اعح حتب امه، واحمس ــ نفرتارى زوجته. [١١] ويبدو ان دورهن كان له تأثير بعد ذلك بالنسبة للنساء اللاتى كان لهن دور فى قيادة البلاد فيما بعد امثال حتشبسوت .

تيتى شرى :

ولدت من والدين لا يجرى فى عروقهما الدم الملكى ، ومن المحتمل انها كانت زوجة لسقنن رع تاعا الأول وام سقنن رع تاعا الشجاع الثانى . وقد عاشت خلال الأوقات العصيبة فى نهاية الأسرة السابعة عشرة ، كما عاشت بعد زوجها وابنها وحفيدها كامس ، وتوفيت خلال حكم الأخير . وكانت محل تكريم بوجه خاص خلال النصف الأول من حكم ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، ومن المحتمل أنها عدت المؤسسة للسلالة الملكية الفاتحة . وكان أحمس نشطا فى نشر ذكراها ، ففى السنوات الأولى من حكمه، كانت لا تزال جدته على قيد الحياه ، وعندما توفيت دفنت فى طيبة فى مقبرة خاصة بها ، ونقلت المومياء من تلك المقبرة فيما بعد بعدة قرون لكى توضع فى مكان آخر أمين ، وهى الآن بالمتحف المصرى .

وقد ظهرت مشتركة مع أحمس على أكثر من أثر منها ما هو موجود الآن فى المتحف البريطانى ، وآثار أخرى من العصر المتأخر كانت مخصصة فى الأصل لاعح حتب وأحمس نفرتارى . وقد شيد لها الملك مقبرة رمزية فى جنوب الجبانة القديمة لملوك ثينى فى ابيدوس ، وقبيل نهاية حكمه قرر ان يوسع من هذه المقبرة باضافة هرم وقدس أقداس عثر على بقاياهما . وعثر على لوحة فى العرابة المدفونة ظهر فيها بر أحمس بجدته تيتى شرى وكان يتحدث مع زوجته احمس نفرتارى عن فضل جدتهما وتخليد ذكراها [١٢] وتقص علينا نقوش هذه اللوحة الأعمال التى قام بها وتعطينا صورة واضحة عن ذلك العصر وتحدثنا بلغة أدبية استخدمت فى بعض النصوص الملكية لهذه الفترة ؛ كيف أن أحمس رغب فى تكريمها إلى أقصى حد ، وبالاضافة إلى مقبرتها ومقصورتها خصص لها هرماً ومقصورة أخرى فى أبيدوس زودت ببحيرة وحدائق وأراضى وقف وأشخاص وكهنة وكل ما يلزم ، وأسست مقاطعة باسمها فى

منطقة منف حيث يقول :

« يحدث فى بعض الأحيان عندما يكون جلالة الملك أحمس جالساً فى صالة الاجتماعات فى القصر مع جلالة الملكة أحمس نفرتارى ، ان يتحدث الملك إليها عن فضائل من هم هناك (أى الموتى) وعن القرابين والأنواع التى يجب ان تقدم على موائد قرابينهم ، عندئذ تقول له زوجته لماذا تتذكر هذه الأشياء ؟ لماذا نردد هذه الكلمات ؟ ما الذى يجول فى تفكيرك ؟ وعند ذلك يقول لها الملك لقد فكرت فى جدتنا الملكة تيتى شرى ، على الرغم من أن مقبرتها الفعلية فى طيبة والرمزية فى أبيدوس ، أقول لك هذه الأشياء لأننى أرغب فى أن أقيم لها هرماً وقدس أقداس أيضا هبة لذكراها . ويحفر حوله بحيرة مقدسة محاطة بالأشجار وسوف يأتى الناس ليقدموا القرابين إليها ، وسوف يزود المعبد بالكهنة والأراضى والقطعان ، وسوف يخصص له كهنة جنائزيون وكهنة للطقوس يعرف كل منهم (واجبه) » .

ولم يكد يذكر هذه المنشآت إلا وقد تم الاسراع بتشييدها وقد قام جلالته بذلك لأنه كان يحب جدته أكثر من أى شخص آخر . ثم جاء جلالته ليبسط ذراعيه، ويحنى رأسه يحييها ، ولكى يتلو الصلوات الجنائزية الخاصة بالملوك ولكى يقدم القرابين للمعبودات [١٣] .

ويمكننا ان نشعر من خلال تلك الوثائق انها كانت امرأة لها شخصيتها القوية المؤثرة [١٤] . وإن كان ذلك يتعارض بشدة مع مظهرها الرقيق وهى صغيرة كما يبين ذلك تمثال صغير لها موجود الآن بالمتحف البريطانى .

اعح حتب :

احتلت هذه الملكة فى الجزء المبكر من حكم أحمس ــ ربما بعد وفاة تيتى شرى ومن المحتمل قبل ان تصبح أحمس نفرتارى زوجته ــ منزلة خاصة كسيدة للبلاد كلها ، وتقص علينا لوحة الكرنك التى تتشابه فى الاسم مع لوحة كامس من الكرنك أيضا ، والمؤرخة من بداية حكم أحمس ، أبعاد الدور الذى أدته، ففى فقرة تجذب الانتباه ، وصفت بأنها « اعتنت بمصر ، وبحثت عن جنودها وحافظت عليها ، وارجعت هاربيها وجمعت شارديها ، وامنت مصر العليا وطردت عاصيها » [١٥] .

وتبين هذه الكلمات ان اعح حتب فى ــ فترة عصيبة ــ امسكت بزمام الأمور ، واعادت النظام والاستقرار فى مصر عندما سادها القلق والاضطراب ، ومن المحتمل ان ذلك حدث بعد وفاة سقنن رع أو كامس .

وهذه التعبيرات المحددة بطريقة غير عادية تعنى ان تصرفها كان ضرورياً لتدعيم المملكة الموحدة فى فترة طرد الهكسوس . وربما أدت دور الشريك فى الحكم مع أحمس فى بداية حكمه ، وهذا ما يفسر ارتباط اسمها باسمه على بوابة عثر عليها فى بوهن .

ويبدو انه كانت لها السيطرة العليا فى مصر ، وكانت تلقب بلقب « سيدة الحاونبوت » وكان اسمها رفيع القدر فى كل البلاد الأجنبية ، وهذا الأزدواج فى السيطرة يرجع إلى ان حروب أحمس أدت به إلى الخروج عبر الحدود ، فقد حاصر افاريس وشاروهن ، وتوغل بعمق فى آسيا ، وكل هذه الحملات جعلته يغيب عن مصر لمدة عدة سنوات متتالية (١٦) .

وفى هذه الأثناء كان على الملكة ان تدير شئون البلاد والمناطق التى حررت بواسطة ابنها وهذه السلطة لم تكن أسمية ولكن مارستها بالفعل فهى كانت « تباشر أعمال الشعب العادية » فى كل المناطق التى خضعت لامرتها . (١٧) وعندما توفيت زود متاعها بأشياء ثمينة ، يحمل الكثير منها اسم أحمس واسم موظف يدعى كارس الذى وصف نفسه كرئيس أعمال اعح حتب ، وهناك نص من العام العاشر من حكم امنحتب الأول ، عرض فيه مظاهر التكريم المختلفة التى منحتها له الملكة . وقد استخدم هذا النص لكى يثبت ان الملكة اعح حتب عاشت حتى السنة العاشرة من حكم خليفة أحمس . وهناك رأى يعد اعح حتب التى خدمها كارس زوجة لأمنحتب الأول وليس أم أحمس .

وهناك من عصر الملك امنحتب الأول احد موظفى الادارة للزوجة المقدسة والأم الملكية اعح حتب ، « مراى » صاحب المقبرة رقم ١٢ فى دراع ابو النجا .

وهناك نص مؤرخ من العام العاشر من حكم امنحتب الأول يقص علينا ان الملكة المسنة اعح حتب التى كانت تبلغ فى ذلك الوقت خمسة وسبعين عاماً ، قد

قدمت هبة إلى رئيس ديوانها الأمير كارس الذى تحدثنا عنه سابقاً ، بان أمرت بان تعد له مقبرة فى أبيدوس ، اعترافاً بكل الخدمات التى أداها للملكة [١٨] .

أحمس نفرتارى :

كانت زوجة لأحمس ومن دم ملكى ، وربما كانت ابنة لكامس ، وكانت ممن يحملن لقب الأخت ، وقد ظهرت مع زوجها على كثير من الآثار ، ففى النص المؤرخ من العام الثانى والعشرين فى المعصرة نجدها مشتركة بكثرة مع أحمس وذكرت فى أكثر من نص ، وفى نقش أبيدوس الذى سجل فيه أحمس رغبته فى تكريم ذكرى جدته تيتى شرى نجد ان أحمس نفرتارى تشترك فى تخطيط المقصورة والهرم . وقد عثر على اسمها فى شبه جزيرة سيناء ، وكذلك فى أقصى الجنوب فى جزيرة ساى بالنوبة .

وقد عثر على لوحة غريبة فى الكرنك تصوره تصاحبه زوجته وابنهما أحمس ــ عنخ ، وهم يقدمون القرابين إلى المعبود آمون رع . ويوجد خلف صورة المعبود نص يتحدث عن وظيفة الكاهن الثانى لآمون رع نظير راتب عينى فى شكل بضائع قدرت قيمتها بالذهب . ولسوء الحظ فقد الجزء الذى يصف طبيعة التدرج من هذه الوظيفة . والمعنى غير الواضح هل كانت هذه الوظيفة تمنح أو تباع للملكة أو لشخص آخر ؟ .

وفى المنظر الذى فى أعلى النص نرى الملكة فى نفس حجم الملك وصورة المعبود آمون [١٩] . وفى موضع آخر من النص نجد اشارة للمكانة الخاصة لوضع الملكة ، ويفهم من ذلك أن تأثيرها خلال حكم زوجها أحمس لم يكن أقل من تأثير تيتى شرى واعح حتب ، وربما كان ذلك سبباً فى ان شهرتها قد تعدت شهرة سابقيها .

وقد عاشت خلال حكم ابنها امنحتب الأول ، واحتفظت بتلك المكانة الرفيعة فى مصر ، وشيدت لنفسها مقبرة ومعبدا جنائزياً .

وأصبحت فى العصر المتأخر محل تقديس مع ابنها امنحتب الأول [٢٠] ، ونالت تقديراً خاصاً فى جبانة طيبة فى حى الفنانين فى دير المدينة .

ويبدو ان الطابع الأسرى للبيت المالك فى تلك الأسرة كان ذا أهمية كبيرة فى ذلك الوقت ، كما يبدو ان المصريين فى هذه الفترة بدأوا يلجأون إلى إحياء عاداتهم القديمة كرد فعل ضد ما خلفه عهد الاحتلال الأجنبى من اهمال للشعائر الدينية ،

واصروا بوجه عام على اظهار دور المرأة وخاصة الأم كربة فعلية للأسرة . وهكذا نرى تيتى شرى واعح حتب تحظيان بالتكريم غير العادى ، واحيطت الملكة الحالية أحمس نفرتارى باحترام عظيم وأصبحت محل تقديس فيما بعد كسلف مقدس وكأم للأسرة أيضا . ولقد ولدن من دم ملكى ، وربما كن يمتلكن السلطة الملكية مثل أزواجهن وأصبحت هؤلاء الملكات نماذج للسلطة النسائية والملكية المصرية المؤنثة التى أثرت بفاعلية فى التاريخ المصرى فى القرون التالية ، فبالاضافة إلى حقهن الوراثى ، فقد اكتسبن قوة دينية بارتباطهن الوثيق بأمون رع معبود الدولة الرسمى ، وأصبحن يلقبن بلقب « الحرم المقدس لآمون رع » وذلك فى بداية الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت الملكتان : اعح حتب وأحمس نفرتارى أول اثنتين حملتا هذا اللقب . وفى العصر المتأخر كانت تحمل هذا اللقب بعض الأميرات وليست الملكات . وأصبح هذا اللقب أيضا له دوره السياسى الهام [٢١] .

بعد ان انتهينا من استعراض دور الملكات الثلاث فى الحياة السياسية فى بداية الأسرة الثامنة عشرة ، نتحدث الآن عن خليفة أحمس أول ملوك الأسرة الكبار ، وهو :

جسر كارع ـــ امنحتب الأول « حقا واست » (١٥٥١ ـــ ١٥٣٠ ق.م.) :

ابن أحمس ، وكان يبلغ من العمر حوالى عشرين عاما عندما خلفه على العرش عام ١٥٥١ ق.م. ، وطبقاً لرأى آخر اعتمد على حساب فلكى لتأريخ التقويم فى بردية ايبرس الطبية ، امكن تحديد السنة التاسعة من حكم امنحتب الأول بعام ١٥٣٧ أى ان السنة الأولى من حكمه هى عام ١٥٤٦ ق.م. وقد اعلن أحد موظفى طيبة ويدعى امنمحات فى نقوش مقبرته انه خدم فى نفس الوظيفة لمدة واحد وعشرين عاماً تحت حكم امنحتب الأول . والتواريخ التى اعطيت بواسطة مانيتون تؤكد مدة الواحد والعشرين عاماً هذه أو أكثر بقليل ، وهى أيضا الفترة التى تقع بين ١٥٥١ ـــ ١٥٣٠ ق.م. [٢٢] .

وتوفى ابن أحمس الأول الأكبر سابا ايرى أحمس قبل ان يصل إلى العرش ، فجاء من بعده أخوه امنحتب الأول الذى تزوج من التى كانت تحمل لقب اخت والتى

كانت تسمى أيضا اعح حتب [٢٣] . وكانت أمه أحمس نفرتارى وجدته اعح حتب محل تقديس وتكريم كبيرين فى عصره .

ليس لدينا وثائق عديدة عن أحداث عهد امنحتب الهامة ، وليس هناك من شك فى ان امنحتب الأول لجأ إلى تدعيم مكاسب حكم أحمس الأول بقوة .

وفيما يخص السياسة الخارجية نجد انه قام بحملتين أو ثلاث فى بلاد النوبة وما وراءها ، فيقص علينا أحمس بن ابانا وأحمس بن نخبت ، ان الأول قد ذهب فى حملة مع امنحتب ضد الاونيتيو (النوبيين) الذين ربما سكنوا الصحراء إلى الشرق أو إلى الغرب من وادى النيل واعتادوا ان يغيروا على السكان المستوطنين فى النوبة المصرية . وقد ذهب إلى هناك لكى يوسع حدود مصر ، ويذكر الثانى حملة واحدة ضد كوش نجح اثناءها فى القبض على أسير [٢٤] . وقد كان أحمس بن نخبت مساعداً للملك امنحتب الأول ، وكان قائدا لحملة على بوهن تحت قيادة أحمس الأول [٢٥] . وقد عثر على اسمه فى النقوش التى وجدت فى سمنة والمؤرخة من العام السابع لأمنحتب ، وعثر على اسمه أيضا فى أماكن أخرى فى بلاد النوبة تدل على وجوده ونشاطه ، منها نقش فى جزيرة اورناتارى مؤرخ من العام الثامن . وكل هذه التواريخ تشير إلى السنوات التى كان يخدم فيها تحت امرة امنحتب الأول . وأحيانا تنقص التواريخ هذه النقوش فيصبح من الصعب تحديد اذا كان حدث فى عهد امنحتب أو تحوتمس الأول الذى خدم فى عهده أيضا .

وعثر فى جزيرة ساى على بقايا معبد شيده امنحتب الأول ، وعثر فى هذه البقايا على اسماء أحمس الأول وزوجته أحمس نفرتارى . وتعد جزيرة ساى هى الحد الأقصى للتقدم المصرى فى بلاد النوبة السفلى خلال هذا الحكم .

وفى نقش على لوحة أقامها خليفته تحوتمس الأول فى العام الثانى من حكمه فى تومبوس فى منطقة الشلال الثالث ، يذكر ان حدوده الجنوبية كانت تبعد عن هذه الأرض وحدوده الشمالية تصل حتى الفرات .

ولا يمكن تصديق ان تحوتمس الأول قد وصل إلى هذه الحدود فى نهاية

حكمه أي فى العام الثانى وربما انه ضم مساحات كبيرة من الأرض التى كان قد فتحها أمنحتب الأول من قبل .

وأما عن نشاطه فى الغرب ، فقد أشار أحمس بن نخبت فى جملة واحدة من نقوش مقبرته ، إلى انه ذهب مع الملك فى حملة ضد الليبيين ، وانه استولى على ثلاث ايد فى شمال ايا مون فى بلاد كهك (أو أياموكهك) وربما وقعت هذه الأماكن فى الصحراء الليبية لأنها غير معروفة حتى الآن [٢٦] .

وقد ظل المصريون فى علاقات سلام بسيطة مع الليبيين خلال الجزء الأكبر من الأسرة الثامنة عشرة ، وهذه السياسة السلمية إلى حد ما التى اتبعها ملوك الأسرة الأوائل تجاه جيرانهم الأجانب قد منعت الليبيين من محاولة اتباع طريقتهم فى التسرب إلى الدلتا . ومن الصعب الاعتقاد بأن علاقة السلام هذه بين مصر وليبيا كانت سهلة التحقق دون بعض استعراضات للقوة من جانب أحمس أو امنحتب . وكانت الواحات فى الصحراء الليبية تدخل ضمن السيطرة الادارية لمصر منذ عصر الدولة القديمة ، وربما كانت قد احتلت بواسطة عناصر موالية للهكسوس خلال عصر الانتقال الثانى . ولهذا فقد وجد كامس انه من الضرورى ارسال قوة إلى شمال الواحات خلال حملته ضد عا واسرع ابو فيس .

ومن المحتمل ان نوعاً من الرقابة الادارية قد فرض من جديد على كل الواحات فى بداية الأسرة الثامنة عشرة . واثناء حكم امنحتب الأول كان يوجد موظف كبير وصف بأن « عمدة الواحات » [٢٧] .

وفى الشرق كان امنحتب نشيطا أيضا ، فقد عثر على لوحة فى سيناء مخصصة للقرابين فى معبد سرابية الخادم تدل على وجود معاونية فى شبه جزيرة سيناء ، واقام هو أيضا بناء جديداً فى المعبد هناك ، وقام ببعض الترميمات فى مبنى من عصر الدولة الوسطى .

أما عن نشاطه الحربى فى آسيا فهو ضئيل ولدينا اشارتان أولاهما عن بلاد قدمى (وهى جزء من فلسطين أو شرق الأردن) فى مقبرة امنمحات ، والثانية عن ميتانى فى نفس نقوش المقبرة السابقة ، وهذان النصان هما الاشارتان الوحيدتان إلى

نشاط امنحتب فى آسيا ، وهما لا يذكران أى شئ عن عمليات حربية ، ولكن يمكن القول بان الاشارة إلى ميتانى ربما كانت ترجع إلى عصر أو حكم ليس هو حكم امنحتب الأول ولكن حكم احد اسلافه.

ومن ناحية أخرى فانه فى الفترة المبكرة من الأسرة الثامنة عشرة ، وبعد الانتصار المصرى على الهكسوس ، أصبحت آسيا وبالمثل الفرات مجالا للنفوذ المصرى .

فقد ذكر تحوتمس الأول فى نص له، ان مملكة مصر تمتد حتى نهر الفرات ، ومن المؤكد ان أحمس لم يمتد بنفوذه إلى تلك المناطق ، فلابد ان ذلك حدث فى عصر امنحتب الأول ، الذى مهد الطريق لخليفته بعد ذلك ، ولا يمكن الاعتقاد بان امنحتب قد عبر نهر الفرات فى حملة ، على الرغم من انه صور على لوحة محفوظة بمتحف اللوفر وهو يضرب امراء البلاد الأجنبية [٢٨] .

ويبدو ان حكمه قد انقضى فى سلام تام ، وازدهرت البلاد فى عهده ، وقد سمح هذا الازدهار لخلفائه بان يحققوا الكثير ، ويرجع كل ذلك إلى سياسة التسامح والتساهل التى بدأها أحمس واستمر فيها امنحتب الأول . وتبين الآثار العديدة الباقية انه كان نشيطا فى مجال العمران ولكن نظراً لأن معظم ابنيته قد هدمت بواسطة خلفائه، فلم يبق منها إلا القليل .

فقد أكمل سياسة أبيه فى العمران الداخلى ، وكان ملكا على جانب كبير من التقوى ، فأسرف فى الاهتمام بتشييد الكثير من المعابد واصلاح ما تهدم منها فترات الفوضى والاضطراب عقب سقوط الأسرة الثانية عشرة . وشيد لنفسه معبدا ضخماً لتقديس روحه بعد وفاته، ويقع فى داخل الصحراء فى الطرف الجنوبى لجبانة طيبة ، وهو جزء من المجموعة المسماه عادة باسم معبد مدينة هابو ، ولكن كان المعبد قائما بمفرده فى هذه الفترة وسط حديقة جميلة [٢٩] .

وشيد مقبرته أيضا طبقا لخطة جديدة ، فبدلا من اتباع الطريقة القديمة وهى دفن الحلى والأشياء الثمينة مع مومياء الملك فى مكان ظاهر ، قرر الملك ان يخص مكان مقبرته بعناية كبيرة وتخلى عن فكرة اقامة هرم أو أى آثار أخرى تجذب الانتباه .

ففى أوقات الفوضى التى عاشتها البلاد كانت أغلبية المقابر عرضة للسلب والنهب فقام بحفر مقبرته فى قمة التلال التى تشرف على دراع ابو النجا فى غربى طيبة ، وهى تعد أقدم مقبرة ملكية فى هذه المنطقة وتحمل الآن رقم ٣٩ ، واختار لها مكانا ضيقا فى وسط الصخور ونصل إليها عن طريق بئر وسلم منحدر يؤدى إلى ممر متسع بعض الشئ ، ويؤدى هذا الممر أولا إلى حجرة صغيرة ثم إلى قاعة جنائزية أكبر حجما تشبه القبو وحفرت فى الصخر [٣٠] .

وأغلق المدخل بعد عملية الدفن بواسطة الأحجار وللامعان فى عملية التمويه غطى السطح الخارجى بالصخور لاعطائه الشكل الطبيعى للصحراء المحيطة به ، وبعد عدة قرون نقلت مومياء الملك من المقبرة وأعيد دفنها فى مكان آخر خفى ، وهى الآن فى المتحف المصرى .

وعثر على مقبرة أخرى فى الطرف الشمالى لجبانة طيبة فى نجع الدير ، وقد اعتقد بعض العلماء فى أول الأمر انها تخص هذا الملك ولكن من المحتمل انها كانت مقبرة للملكة الأم أحمس نفرتارى التى توفيت فى نهاية حكمه، وتعد هذه المقبرة أولى المقابر التى اعدت فى وادى الملوك بالنسبة لكل ملوك الدولة الحديثة .

ويحدثنا المهندس انينى فى نقوش مقبرته فى البر الغربى عن نشاط الملك المعمارى ، فإلى جانب تشييده لمعبده الجنائزى والمقبرة ، قام ببعض النشاط فى أبيدوس ، فهو لم يشيد آثاراً جنائزية منفصلة مثل أبيه أحمس ، بل أضاف مقصورة إلى معبد أوزير تكريما لوالده أحمس الأول ، ومن داخل الصرح الثالث فى معبد الكرنك استخرجت أحجار مقصورة من المرمر [٣١] ، وربما كانت هذه المقصورة هى البناية التى ذكرت بكثرة بواسطة « إنينى » الذى أصبح فيما بعد عمدة لطيبة ، وعلى الشاطئ الغربى شيد أيضا مقصورة من الطوب اللبن للمعبودة حتحور فى الدير البحرى ولكنها أزيلت فيما بعد لاعداد معبد حتشبسوت الكبير ، وعلى طول الطريق الصاعد أقام التماثيل من الحجر الرملى لشخصه [٣٢] .

وفى أماكن أخرى فى مصر العليا ، عثر على الكثير من بقايا معابده ومقاصيره فقد عثر على بعض الكتل فى كوم امبو وفى الفنتين ، وفى معبد المعبودة نخبت فى

الكاب ، نفذت أعمال معمارية ضخمة ، وكانت منطقة الكاب من المناطق الموالية لبيت طيبة الملكى بوجه خاص ، ولم يعثر على أى أثر لأعماله فى مصر السفلى .

كان امنحتب الأول هو أول من فكر فى تكوين طائفة خاصة من العمال المهرة والنحاتين والرسامين ، الذين استقروا فى قرية خاصة بهم ، وهى قرية دير المدينة وكانت محاطة بسور سميك وكان بها سبعون منزلا . وكان يفصل فى الخلافات بين أهالى القرية محكمة أعضاؤها من القرية .

وكانت جبانة هؤلاء العمال بالقرب من القرية ، بعضها رسم وزخرف بطريقة متقنة ، وبنى خارج القرية إلى الغرب والشمال مقاصير للمعبودات ، وخاصة حتحور . وكان أجر هؤلاء العمال يدفع عيناً من قمح وشعر وحنطة وخلافه من الحبوب التى تصرف من الصوامع الملكية . وإلى جانب الحبوب كانت هناك الخضروات والأسماك والأخشاب اللازمة للوقود . ويصرف لكل عامل كمية من الماء ويوزع عليهم من وقت لآخر الشحوم والزيوت والملابس ، وكانوا يمنحون فى مناسبات مختلفة مكافآت تشجيعية من الملك مثل النبيذ والجعة المستوردة واللحوم والملح من النطرون .

وكان يحدث اضراب عام عند تأخر تسليم التعيين المخصص ، ويمنحون ثلاثة أيام عطلة كل شهر ، كانت تقع فى اليوم العاشر والعشرين والثلاثين من كل شهر . وكانت طبقة العمال العاديين تختلف وفقاً لمهارة كل منها [٣٣] . وكان العامل يعمل ثمانى ساعات يوميا . وهناك مجموعة من الاوستراكا سجل عليها أسباب غياب بعض العمال عن العمل اليومى [٣٤] . وكل ذلك يفسر التكريم الخاص الذى تمتعت به ذكرى هذا الملك فى العصور المتتالية بين هذه الطبقة .

وأصبح امنحتب الأول محل تقديس فى دير المدينة . وكانت له مقاصير أخرى فى جبانة طيبة وفى أماكن أخرى من مصر . وقد ارتبطت معه فى هذا التكريم والدته أحمس نفرتارى [٣٥] . وقد نسبت إليه المعجزات فى جبانة طيبة فى عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين [٣٦] .

ومن أهم الشخصيات التى عاشت فى عصره المهندس إنينى الذى عاصر هذا الملك وتحوتمس الأول والثانى والثالث وحتشبسوت ، وكان يشغل عدة وظائف

هامة منها « رئيس كل الأعمال فى الكرنك » و « رئيس شون المعبود آمون رع » و« مشرف على الخزانة » . وتحمل مقبرته رقم ٨١ بشيخ عبد القرنة [٣٧] .

عا خبر كارع ــ تحوتمس الأول (١٥٣٠ ــ ١٥٢٠ ق.م.) :

توفى امنحتب الأول عام ١٥٣٠ ق.م. دون ان يترك وريثاً له من الذكور حيث انه لم ينجب من زوجته الشرعية غير أناث [٣٨] . وفيما يبدو كان للاناث حق الجلوس على عرش ابيهن ، بشرط إلا يحكمن بمفردهن لذلك فقد آل العرش إلى ابن غير شرعى ، من زوجة ثانوية ، هو الذى ارتقى العرش تحت اسم تحوتمس الأول . ورأى بعض العلماء انه ولد لأمنحتب الأول من احدى جواريه المدعوة سنسنب ، وبعضهم يرى انه اغتصب العرش [٣٩] .

كان تحوتمس رجلا يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاما . ولكى يدعم مركزه ويكتسب الحقوق الشرعية للجلوس على العرش ، يقال انه تزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت والتى كانت تدعى أحمس ــ حتب تمحو .

وقد ارتبط اسم تحوتمس باسم المعبود تحوت معبود المعرفة والحكمة ، حيث ان تحوتمس يعنى « المولود من تحوت » وكان الملك المرتقب كما يبدو من فحص مومياته ، رجلا قصير القامة ، ويبدو ان صفاته الرئيسية كانت تتمثل فى حبه للقتال وروحه الحربية وسوف تؤدى هذه الروح إلى تغيير مجرى التاريخ المصرى فى هذه الفترة .

فقد ذهب الملك أحمس إلى آسيا متتبعاً الهكسوس ونجح فى طردهم ، والآن بعد حكم امنحتب الأول الهادئ ، نجد ان الملك الجديد كان راغباً فى ان يقود جيشه المعد اعداداً جيداً من المصريين وقبائل المجاو إلى خارج الحدود المصرية إلى آسيا .

وهذا الاتجاه للتدخل فى آسيا والاتصال ببلاد الشرق القديم [٤٠] ، كان يرجع إلى الرغبة فى الانتقام ومحو الآثار المعنوية للغزو الذى تعرضت له البلاد عن طريق شعوب وقبائل جاءت أصلا من الشرق ، هذا الشعور جعل الملوك يخرجون من بلادهم ، ويندفعون فى سياسة خارجية أكثر توسعاً فى آسيا . وابتداء من هذه الفترة

أصبحت مصر أحدى القوى العسكرية الكبرى فى الشرق القديم ، وتمتعت بفترة مجيدة نتيجة للانتصارات التى احرزتها ، وتتميز الأسرة الثامنة عشرة بالنجاح فى السياسة الخارجية وتحقيق سياسة التوسع ، وهى الفترة التى تسمى أيضا بتكوين مناطق للنفوذ المصرى ، ويعد تحوتمس الأول هو ــ أول من وضع اللبنة الأولى فى أساس هذه التوسعات [٤١] وربما أيضا كان سبباً فى نجاحها واستمرارها لفترة ما .

وقد بدأ تحوتمس الأول سياسته العسكرية بحملة ضد الجنوب . وبفضلها مد حدود مصر الجنوبية حتى تومبوس التى تبعد قليلا عن الشلال الثالث . وعثر له على نقش هناك يمجد الملك بهذه الكلمات ويتحدث عن انجازاته :
« لقد اخضع رئيس النوبيين ، وقبض على الزنوج الخاسئين ، وربط حدوده على ضفتى نهر النيل ، حتى انه لم يكن يوجد رجل واحد بين الشعوب ذوات الشعور القصيرة قادر على مهاجمته لأنه لم ينج أحد من كل هؤلاء الذين حاولوا مهاجمته من قبل . وسقط كل البدو النوبيين بفعل السلاح وتناثرت جثثهم على كل أراضيهم واصاب جثثهم العفن وانتشرت رائحة كريهة فى كل وديانهم وعلى سهولهم ، وهم يشبهون الفيضان ، وكانت جثثهم الكثيرة غذاء للصقور حيث تحمل فريستها إلى أى مكان آخر ولم تجرؤ أية قبيلة معادية على التقدم أمام قلعة الحدود لأن مجد جلالته قد ابهرهم مثل الفهد الصغير فى وسطهم قطيع متفرق . لقد مد جلالته سيطرته على حدود الأرض وحكم جلالته كل القطرين ، وكان سلاحه قوياً فى يده ، يدعو إلى القتال ، ولم يجد انسانا قادراً على أن يكون نداً له [٤٢] » . وهكذا نجح فى اعادة الهدوء وضم كل بلاد النوبة جنوباً حتى أبو حمد الحالية فى جرجوس . وجعل المنطقة ابتداء من الكاب شمالى ادفو حتى آخر حدوده فى النوبة السفلى وحدة واحدة يحكمها موظف أطلق عليه « الابن الملكى (حاكم) كوش » [٤٣] . وحفر هناك نقشاً على الحدود وأقام أسوارا طولها ٧٠٠ متر [٤٤] .

وقد قص علينا أحمس بن نخبت كيف انه صاحب أسطول الملك فى النيل ثائراً كالفهد ، وقد طعن رئيس الأعداء [٤٥] ، وليس لدينا أية تفاصيل تاريخية عن حملته فى آسيا والتى أعقبت حملته فى الجنوب ، وما وصلنا مجرد بعض الاشارات المتفرقة

عنها . ومن المحتمل جدا ان الجيش المصرى قد خرج من شرق الدلتا وعبر الصحراء ، ووصل إلى جنوب فلسطين ، ثم اتجه شمالا بامتداد الشاطئ حتى حلب [٤٦] . وقام بصيد الأفيال فى منطقة المستنقعات بناحية « نى » بالقرب من أعالى سوريا [٤٧] .

ووصل أخيرا إلى نهر الفرات بالقرب من قرقميش [٤٨] . أى بالقرب من الحدود الحالية التى تفصل سوريا عن الكردستان ، وتبعد هذه المنطقة عن أطراف الدلتا بحوالى ألف كم . وهناك هزم الملك الميتانيين وعلى شاطئ نهر الفرات أقام لوحة حدود اشار فيها إلى النقطة التى وصل إليها فى الشمال ويقول :
« ان هذه المياه تشق الطريق وتنزل من أسفل إلى أعلى أى المياه المنعكسة [٤٩] » .
وقد أشار أحمس بن ابانا وأحمس بن نخبت إلى حدوث معركة كبرى ، وكوفئ كل منهما بمكافأة قيمة [٥٠] . ويبدو أنه قام بعدة حملات ضد الميتانيين .

وفى خلال القرون التالية سوف نرى مصر تبسط نفوذها على كل أراضى سوريا بين الفرات والبحر المتوسط . ويبدو ان الغزو كان سهلا ، لأن الشعوب الآسيوية لم تكن متحدة ، وكانت غير قادرة على ان تقف أو تؤدى دور المقاومة المنظمة أمام جيش أعد اعداد جيداً فتعرضت للهزيمة المؤكدة . وقد بقى بعض الموظفين والقوات فى البلاد التى تم فتحها لكى يحافظوا على هذه الممتلكات ويديروها ، ومن الآن فصاعداً ، سوف نرى مصر قوة عسكرية تملؤها الثقة فى قواتها لكى تخضع هذا الجزء من العالم القديم . وكانت هذه التوسعات الضخمة نتيجة لإرادة الملك القوية ، وأرسل إليه ملوك آسيا الصغار وملك ميتانى القوى الجزية والهدايا [٥١] ، وكذلك سكان بلاد النوبة .

عقب توليه العرش كان تحوتمس قد أرسل نسخة من مرسوم تتويجه إلى نائب الملك فى كوش الذى يدعى تورى .

وقد انجب الملك من زوجته أحمس حتب تمحو ، ولدين هما آمون مسن وواج مسن ، وانجب أيضا ابنه هى الأميرة حتشبسوت . وتزوج الملك من امرأة . أخرى هى موت نفرت وانجب منها ابنة تحوتمس الثانى [٥٢] . واثناء الفترة الباقية من حكمه التى

دامت أقل من ثلاثة عشر عاما ، نجد ان الملك خصص وقته لكي يجعل من مصر بلداً مؤهلا لتوسعات مرتقبة لذلك لجأ إلى تحقيق الكثير من المشروعات المعمارية ـــ وبخاصة ـــ عمل على ترميم وزخرفة معبد آمون رع بالكرنك ، فقد شيد الصرحين الرابع والخامس وبينهما قاعة واسعة وتعرضت هذه القاعة أو هذا البهو لتغييرات مختلفة فى عهدى كل من حتشبسوت وتحوتمس الثالث (٥٣) . وأقام مسلتين أمام الصرح الرابع (٥٤) وقد جاء ذكرهما فى نقوش انينى وما زالت احدى هاتين المسلتين قائمة والأخرى ملقاة على الأرض (٥٥) . وكانت من حجر الجرانيت الأحمر الذى يستخرج من صخور الشلال الأول ، وكانت قممها مغطاة بالنحاس اللامع ، ويتحدث الملك عن أعماله هذه فيقول :

« لقد زينت مقاصير المعبودات ، وقمت بحماية معابدهم ، ورممت ما كان قد تهدم منها ، واضفت إلى ما كان قائما من قبل ، وقد أرشدت الكهنة إلى واجباتهم ، وعلمت غير المثقفين منهم ما لم يعلمونه. وقد فاقت أعمالى كل أعمال الملوك الذين سبقونى ، لقد سعدت المعبودات طوال مدة حكمى ، وأصبحت معابدهم فى عيد . ودفعت بحدود مصر حتى الدائرة التى تجرى فيها الشمس . وقد أعدت الشجاعة لهؤلاء الذين تملكهم الخوف ، لأننى ابعدت عنهم الخطر ، ورفعت من شأن مصر لتسمو على البلاد الأخرى » (٥٦) .

وكشف له عن معبد آخر حديث جدا خارج سور معبد الكرنك (٥٧) . كما كشف له فى قصر ابريم بالنوبة عن محراب صغير نحت فى الصخر كما قام بعدة اصلاحات فى معبد أوزير فى أبيدوس وسجل ذلك على لوحة هناك (٥٨) . ويبدو انه فى السنوات الأولى من حكمه، توفيت الملكة المسنة اعح حتب أم الملك أحمس ، وكانت تبلغ بدون شك ـــ سن التسعين عاما ـــ ويمكننا ان نرى اليوم بالمتحف المصرى الحلى والرموز الملكية التى عثر عليها فى تابوتها الكبير . من بينها اساور جميلة من الذهب ، ومقمعة قتال وخنجر ابنها أحمس .

وقد أصاب مجد تحوتمس الأول بعض الأفول بسبب وفاة ولديه ، وكرس بقية حياته لابنته التى كانت تلقب باسم كان معروفاً فى الأسرة الثامنة عشرة ، حتشبسوت ، وتجاهل تبعاً لذلك ابنه الأصغر واختار الملك لحفر مقبرته منطقة تقع على بعد عدة

أمتار إلى القرب من مقبرة امنحتب الأول ، وهى تحمل رقم ٣٨ ، وتصل حتى داخل الجدار الصخرى إلى ممر منحوت بطريقة جافة ، بارتفاع طول الانسان ، الذى يؤدى إلى سلم ، حيث نجد فى نهايته حجرة مربعة منحوتة فى الصخر أيضا . ومن هنا نجد سلماً آخر يؤدى إلى حجرة الدفن وقد غطيت جدرانها بطبقة من الجص ، وعثر فى هذه الحجرة على تابوت من حجر البللور ، وقد حفرت هذه المقبرة أيضا تحت امرة المهندس الكبير إنينى الذى يقص علينا فى نقوش مقبرته [٥٩] قصة تاريخ حياته وظروف نحت مقبرة الملك ويقول :

« وحيداً ، قام بقيادة هؤلاء الذين حفروا مقبرة جلالته دون ان يراهم أحد أو يسمعهم أحد » [٦٠] .

وكان تحوتمس الأول أول من اختار لمقبرته مكاناً فى واد منعزل خلف الجبل المطل على النيل فى غربى طيبة ، وهو وادى الملوك ، الذى سوف يستخدمه بعد ذلك أغلب ملوك الدولة الحديثة وهى تحمل رقم ٣٨ وكان مسجلًا على جدران حجرة الدفن (الفصل الثانى عشر من كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر) . ومن أهم كبار موظفيه إلى جانب انينى الذى كلف بالاشراف على العمل فى مقبرته ــ باحرى ــ الذى كان اصلا من الكاب وحاكماً عليها وكذلك على دندرة ، وكانت له مقبرة فى الكاب [٦١] ومن أهم أعمال باحرى انه كان مشرفاً على الأراضى الزراعية فى الجنوب ، وكان يقوم بمراقبة وتدوين بعض المحاصيل والماشية ويراقب شحن المراكب المحملة بالقمح والشعير [٦٢] .

ومن المحتمل ان وفاة الملك قد حدثت فى عام ١٥٢٠ ق.م. وان مراسيم جنازته قد تمت أيضا فى سرية بالغة وكل من اشترك فيها اقسم ألا يكشف عن مكانها التى خبئ مدخلها عن طريق كتل حجرية ، ويبدو ان الطقوس الجنائزية للملك المتوفى قد تمت فى المعبد الذى كان قد شيد بواسطة سلفه ، والذى تعرض للاضافة والزخرفة من جديد فى عهد الملك تحوتمس الأول [٦٣] . ومن رجال عصره أيضا اوسر كاتب ورئيس خدم الملك وصاحب المقبرة رقم ٢١ ، ورعى المشرف على المخازن وصاحب المقبرة رقم ١٢٤ .

عاخبررع ــ تحوتمس الثانى « نفرخعو » (١٥٢٠ ــ ١٥٠٥ ق.م.) :

تجددت مرة أخرى وفى نفس الظروف والأحوال مشكلة الوارثة وتولى العرش بعد وفاة تحوتمس الأول ، مثل ما حدث فى أعقاب وفاة امنحتب الأول . فلم يترك تحوتمس الأول إلا نسلا اناثا ، كوريثات للعرش ، وفى هذه المرة أيضا ، نرى ابنا غير شرعى يعتلى العرش وهو تحوتمس الثانى [٦٤] ، وكان ابنا لأحدى زوجاته غير الشرعيات وهى جدت نفرت ، ولكى يعطى الملك الجديد لجلوسه على العرش الصفة الشرعية والقانونية ــ فقد تزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت (من ابيه) حتشبسوت ، التى كانت تبلغ من العمر فى ذلك الوقت أحد عشر عاما تقريباً .

وقد أعلنت مرارا ان أباها اراد ان تكون هى الملكة ، ولكن على الرغم من انها اضطرت إلى الزواج من تحوتمس الثانى ، وهو أول زواج لحتشبسوت [٦٥] ويبدو انها اكتفت بهيبة الملكة المشاركة لزوجها فى الحكم .

وكان الملك يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما ، وكان ضعيف الشخصية رقيقاً ، وكان ملكاً شبه رمزى . فلم يكن بينه وبين زوجته أى نوع من العاطفة ، فهى شديدة البأس متصلبة الرأى ، وقد نجحت فيما بعد ، فى أن تؤكد شخصيتها فى عهده وعلى حساب سلطته وان تمهد لخلافته . وعلى الرغم من ذلك فبعد عام أو اثنين ، نجد انهما رزقا بابنة كانت تسمى نفرورع وعلى الرغم من ذلك فقد ظل كل منهما غريباً عن الآخر لعدة سنوات .

وبدأ تحوتمس الثانى حكمه بالقضاء على ثورة فى الجنوب بالقرب من الشلال الثالث فى بلاد كوش ، ولم يقم بحملة تأديبية لأنه اكتفى بالقضاء على الثورة بواسطة القوات التى كانت تقطن فى المنطقة وذلك قبل وصول قوات الملك ، ولكنه وصل حتى الشلال الأول ، واستعرض الأسرى الذين جئ بهم من الجنوب . وقد جاء ذكر هذه الثورة فى بلاد كوش على لوحة أقيمت على الطريق بين اسوان وفيلة ، وتذكر نقوشها انه لما علم جلالته بذلك ثار كالفهد ، واقسم انه لن يدع أى رجل من هؤلاء حيا . وبالفعل قضى على هؤلاء الثوار [٦٦] .

وبالاضافة إلى هذه الحملة المحددة قام بحملة أخرى ضد قبائل البدو فى الصحراء

الشرقية ، ويذكر أحمس بن نخبت انه رافق الملك إلى فلسطين [٦٧] .
وفى الواقع ان تكرار مثل هذه الأحداث يبين لنا مدى ضعف سياسة الغزو التى قام بها الجيش المصرى ، فهذا الجيش كان يقوم بالغارات ، ويعود إلى ثكناته عندما ينتهى كل شئ ولم يكن هناك احتلال واقعى بالمعنى المفهوم ، وفى بعض الأحيان كانت ترابط بعض القوات فى الحصون لكى تراقب الأراضى التى تم غزوها ، وكانت هذه الحصون مخصصة بالذات لحراسة الطرق التجارية وليس لحكم السكان الأصليين للبلاد المفتوحة .

وبعد هاتين الحملتين تمتع الملك بنوع من الهدوء خلال السنوات التالية . وعن أعماله المعمارية نجده أقام الصرح الثامن بالكرنك وأقام تمثالين أمام هذه البوابة ، وأقام بعض المقاصير فى معبد مدينة هابو واسنا .

وشيئا فشيئاً نجد ان الملك قد ازيح عن مسرح الأحداث بواسطة حزب النبلاء الذى يؤيد بقوة مطالب حتشبسوت الدائمة ، والتى أعلنت انها اختيرت بواسطة ابيها لكى تخلفه على العرش . وبين السنة الخامسة عشرة والسادسة عشرة من حكمه لم يكن هناك إلا الشئ القليل حتى تنجح حتشبسوت فى إحداث انقلاب يؤدى بها إلى ان تصبح سيدة البلاد الوحيدة وتقصى تحوتمس الثانى عن العرش [٦٨] . وكانت الملكة تريد ان تحتفل فى العام السابع عشر من حكمها بعيد السد لها (أى العيد الثلاثينى) ، وفى الواقع كان يحتفى بهذا العيد كل ثلاثين عاما ، ويحتفى به بالذات فى السنة الثلاثين من الحكم ابتداء من اللحظة التى أعلن فيها الملك الحاكم وريثا للعرش . وأرادت حتشبسوت بذلك ان تبين انه منذ ميلادها وقد وعدها أبوها لكى تخلفه على العرش ، وكانت السنة السابعة عشرة من الحكم توافق بالفعل سنها الثلاثين ، وهكذا فهى باحتفالها بالعيد الثلاثينى تؤكد للناس انها هى ــ وليس شريكها فى الحكم ــ التى كانت تحكم بالفعل وانها الملكة الشرعية .

وبمناسبة هذه الأعياد أمرت بان تشيد لها مسلتان كبيرتان عند الشلال الأول . وذلك لاقامتهما فى معبد الكرنك ولكن مشروعها لم ينجح ، وكان عليها ان تغض النظر عن فكرة الاحتفال بالعيد الثلاثينى هذا وقد تركت المسلتان غير كاملتين

على الأرض فى معبد الكرنك لفترة ما . وقد تصالح الزوجان من نتيجة هذا الوفاق ان ولد وريث للعرش ولكن المولود جاء انثى أيضا وسميت باسم حتشبسوت ــ مريت رع .

وعاد عدم الوفاق مرة أخرى بين الزوجين . وقد تزوج تحوتمس من زوجات أخرى ومن احداهن وتدعى ايزيس (أو ايزه) ولد ابنه تحوتمس الثالث .
وقد صور تحوتمس الثانى على لوحة مع الملكة أحمس أرملة تحوتمس الأول وابنتها زوجة الملك العظيم ، حتشبسوت مما يدل على ان هذه الأخيرة قد تزوجت من تحوتمس الثانى [٦٩] .

وأظهر تحوتمس الثانى الكثير من العطف نحو ابنه من زوجته غير الشرعية تحوتمس ؛ وفى الفترة التى ولدت فيها الأميرة حتشبسوت ــ مريت رع ؛ اصبح تحوتمس هذا شاباً يبلغ من العمر ستة عشر عاماً ؛ وكان يعمل كاهناً فى معبد المعبود آمون رع بالكرنك .

وحفر تحوتمس الثانى مقبرة له بالقرب من مقبرة ابيه تحوتمس الأول فى وادى الملوك وهى تحمل رقم ٤٢ ؛ وقد دفن فيها بسرية تامة ؛ وظلت المقبرة غير كاملة نظرا لموته المفاجئ ، وتنم مومياؤه على انه كان رجلا سمحا ولكن فى جوهره كان ضعيفا .

ماعت كارع ــ حتشبسوت خنمت آمون (١٥٠٥ ــ ١٤٨٣ ق.م.)

حدث فى أعقاب وفاة تحوتمس الثانى مثلما حدث فى عهد جده وأبيه ــ فلم يترك أولادا شرعيين إلا اناثا ؛ وولدا واحدا من زوجة ثانوية ؛ وكنا ننتظر ان يأخذ هذا الأخير السلطة كما حدث سابقا فى حالة تحوتمس الأول والثانى ، ويبدو ان هذا هو ما حدث بالفعل فى بداية الأمر ، وفى قرب نهاية حكم تحوتمس الثانى ، رأى رجال البلاط الذين كانوا يؤيدون الملك ووقفوا ضد طموح حتشبسوت ، انه من الأفضل ان يعلنوا هذا الأمير وريثاً شرعيا ، وقد ساعدهم فى ذلك كهنة آمون وأعدوا له المعجزة التالية : [٧٠]

« حدث اثناء احد الاحتفالات الدينية فى بهو الأعمدة الكبرى فى الكرنك حيث كان الأمير يؤدى دوره ككاهن ، ان غير تمثال المعبود ، الذى كان محمولا فى موكب على اكتاف الكهنة ، اتجاهه ، فتردد الكهنة الذين يحملونه ويبدو أنهم قد اندفعوا فى اتجاه غير منتظر ، كما لو كانوا قد ارشدوا بواسطة المعبود نفسه ، وبدا لهم ان المعبود آمون رع يبحث عن أحد ، وأخيرا توقف الموكب أمام الأمير الصغير تحوتمس ومال تمثال المعبود إلى الأمام كما لو كان ينحنى أمام الشاب الصغير لكى يختاره . وانبطح الأمير فى الحال على الأرض لكى يحيى المعبود ، ثم قام واتجه نحو ابيه ، وكان الأمير يبدو مندهشا جدا ، وأعلن كبير الكهنة عندئذ انه من الواضح جدا ان المعبود قد اختار الشاب الصغير لكى يصبح وريثا للعرش وعندئذ حيا المشتركون ملك المستقبل » .

ويبدو ان الملكة حتشبسوت قد شعرت بنوع من الغضب الشديد عندما علمت بأمر هذه المعجزة وبما حدث . وأدرك النبلاء الذين يحيطون بها ويساندونها ان المخرج الوحيد من هذا المأزق هو اعلان الملكة السيدة الوحيدة للبلاد قبل ان ينجح الأمير الصغير فى تعضيد مركزه كوريث شرعى ، وهنا تدخل القدر فى صالحهم فقد توفى الملك تحوتمس الثانى فجأة وهو فى سن الأربعين تقريبا .

ويرى بعض العلماء ان كل الأمور تشير إلى أنه توفى مقتولا . وعلى الرغم من هذا لم يكن حزب حتشبسوت بالقوة اللازمة لكى يستطيع اعلان الملكة الوريثة الوحيدة للملك ، ونجد ان الأمير الشاب تحوتمس يعتلى العرش تحت اسم منخبررع ــ تحوتمس الثالث ، ولكنه كان صغيرا جدا ولذلك نجد ان الملكة حتشبسوت فرضت عليه نوعاً من الوصاية لأنها كانت أول زوجة لأبيه تحوتمس الثانى ، وكانت تسمى نفسها دائما الملكة المشتركة فى الحكم فى أكثر من مرة ، وفى النقوش التى تقص علينا حياة المهندس انينى والتى ذكرناها سابقاً ، نجد تفسيرا واضحا للموقف : [٧١]

« لما صعد (تحوتمس الثانى) إلى السماء بنجاح ، واتحدت (روحه) مع المعبودات ، اخذ ولده مكانه كملك للأرضين واصبح حاكما على العرش الذى خلفه ، وكانت اخته [٧٢] ، الزوجة المقدسة حتشبسوت تدير شئون البلاد طبقاً لارادتها » [٧٣] .

وأخذت هذه الوصاية تتحول شيئا فشيئاً إلى حكم حقيقى ، واضطرت حتشبسوت إلى ابعاد ابن أخيها ــ إلى مكان غير معروف ــ وحكمت بمفردها مدة اثنين وعشرين عاما [(٧٤)] .

وفى لحظة ما نرى ان موقف كهنة آمون اثناء هذه الفترة بدأ يتغير وهم الذين ساعدوا تحوتمس الثالث فى البداية . ونرى كبير كهنة آمون يتحول إلى أحد المخلصين والموالين للملكة حتشبسوت ، ولكى تدعم حقها وسلطانها خرجت على الناس بقصة ساعدها فيها كهنة آمون ، مغزاها انها ابنة المعبود آمون من صلبه. وسطرت لنا هذه القصة بتفاصيل ميلادها المقدس على جدران معبدها فى الدير البحرى .

ومن هنا نرى دور كهنة هذا المعبود ومدى تأثيرهم على مجريات الأمور ، سواء أكانت حتشبسوت قد نجحت فى اقناعهم واستمالتهم إلى جانبها ، أم انهم لعبوا هذا الدور من تلقاء أنفسهم أو عن اقتناع شخصى لغرض لا نعرفه.

تلقبت حتشبسوت اثناء حياة تحوتمس الثانى بالألقاب الآتية :

« الأخت الملكية والزوجة الملكية »

وفى معبد الدير البحرى يلى منظر الميلاد المقدس مناظر أخرى ، تبين تتويج الملكة ، فنرى تقديم حتشبسوت إلى المعبودات : آمون أولا ثم حور آختى الذى يقوم بنثر الماء المقدس عليها ثم بعد ذلك نرى آمون يأخذ على ركبتيه طفلا صغيراً وهو يواجه المعبودات ، وهؤلاء يعترفون بحتشبسوت ابنة لآمون ويعبرون عن رضاهم على هذا الاختيار [(٧٥)] . وإلى جانب هذا المنظر ، نرى الملكة تجوب البلاد مع ابيها وتزور المعابد واثناء هذه الرحلة ، كانت هناك معبودات أخرى تعترف بها وتنتهى الرحلة بزيارة المعبود آتوم فى هليوبوليس وبعد ذلك احضرت التيجان وعليها اسماء حتشبسوت . وبعد ذلك صورت الملكة متوجة ومرتدية الزى الملكى أمام آمون . ونرى حتشبسوت أمام عرش آمون ويستقبلها الكاهن الذى يحمل لقب « ايون موت اف » الذى يقول لها :

« انت تتربعين على عرش حورس ، انت ترشدين كل الأحياء ، انت مليئة بالسرور ، تعيشين مع روحك إلى الأبد مثل رع » .

ونرى صور أرواح السالفين ترحب بالملكة على حين تقوم المعبودة شسات والمعبود تحوت بتسجيل ذلك الحدث ، وبعد هذا نرى منظر التتويج نفسه فنرى حتشبسوت أمام تحوتمس الأول وهو جالس على العرش ، ويضع الملك يده على كتفى الملكة ويقدمها إلى نبلاء القصر والأصدقاء ورجال البلاط ورؤساء الشعب . وبعد ذلك تأتى مراحل التتويج فنرى مناظر التطهير ونرى الملك تصطحب إلى مقصورة مصر العليا ومصر السفلى وتوضع التيجان على رأسهابواسطة حورس وست [٧٦] .

منذ البداية كان على الملك الجديد الشاب تحوتمس الثالث ، ان يؤدى دوراً ثانويا ، لأن السلطة الفعلية كانت فى يد الملكة حتشبسوت . وقد اعترف تحوتمس الذى كان شاباً صغيراً بسلطة حتشبسوت [٧٧] .

وكان من الواجب طبقا للتقاليد المصرية ان يتزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت نفرورع ــ ابنة تحوتمس الثانى وحتشبسوت الكبرى ــ التى كانت تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ، وهذا الزواج كان من نتيجته هو تقوية حقوق الملك الجديد فى العرش ، وقد اعترضت الملكة حتشبسوت على هذا الزواج فى بداية الأمر ، ولكن بعد مرور سنتين قبلت ان تزوجه ابنتها نفرورع [٧٨] . وربما اضطرت حتشبسوت للتنحى إلى الصفوف الخلفية مع اللقب البسيط كأرملة الملك التوفى . ونذكر هنا ان أم حتشبسوت ، أحمس حنت تمحو ابنة الملك أحمس وزوجة تحوتمس الأول ، كانت لا تزال على قيد الحياة ، وربما كان لها بعض التأثير فى البلاط الملكى وكانت تبلغ من العمر ستين عاما ، وكانت تحتفظ بجمالها على الرغم من كبر سنها . ويبدو انه كان لها تأثير على ابنتها ، وذلك مما يتضح من التغير الكبير الذى نتج فى موقف حتشبسوت بعد وفاة الملكة الأم مباشرة ، وهنا قبلت حتشبسوت ان يتزوج تحوتمس من ابنتها [٧٩] ، ولم تعد تخشى على الاطلاق تحوتمس الثالث ، ولم ترزق بأولاد ذكور لكى يخلفوها . ولهذا عندما وافقت على زواج ابنتها كانت تأمل ان يصبح لها حفيد صغير. وحاول تحوتمس ان يؤكد موقفه وقد نجح على الأقل فى ذكر اسمه فى كل النصوص الرسمية إلى جانب حتشبسوت .

وفى البداية كانت الملكة تمثل خلف صورتها صورة الملك الشاب تحوتمس

الثالث ، ولكن فجأة فى الأيام الأولى من العام التاسع من الحكم أى عام ١٤٩٤ ق.م. نجد ان النبلاء الذين كانوا يحيطون بالملكة اخذوا بزمام الأمور وأعلنوا الملكة ملكاً تحت اسم ماعنت مارع ــ حتشبسوت ، وابتداء من هذه اللحظة بدأت تشترك فى الحكم بصفة رسمية وعملية مع ابن أخيها وزوج ابنتها ، تحوتمس الذى لم يشترك على الاطلاق فى السلطة إلا اسميا بعد هذا التاريخ وغلب على أمره بواسطة حتشبسوت وأعوانها . وأصبحت تحمل من الآن مثل تحوتمس ألقاب الملوك :
الاسم الحورى ، النبتى ، النسوبيتى ، حورس الذهبى ، وابن رع ، وكانت فى ذلك الوقت فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها ، وكان تحوتمس يبلغ حوالى ستة وعشرين عاماً .

وعلى الرغم من أن هذا الأخير قد أظهر فيما بعد انه كان أكثر قوة ونشاطا من جميع ملوك مصر ، إلا انه أمضى حوالى الثلاثة عشر عاما التالية فى ركن منعزل ــ انعزالا تاما ــ وكان الموقف صعباً بالنسبة له ، وله وقعه السئ على نفسه.

وحاولت حتشبسوت ان تظهر بحماس شديد ان الاختيار كان اختيار أبيها تحوتمس الأول ، الذى أراد ان يجعل منها ملكة دون تحوتمس الثالث ، وكان يتردد فيما يبدو فى البلاط الملكى العبارات الآتية :
« لقد عينتها لكى تخلفنى على عرشى ، فهى بالتأكيد التى سوف تجلس على عرشى المجيد ، وهى التى سوف تدير شئون البلاد فى كل اقليم من أقاليم الدولة ، وهى التى سوف تقودكم » (٨٠) .

وكانت ثالث ملكة تضع التاج المزدوج على رأسها فقد سبقتها نيت اقرت من الدولة القديمة ، وسبك نفرو من أواخر الدولة الوسطى (٨١) ، وبصفتها « الملك » نجدها تمثل فى النقوش وهى ترتدى ملابس الملوك الذكور ، والسؤال : هل كانت تحمل هذه الملابس فى الواقع ؟ فقد حاولت بالتأكيد ان تبين على الأقل من ناحية المظهر العام فى النقوش أنها ملك وانها لاتقل عن الرجال فى شئ (٨٢) .

وكانت تصر على ان تسمى « ملك » وليست « ملكة » ، وان يستخدم لها الضمائر المذكرة « هو » بدلا من « هى » و« منه » بدلا من « منها » .

وعلى الرغم من كل هذا فهى احدى الملكات غير العاديات اللاتى تركن سجلا حافلا فى التاريخ المصرى القديم [٨٣] .

ويبدو ان الذى روج لكل هذه الادعاءات فى النصوص الرسمية هم مجموعة النبلاء الذين كانوا يحيطون بها ، والذين يعتمد مصيرهم ومستقبلهم عليها وعلى سلطتها . وكان رئيس هذه المجموعة ــ التى تعمل فى الحقيقة من وراء الستار ــ رجلا يدعى سنموت الذى وصف على انه « أكبر الكبار فى كل البلاد ، وأعلى الأعلون ، رئيس الرؤساء لكل الأقاليم » وكان أيضا « هو الذى يسمع ما لايسمع إلا فى مجلس الأسرار ، الصديق الحقيقى للملكة ، الذى يستقبل فى القصر بحب ويخرج بتكريم ، الذى يمتع قلب ملكته كل يوم » . وهو فى الواقع الذى ادار شئون البلاد وحافظ على سلطة حتشبسوت ، ويبدو انه كان مكروهاً من تحوتمس الثالث ، الذى قضى على كل المجهودات التى حاول القيام بها هذا الملك لأثبات شخصيته.

ويبدو ان سنموت كان يقود بعض الحملات فى الخارج . ولكن حكم الملكة امتاز بسلام دائم . وكان سنموت يتولى وظائف هامة وكان يوضع تحت تصرفه ثروة معبد الكرنك ، وكان له شرف تربية الأميرة نفرورع ابنة حتشبسوت ، ونجد انه مثل تلك الأميرة وهى طفلة ويحملها بذراعيه على عدة تماثيل من تماثيله . [٨٤] وكان مشرفا على كل المنشآت الملكية بطيبة [٨٥] وخاصة معبد الملكة فى الدير البحرى .

وعثر لسنموت على مقبرتين واحدة فى شيخ عبد القرنة وهى تحمل رقم ٧١ والأخرى بالدير البحرى تحمل رقم ٣٥٣ . ومن كبار الشخصيات ايضا الوزير والكاهن الأول لآمون حابوسنب صاحب المقبرة رقم ٦٧ [٨٦] ، وكذلك تحوتى الذى عاش حتى عهد الملك تحوتمس الثالث [٨٧] وكان يشغل وظيفة « مفتش الخزانة » واشترك فى الاشراف على اعمال عديدة بالكرنك ويذكر لنا فى مقبرته رقم ١١٠ بدراع ابو النجا ان الملك كافأه بكأس من الذهب [٨٨] . وهناك ايضا دوانحح المسئول عن الشعارات وصاحب المقبرة رقم ١٢٥ ، ونب آمون المشرف على الشون وصاحب المقبرة رقم ٦٥ ، وامنحتب المشرف على أعمال المسلتين فى معبد آمون وصاحب المقبرة رقم ٧٣ .

وامتاز حكم حتشبسوت بعدم الاهتمام بالناحية العسكرية [٨٩] ، ربما لعدم تأكدها من ولاء قادة الجيش ، أو أنها كانت غير قادرة على قيادته بنفسها ، وقد حلت البعثات التجارية محل البعثات العسكرية وخاصة إلى بلاد بونت . وانتشرت سيرة حتشبسوت كامراة ملك فى المناطق البعيدة ، وعلى جدران مقبرة سنموت نرى عدة مناظر تمثل وصول وفود السفراء الذين جاءوا من كريت لكى يقدموا إلى الملكة الهدايا الثمينة .

وشيدت الأبنية الفخمة فى هذا العصر والتى تشيد بعظمة هذا الحكم . وقد تركت لنا الملكة آثارا كثيرة . وكما ذكرنا سابقاً ان حتشبسوت كانت ترغب فى الاحتفال بعيدها الثلاثينى لذلك امرت بتشييد مسلتين وضعتا فى معبد الكرنك بين الصرحين الرابع والخامس وعندما صرفت النظر عن الأحتفال بهذه الأعياد ، تركت المسلتان فى مكانهما بدون نقش ، والآن وبعد ان اصبحت ملكاً فقد امرت بان تقام المسلتان أخيراً ، وقامت بنقش احداهما ، وأعلنت فى هذه النقوش انها اعدت هاتين المسلتين منذ وقت طويل فيما مضى [٩٠] ، فى الفترة التى كان يجب ان تحتفل فيها شرعيا بعيدها الثلاثينى (السنة السابعة عشرة من حكمها المشترك مع تحوتمس الثانى) وباحتفالها بعيدها هذا ، فهى تؤكد هكذا انها منذ البداية قد اختيرت بواسطة أبيها لكى تخلفه وهذا النص ، يحتوى على قسم ، وهو كالأتى :

« انتم ، الذين سوف ترون هذه الآثار ، بعد سنوات طويلة ، وسوف تتحدثون عما فعلت ، اياكم والقول : » اننا لانعرف ولانفهم لماذا اقيم كل هذا ؟ وكأنما هناك شئ ما (غير) عادى سيحدث ، لأننى اقسم بحب رع معبود الشمس لى ، وبالكرامات التى اظهرها لى أبى آمون ، وبحق ان خياشيمى تمتلئ بنسيم الحياة السعيدة ، وبحق اننى أحمل التاج الأبيض لمصر العليا واظهر بالتاج الأحمر لمصر السفلى ... وبحق ان السماء باقية خالدة وما حققه رع لايهلك ابدا ، وبحق ان الأبدية هى من نصيبى مثل تلك النجوم الخالدة ... اقسم ان هاتين المسلتين ، قطعت كل واحدة منهما من قطعة واحدة من الجرانيت الصلب ، وقد شيدتا تحت امرتى ، وان هذا العمل قدا استمر من اليوم الأول من الشهر السادس للسنة الخامسة عشرة حتى اليوم الأخير من الشهر

الثانى عشرة من السنة السادسة عشرة اى ان نحتهما فى المحاجر قد استغرق سبعة أشهر » [٩١] .

وهى تقسم ان هاتين المسلتين كانتا جاهزتين فى الوقت المناسب للسنة السابعة عشرة ، وعلى الرغم من انهما لم تقاما حتى السنة التاسعة من حكمها المنفرد ، فكأن من حقها ان تقيمهما فى هذا التاريخ الثانى ، طالما انها كانت طوال الوقت الملكة الحقيقية . واقيمت هاتان المسلتان بين الصرحين الرابع والخامس فى الكرنك ، وما زالت احدهما باقية حتى الآن ويبلغ ارتفاعها أكثر من ٣٠ متر وتقع فى بهو أعمدة تحوتمس الأول [٩٢] .

وفى بداية السنة التاسعة ايضا ، بدأت فى بناء معبد الدير البحرى وهو من أجمل المعابد المصرية ، فهو مقام على مسطحات فى جبال طيبة الغربية فى المكان الذى اقام فيه الملك منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة [٩٣] مقبرته التى يعلوها هرم ، وقد بنى المعبد الجديد على هيئة شرفات من الحجر الجيرى الأبيض الناصع فى وسطها طريق صاعد يؤدى إلى قدس الأقداس [٩٤] ، وأمام شرفتين من هذه الشرفات ، يوجد بهو أعمدة مغطاة ، وكان يحيط بالشرفات نفسها أفنية محاطة بالأعمدة ، ويمثل الجبل خلف المعبد حاجزا طبيعيا ضخماً . وإلى الشمال من الفناء الأوسط نرى بهو أعمدة شيد من الحجر الجيرى ايضا وفى الرواق السفلى منظر يمثل سفناً تحضر مسلتين ضخمتين من الجرانيت من اسوان الى الكرنك [٩٥]

ومن الواضح انهما يمثلان المسلتين اللتين أوكلت حتشبسوت إلى سنموت اقامتهما خارج سور المعبد ولم يبق منهما إلا بعض الأجزاء . [٩٦] ولايصح ان نخلط بينهما وبين الأخريين اللتين ذكرتا ووضعتا فى بهو أعمدة تحوتمس الأول .

اما فى الرواق القائم فى الثلث التالى ، فنرى مناظر رحلة بلاد بونت التى امرت بها الملكة فى السنة التاسعة بعد الانتهاء من بناء معبدها [٩٧] . ونرى مناظر تمثل سكانا يعيشون وسط النخيل فى اكواخ مستديرة الشكل يصل إليها الساكن عن طريق سلم وقد مثل وصول المبعوث المصرى القديم وتقديم الهدايا إلى هؤلاء السكان . ونشاهد زعيمهم ومعه زوجته ، ومن الواضح ان البعثة عادت بمنتجات

احضرتها عن طريق المقايضة . وبعد ذلك وصفت لنا أخبار هذه البعثة فى نقوش محفورة على جدران المعبد واعلنت فيها انها قامت بهذا العمل بناء على طلب آمون :

« امرنى آمون ان اقيم من أجله (انموذجا) لبلاد بونت هنا ــ على هذه الأرض ــ ، وان ازرع أشجار هذا القطر المقدس إلى جانب المعبد وفى حدائقه » . وقد عادت هذه البعثة فى نهاية العام التاسع ، حاملة معها ــ بالاضافة إلى أشجار البخور التى زرعتها أمام المعبد ــ كل أنواع المنتجات الأخرى مثل جلود الفهود ، ريش النعام ، العاج ، الأبنوس ، الأخشاب الثمينة ، الكحل ، الذهب ، الفضة ، الأحجار نصف الكريمة ، والعديد من أنواع الحيوانات الحية مثل الزراف ، الفهود ، والقردة وخاصة أنواع منها ، وأيضا كميات كبيرة من مواد البخور .

وقد وهبت كل هذه الأشياء لآمون ــ معبود معبدها الرئيسى ــ وذلك اثناء احتفال دينى كبير ، وبيدها كانت تعطر كل جسدها بأحسن العطور حتى أن العطر الذى يفوح منها كان مثل أنفاس المعبود ، وتختلط رائحتها مع رائحة بلاد بونت وكان جسدها مزينا بالذهب الأبيض الذى يلمع مثل النجوم فى قبة السموات على مرأى من كل البلاد » .

وعندئذ يقول المعبود « مرحبا بك ، ابنتى عزيزتى ، انت التى أقمت آثارى الجميلة وجعلت من عرشى أكبر تجمع للمعبودات ، وذلك بتطهير مكان اقامتى ، ودلالة للحب اعطيك الحياة والسلام مكافأة ، وكل الاستقرار وكل الصحة ، وكل السعادة التى تأتى من عندى ، وأعطيك كل البلاد لكى يسعد قلبك ، لأننى امنحها لك لوقت طويل ، مع التمتع بالنظر إليها حتى تنقضى آلاف السنين التى خلقتها وسوف تخلد أعمالك » [٩٨] .

وقد صورت الملكة وخلفها قرينها على هيئة انسانية . وكانت روح الملك تصور معه على الآثار فهى تولد مع الملك كقرينة ، وهى حامية للملك وتحتفظ بصفات القوة والحيوية وتكرر تحركات الملك [٩٩] .

وفى الشمال من نفس الرواق أو الشرفة صورت مناظر الميلاد المقدس للملكة [١٠٠]

ونرى الملكة أحمس أمام آمون والطفل الملكى والكا (أو الروح) وقد قام المعبود

خنوم بصنعها على عجلة الفخار ، الأم وهى حامل فى مكان الولادة وبعد ذلك تتابع المراحل حتى الميلاد المقدس وتتويج الملكة (١٠١) . وقد صور سنموت فى مقصورة الدير البحرى ، وسمحت له الملكة بذلك ، وقد صور وهو يتعبد لجلالتها (١٠٢) . وعثر على معبد صغير لحتشبسوت فى مدينة هابو (١٠٣) . وفى بوهن اقامت حتشبسوت معبداً يتألف من ردهة تليها ثلاث قاعات (١٠٤) .

وفى أقصى الطرف الجنوبى من وادى الملوك حيث توجد مقبرتا تحوتمس الأول والثانى اللتان وجدتا سليمتين إلى حد ما ، حفرت حتشبسوت لنفسها أيضا مقبرة جديدة ، يؤدى إليها ممر طويل ينتهى بحجرة جنائزية فى قلب الصخر ، خلف قدس أقداس معبدها ، وقد نحتت لها مقبرة أولى فى الصخر أيضا فى واد بعيد ، منعزل لأنها كانت تعرف مدى قوة أعدائها وكانت ترغب فى ان تدفن فى مكان بعيد حيث لا يستطيع احد ان ينهب مقبرتها ، وتختلف هذه المقبرة عن المقابر الأخرى ، فقد حفرت فى الصخر ، ويؤدى إليها مدخل على بعد ستين متراً فى الجبل المطل على الوادى ، ويؤدى المدخل إلى الممر الذى ينتهى بدوره بحجرة جنائزية وضع فيها تابوت ، وهذه المقبرة لم تستخدم على الاطلاق (١٠٥) .

وبالقرب من بنى حسن شيد هيكل (اصطبل عنتر) للمعبودة باخت من عهد الملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث (١٠٦) . والتى سجلت فيه ما قامت به من اصلاحات بالنسبة لما خرب من آثار فى عصر الهكسوس (١٠٧) .

وأخرجت مومياء والدها تحوتمس الأول من مقبرته ووضعتها فى مقبرتها الجديدة لكى تظل بجانبها طوال السنوات القادمة ، وقد كشف كارتر عن هذه المقبرة عام ١٩٢٣ . (١٠٨) وأضافت إلى معبدها الجنائزى قدس أقداس نحت خصيصا له (١٠٩) ، والنقوش التى تغطى جدران المعبد ، تمثل صور أبيها أكثر من مرة وفى بعض الحالات وضع اسم أبيها بدلا من اسمها وأعطت صورتها ـــ صورة الأب ـــ وكان من السهل عمل ذلك لأنها كانت تمثل على هيئة ملك وليست ملكة ، وفى بعض الأماكن فقط اظهرت اسم تحوتمس الثالث ، الشريك معها فى العرش الذى قضى عليه بالصمت ، ومن النادر ان تذكر اسم زوجها المتوفى تحوتمس الثانى ، وذلك لكى تبين انها لم تهتم به ولم تساهم فى أسباب موته المفاجئ .

وعلى الرغم من ذلك فان نقوش المعبد فى مجموعها تبين بوضوح مدى سلطان الملكة كملك حاكم ، مع الاهتمام الكبير بأبيها تحوتمس الأول الذى رشحها كخليفة له. وقد دلت عمليات الحفر فى الدير البحرى على أنها قامت بزرع بعض أشجار البخور التى احضرتها من بونت أمام المعبد . وقامت الملكة أيضا ببناء المقصورة الحمراء التى يحفظ فيها قارب آمون المقدس وكانت قائمة فى مكان ما بالكرنك [١١٠] . وشيدت مقصورة أخرى فى اصطبل عنتر ذكرت فيها انها قامت بترميم مقاصير مصر الوسطى [١١١] .

وشيئا فشيئا بدأ شريكها فى الحكم يثبت مكانته وشعبيته تتزايد بالتدريج خاصة بين ضباط الجيش ، الذين كانوا قلقين تحت حكم الحكومة السلمية لحتشبسوت واصبحوا يطمعون فى الخروج إلى آسيا ، حيث بدأت ظواهر بعض الثورات تظهر فى الأفق ، واخيرا فى خريف عام ١٤٨٢ ق.م. أى فى السنة الحادية والعشرين من الحكم نجد ان الملكة قد اضطرت إلى السماح لتحوتمس الثالث بقيادة القوات التى تم اعدادها على الحدود الشرقية من الدلتا ، وذلك فى حالة حدوث اية اضطرابات فى آسيا . وعندما فعلت ذلك احست بالخطر ونهاية سيطرتها .

كان تحوتمس يبلغ فى ذلك الوقت سن السابعة والثلاثين من عمره تقريبا ، ووجد ان سلطته بدأت فى التزايد ، آما حتشبسوت فعلى العكس ، فقد قاربت سن الستين وبدأت شعبيتها تقل ، وفجأة توفيت الملكة الكبيرة ، ولا نعرف هل كانت وفاتها طبيعية أو أنه قد دبرت لها مؤامرة ؟ ، ويرى بعض العلماء ان حكمها قد انتهى بثورة فى القصر [١١٢] . ولم يعثر على موميائها فى مقبرة من مقبرتيها فى البر الغربى فى طيبة ، ولا فى خبيئة الدير البحرى [١١٣] .
وهكذا توفيت حتشبسوت بعد حكم دام اثنين وعشرين عاماً [١١٤] .

ومن هذا الوقت بدأت الفترة التى اسماها تحوتمس فيما بعد « فترة الأضطرابات والتى كان فيها كل فرد يحارب ضد جاره » .

وعاد تحوتمس بكل سرعة إلى العاصمة ، فقد كان على رأس قواته المرابطة على الحدود الشرقية ، ويبدو انه عندما علم اصدقاء الملكة المتوفاة بمقربة وصوله لاذوا

بالفرار ، وفى اليوم التالى من وصوله، توج من جديد كملك وحيد ، واظهر فى بداية الأمر نوعاً من الاحترام لذكرى حتشبسوت ودفنها فى مقبرتها التى اعدتها بنفسها وهى تحمل الأن رقم ٢٠ وقد عثر بها على قطع حجرية رسم عليها بالمداد الأحمر والأسود أجزاء من كتاب « ما هو موجود فى العالم الآخر » . ولم يرحم اعوانها ، فنجد ان رئيس الحزب المؤيد للملكة والذى يضم سنموت قد تعرض اسمه للمحو والقشط من فوق كل الآثار ، وازال كل صور التى رسمها فى كتف باب معبد الدير البحرى . وحطم كل تماثيله، ومقبرتيه. وكان سنموت قد بنى لنفسه قبراً فى شيخ عبد القرنة ثم قبراً آخر على مقربة من الدير البحرى [١١٥] .

وبعد عدة سنوات فيما بعد نجد انه بدأ ينتقم من حتشبسوت نفسها ، ومحا اسمها من على كل أثر وحل محله اسمه او اسم ابيه أو جده ، وأخيرا حطم تماثيلها . وكان العمال يوقدون النار حول تلك التماثيل ويصبون عليها الماء فتتناثر اجزاؤها ، ثم رموها كلها فى محجر قديم بالقرب من الدير البحرى [١١٦] ، وهدم المقصورة الحمراء للقارب المقدس لآمون ، والتى كانت فى حالة جيدة ، واقام مكانها واحدة أخرى باسمه، تمتاز بأنها كانت اكثر ضخامة ، وهدم الكثير من المبانى التى اقامتها الملكة .

من خبررع ــ تحوتمس الثالث « نفر خبرو » [١١٨] (١٥٠٤ ــ ١٤٥٠ ق.م)

بعد وفاة حتشبسوت ووصول تحوتمس الثالث إلى العرش مرة أخرى ، ترك العنان لغضبه وحب الانتقام منها ، وصمم على تعذيبها بقوة من الناحية المعنوية وذلك بعد وفاتها اى فى ذكراها وفى خلود اسمها . ولتنفيذ ذلك لجأ إلى محو اسم الملكة من على كل الآثار ، ولمدة تقرب من العام ، استقر تحوتمس فى طيبة لكى يقوى مركزه .

لقد سلمه ابوه تحوتمس الثانى لرجال الكهنة ليثقفوه وليغرسوا فى قلبه حب المعبود آمون ، وعندما اعتلى العرش مرة أخرى وبلغ العام الثانى والأربعين من حكمه سجل كيف انه وصل إلى العرش .

ويرجع الفضل فى شهرة ومجد تحوتمس الثالث الكبيرة ، إلى مجهوده الحربى وكان بالتأكيد أكثر الملوك المصريين ذكاء فهو الذى دفع بسيطرة بلاده إلى ابعد

الحدود ، وطبقا لدراسة مومياته وتماثيله العديدة ، فيبدو انه كان رجلا قويا وعصبيا وموهوبا إلى اقصى درجة ويمتاز بنشاط كبير وتميز بالكثير من الذكاء فى الحملات الحربية التى قادها ، والتكتيك الحربى الذى قام بتنفيذه ، مما جعله أعظم رجال الحرب فى عصره ، ذلك الرجل الذى نجحت حتشبسوت فى تنحيته جانباً لعدة سنوات .

فنجد أولا ان سياسة المهادنة التى اتبعها اسلافه تجاه بلاد النوبة قد مهدت له الهدوء على الحدود الجنوبية ، لذلك اتجه ناحية الشرق ؛ حيث كان يأتى الخطر الحقيقى للملوك ولمصر .

فقد قرر ان يعضد مناطق النفوذ المصرية التى بدأت تتفكك بسرعة . ومن سجلات حملاته التى نقش بعضها على جدران معبد الكرنك ، فهو يقص ما حققه للمصريين بفضل مساعدة والده آمون رع [١١٨] . ففى آسيا ، ربما استغل الميتانيون فرصة الهدوء الذى ساعد حتشبسوت فى السياسة الحربية ، فلجأوا إلى تكوين تحالف معاد ضد مصر . وكان يرأس هذا التحالف ملك قادش ، الذى حرض أكثر من مرة شعوب آسيا ضد المصريين واضطر تحوتمس إلى القيام بحوالى سبع عشرة حملة حربية لكى يقضى نهائيا على تلك التحالفات ، وقد نجح فى فرض سيطرة مصر مرة أخرى على منطقة الهلال الخصيب ، وفى الواقع ان هذه الحملات لم تكن على درجة واحدة من الأهمية والغرض ، فبعضها لم يكن غير مجرد تفتيش حربى ، وبعضها الآخر كان عبارة عن غارات بسيطة للتأديب دون نتائج هامة [١١٩] .

والسؤال الآن : هل اتبع تحوتمس فى هذه الحملات خطة حربية مدروسة ؟ والجواب ، دون ان ننساق وراء رأى خاطئ ، ونظرا لعدم وجود وثائق تجعلنا نحدد فى الواقع حقيقة الأمر ، نقول ان الغزو كان يتم فيما يبدو طبقاً لخطة موضوعة ومدروسة والا ما تحقق كل هذا النجاح لتحوتمس ، ففى الواقع لم يلجأ تحوتمس إلى مهاجمة ميتانى فى الحال ــ وهى التى كانت تمثل العدو الحقيقى لمصر ــ والتى كانت تقوم بتحريض كل الثورات ضدها ، بل بدأ فى اعداد مواقع هامة كانت تستخدم كقواعد قوية استطاع الانطلاق منها ، حتى تمكن من توجيه ضربته الأخيرة فى نهاية الأمر .

قام بحملته الأولى فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه وهى السنة الثانية من حكمه المستقل ، حيث ترأس جيشه ، وسار نحو آسيا لكى يقضى على ثورة عارمة اندلعت فى المنطقة عقب انتشار نبأ وفاة حتشبسوت ، وكان عدوه الرئيسى فى تلك الحملة هو أمير قادش ، تلك المدينة التى تقع على نهر العاصى على بعد ١٥٠ كم شمال دمشق (تل تبى مند الحالية) وهى مدينة ذات موقع حربى ممتاز ، اذ وقعت فى الطرف الشمالى من سهل البقاع . ووضع أمير قادش نفسه على رأس تحالف من الملوك الصغار والأمراء السوريين ، الذين ثاروا ضد السيطرة المصرية التى فرضها عليهم تحوتمس الأول .

تقدم أمير قادش حتى مدينة مجدو إلى الغرب من سهل اسدرالون على بعد ٢٥ كم تقريبا من نازرت الحالية ، ودعا هناك إلى تجمع كل قادة الثوار الآخرين [١٢٠] وبعد سير مجهد بطول الشاطئ ، وصل الملك إلى نقطة يستطيع منها مهاجمة مجدو فجأة بعد ان عبر جبال الكرمل عن طريق هضبة ضيقة ووعرة ، ولم يتوقع خصوم تحوتمس انه سيجازف بهجوم مباغت منها ، فقد اختار تحوتمس الطريق المباشر الصعب الذى ينفذ به رأساً إلى مجدو . وظن اعداؤه انه سوف يسلك احد الطريقين الآخرين ، فكلاهما رحب متسع ، وبدأ بهجوم خاطف ، وتمكن من دخول المدينة المحصنة ، التى اجتمع فيها أغلب الأمراء المنشقين مع جيش أمير قادش الذى كان قد تقدم نحو الجنوب لكى يغلق عليه منافذ الطريق التى يمر منها عادة . ونجح فى القضاء على العدو الذى هرب تاركا فى الميدان خيوله وعرباته ، وبينما كان أكثر الأعداء يهرولون نحو السهول دون ان يظهر لهم أثر بعد ذلك ، كان أمير قادش وبعض أعوانه يعبرون خلف جدران المدينة من الداخل عن طريق رفعهم بالحبال ، وحوصرت المدينة لمدة قصيرة هرب اثناءها أمير قادش فى جنح الليل عائداً إلى بلاده ، وعندما استسلمت المدينة ، لم يكن الأمير من بين المئات من الأمراء الثائرين الذين استسلموا ، وقام بأسر عدد من نسائه واصطحبوهن فيما بعد إلى مصر . ولم يأخذ اعداءه بالشدة والعنف ، ولكنه عامل هؤلاء الأمراء بعطف كبير ، فقد عفا عنهم جميعا ، وثبتهم فى ممالكهم واماراتهم بشرط ان يرسل واحد منهم ابنه ووريثه إلى مصر لكى ينشأ ويتعلم طبقاً للتقاليد المصرية فى البلاط الملكى .

وكان نظام الحكم فى مناطق النفوذ قائما على ان الحكومات المحلية تبقى فى أماكنها طبقا لمدى طاعتها . ويدفعون الجزية سنوياً ويرسلون الأمراء الصغار إلى مصر ليتعلموا حضارتها وثقافتها ويصبحوا بعد ذلك موالين أوفياء لملك مصر .

وكانت هناك بعض الحاميات المصرية ، وعين على كل منطقة موظفين مصريين يقومون بدور التفتيش ، ويقيمون فى كبريات المدن ، وأصبحوا لعدم وجود اتحاد يربط بين هذه المدن لايمكنهم مواجهة الملك الذى اكتفى بان يحلف له امراء هذه البلاد اليمين بالولاء والاخلاص والطاعة ، وكانت مدن الشاطئ مثل بيبلوس واوجاريت تتلقى المساعدات عن طريق البحر عن طريق اساطيل عديدة [١٢١] .

وكانت التقارير عن سير العمليات الحربية تكتب على صفحات من الجلد ثم تنقش بعد ذلك على جدران بعض قاعات معبد آمون بالكرنك ، وهى لون من ألوان الدعاية له .

وهكذا اثبت المصريون بدرجة كبيرة انهم شعب انسان ، ومن بين غنائم الحرب التى حصلوا عليها بعد المعركة أكثر من الفى حصان ، وأكثر من ألف عربة حربية ، ومئات من ملابس الفرسان ، وأيضا رداء من البرونز لملك قادش وأمير مجدو ، وأيضا الخيمة التى كانت تخص ملك قادش مع مقاعدها وموائدها من الأبنوس والعاج والذهب ، وأخيراً كميات كبيرة من الأوانى الثمينة والحلى .

وتعد معركة مجدو من أكبر المعارك فى التاريخ القديم . وقد نجح تحوتمس فى الحد من تقدم منافسه واضطر إلى تأجيل العمليات العسكرية إلى السنوات التى تلت . وذكر فى حوليات الملك بالكرنك تفاصيل معركة مجدو [١٢٢] . وجاء وصف هذه الحملة على لوحة اقامها الملك فى جبل برقل بالقرب من الشلال الرابع [١٢٣] . وأرسل الملك تحوتمس الثالث خطابا إلى حاكم كوش يخبره فيه بهذا النصر وقد اعدت قائمة بالآسيويين الذين تحالفوا ضد تحوتمس وكانوا حوالى ٣٥٠ اسم أمير ورئيس قبيلة [١٢٤] .

وكانت عودة الملك منتصراً إلى طيبة مجالا لعدة احتفالات ، لأنها كانت المرة الأولى فى تاريخ البلاد ، ان احرز ملك على رأس جيشه المصرى مثل هذه

الانتصارات ، وكان نداً فى معركة حقيقية لجيش آسيوى منظم ويحارب على أرض أجنبية بعيدة ، وهى أيضا أول اختبار عالمى لقوة المصريين الذين اثبتوا فى كل المجالات انهم يفوقون عدوهم وبمناسبة الاحتفالات بهذا النصر ، شيدت المقاصير الجديدة فى معبد الكرنك وفى أماكن أخرى ، وأعدت المواكب والمراسيم الدينية الكبرى ، وقد حمل تمثال آمون فى موكب كبير من الكرنك إلى الأقصر ذهاباً واياباً ، وقدمت القرابين المختلفة من حيوانات وطيور ، وكانت سحب البخور تتصاعد من على بعض موائد القرابين .

وفى هذه الفترة توفيت زوجته الملكة نفرورع ، ابنة تحوتمس الثانى وحتشبسوت . وتزوج الملك من أختها الصغرى حتشبسوت ــ مريت رع والتى كانت تحمل أيضا لقب الأخت [١٢٥] .

وبعد ذلك قام الملك بست عشرة حملة بيانها كالآتى :

الحملة الثانية : فى السنة الرابعة والعشرين ، لتفقد الأوضاع ، والقيام ببعض المناورات لاظهار القوة ، ولم يكن هناك قتال فعلى .

الحملة الثالثة : فى السنة الخامسة والعشرين ، احضر اثناء عودته بعض الأشجار والأزهار والنباتات وبعض الطيور والحيوانات النادرة [١٢٦] ، وقام بغرس بعض هذه الأزهار فى معبد الكرنك أو فى حديقة قصره الملكى ، وبقى من هذه النباتات حوالى ١٧٥ نباتاً أو بعض أجزاء من نبات . وعرف منها الرمان ، وصورت كل هذه النباتات والطيور فى قاعة ملحقة ببهو الأعياد الخاصة بالملك فى الكرنك .

الحملة الرابعة لا نعلم أى شئ عنها نظراً لتشويه النص وتحطيمه [١٢٧] . وبعد هذه الحملات كرس تحوتمس جهوده لتنظيم البلاد ، وأبدى اهتماما ملحوظاً بالنهضة العمرانية ، بمعاونة الوزير الأول « آمن ــ أوسر » وهو أحد النبلاء .

وقد وصف لنا هذا الشخص كما لو كان الرجل « الذى يفعل ما تحبه كل الطبقات من أعلى وأيضا من أسفل ، الذى يهتم بالأغنياء وأيضا بالفقراء ، الذى يحمى الأرامل دون عائل ، الذى يساعد الشيوخ والعاجزين ، الذى يعين الأبناء فى الوظائف التى كان يشغلها آباؤهم ، ويوفر السعادة لكل إنسان » [١٢٨] . وحفر لنفسه مقبرة فى البر

الغربى تحمل رقم ١٣١ .

وكان رئيس الأعمال ـــ الذى عين بواسطة الوزير الأول ـــ رجلا يسمى امنمحات ، وقد ذكر فى نقوش مقبرته رقم ٨٢ فى البر الغربى ، المؤرخة بالعام ١٤٦٠ ق.م. أى العام الثامن والعشرين من الحكم ، كلمات كانت موجهة فى الواقع إلى روحه ، وهى تعطينا صورة حية من تخيل المصريين عن مصير الروح فى العالم الآخر (١٢٩) .

الحملة الخامسة : فى السنة التاسعة والعشرين ، بدأ الملك يهتم بتأمين سبل مواصلاته، واستولى على بعض مدن الشاطئ الفينيقى وتغلغل حوالى ٢٥٠ كم إلى الشمال أكثر مما فعل من قبل واستولى على بعض المدن التى ثارت ضده ، وعن احداها يقول :

« كانت الحدائق ـــ فيها ـــ مليئة بالفواكه، والنبيذ يملأ المعاصر ، وينساب كالماء ، على حين كان القمح على الشواطئ أوفر من رمال الشواطئ ، حتى ان القوات كادت تختنق من كثرة الغذاء وما قرر لهم ... وكان الجنود مستريحى البال وكانوا يدهنون أجسادهم بالزيت كل يوم كما كان يحدث فى مصر اثناء الأعياد » (١٣٠) .

وبعد استيلائه على احد موانى فينيقيا ، اصبح متاحاً له من الآن تجنب الطريق البرى الصحراوى الطويل .

الحملة السادسة : فى العام الثلاثين ، وذلك بسبب اندلاع ثورة فى فينيقيا ، ويبدو انه تزعمها أمير قادش عدوه القديم ، فخرج تحوتمس للقضاء على هذه الثورة عن طريق البحر ، واتجه نحو قادش على نهر العاصى واستولى عليها كما استولى على مدينة « تونيب » (١٣١) .

الحملة السابعة : فى السنة الحدية والثلاثين ، وقد خصصها للاستيلاء على العديد من الموانى الواقعة فى فينيقيا .

الحملة الثامنة : فى السنة الثانية والثلاثين ، وهى من أقوى غزواته الحربية ، فبعد الحملة السابعة شعر بانه قوى بالقدر الذى يكفل له القيام بهجوم واسع النطاق ، ورحل عن طريق البحر ، ونزل فى فينيقيا وعبر سوريا ، ووصل إلى نهر الفرات ، الذى عبره

بواسطة مراكب شيدت طبقاً لأوامره فى بيبلوس ، وقطعت اخشابها من هناك وبعد ذلك نقلها عبر الصحراء . وتقابل مع الميتانيين وانتصر عليهم ، وتتبعهم فى وسط الجبال ، واستولى على الأراضى التى تقع شرق الفرات ، وأقام على الشاطئ الأيمن لنهر الفرات لوحة حدود فى مواجهة اللوحة التى أقامها تحوتمس الأول .

وكان لهذا الانتصار رد فعل كبير ، ليس على الميتانيين فحسب ، بل على جيرانهم أيضا الذين لم يدخلوا الحرب بعد ضد مصر مثل : الآشوريين والبابليين والحيثيين ، والذين رأوا انه من الأفضل وكنوع من الحرص ارسال الجزية إلى الملك المنتصر ، وهناك استقبل سفراء ملك بابل وحيثا ، الذين كانوا يحملون هداياهم من فضة وأحجار كريمة وأخشاب نادرة . ولكن هذا لم يمنعهم لحظة فى التفكير فى تحطيم هذه القوة التى تقلقهم ، وكان على الملك ان يظهر من وقت لآخر قوته العسكرية ويقضى على الثورات التى يشعلها الجيران الأقوياء فى مهدها .

وبفضل الانتصار على ميتانى ، اصبح جزء كبير من فينيقيا خاضعا لنفوذ مصر .

الحملة التاسعة : فى السنة الرابعة والثلاثين واستولى فيها على جاهى على الساحل الفينيقى .

الحملة العاشرة : فى السنة الخامسة والثلاثين وانتصر فيها على بلاد النهرين التى قامت بثورة ضده .

الحملة الحادية عشرة : فى السنة السادسة والثلاثين : النص مشوه .

الحملة الثانية عشرة : فى السنة السابعة والثلاثين : النص مشوه أيضا .

الحملة الثالثة عشرة : فى السنة الثامنة والثلاثين توجه فيها إلى شمال سوريا واخضع ثورة قامت هناك .

الحملة الرابعة عشرة : فى السنة التاسعة والثلاثين حارب فيها البدو الذين يستقرون فى شمال شرق مصر .

الحملة الخامسة عشرة : فى السنة الأربعين وكانت لجمع الجزية .

الحملة السادسة عشرة : فى السنة الثانية والأربعين وحاصر فيها قادش التى اتحدت من جديد واستولى عليها [١٣٢] .

وكان من نتيجة هذه الحملات المتكررة ــ تقريبا كل عام ــ ان ارتفعت هيبة مصر فى كل سوريا . ومن الواضح ان البلاد التى هزمت فى الواقع لم تكن محتلة كلية ، واكتفى الملك باصطحاب ابناء الأمراء والرؤساء المهزومين إلى مصر حتى يلمسوا أمجاد وعظمة الحضارة المصرية التى بهرت العالم آنذاك ، ويتشبعوا بها ويكونوا أوفياء فيما بعد ، وكى يصبحوا موالين لمصر ولحضارتها هناك ، ويدينون بالولاء لحكامها ، وسوف نرى ــ فيما بعد ــ ان هذه السياسة كانت غير كافية على الرغم من قوة مصر إلا ان وجودها فى آسيا وبقاءها كان يحتاج دائما إلى تعضيد بواسطة حملات حربية متكررة .

وامتداد مناطق النفوذ يفسر الرخاء الذى توالى على طيبة والعناصر المتعددة من الأجانب الذين مروا بها واصبحت مدينة الجنوب عاصمة عالمية كبرى ، حيث اصبحت ملتقى المنتجات التى تأتى من جميع الأطراف ومتبادلا للأفكار دون توقف ، ولكى يحكموا آسيا اضطر المصريون إلى معرفة لغات هذه البلاد وخاصة الأكدية التى كانت لغة دبلوماسية عالمية ، وقد اتصلوا ــ بدون شك ــ بافكار هذه الشعوب وآدابهم ، وقد عادت هذه العلاقات بثراء فكرى ودينى بالنسبة للمصريين [(١٣٣)] .

والتزمت آسيا بالهدوء منذ ذلك الوقت على الأقل حتى لحظة وفاة الملك . وفى نهاية حكمه، قام بحملته السابعة عشرة ، فقد استغل تحوتمس الثالث قيام ثورة محلية فى الجنوب ، فذهب إلى هناك وقضى عليها ، ولا نعرف تماما الحدود الجنوبية التى وصل إليها ، ربما وصل الشلال الرابع حيث عثر هناك على لوحة فى جبل برقل تخلد ذكرى هذا الانتصار ، وقام أيضا بتطهير القناة عند الشلال الأول ، ورمم معبد سنوسرت الثالث عند سمنة قرب الشلال الثانى وأمر بتقديس هذا الملك إلى جانب معبودات المنطقة خنوم وددون [(١٣٤)] .

وقد خلد ذكرى انتصاراته فى النوبة على الصرحين السادس والسابع بالكرنك وذكر اسماء العديد من البلاد والأقاليم الجنوبية التى استولى عليها [(١٣٥)] . وهكذا فى عام ١٤٥٠ ق.م. كانت حدود مصر تمتد من نباتا ــ جنوبى النيل ــ حتى نهر الفرات فى الشمال ، وقد وصلت مصر إلى أوج مجدها ، لم تصل إليه بعد ذلك ،

بل على العكس أخذت فى الانكماش شيئا فشيئا ، ولكن ما حققه تحوتمس الثالث سوف يساعدها على ان احتفظ بذلك المجد أكثر من قرن من الزمان .

وليس من الغريب ان تصف بعض النصوص تحوتمس كما لو كان « الثور الصغير الهائج ، الذى يهدد بقرونه ، ولا يقف أمامه شئ » و« التمساح سيد الرعب فى المياه والذى لا يمكن اقترابه » ، « السيد المجنح الذى ينقضى على الفريسة التى يراها » و أيضا « سيد الضوء ، الذى يبهر وجوه اعدائه » أو ذلك « اللهب السريع الذى يلقى بناره ، ويحرق ما حوله باللهيب » [١٣٦] .

وطوال مدة حكمه المديد ، الذى دام حوالى ثلاثة وخمسين عاما ، اتجه الملك إلى الاهتمام بادارة مناطق نفوذه وبناء المعابد الضخمة والأبنية الكبرى ، وفيما بين الصرحين السابع والثامن بالقرب من البحيرة المقدسة فى الكرنك أقام تحوتمس الثالث بمناسبة يوبيله الأول جوسقاً صغيرا فوق قاعدة من حجر رملى [١٣٧] ، وشيد كذلك مسلات عديدة ؛ وكان مما اقامه فى الكرنك مسلتان أمام مسلتى تحوتمس الأول ، ومسلتان أمام الصرح السابع ومسلة فى شرقى المعبد ، وقد نقلت منها مسلة إلى القسطنطينية وأخرى إلى روما . وأقام تحوتمس الثالث المسلات فى معبد ايونو وقد نقلت مسلتان منها إلى الاسكندرية ، واهدى محمد على احداهما إلى انجلترا ، نقلت إلى لندن عام ١٨٧٧ حيث اقيمت على ضفاف نهر التيمز ويطلق عليها اسم « مسلة كليوباترة » ، واهديت المسلة الثانية إلى الولايات المتحدة ، ونقلت إليها عام ١٨٨٠ وهى الآن فى حديقة سنترال بارك فى نيويورك . [١٣٨] ولتحوتمس الثالث فى الكرنك أيضا عمودان من طراز خاص ، كل منهما من حجر واحد من الجرانيت الوردى ، ويغلب على الظن انه كان يعتمد عليهما سقف ردهة كانت أمام قاعة القارب المقدس . [١٣٩] وقام بتشييد بهد الأعياد فى معبد الكرنك ، [١٤٠] والصرح السابع ، وشيد لنفسه معبدا جنائزيا فى البر الغربى فى طيبة فى الشمال من الرمسيوم . وشيد الهياكل الجميلة منها مقصورة صغيرة أقامها الملك تحوتمس الثالث للمعبودة حتحور فى البر الغربى جنوبى معبد الدير البحرى . وقد أقام فيها ابنة امنحتب الثانى تمثالا للمعبودة حتحور يمثلها فى شكل بقرة بحجم طبيعى . ويعد هذا التمثال من أروع ما

أخرجه المثال المصرى من تماثيل الحيوان ، [١٤١] وشيدت هياكل ابريم من عهد تحوتمس الثالث وامنحتب الثانى [١٤٢] .

وفى نهاية حياته، سمح لنفسه بالانتقام الأخير من حتشبسوت وذلك بمحو اسمها من النقوش ، واضطرت زوجته حتشبسوت ــ مريت رع إلى ترك الجزء الأول من اسمها . وفى معبد الدير البحرى نجد اسمى تحوتمس الثالث وابيه قد نقشا فى أماكن عديدة محل اسم حتشبسوت [١٤٣] ، واحاط المسلات التى اقامتها الملكة فى الكرنك بأبنية حتى لا يظهر منها سوى القمة فقط .

وعلى الرغم من ان هذه الأعمال توضح لنا مدى الكره العميق الذى كان يحمله لهذه الملكة ، التى كانت السبب فى تعاسته واهماله فى السنوات الأولى من حياته، فانه كان ذا طابع لطيف ورقيق فكان يحب فن نحت التماثيل وجمع الأزهار النادرة . ونقرأ أيضا ان من الهدايا الثمينة التى أمر تحوتمس الثالث بصنعها لاهدائها إلى معبد آمون رع فى الكرنك أوان رسم تصميمها بنفسه [١٤٤] . وقال عنه أحد وزرائه : « كان جلالته يعلم كل ما يحدث ولا يخفى عليه (أى) شئ ، كان مثل تحوت معبود الحكمة فى كل شئ ولا يبدأ عملا إلا وانجزه » [١٤٥]
وأبرز مثل لحكمه الصائب نصائحه لوزيره رخمى رع حينما عينه وزيراً وفيها تصور واضح لسياسة الحكم وما يجب مراعاته لحكم الشعب وعلاقة الحاكم بالمحكوم [١٤٦] .

وكان رخمى رع يشغل وظيفة وزير المدينة الجنوبية ونرى فى مقبرته رقم ١٠٠ مناظر تمثل الأجانب ، منها مناظر تمثل حاملى الجزية السوريين [١٤٧] ، وكذلك بعض الصناع والكتبة وبعض الموظفين الذين حضروا إلى مكتب الوزير لانجاز بعض الأعمال [١٤٨] . وهناك أكثر من ٥٢ مقبرة لكبار الشخصيات من عهده .

ومن كبار الشخصيات فى عهد تحوتمس الثالث ايضا منخبررع سنب الكاهن الأول لآمون والذى كان عليه جمع الثروات المختلفة من الضرائب التى فرضت على البلاد التى تم غزوها واحضارها إلى معبد الكرنك ، والذى زينت مقبرته رقم ٨٦ بمناظر الحيثيين والسوريين وأهل كوش والصحراء الشرقية الذين جاءوا إلى مصر ومعهم هداياهم وجزيتهم وعثر له على مقبرة أخرى تحمل الآن رقم ١١٢ [١٤٩] .

ولم تمنع طبيعة تحوتمس الثالث العسكرية من ان يصفه رخمى رع بانه: « كان ابا وأما للناس أجمعين » وان يشهد منخبررع سنب برقة احساسه وذوقه وانه كان يقضى بعض ساعات النهار فى ابتكار رسوم الأوانى التى سوف يهديها لمعبد آمون [١٥٠].

وتشهد مقابر النبلاء الأخرى فى عصره بمكانته ومقدرته [١٥١] . ونذكر مثلا « واح» نديم الملك وصاحب المقبرة رقم ٢٢ ، وبويمرع الكاهن الثانى لآمون (المقبرة رقم ٣٩) ، وآمن مس قائد القوات ورئيس الرماة [١٥٢] (المقبرة رقم ٤٢) ، وحوى النحات (المقبرة رقم ٥٤) ، وآمن نجدح مسئول الشعارات [١٥٣] (المقبرة رقم ٨٤) ، والذى كان من بين حكام الأقاليم ، وكانت دندرة تدخل ضمن اختصاصه ، وكان من كبار رجال القضاء ، وآمن ام حب قائد القوات [١٥٤] (المقبرة رقم ٨٥) ، ومين نخت المشرف على شئون مصر العليا (المقبرة رقم ٨٧) ، وامنمحات بن تحوتمس الذى كان مديرا لبيت الوزير أوسر وكان المدير لجميع أعماله [١٥٥] (المقبرة رقم ٨٩) ، ومين حاكم اقليم ثينى الذى تعهد بتربية امنحتب الثانى [١٥٦] (المقبرة رقم ١٠٩) ، وامنمحات الكاتب والمشرف على الشون (المقبرة رقم ١٢٣) ، وسن ام اعح الكاتب الملكى (المقبرة رقم ١٢٧) ، وماى سيد البوابة للمدينة الجنوبية (المقبرة رقم ١٣٠) ، وانتف الذى كان يشغل وظيفة حاجب الملك وكان حاكما لاقليمى ابيدوس والواحات [١٥٧] (المقبرة رقم ١٥٥) ويذكر على لوحة له فى متحف اللوفر رقم ٢٦ بانه « الحكيم ، ذو المعرفة المؤتمن حقاً » [١٥٨] . ولاننسى أيضا تحوتى الذى كان يعمل كمشرف على البلدان الشمالية وعاش منذ عهد حتشبسوت ، وكذلك الوزير اوسر صاحب المقبرة رقم ٦١ .

وفى السنة الأخيرة من حكمه ـ عندما بلغ سن السبعين ـ اتبع تحوتمس العادة المصرية القديمة وهى اشراك ابنه على العرش بجانبه ، وكان هذا الشاب يسمى امنحتب ويبلغ أربعة وعشرين عاما ، وكان ابنا للملكة حتشبسوت ـ مريت رع وعلى الرغم من صلة القرابة فى الأسرة ، فانه كان قوياً من الناحية الجسمانية .

وقد توفى تحوتمس الثالث عام ١٤٥٠ ق.م. بعد ان تجاوز السبعين بقليل ،

وجلس على العرش حوالى أربعة وخمسين عاما ، ودفن فى مقبرته السرية التى حفرها فى الطرف الجنوبى لوادى الملوك بالقرب من مقبرة ابيه تحوتمس الثانى ، وهى تحمل رقم ٣٤ وهى تشبه مقبرة امنحتب الثانى فى طرازها المعمارى وقد نقشت حجرة الدفن بنقوش تشبه نقوش مقبرة امنحتب الثانى ايضا وتوجد فى حجرة الدفن نصوص تمثل النسخة الأولى كاملة لكتاب ما هو موجود فى العالم الآخر بفصوله الأثنى عشر [١٥٩] .

عاخبرورع ــ امنحتب الثانى « نثر حقا ايون أو واست »
(١٤٥٠ ــ ١٤٢٥ق.م.) :

من الأدلة التى تثبت ان امنحتب الثانى قد اشترك مع ابيه فى الحكم ، انه عثر على اسميهما جنباً إلى جنب فى معبد عمدا ببلاد النوبة . وهكذا تولى امنحتب العرش خلفا لأبيه دون أية صعوبة . ويبدو انه تقاسم السلطة مع ابيه لمدة ثمانية عشر شهراً تقريبا [١٦٠] . وقد بدأ الملك الجديد يحكم بمفرده ابتداء من العام ١٤٤٠ ق.م. وكان شاباً قوياً أكثر قوة من أبيه ، ذا قوة مدهشة ومما يقال عنه انه كان قادراً على ان يشد قوساً لا يستطيع غيره ان يشده أو يصوبه بمثل مهارته ، وكان على دراية بجميع أنواع الأسلحة .

وفاق الكثير من ملوك مصر فى ممارسته لجميع أنواع الرياضة ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى والده العظيم تحوتمس الثالث ، ومن أجل اعداده اعدادا سليما وقويا عهد به والده إلى أحد القواد المهره وهو المدعومين ، وكان يشغل وظيفة حاكم مدينة ثينى ، وفى مقبرته فى البر الغربى فى طيبة نرى بعض المناظر الخاصة بطفولة امنحتب [١٦١] . ولما اشتد عوده اخذ يدربه فى قصره فى ثينى [١٦٢] . واحب امنحتب قوسه حتى انه لما توفى فضل ان يوضع معه إلى جواره فى المقبرة [١٦٣] .

ويبدو ان امنحتب قد ولد فى منف ، وسجل ذلك على أحد جعارينه ، [١٦٤] . أما أمه فكانت حتشبسوت ــ مريت رع ابنة الملكة حتشبسوت ، وكان يشغل فى شبابه وظيفة المسئول عن توزيع الأخشاب الخاصة بصناعة السفن التى كانت قائمة بالقرب من منف ، وظل فى منف حتى وفاة والده ، وقد جاء فى نقوش وزير أبيه رخمى رع انه

لما توفى تحوتمس كان ولى العهد يقيم فى ضواحى منف ، برونفر ، فغادر رخمى رع طيبة على احدى السفن ليكون فى استقبال الملك الجديد [١٦٥] .

وقد جاء على لوحة كبيرة بالقرب من ابى الهول انه حينما بلغ سن الثامنة عشرة تولى عرش مصر ، وكان ماهراً فى معرفة طبائع الخيل ، ومولعا بجياده ، وكان يقوم بالتدريب على قيادة العجلات الحربية فى صحراء الجيزة [١٦٦] .

ويحدثنا امنحتب على هذه اللوحة بانه قبل ان يقوم باصابة الهدف كان يقوم باختيار احسن الأقواس . ويذكر أيضا انه قوى الذراع لا يكل اذا قبض على مجداف ، وانه اخذ يجذف فى احدى المرات فى مؤخرة قاربه الملكى المسمى « بالصقر » وكان مزوداً بمائتين من البحارة وظل جلالته يجدف حتى رست السفينة بعد ان قطعت اميالا كثيرة ضد التيار .

وفى بداية هذا القرن كشف لجران Legrain فى داخل الصرح الرابع بالكرنك على كتلة من الحجر الرملى عليها منظر يمثل امنحتب الثانى فى عربته الحربية وبداخل العربة اسيران آسيويان وقد وثق ذراعاهما [١٦٧] . وعثر فى معبد الكرنك عام ١٨٢٧ على كتلة مستطيلة من الجرانيت فى داخل الصرح الثالث ، وهى تمثل امنحتب الثانى فوق عربته يشدها جوادان ، قابضا بيسراه على قوس كبير ، وقد شد بيمينه القوس ووضع أمامه هدفاً اخترقته خمسة أسهم . وكان هذا الهدف من النحاس (هذه اللوحة موجودة الآن فى متحف الأقصر الاقليمى) .

واهتم أيضا بالصيد وقد جاء ذكر ذلك على لوحة عثر عليها فى ميت رهينة [١٦٨] . وعلى خاتم يوجد الآن فى متحف اللوفر نرى منظراً يمثل امنحتب الثانى واقفا يمسك بيده اليسرى ذيل أسد وقد رفعه من الأرض على حين يهوى بيده الأخرى على الحيوان بسلاح فيها [١٦٩] .

أما عن أعماله الحربية فقد سجلت على ثلاث لوحات : لوحة ميت رهينة ، لوحة الكرنك ، ولوحة عمدا [١٧٠] .

وتمتع بحكم مستقر فى الداخل ، أما فى الخارج فقد بدأ السوريون وبعض

الامارات الآسيوية فى الميل إلى الثورة ، مستغلين فرصة وفاة تحوتمس الثالث ، ولذلك اضطر امنحتب للذهاب بعد قليل من حكمه إلى آسيا على رأس جيشه لكى يقضى على تلك الثورات ، وبعد ان عبر نهر العاصى وبرز بتكتيكه الفريد فى المعارك قام بقتل ضابط وهو يقول فى النص الذى يذكر هذه الحملة : [(١٧١)]

« لقد عبر جلالته المناطق الضحلة لنهر العاصى ، ورفع يديه فوق عينيه لكى يراقب الأفق ، وعندئذ اكتشف جلالته بعض الآسيويين يندفعون بخيولهم ويصلون بسرعة . وحمل جلالته أسلحته الحربية وعندما اتجه بنظره إلى احدى العربات ، لجأت الأخرى إلى الهرب ، ثم اسقط الملك بنفسه سيوفهم وقضى عليهم بسهمه ، وقد حمل جسد الضابط واستولى على زوج الخيل وعربته... وقوسين وجراباً مملوء بالسهام ، ودرعاً واقياً » . ونقرأ أيضا انه خلال هذه الحملة :

« عندما كان امنحتب موجوداً فى تلك المنطقة ، قام باعدام سبعة امراء وحمل فيما بعد جثثهم إلى طيبة وعرضها لكى تستخدم كعبرة لكل هؤلاء الذين يفكرون فى التمرد والثورة » .

وتذكر لوحة ميت رهينة انه قام بحملتين الأولى فى السنة السابعة والثانية فى السنة التاسعة وفيها وصل إلى نهر العاصى وقضى على الآسيويين [(١٧٢)] .

ويلاحظ وجود بعض الاختلاف فى لوحة الكرنك ولوحة منف . ولما سمع أمير نهرينا وأمير جات سنجر بهذا النصر الذى احرزه جلالته تسابقوا لاحضار هداياهم . ولأول مرة نرى ميتانى ترسل مندوبين بالهدايا لكى تمنح نسيم الحياة .

وفيما بعد بدأ الوضع السياسى فى آسيا يميل بوجه عام إلى التطور والتغير فدولة ميتانى التى كانت حتى هذه اللحظة القوة العظمى ، بدأت تخشى تطور قوة الحيثيين (الذين استقروا فى الأناضول) وهذا الخوف هو الذى دفعهم إلى التقرب إلى مصر . فقد سعى ملك الحيثيين تودها ليجاس الثالث Tudhalijas إلى عدة فتوحات لتكوين امبراطورية حيثية جديدة ، والتهديد الذى قام به امنحتب بدأ يؤثر على ميتانى .

ولا نملك إلا تفاصيل قليلة عن بقية احداث هذا الحكم ، ويبدو انه قام بعدة

أعمال انشائية فى الكرنك ، فأقام امنحتب الثانى بين صرحى الكرنك التاسع والعاشر بمناسبة يوبيله جوسقاً كان يؤدى إليه درجان متقابلان [١٧٣] . كما اهتم بمعبودات اقليم طيبة كما هو واضح من أحد الألواح الصخرية بناحية طره والمؤرخة بالسنة الرابعة من حكمه.

وقد اتم معبد عمدا الذى بدأه والده تحوتمس الثالث والذى كان مخصصاً لعبادة آمون رع ورع حور آختى [١٧٤] . وقد نقل هذا المعبد حالياً إلى أسوان وأعيد بناؤه . وقام ببعض الأعمال الانشائية فى منف وعثر على تمثال باسمه على مقربة من شندى شمالى الخرطوم [١٧٥] .

أما عن كبار موظفيه فهم قن آمون وله مقبرة فى جبانة القرنة [١٧٦] وتحمل رقم ٩٣ ، وفيها نرى مناظراً تمثل امنحتب الثانى وتمثال تحوتمس الأول والملكة حتشبسوت ــ مريت رع ، وكان قن آمون أخاً لأمنحتب فى الرضاعة . ورسمت على جدرانها مناظر الهدايا التى قدمت للملك فى عيد العام الجديد .

وهناك أوسرحات الذى ربما كان مشرفاً على حسابات مدينة الشمال والجنوب صاحب المقبرة رقم ٥٦ [١٧٧] . ومن كبار الدولة أيضا آمون ام اوبت صاحب المقبرة رقم ٢٩ الذى حل محل الوزير رخمى رع .

وهناك ايضا بعض الشخصيات الهامة الأخرى فى عصر هذا الملك مثل نب آمون طبيب الملك وصاحب الشهرة الكبيرة (المقبرة رقم ١٧) ، وانتف الذى كان يشغل وظائف هامة فى الادارة (المقبرة رقم ٨٣) ، ومرى كبير كهنة آمون والمشرف على خزائن معبد آمون (المقبرة رقم ٨٤) [١٧٨] ، ونفر رنبت المشرف على مطابخ الملك (المقبرة رقم ٤٣) . وأوسرحات الكاتب الملكى (المقبرة رقم ٥٦) وسن نفر قائد (حامية) المدينة الجنوبية (المقبرة رقم ٩٦) .

ولا يجب ان ننسى امنمحات كبير كهنة آمون وصاحب المقبرة رقم ٩٧ والذى يبين فى نقش من نقوشها مدى احترامه لوالده ، وطاعته له واحترامه كلماته ومشورته [١٧٩] . وعندما توفى الملك عام ١٤١٥ ق.م. دفن فى مقبرة سرية كان قد أعدها بسرعة فى الطرف الغربى من وادى الملوك [١٨٠] ، وتحمل الآن رقم ٣٥ ، وكان

هذا الوادى يحتوى فى ذلك الوقت على مقابر تحوتمس الأول والثانى والثالث وحتشبسوت . وكل مدخل من هذه المقابر كان مخفياً تماما . وبعد عدة قرون اكتشفها اللصوص ، ونهبت ، واخرجت مومياء الملك من تابوته ، ولكن عندما اكتشف المقبرة من جديد عام ١٨٩٨ بواسطة لوريه Loret أعيد وضع المومياء فى تابوتها . وعثر على جزء من المتاع الجنائزى ومومياء الملك نفسه وأيضا العديد من مومياوات الكثير من الملوك الذين خبئوا فى تلك المقبرة فى عصر الأسرة الحادية والعشرين ومنها مومياوات تحوتمس الرابع وسيتى الثانى وست نخت ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع [١٨١] .

وتعد مقبرته أول المقابر التى تحتوى على نسخ من الكتب الجنائزية التى سطرت فى حجرة الدفن ، وهى مجموعة من الكتب التى تخص عالم يوجد فى العالم الآخر ، كتاب البوابات ، كتاب الكهوف ، كتاب النهار والليل .. ومنها صيغ وشعائر مختلفة تسجل على جدران الممرات التى تؤدى إلى حجرة الدفن وتحتوى هذه الكتب على صيغ وبها تمثيل لشخصيات وأشكال خرافية مأخوذة من معتقدات الأجداد وتعبر بشكلها الغريب عن رموز وأشكال الميلاد اليومى لمعبود الشمس رع الذى يندمج فيه المتوفى أثناء المراحل الحرجة فى رحلته فى العالم السفلى ومنها كتباً للطقوس الجنائزية . لكى تصبح الطقوس التى تؤدى على الجثة ذات فاعلية إلى الأبد [١٨٣] .

من خبرورع ــ تحوتمس الرابع « خع خعو » (١٤٢٥ ــ ١٤٠٨ ق.م.) :

عند وفاة الملك امنحتب الثانى ، تجددت بعض الصعاب بسبب الخلافة على العرش ، وكان لأمنحتب أكثر من ابن ، أحدهم يسمى تحوتمس ويبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، ولم يكن ــ بدون شك ــ الأبن الأكبر ، ويرى بعض العلماء انه كان يوجد على اللوحة التى تركها تحوتمس بين قدمى ابى الهول اسم تم حذفه وهو اسم الأمير آمن ــ ام ــ اوبت أحد ابناء امنحتب الثانى ، وكان يتراوح عددهم بين الخمسة والسبعة ، وان تحوتمس قد وصل إلى العرش بطريقة غامضة ، وانه اقصى اخاه عن العرش [١٨٤] ، وتزوج تحوتمس وهو يبلغ سن السادسة عشرة عاما ، كما كانت هى العادة فى مصر القديمة ، وكان يعيش فى هدوء فى منف ، ولا نعرف كيفية وصوله إلى

العرش ، وتوليته العرش من بعد ابيه حدثت بدون اى صراع ظاهر .

ويبدو ان الأمير تحوتمس الرابع كان قد تأثر بكهنة هليوبوليس الذين كانوا يعيشون فى كره دائم مع كهنة آمون فى طيبة . وقبل وفاة الملك أمنحتب الثانى ، يبدو ان الكهنة قد اقنعوا الأمير بارتقاء العرش ، رغبة منهم فى استعادة الهيبة القديمة لمعبود الشمس رع فى هليوبولس والحد من سيطرة كهنة آمون المتزايدة . وهناك لوحة بين قدمى ابى الهول تقص علينا كيفية وصوله إلى العرش وكيف عمل كهنة الشمس على ترويج هذهالقصة :[١٨٥]

عندما كان (الأمير) صغيرا جداً ، كان من عادته ان يسرى عن نفسه فوق هضبة منف الصحراوية ، متتبعا الطرق ، مصوباً الأسهم تجاه هدف من النحاس ، قابضا الحيونات المتوحشة او مستقلا لعربته التى كانت خيولها أسرع من الرياح ، وذلك فى صحبة اثنين من رجال بلاطه ، وفى خفية عن كل الناس ، وعندما حانت الساعة لكى يعطى لرفاقه بعض الراحة ، ذهب إلى منطقة «حرماخيس » ذلك المكان المقدس منذ بداية الزمان ، [١٨٦] فى تجاه هليوبوليس ، وهناك يوجد التمثال الشاهق لمعبود الشمس (حور آختى) وحدث ان وصل الأمير تحوتمس فى ذلك اليوم بعربته فى ساعة الظهيرة لكى يستريح فى ظل هذا المعبود العظيم ، عندئذ كانت الشمس فى كبد السماء ، وهناك رأى حلماً اثناء سباته : فقد رأى ان جلالة هذا المعبود يتحدث إليه بفمه كما لوكان اب يتحدث إلى ابنه :

« تأملنى وانظر إلى يابنى تحوتمس ، قال المعبود ، انى ابوك ، معبود الشمس (حورام آخت ـــ خبرى رع ـــ آتون) سوف اعطيك مملكتى على الأرض ، وسوف تصبح على رأس الأحياء ، وسوف تتوج بالتاج الأبيض والتاج الأحمر على عرش المعبود جب ، وسوف تخضع لك البلاد فى طولها وعرضها و (كل) ما يضئ عين سيد الجميع ، وكل هبات الوجه القبلى والوجه البحرى وايضا الهبات الكبرى لكل البلاد ، وكل شئ سوف يصبح ملكا لك ولعدة سنوات طويلة . مساعدتى ورضاى سوف يمنحان لك وعليك انت ـــ من جانبك ـــ ان تحمينى لأننى كما ان اليوم ، اجد نفسى كا لمريض ، كا لمختنق برمال هذه الصحراء التى اعيش عليها ، اعتنى بى ونفذ كل رغباتى ، اعلم انك ولدى وحام لى ، تعالى هنا واقترب جدا : اننى معك ، اننى

مرشيدك » . وعندما سكت الصوت واستيقظ الأمير من سباته، وفهم كلمات المعبود ظل الصمت يرين على قلبه » [١٨٧] .

وعقب وفاة ابيه، اعلن الأمير الصغير ملكاً على العرش بواسطة ومساعدة كهنة وأهل هليوبوليس . ويبدو ان كهنة آمون قد اضطروا إلى قبول انتصار كهنة معبود الشمس على مضض . وعقب صعوده على العرش امر الملك فى الحال بان ترفع الرمال التى تحيط بأبى الهول . وامر بنقش قصة هذا الحلم على لوحة وضعها بين قدمى ابى الهول . وطبقاً لدراسة مومياته بالمتحف المصرى الأن ، يبدو انه كان شابا صغيرا ،ولم يكن قوى البنيه، وتوفى صغيرا ، وكان يرغب فى ان يظهر بانه جدير بخلافة ابيه وجده الكبير ، واثناء الفترة القصيرة التى امضاها فى السلطة ، قاد جيوشه إلى آسيا ،[١٨٨] وكانت هذه الحمله مجرد حملة تفتيشية اكثر منها حملة حربية بالمعنى المفهوم ، وفى هذه اللحظة كان الموقف فى آسيا قد تطور بالفعل ، وبدأ يظهر خطر الحيثيين ، ففى شرق نهر الفرات ، فى الطرف الشمالى الغربى من سوريا وفى كردستان الجنوبية ــ كانت تمتد مملكة ميتانى ــ وكانت دولة متحضرة يحكمها امير يسمى «ارتاتاما » وكان نهر الفرات يفصل هذه الملكة عن ممتلكات الملك المصرى فى آسيا ، وقد رأى تحوتمس انه من الأفضل عقد معاهدة مع ارتاتاما لكى يتفادى بهذه الطريقة ان تتعرض مناطق نفوذه البعيدة لأى هجوم ، ولهذا الغرض ارسل السفراء إلى بلاط ميتانى طالبا الزواج من احدى بنات الملك .

ولم يتردد الميتانيون فى البحث عن صداقة الملك نظراً لخطر الحيثيين ، ونتيجة لهذا عقدت معاهدة بين البلدين ، ولتقوية هذه العلاقة تزوج تحوتمس بالفعل من اميرة ميتانية هى موت ام ويا ، [١٨٩] وقد اعطى لها هذا الأسم عند وصولها إلى مصر وهى التى سوف تنجب له ولده امنحتب الثالث الذى كان يجرى فى عروقه الدم الهندوأوربى .

والزواج من أجنبية ، كان يعد ابتكاراً جديدا فى السياسة الخارجية لمصر ، فالعرف السائد هو ان الملك المصرى ينتمى إلى اصل مقدس من معبود الشمس ، وزواجه من اميرة أجنبية كان امراً لايمكن ان تتقبله عقلية الشعب فى ذلك الوقت ،

ولكن مصر اصبحت قوة عالمية ، وأدرك المصريون شيئا فشيئا ان هناك بلاداً أخرى متحضرة خارج وادى النيل لابد من الاتصال بها وتوطيد العلاقة معها لأسباب سياسية . وبالنسبة للملك ارتاتاما كان الأمر جديدا عليه ايضا لذلك رفض فى أول الأمر ، ولكنه وافق بعد ذلك على رحيل الأميرة ، واضطرت الزوجة الميتانية الشابة ان تأخذ مكانها بين الزوجات الثانويات للملك .

وفى السنة السابعة من حكمه وقعت ثورة فى النوبة السفلى ، واضطر الملك إلى قيادة جيشه إلى الجنوب ، ويبدو ان هذه الحملة والحملة السابقة على آسيا كانت الأعمال الحربية الوحيدة التى قام بها الملك .

وجاءت اشارات عن نشاطه الحربى فى عدة نصوص ، منها اشارة فى قوائم القرابين التى قدمها الملك إلى المعبود آمون على انه استولى على بلاد النهرين .[١٩٠] وفى مقبرة احد رجاله خع ام حات نرى صورة لتحوتمس الرابع ومن ورائه أوانى من الذهب والفضة جاء بها بعض الآسيويين [١٩١] .

وأخيرا عن نشاطه مع النوبيين فقد سجل على عربته الحربية صراعه معهم .[١٩٢] وقد استن تحوتمس الرابع سنة جديدة عندما زين مقدمة عربته الحربية بمناظر تمثل ساحة القتال ، وقد عثر على هذه العربة فى مقبرته فى وادى الملوك ، وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى [١٩٣] . وسجل معاركه مع النوبيين على لوحة من كونوسو [١٩٤] .

وقد شيد الملك الكثير من الآثار فى الكرنك . وعثر على بعض الأحجار من معبده داخل أساسات الصرح الثالث [١٩٥] . وأقام مسلة كبيرة فى الكرنك كانت قد شيدت اثناء حكم جده تحوتمس الثالث ، ولكنها بقيت غير كاملة على الأرض وهى المقامة حاليا فى روما أمام كنيسة « سان جان دى لاتران » [١٩٦] . وشيد تحوتمس الرابع معبده الجنائزى إلى الجنوب من الرمسيوم ، وقد تهدم ولم يبق منه غير آثار ضئيلة تدل عليه [١٩٧] .

وقد أحدث حكم تحوتمس الرابع تغييراً كبيراً فى التقاليد الفنية ، ويبدو ان تأثير هليوبوليس كان واضحاً ، وادى ذلك إلى تغير بعض القواعد الصارمة التى حافظ

عليها الطيبيون ، فنجد ان الرخاء الكبير الذى جلبته الغزوات عن آسيا أوجد نوعاً من الترف الذى لم يعرفه أهل وادى النيل من قبل ، كما اتسعت آفاق المصريين المادية والفكرية واستحبوا حياة السلام ، وزاد انتشار حضارتهم فى البلاد المجاورة وتطورت علاقات التقارب اللغوى والثقافى والفنى مع جيرانهم . واخذت تلك البساطة التى يتميز بها الطابع الفنى ، تفقد تأثيرها نتيجة للأفكار الأجنبية التى جاءت من الشرق . ونلاحظ فى هذه الفترة ان الفن أخذ يتأثر بالطابع الشرقى وظهرت تعبيرات الرقة فى المناظر التى تمثل النساء أو الرجال فى فن النحت والرسم ، وكانت مصر مليئة فى ذلك الوقت بالأجانب ، حيث كان يعيش فيها المئات من الأمراء الآسيويين الصغار كرهائن أو كمتلقين للعلم والثقافة فى المدارس المصرية قبل ان يعودوا إلى بلادهم وقد تأثروا بالحضارة المصرية وأثروا بتفكيرهم وأذواقهم فى المجتمع المصرى .

بالاضافة إلى ذلك أصبح مستقبل مصر مرتبطاً بآسيا ، ولأول مرة نرى ان السياسة المصرية كانت تخضع للظروف الخارجية للبلاد البعيدة عن وادى النيل . ويمكن اعتبار فترة جديدة ، فترة نرى فيها مصر مضطرة هذه المرة إلى القتال لكى تدافع عن وجودها ضد الولايات الآسيوية التى كانت فى يوم ما تحت سيطرة الملك ، وليس للغزو والفتح .

لم يحكم تحوتمس الرابع سوى تسعة أعوام ، وتوفى فجأة عام ١٤٠٦ ق.م. وكان يبلغ من العمر حوالى ثمانية وعشرين عاماً ، وقبل وفاته احاط كل المعابد برعاية وعناية خاصة . ولاسيما تلك التى كانت تخص الملوك القدماء أمثال سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة ، وأحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت رغبته الكبرى ان يصبح فاتحا كبيرا ، لكن الظروف الدولية بدأت تتغير . وكشف كارتر عن مقبرته فى البر الغربى وهى تحمل رقم ٤٣ وعثر فيها على تابوته الكبير وجزء من اثاثه الجنائزى (١٩٨) .

وحسب رأى انجلباك فى مقالة طويلة خصصها لفترة تل العمارنة ، الذى يرى ان تحوتمس الرابع لم يتزوج فقط موت ام ويا ولكن ايضا من اميرة من دم ملكى تدعى «ايريت » التى ذكر اسمها والقابها فى نقوش سيناء . وانجب تحوتمس من هذه

الملكة ، ابنة هى سات أمون ، التى تزوجت فيما بعد من امنحتب الثالث [١٩٩] .

وعاش فى عصر تحوتمس الرابع كاتب المخازن «نخت » صاحب المقبرة رقم ٥٢ ، وفيها نرى نخت وهو يشرف على اعماله الزراعيه ثم نرى بابا وهمياً بجانبه منظر نخت وزوجته وأمامهما مائدة قرابين . وهى من المقابر الجميلة التى تمتاز بألوانها الحية [٢٠٠] . وهناك ايضا مننا الذى كان كاتباً للضياع الملكية فى الشمال والجنوب وهو صاحب المقبرة رقم ٦٩ ، ونرى على اليسار من المدخل مناظر تمثل الحرث والبذر وتمشيط الكتان والحصاد وكيل القمح [٢٠١] . وايضا جسر كارع سنب الكاهن (المقبرة رقم ٣٨) ، وامنحات «الكاهن المطهر » الذى نشأ وتر بى فى معبد الكرنك [٢٠٢] . وسبك حتب مشرف البحيرة الجنوبية (المقبرة رقم ٦٣) ، وسا ايزه الكاهن (المقبرة رقم ٧٥) ، وثن ونا حامل المروحة (المقبرة رقم ٧٦) ، وحور محب كاتب الملك (المقبرة رقم ٧٨) ، ونب أمون قائد القوات (المقبرة رقم ٦٠) ، ونب سنى كاهن المعبود اونوريس (المقبرة رقم ١٠٨) ، وباى رع الكاهن (المقبرة رقم ١٣٩) ، ورع مسئول الشعارت (المقبرة رقم ٢٠١) ، ومقبرة ثاننى رقم ٧٤ وفيها مناظر هامة لعرض الجنود ، ومقبرة نب أمون رقم ٩٠ حامل علم مركب أمون [٢٠٣]

نب ماعت رع ــ امنحتب الثالث «حقا واست » (١٤٠٨ ــ ١٣٧٢ ق.م) :

ساد القلق البلاط الملكى بعد وفاة تحوتمس الرابع ، لأن ولده الذى انجبه من زواجه الشرعى ، لم يتعد على الاطلاق الاثني عشر عاماً ، وصعود شاب صغير جدا على العرش سوف يؤدى إلى خلق الكثير من المتاعب والصعاب ، وتوفيت الأخت الوحيدة لأمنحتب منذ فترة قصيرة ولم يكن هناك اميرة ملكية وريثة للعرش ، يمكن ان يتزوج الأمير الصغير منها لكى يؤكد حقه فى الصعود على العرش طبقا للعرف المصرى ، وكان لابد من قبول الاوضاع كما هى . وتوج الأمير تحت اسم نب ماعت رع ــ امنحتب الثالث ، وقد قدم سن الزواج بسببه تحت تأثير الاوضاع فى الشرق ونظراً للظروف الخارجية . وبعد اعتلائه العرش مباشرة تزوج الملك الصغير الذى كان يبلغ من العمر اثنى عشر عاما او ثلاثة عشر عاما من فتاة تسمى «تى » وقد اختيرت فى مثل هذه الظروف غير العادية لأنها كانت تحمل بدون شك الكثير من الألقاب من

بين الورثة فى العائلة الملكية .

كان أبوها من النبلاء ومن الطبقة العليا ويسمى «يويا » وامها «تويا » والتى كان يجرى فى عروقها الدم الملكى بلاشك حيث كان يشار إليها فيما بعد ، وكان يطلق عليها لقب « الأم الملكية لزوجة الملك » . ولم تتعد الملكة الصغيرة عند زواجها أحد عشر عاما ، وكانت تتمتع بمكانة خاصة جدا ، فكان يطلق عليها «سيدة الأرضين » وليس أدل على ذلك من احقيتها الكاملة اكثر من غيرها ، فى ان تكون وريثه شرعية طبقا للتقاليد المصرية . وظهرت اكثر من مرة فى التماثيل بحجم كبير مع زوجها وكان ذلك مخالفاً للقواعد الفنية القديمة ممايدل على انها كانت ذات تأثير قوى عليه (٢٠٤) .

وتزوج فى السنة الثانية من توليه العرش ، وسجل احتفالات الزواج على جعارين كبيرة الحجم (٢٠٥) ، وقد تمتع والدا « تى » بتكريم الملك ومازالت آثارهما التى كشف عنها فى جبانة طيبة تدل على مقدار ثرائهما وما تمتعا به من عطف الملك (٢٠٦) .

وفى العام الثانى من الحكم ، كان الملك الصغير قد بلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً أو أربعة عشر عاماً ، وسمح له بالخروج فى أول رحلة للصيد ، وكان فخوراً بهذا الحدث ، ولذلك نقرأ على أحد الجعارين النقش الآتى :
« وقع حدث عجيب لجلالته ـــ يقول النقش ـــ جاء رجل بالقرب من جلالته وقال : « هناك قطيع من الحيوانات المتوحشة فى الصحراء المرتفعة بالقرب من منطقة « شتا » فنزل جلالته إلى النهر فى قارب ملكى بادئا الرحلة السعيدة وفى المساء وصل سالما معافى ، وفى الصباح التالى أقبل جلالته على ظهر الحصان (أى على عربته) فى منطقة شتا مع كل مرافقيه من خلفه، على حين صدر الأمر إلى الضباط العسكريين وأيضا المدنيين وأطفالهم بمراقبة الحيوانات المتوحشة وعندئذ أمر جلالته بان تدفع هذه الحيوانات المتوحشة داخل حاجز ، وأمر أيضا بان تجمع وكانت تبلغ مائة وسبعين رأسا وقد تم صيد هذه الحيوانات عن طريق القوس وبأسهم طويلة » .

وبدون شك ساهمت كل مجموعة من الصيادين فى عملية الصيد بدور كبير وقد ترك النصيب الأكبر للملك الصغير تكريما له ويستمر النص قائلا :

« بعد ذلك استراح جلالته أربعة أيام لكى تستعيد خيوله نشاطها وحيويتها ، ثم أقبل مرة أخرى على حصانه وكان عدد الرؤوس التى قتلت فى هذه الرحلة عشرين رأسا ، مما كان يمثل فى النهاية ستا وسبعين رأسا ، ذلك غير الأخرى التى ولت هاربة » (٢٠٧) . وقد ترك لنا ذكرى صيد الحيوانات المتوحشة بالقرب من قنا على مجموعة من الجعارين أيضا (٢٠٨) .

بالغ الملك فى تكريم الملكة تى فأمر بان تحفر لها بحيرة فى المنطقة المنخفضة فى بركة مدينة هابو التى تقع إلى الجنوب من المعبد الكبير المسمى بهذا الاسم ، وإلى الشرق قليلا شيد الملك قصره (٢٠٩) ، وكان مبنيا من الطوب اللبن والخشب ، ففى السنة الحادية عشرة من حكمه (١٣٩٦ ق.م.) فى فترة فيضان النيل أرادت الملكة تى ان تحفر لها بحيرة إلى الشرق من القصر وتغذيها مياه الفيضان .

وقد اشترك فى حفر هذه البحيرة آلاف العمال ، وبعد ستة عشر يوماً من العمل المتواصل تدفقت المياه إلى البحيرة ، وقام الملك والملكة بعمل جولة فى البحيرة بالقارب الملكى ، وعمقت هذه البحيرة فيما بعد ، وزرعت الأشجار من حولها (٢١٠) . وتقع هذه البحيرة فى المنطقة المنخفضة فى بركة مدينة هابو التى تقع إلى الجنوب من معبد مدينة هابو . وجاء ذكر حفر هذه البحيرة للملكة تى على مجموعة من الجعارين (٢١١) وهناك مجموعة أخرى من الجعارين تمثل حدود مصر ، واحتفاله بعيده الثلاثينى .

انجبت الملكة تى العديد من البنات وفى السنة الرابعة والعشرين من الحكم انجبت ابنا اطلق عليه اسم امنحتب . وفى الوقت أرسل العديد من الملوك والأمراء الأجانب بناتهم إلى مصر لكى يصبحن زوجات ثانويات للملك ، ونذكر على سبيل المثال الأميرة الميتانية « جليوهيبا » ابنة شوتارنا التى وصلت ومعها ثلثمائة وسبعة عشر من حريم الشرق (٢١٢) وتزوجت من الملك ، ولكنها نحيت إلى الصف الثانى بواسطة الملكة تى فيما بعد (٢١٣) . وهناك رأى قائل بان زواجه من جليوهيبا لم يتم لكبر سنه . وبعد وفاة شوتارنا تولى الملك بعده ابنه توشراتا فارسل إلى ملك مصر أميرة صغيرة السن وهى تادوهيبا فى الوقت الذى كان فيه امنحتب الثالث مريضا متهدماً (٢١٤) .

ويقال أنه طلب من أحد امراء سوريا ومن أمير أورشليم ان يرسلوا إليه بعض الفتيات ليصبحن زوجات ثانويات له (٢١٥).

وكتب ملك بابل كادا شمان انليل الأول إلى امنحتب الثالث، يعتذر له بانه ليست له إبنة يرسلها عروساً إليه، ويرجو فى الوقت نفسه بان يزوجه من احدى بناته، فاعتذر امنحتب بحجة أنه لم يسبق ان ارسلت أميرة مصرية إلى أى انسان. فعاد الملك البابلى والح عليه بان يختار له فتاة من قصره (٢١٦).

ومن عصر هذا الملك هناك لوحة المتحف المصرى رقم JE. 31418 CGC 34025. التى اغتصبها مرنبتاح بعد ذلك ووضعها فى معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة حتى عثر عليها بترى هناك عام ١٨٩٦. وسجل امنحتب الثالث على وجه اللوحة الأمامى نصاً من ٣١ سطراً يتحدث فيه عن نشاطه المعمارى والحربى (٢١٧) وسجل مرنبتاح على ظهر اللوحة نصاً آخر تحدث فيه عن أعماله الحربية.

واذا نظرنا إلى ما جاء على هذه اللوحة من مناظر ونصوص، فنرى على وجه اللوحة الأمامى منظرا مزدوجا يمثل الملك امنحتب الثالث وهو يقوم بتقديم ماء التطهير والنبيذ فى الآنية « نو » إلى آمون رع. ويلى ذلك النص الذى يتحدث فيه الملك عن أعماله. وتعرض هذا النص للتشويه لمحو اسم آمون وذلك فى عهد امنحتب الرابع ثم رمم من جديد وأعيد كتابته فى عهد سيتى الأول (٢١٨). وفى الواقع لم يبق من النص الأصلى سوى الأسطر الأربعة الأخيرة وستة قبل ذلك. أما باقى النص فقد أعيد كتابته. (٢١٩) ومن هنا جاءت صعوبة ترجمة هذا النص لأن الأعمال التى قام بها الملك متداخله، وأحيانا من الصعب فهم ترتيب هذه الأعمال، فهل هى جميعا فى معبده الجنائزى فى البر الغربى أو أن بعضها فى معبد الأقصر والكرنك (٢٢٠).

ونظراً لأهمية هذا النص فاننا نعطى ترجمة للأسطر التى تتحدث عنها الأعمال المعمارية التى قام بها الملك فى معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة وفى معبد الأقصر والكرنك (٢٢١).

فنقرأ فى السطرين ٢ ــ ٣ :

« ومما شيده كاثاره لأبيه آمون سيد عروش الأرضين ، ان شيد له معبداً فخماً على الضفة الغربية لطيبة ، (وجعل منه) حصناً لكل الأبدية والدوام ، من أجود (أنواع) الحجر الجيرى من كتل ذات حجم كبير ، وزين جميع أجزائه بالذهب . وأصبحت أرضيته نقية بفضل الفضة (أى حلى أرضيته بالفضة) ».

وفى السطرين ٨ ــ ٩ :

« ... باحثاً عن الأعمال الصائبة لأبيه آمون رع ملك المعبودات فشيد له صرحاً مرتفعاً جداً (فى الكرنك) يطلق عليه « الذى يوجد أمام آمون » وأعد جلالته مقصورة لآمون تحمل تمثاله. أنه مكان الراحة لسيد المعبودات فى عيده للوادى ، وأثناء رحلة آمون للغرب لرؤية معبودات الغرب ... » .

وفى السطرين ١٠ ــ ١١ :

« ... وكان راضياً عن المنشآت من أجل أبيه آمون رع ، سيد عروش الأرضين فى الحرم الجنوبى (الأقصر) من الحجر الرملى والتى وسعت وكبرت بدرجة كبيرة وازدادت (جمالا) على جمالها . وكانت جدرانها (مغطاة) بصفائح من الذهب الخالص ، وأرضيتها من الفضة وكل أبوابها أعدت بأعمال الترصيع الخاصة بها ... » .

وفى السطر ١٦ :

« ... وجددت الآثار لمن وهبنى الحياة آمون رع ، سيد عروش الأرضين القائم على عرشه. وصنعت له قارباً كبيراً فى المرسى (اسمها) : «آمون رع ام وسر حات » من (خشب) شجر الأرز ... »

ويوجد حتى الآن بقايا الأعمال المعمارية التى قام بها الملك فى معبدى الأقصر والكرنك ، أما معبده الجنائزى فقد تهدم تماماً ، وعثر رجال الآثار بصعوبة بالغة على اساساته القديمة . وأمام بقايا هذا المعبد يوجد تمثالان كبيران للملك يمثلانه جالساً ، يقفان على جانبى المدخل الرئيسى ، ويبلغ ارتفاع كل منهما تسعة عشر متراً . وقد نحتا من كتلة واحدة من الحجر الجيرى ويسميان اليوم بتمثالى ممنون [٢٢٢] ، وقام المهندس امنحتب بن حابو الذى كان اصلا من أقليم اتريب بتشييد هذا المعبد ،

وأقيم خلف تمثالى ممنون لوحة كبيرة ، وقد حصل امنحتب بن حابو من الملك على حق تشييد معبد له بجوار معبد الملك (٢٢٣) . وهذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هذا التكريم ، (٢٢٤) وكان امنحتب بن حابو معروفاً طوال حياته بالحكمة . وقد قدس فى عصر الرعامسة وفى المعابد البطلمية ، وفى منطقة طيبة نجد أنه أصبح محل تكريم مع ايمحوتب ونسبت إليهما المعجزات والكرامات (٢٢٥) .

ويحدثنا النص السابق فى الأسطر ١١ ـــ١٧ عن أعماله فى معبد الأقصر . ويرجع الجزء الرئيسى من معبد الأقصر ، أى بهو الأعمدة إلى عصر هذا الملك ، وقد شيده مكان معبد قديم من الدولة الوسطى ، وخصصه لعبادة ثالوث طيبة الذى يتألف من آمون رع وموت وابنهما خونسو .

ويعد هذا البهو من أجمل الآثار المصرية (٢٢٦) بفنائه الكبير المحاط بأروقة بأعمدة ضخمة ، وقد نحتت نحتا دقيقاً على هيئة حزم البردى التى لم تتفتح اكمامها بعد . وسجل الملك على جدران احدى القاعات قصة ميلاده المقدس مصورة ومكتوبة بمراحلها المتعددة كما فى معبد الدير البحرى من عصر الملك حتشبسوت ، وتحكى هذه القصة ان أباه قد ارتدى ثوب المعبود آمون وان هذا الأخير تمثل بشراً لأمه موت ام ويا وانجب من هذا اللقاء ذكراً اطلق عليه اسم امنحتب .

وبعد ذلك يلى ممر طويل على جانبيه أربعة عشر عموداً على هيئة سيقان البردى ، وقد تفتحت أكمام زهراتها ، وزينت جدران هذا الممر بمناظر تمثل عيد الأوبت من عصر الملك توت عنخ آمون وحور محب .

وأقام من أمام الصرح الأول لمعبد الأقصر حتى معبد الكرنك ، طريقاً عريضا ـــ عرضه ٢٤ متراً ـــ وأقيمت على جانبيه تماثيل فى صفين على هيئة أبى الهول برأس كبش وكان يوجد على جانب كل صف حوالى خمسمائه تمثال ضخم ، أى أنه كان هناك ألف تمثال من هذا النوع (٢٢٧) .

ويعد هذا الطريق من أجمل التحف الفنية نظراً لطوله وسعته وأيضا لدقة العمل الفنى فيه، فخرج عملا رائعا لا يشابهه أى بناء فى العالم القديم .

ويحدثنا النص السابق فى الأسطر ١٨ ــ ٢٠ ، ٢١ ــ ٢٦ عن أعماله فى القارب المقدس لآمون ، وكيف أنه شيد قارباً كبيراً من خشب الأرز لهذا المعبود . كما يحدثنا النص بعد ذلك عن أعماله المعمارية فى معبد الكرنك . فقد قام امنحتب ببناء الصرح الثالث فى معبد الكرنك ، وقد استخدم هذا الصرح كواجهة لمعبد الكرنك حتى عصر حور محب . وقد عثر على قطع خشبية داخل الصرح الثالث وعليها اسم الملك امنحتب الثالث وكانت تستعمل لربط الأحجار (٢٢٨) . وكانت الأوجه الخارجية لهذا الصرح مزينة بمناظر تمثل مواكب القارب المقدس لآمون . ومثل الملك امنحتب وهو يقضى على أسير راكع . وأمام هذا الصرح كان يوجد فناء صغير من عهد هذا الملك .

وعثر فى الطرف الجنوبى لمعبد الكرنك على عدة تماثيل للمعبودة سخمت انثى الأسد ، وشيد مقصورة للمعبودة موت (٢٢٩) . وبالمتحف المصرى تمثالان كبيران يمثلان امنحتب الثالث وزوجته تى (٢٣٠) . ومن أجمل المعابد الصغيرة المحاطة بالأعمدة (جوسق) ذلك الذى شيده امنحتب الثالث فى جزيرة الفنتين ولكنه هدم فى القرن التاسع عشر ميلادية (٢٣١) . وقام بتشييد معبد فى صولب فى شمال الشلال الثالث (٢٣٢) وكان معبد صولب مخصصاً للمعبود آمون ، وأقام أمام هذا المعبد مسلتين لم يبق منهما شئ يذكر . ويبدو أن الملك كان محل تكريم فى صولب هو وزوجته .

وفى منطقة سدنجا قام الملك بتشييد معبد للملكة تى (٢٣٣) ، وقام أيضا بتشييد مقصورة للعجل المقدس أبيس فى منف ، وكان لامنحتب الثالث أيضا قصر فى منف حيث كان يقضى فيه بعض الوقت وزوده ببحيرة ، وآخر فى مدخل الفيوم ، وربما قصر ثالث فى طيبة شرقى النيل (٢٣٤) .

ويبدو أنه بفضل السياسة الخارجية الناجحة لتحوتمس الثالث ، أصبح الوضع فى عهد امنحتب الثالث مستقراً إلى حد ما فى آسيا بين ميتانى وحيثا وكذلك فى بلاد النوبة .

ومن جهة أخرى لم يكن امنحتب بطبيعته رياضياً ولا عسكرياً لذلك فقد كان

نشاطه الحربى محدوداً . وعلى الرغم من ذلك فان النص السابق يشير فى السطر ٢٣ إلى حملة قام بها الملك لمعاقبة الزعيم الكوشى . ويعتقد بعض العلماء أنها كانت الحملة الوحيدة التى قام بها الملك فى العام الخامس من حكمه للقضاء على ثورة فى الجنوب . ويعتقد د. صالح أن جيوش امنحتب الثالث قد خرجت فى بداية حكمه فى جولة تفتيشية إلى الشام ، وهذا مشكوك فيه ، وانها خرجت فى جولة أخرى إلى بلاد النوبة [٢٣٥] . أما د. فخرى فيعتقد أن امنحتب الثالث قد قضى ستة وثلاثين عاما على العرش ولم يرسل خلالها إلى آسيا حملة واحدة أو حتى يفكر مرة واحدة فى زيارة اجزاء ملكه الواسعة فى آسيا لأن الأوضاع السياسية فى الخارج كانت مستتبة هناك على عهده . [٢٣٦] ولكن من قراءة النص يمكن القول بان الملك قام بحملة فى الجنوب فى العام الخامس من حكمه لمعاقبة بعض القبائل الزنجية هناك والتى قامت بالثورة ووصل فيها حتى كاراى وهى حدود لم يصلها أحد من قبل [٢٣٧] .

اشتد النزاع الدينى طوال فترة حكمه ، وكان هذا مصدراً لانزعاج البلاط فى طيبة ، ونذكر ان كهنة معبود الشمس رع فى هليوبوليس قد عملوا على أن يصعد تحوتمس الرابع على العرش وكان فى ذلك محاولة للحد من نفوذ كهنة آمون فى طيبة . وقد عملوا منذ البداية على الجمع بين المعبودين آمون ورع تحت اسم آمون رع . ويبدو ان امنحتب الثالث قد وقع تحت تأثير آمون وبقيت الملكة تى فيما يبدو فى جانب كهنة رع الذين تقرب عبادتهم من العبادات السائدة فى بلاد أخرى وخاصة فى آسيا وبالضرورة فهى تلائم ضروريات العصر أكثر من عقيدة المعبود آمون . واهتمت الملكة ومعظم رجال البلاط بعقيدة جديدة هى عقيدة آتون ورأوا فيها تعبيرا جديدا ومتطوراً لديانة الشمس القديمة فى هليوبوليس .

قوبل هذا الاتجاه الجديد بالمقاومة الشديدة من جانب كهنة آمون الذين رأوا فى الديانة الجديدة تصوراً لاتجاهات جديدة نتجت عن تطورات ذلك العصر من الاندماج والاختلاط بالأجانب ؛ ودخلت هذه الاتجاهات فى الفكر وفى الفن وفى كل شئ بوجه عام ولذلك كانوا يعارضون هذه الاتجاهات الجديدة ويؤيدون النزعة القومية التى تدعو المصريين إلى الحذر من كل الأفكار الأجنبية .

وكان المؤيد الكبير لكهنة آمون فى هذه الفترة ، هو رجل الدولة والحكيم امنحتب بن حابو ، الذى عرف أيضا عند اليونانيين الذين اطلقوا عليه اسم امنحتب بن بابيس (٢٣٨) . وطبقا لمانيتون ان امنحتب هذا قد نصح الملك بان يخلص البلاد عن بعض الأشخاص « غير الطاهرين » الذين كان ينتشر بينهم أعوان آتون .
ويبدو انه انتحر عندما تبين ان اراءه لم يؤخذ بها .

وكان البلاط مهتما كثيراً بالأفكار الدينية الجديدة أكثر من الأوضاع السياسية والمشاكل الأدارية الأخرى ، وتعكس لنا لوحات المهندسين : « سوتى وحور » أسرار وحقيقة المعبودات وآخرين مثل مدير الشون « بكى » الذى يعبر عن القيم والطرق السليمة التى تؤدى إلى الحياة الأخرى ، ويبدو ان الملك قد اهتم بالمشكلات الدينية التى عاشتها البلاد أكثر من اهتمامه بالمشكلات الادارية .

وعندما توفى الملك دفن فى مقبرته فى وادى الملوك فى البر الغربى وهى تحمل الآن رقم ٢٢ ونجد فى حجرة الدفن مناظر من كتاب ما يوجد فى العالم الآخر. (٢٣٩) وتدلنا الوثائق التى لدينا عن هذه الفترة ، ان الحكيم امنحتب بن حابو قد توفى وهو فى بداية العام الخامس والثلاثين من حكم الملك .

وان الملك أقام له مقصورة بقيت أجزاؤها حتى الآن . وكان هذا المؤيد العجوز الصعب الموالى لكهنة آمون — فى الواقع — مكروها جدا من اعضاء الحكومة حتى انه كان يخشى على مقصورته من السلب والنهب . ولذلك قام الملك بعمل تحذير عن طريق الكتابة يتوعد فيه بالعقاب الشديد كل من يهدم هذا المكان أو ينهب الهبات التى خصصت له. وكان هذا هو آخر أعمال امنحتب الثالث ، وتوفى بعد ذلك بست سنوات (أى عام ١٣٧٢ ق.م.) ، ويبدو انه اقصى عن العرش أو سجن فى القصر واصبحت الملكة تى هى الحاكمة ، ومن المحتمل انه كان مريضا أو أصيب بمرض عقلى أثناء هذه السنوات . وهذا يفسر — بدون شك — اختفاءه من الحياة العامة ، وارسل إلى الملك بعثة بتميمة للمعبودة عشتار من شمال سوريا على أمل ان يشفى من امراضه (٢٤٠) ، ولكن المعجزة لم تتحقق ويبدو انه توفى متأثرا بمرضه. ومن فحص مومياته اتضح انه كان مريضا باسنانه، وتدل ايضا على انه قد توفى وهو أقل بقليل من

سن الخمسين [٢٤١]

ومن أهم رجال عصره « خرواف » صاحب المقبرة رقم ١٩٢ والذى كان يشغل وظيفة كاتب الملك ، والوزير « رع موسى » صاحب المقبرة رقم ٥٥ ، ونرى فى هذه المقبرة صورة للملك امنحتب الرابع الذى جلس تحت مظلة وهو يتلقى الأزهار من رع موسى [٢٤٢] ، وخع ام حات المشرف على الصوامع وصاحب المقبرة رقم ٥٧ ، وسور رع [٢٤٣] رئيس الاستقبالات وصاحب المقبرة رقم ٤٨ ، وخيتى حامل الختم الملكى وصاحب المقبرة رقم ٣١١ ، وايبى حاكم المدينة والوزير صاحب المقبرة رقم ٣١٥ .

ساد حياة القصور طابع الرقة والفخامة فى الذوق وخاصة عند الأغنياء فى هذا العصر أكثر من أى عصر مضى عرفته مصر ، فقد زاد جمال المدن الكبرى مثل طيبة ومنف اللتين أصبحتا أكثر فخامة مما كانتا عليه . واذا قدر لنا دخول أحد المنازل الكبرى من منازل أهل هذا العصر ، لوجدنا ان الجدران كانت مزينة برسومات غاية فى الدقة . فعلى الأسقف فوق طبقة من اللون الأزرق الفاتح كان يرسم حماماً أبيض وفراشات فى أوضاع مختلفة ومتعددة ، وعلى الأرضية نرى مناظر البط البرى بمختلف أشكاله يظهر بين نبات البوص واللوتس الملون ، على حين نجد فى الماء الأزرق الأسماك الملونة الجميلة ، وعلى الجدران نرى صور الحيوانات البرية التى تظهر بين الأشجار والطيور التى تحلق فوق الأزهار الحمراء .

وأحيانا نجد ان سقف كل حجرة كان مزيناً بما يمثل حبات العنب التى تتدلى من الفروع الخضراء ، وملونة باللون الأخضر والأزرق ، على حين نجد أن الأعمدة التى تحمل السقف قد نحتت بدقة ، ولونت بألوان ناصعة وزينت بالأزهار والخطوط المتعددة . وعثر فى حطام أحد القصور على بقايا آلاف من أوانى النبيذ وآلاف من الفخار المطلى باللون الأزرق ، واخرج لنا فنان هذا العصر بعض الأوانى من الذهب والفضة فى شكل دقيق ، وكانت مزينة بالرسومات وكذلك الموائد ، وأيضا السرر والمقاعد تكسوها وسائد محلاة بألوان بالزينات المختلفة . وكانت الحدائق مملوءة بالأزهار والأشجار التى جئ ببعضها من سوريا . وكان كل بيتٍ ذى أهمية مزوداً ببحيرة صناعية ، مملوءة بالأسماك ويغطيها نبات البشنين . وأصبحت الملابس أكثر

تعقيداً ، وأصبح النبلاء يرتدون ملابس من قماش الكتان الخفيف الرقيق ، ويحمل النساء والرجال الشعور المستعارة ، وفى كل اجتماع وحفل كانت تسمع انغام الموسيقى ، وينشد المغنيون والمغنيات والراقصات ويعزف صاحب القيثارة وضارب الغاب ، وكان كل هؤلاء يقومون بالترفيه عن المدعوين .

وكان الأمراء والنبلاء يسيرون فى الطرق بعربات مغطاة بصفائح الذهب يشدها الخيل ، وكان الملك والملكة يتنزهون أحيانا فوق كراسى محمولة على أكتاف الخدم ومطعمة بالذهب والفضة ، على حين تعلوهم المراوح الضخمة ذات المقبض الطويل من ريش النعام ويحرق البخور أمامهم [٢٤٤] .

نفر خبرو رع ، وع ان رع ــ امنحتب الرابع [٢٤٥] (١٣٧٢ ــ ١٣٥٤ ق.م.) :

الابن الوحيد لأمنحتب الثالث والملكة تى ، وكان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً عندما توفى أبوه عام ١٣٧٢ ق.م. وتعددت الآراء حول ما اذا كان قد شارك والده فى الحكم فى الفترة الأخيرة أو لا أو هل تولى العرش بعد وفاة أبيه مباشرة [٢٤٦] أو أنه قد تنازل عنه لابنه [٢٤٧] (؟) .

وعلى أية حال فقد تولى امنحتب الرابع العرش ، وكما فعل أبوه ، نجد أنه قد تزوج وعمره اثنا عشر عاما وعلى الرغم من وجود فتيات كثيرات ممن يحملن لقب الأخت ، إلا انه لم يتبع العادة القديمة التى ترغم الملك على الزواج بالتى تحمل لقب الأخت الكبرى ، الوريثة الشرعية للملك ، بل اختار زوجة لم تكن تمت بأية صلة للعائلة الملكية وكانت تسمى نفرتيتى ، ويبدو انها كانت ابنة أحد كبار النبلاء المصريين وكان يدعى آى والذى سوف يحمل فيما بعد اسم « آى ، حما الملك » [٢٤٨] . أما عن امها فقد توفيت ، وكانت الزوجة الثانية لآى وتسمى تى وكان يطلق عليها لقب « المرضعة الكبرى » أو « الأم المرضعة للملكة » .

ويبدو ان نفرتيتى كانت هى أيضا قد تزوجت وهى صغيرة السن ، حوالى ثلاثة عشر عاماً وعندما بلغت ستة أو سبعة عشر عاما رزقت بطفلها الأول وكانت أنثى ، وسوف نرى الملك الشاب يتخذ فيما بعد زوجات أخريات ، من بينهما أميرة ميتانية [٢٤٩] تسمى « تادوهيبا » ابنة أخت جالوهيبا الأولى التى تزوجت من امنحتب الثالث

وفى الواقع ان امنحتب الرابع أصبح مشهوراً فى التاريخ العالمى تحت اسماء عديدة [٢٥٠] : « الملك الذى غير الديانة » أو « الملك الذى فصل الديانة » فتحت حكمه اصبحت الديانة هى المفضلة عن كل شئ من أمور الدولة ، ولا يجب ان نعتقد بانه كان على الديانة ان تنتظر عصر امنحتب الرابع لكى تلعب دوراً فى الحياة السياسية فى مصر ، فالاصلاحات الدينية بدأت تأخذ دورها إلى حد ما نتيجة أفكار ظهرت ، أو كانت معروفة تحت حكم امنحتب الثالث .

ويمكن القول بانه منذ صغره ، تربى امنحتب الرابع فى احضان عقيدة آتون وعندما ارتقى العرش ، منح اللقب الشرفى ومسئولية الكاهن الأكبر لمعبود الشمس — أو بمعنى ادق — ان هذا الشرف قد اعطى للتاج كما حدث بالمثل فى عصر الأسرة الخامسة . فمنذ بداية الأسرة الثامنة عشرة كان كهنة آمون يلعبون دوراً هاما فى الحكومة . ومن هنا بدأ كهنة آمون يشعرون بكثير من الضيق ، وساد القلق بين صفوفهم عندما أعلن الملك تشييده لمعبد للمعبود آتون فى داخل نطاق السور المحيط بمعبد الكرنك ، فى شرق معبد آمون رع [٢٥١] . ولم يكد ينتهى من هذا المعبد ، حتى بدأت العاصفة تهب ، ولا نعرف ما الذى حدث على وجه التحديد ، ولكن فى بداية السنة الرابعة من الحكم أى فى عام ١٣٦٨ ق.م. عندما بلغ الملك سن السابعة عشرة [٢٥٢] . قرر فجأة ان يترك طيبة ويبنى عاصمة جديدة حيث لا تصبح فيها عقيدة آتون عرضة للاضطرابات ، وشيد فيها معبدين لمعبوده آتون [٢٥٣] ، وفى الوقت نفسه غير اسمه من امنحتب إلى اخناتون [٢٥٤] ، آخ — ان — آتون أى « المفيد لآتون أو الملائم لآتون أو الصورة المشعة لآتون » [٢٥٥] وذلك لكى يبين انه قطع كل الصلات التى تربطه بمعبود طيبة الكبير .

وبعد ان غير اسمه إلى اخناتون عمل على محو اسم آمون من كل النصوص والآثار وخاصة الخانات الملكية التى تحمل اسماء الملوك السابقين وتتضمن اسماءهم اسم آمون : امنحتب الأول ، والثانى ، والثالث . ومنذ البداية حتى السنة الخامسة من الحكم ، كان امنحتب يستخدم اسم آمون فى اسمه كما شوهد ذلك على لوحة من الحجر الرملى فى جبال السلسلة [٢٥٦] . وكان من المباح ايضا ذكر اسماء

المعبودات القديمة والتى يعترف لها بالوجود ، ولم يغلق المعابد القديمة فى الأقاليم الأخرى فى مصر ، ومن الغريب انه ليس هناك ما يشير إلى حرب أهلية وقعت بينه وبين كهنة آمون لأنه كان يميل إلى السلم فلم يثر حرباً أو يشهر سلاحاً .

ومن المحتمل أيضا أن « ثورة » اخناتون الدينية كان سببها سياسيا . ولا نقصد من وراء ذلك القول أن اخناتون لم يكن مخلصاً فى اتجاهه الدينى ، بل من المؤكد أنه كان راهباً متعبداً ولكن ليس لدينا وثائق كافية ومؤكدة لكى نخرج برأى ما فى هذا الصدد ، وكان من الواضح ان تخطيطه فى بداية الأمر كان يهدف إلى اثارة جماعة كهنة آمون ، ثم بعد ذلك عن طريق حركة ثورية حقيقية عمل على القضاء على ديانة المعبود آمون وذلك بغلق معابده ، وتفريق كهنته ، ولم يكتف بهذه التصرفات الأولية ولكن هجر طيبة واستقر هو وحكومته وأعوانه فى تل العمارنة فى مصر الوسطى ، وهى تقع على الشاطئ الشرقى للنيل بين المنيا وأسيوط ، على بعد بضعة كيلو مترات محاجر حاتنوب للمرمر . وهى تدين باسمها إلى قبيلة بنى عمران الذين استقروا فيها منذ قرنين تقريبا [٢٥٧] . وقد اطلق على المدينة الجديدة اسم « أخت آتون » وتهدمت المدينة بوفاة اخناتون .

وفى الواقع ان كلمة آتون استخدمت بكثرة فى عهد امنحتب الثالث ، فمثلا اطلق اسم آتون على القارب المقدس الذى كانت تستقله الملكة تى فى البحيرة الملحقة بالقصر اذ سمى « آتون يلمع » [٢٥٨] .

ومن الغريب ان المعبودات الأخرى التى كانت موجودة إلى جانب المعبود آمون وكان لها تماثيل ومقاصير لم تتعرض لنفس المصير من الاضطهاد ، أو ان المصريين أنفسهم نبذوا التقرب إلى هذه المعبودات . ولكن كان المعبود الرئيسى هو آتون ، الذى يتمثل فى قرص الشمس نفسه ، أى الدائرة المضيئة ، وهو يختلف عن رع الذى يعيش فى داخل قرص الشمس .

وأصبحت هذه العقيدة الجديدة من الآن فى كامل تطورها ، وكان آتون يسمى أيضا بالقوة النشطة أو النشاط الذى يظهر فى الشمس نفسها وفى ضوئها الحار الدافئ ،

أى القوة التى يعيش منها رع نفسه، وتقرب هذه العقيدة بين الأفكار الدينية المصرية والأفكار الدينية السائدة فى سوريا حيث كان يعبد الشمس فى معظم المناطق تحت اسم « أوهون » أو « آدون » بمعنى « السيد » .

والديانة الجديدة ليست فى حاجة إلى تماثيل على الاطلاق للتقرب إلى المعبود ــ فهو معبود ظاهر ــ وتؤدى الطقوس إليه فى الهواء الطلق وهى موجهة إلى ذلك المعبود مباشرة الذى يشرق فى الأفق ويرتفع فى السماء . فعقيدة آتون كانت أكثر تطوراً من المعتقدات الأخرى السائدة فى الفترة نفسها ، فقد اعترف اخناتون فى البداية بالمعبودات الأخرى [٢٥٩] ، وربما أراد فى قرارة نفسه ان يتخلى كلية عن المعتقدات والخرافات ومن النادر ان نجد من بين هؤلاء الذين عاصروا الجيل القديم من يستطيع ان يقاسمه عمق وصفاء تفكيره ، وكان الملك الشاب يعلم ان آتون لايمكن لمسه ولا يمكن رؤيته ولكنه موجود فى كل مكان ، فهو أب وأم لكل البشر فى وقت واحد ، وهو يمكن ان يظهر عن طريق ضوء الشمس الذى يتغلغل فى كل مكان ، وعلى الرغم من هذا فليس آتون هو هذا الكوكب ، وكما لايمكن تحديده فانه يمكن ان يكون « القوة الخفية التى خلف الشمس » والتى هى مصدر هذا النشاط الحيوى الذى يصل إلينا على الأرض بفضل حرارة أشعة الشمس التى تبعث الحياة وتقوى كل شئ وتنميه. ولم يكن لآتون أية هيئة آدمية ولايمكن أن تنحت له التماثيل أو يصور على هيئة ــ فهو معنى روحى ــ تكمن فيه العدالة والخير ، والحب والسعادة المطلقة ، وكل ما هو سعيد على الأرض جزء من طبيعة آتون . فالحب ، والاستقرار ، المتعة والضحك والسرور ، وهدير المياه وقصف الرياح وفاكهة الأرض وخيراتها والأزهار وجمال الطبيعة وشقشقة الطيور ، فما كل هذا إلا صدى لطبيعة آتون . وقد رأى بعض العلماء انه كان هناك تأثير أسيوى فى هذه الديانة ، على حين يرى البعض الآخر ان الملك قد اعتنقها عمداً لكى يستطيع ان يوحد من خلالها بين اطراف مناطق النفوذ المصرية فى آسيا فى هدف دينى واحد . وان عبادة الشمس تتناسب بسهولة مع الاتجاهات الدينية السائدة فى انحاء مناطق النفوذ المصرية ، وكانت ذات أهداف بعيدة . ويمكن ان نلخص مبادئ واتجاهات اخاتون فى النقاط الآتية :

١ ــ ان اخناتون كان مخلصاً فى دعوته الدينية ، ويتضح من كل هذا المجهود ان

الديانة التى اراد نشرها فى مصر تبين الرغبة والميل إلى التوحيد ، وشيئاً فشيئاً نجد ان اخناتون فرض على الذين اتبعوه فى مدينة « افق آتون » عبادة واحدة مطلقة ، وهو كان يهدف بذلك إلى القضاء نهائياً على تعدد المعبودات فى جميع الأقاليم المصرية .

٢ ــ نجد ان الملك لم يبد أى اهتمام فى الواقع بالسياسة الخارجية من الناحية العسكرية ، بل على العكس انشغل كثيراً بأمور الديانة فى الداخل على حساب تدهور الوضع السياسى فى الخارج كما سوف نرى فيما بعد .

فقد اعتقد بحسن نية انه يستطيع ان يحافظ على سلطاته فى كل سوريا العليا وذلك عن طريق ربط تلك الشعوب بعقيدة آتون ، وكان يفكر فى وحدة الشعوب المختلفة عن طريق الاتجاه نحو عقيدة واحدة ، هى عقيدة آتون ، الظاهر للجميع ، فالأشعة المتفرقة التى تخرج من قرص الشمس ما هى إلا أيدى مقدسة تحمل الحياة إلى الكون بأسره ، وكان الملك يعتقد أنه قادر بدون شك على توحيد هذه الشعوب لكى يسود السلام بينهما بدلاً من الحروب .

وكما شيد مدينة الأفق من مصر الوسطى ، فانه كرس لنفس المعبود مدينتين فى أقصى شمال وجنوب البلاد تحت اسم با ــ جم ــ آتون . ونحن لا نعرف أين تقع المدينة الشمالية ؟ أما الجنوبية فمكانها الحالى هو بلدة « سزبى » فى السودان (٢٦٠) . وكان يتمنى ان يؤلف بين السكان فى تلك المناطق الجنوبية التى يحكمها أوله سيطرة عليها ، وذلك بمنحهم ديانة موحدة قائمة على الحب والسعادة ، ولكن مثل هذا الأمر لم يحدث فى كل التاريخ القديم .

٣ ــ ان عقيدة آتون أو قرص الشمس لم تكن من اقتراحه الشخصى ، وكانت نواة هذه العقيدة موجودة من قبل عند بعض الملوك السابقين ، وأيضا اسم آتون الذى يتمثل فى قرص الشمس قد ظهر من قبل فى نصوص الأهرام من الدولة القديمة .

٤ ــ يبدو ان بعض الكهنة المصريين قد لعبوا دوراً هاماً فى ثورة اخناتون الدينية .

٥ ــ انه من الواضح أيضا ان هذه الثورة لم تكن طويلة الأمد بل على العكس كانت قصيرة جدا ، وربما أيضا ان عقيدة آتون قد أهملت اثناء حياة الملك اخناتون

نفسه، ويبدو ان زوجته نفرتيتي قد لعبت دورا هاما فى الثورة التى تزعمها زوجها . وان كانت قد بدت غير متحمسة فى أول الأمر لاعلان العقيدة الجديدة ، إلا انها ظلت على أية حال ، أكثر الوقت على العهد مخلصة وموالية لهذه العقيدة أكثر من زوجها نفسه.

٦ ـ ان العقيدة قد انهارت بعد وفاته لأنه كان يعد نفسه حلقة الوصل بين المعبود ومخلصين (٢٦١) ، ومنهم من لم يؤمن ايمانا صادقا بهذه العقيدة .

وبعد وفاته مباشرة نجد ان كهنة آمون قد استعادوا كل نفوذهم السابق . وفقد خلفاء اخناتون كل هيبتهم فيما عدا واحد فقط هو حورمحب الذى أخذ كهنة آمون ينظرون إلى ولايته بعين الحذر (٢٦٢) .

كانت أسرة اخناتون تتكون ـ قبل الرحيل إلى تل العمارنة ـ من الملك والملكة نفرتيتى والأميرة مريت آتون وبعد ذلك أنجبت الملكة بنتين أخريين هما مكت آتون وعنخ اس ان با آتون .

ـ وفيما بعد ـ أعلن كهنة آمون ، أنهم طردوه من طيبة هو وبلاطه ومعاونيه وكانوا حوالى ثمانين ألف شخص (٢٦٣) ،ويبدو أن هذا العدد كان حقيقيا بوجه عام ، وقد نشأت المتاعب بينه وبين كهنة آمون ولم يستطع ان يتحمل البقاء فى مكان كان محاطاً فيه بمعابد آمون وفى أى مكان يذهب إليه فانه كان يقابل صورة هذا المعبود فى النقوش والمناظر وأيضاتماثيله فى كل مكان (٢٦٤) . وأطلق عليه اعداؤه هو وأعوانه صفة « الملحدين » وهكذا كان يسمى الموالون لآتون ، الذين أرسلوا إلى المحاجر كمذنبين .

وفى الحقيقة ان اخناتون قد اختار افق آتون كما قال هو بنفسه، لأن ساحة الأرض المسطحة الواسعة ، النظيفة التى تمتد بجانب نهر النيل فى هذه المنطقة « لاتخص أى معبود أو أية معبودة » انها أرض عذراء لم تطأها أية ديانة . وكل المظاهر تؤكد انه ابتداء من العام الرابع لحكمه أصبح هو الرأس المدبر لهذه الحركة الدينية ، ولم يمنعه ضعف صحته من ان يتابع رسالته ودعوته التى آمن بها . ويعتقد ان اخناتون هو الذى وضع بنفسه مخطط المدينة الجديدة وحدد أماكن معابدها وقصورها وشورعها (٢٦٥)

. وبعد مرور ما يقرب من سنتين أو ثلاث من اختياره لهذا المكان ، نجد ان مدينة آخت آتون بدأت تظهر بسرعة فوق سطح الأرض ، وأصبح القصر معداً لاستقباله ابتداء من السنة السادسة لحكمه ، وكان هذا القصر مزينا بطريقة أفضل من قصر آبائه فى طيبة ، فقد كان يحتوى على رسومات فى أرضيته وجدرانه وسقفه وكانت تعلوه الرسومات التى تمثل الأزهار والطيور والأسماك . وتحيط به الحدائق والبحيرات الواسعة .

أما عن منازل الأشراف والنبلاء الذين اتبعوه فقد كانت هى أيضا جميلة ورحبة ، ولكل منها حديقة محاطة بجدران ، ويوجد فيها الأزهار الأجنبية والأشجار المزروعة .

وقد شيد اخناتون معبداً فخماً للمعبود آتون على نفس النموذج القديم لمعابد معبود الشمس رع فى ايونو [٢٦٦] . وشيدت معابد أخرى أقل حجماً منها معبد خصص لأجداد الملك .

وكان يشق المدينة شوارع متسعة ، وفى كثير من الميادين أقيمت المبانى الصغيرة ، والأبنية ذات الأعمدة ، والبحيرات الصناعية المحاطة بجزر صغيرة ، وقد غطت الرمال المتراكمة بسبب الرياح بقايا هذه البحيرات والحدائق .

وأظهرت الحفائر وجود بقايا جذوع الأشجار وهذه النباتات ، ويقص علينا أحد سكان هذه المدينة أنها كانت : « كبيرة ولها سحرها ، تبهر العين بجمالها وتشبه الحلم » .

وعلى الرغم من الحفائر الحديثة التى بدأت فيها عام ١٨٩١ حتى عام ١٩٣٧ والتى لم تظهر إلا أساسات المبانى الرئيسية ، إلا أنه يمكننا أن نقدر ان هذه المدينة كلها قد شيدت بذوق رفيع ، ويحميها من الشرق الوديان الصحراوية ، وأقيمت فيها ثلاثة قصور وفى سفح الجبل نحتت مقابر الأشراف وكبار الموظفين وإلى الشرق حفرت مقبرة كبيرة للملك وعائلته ودفنت فيها ابنته ماكت آتون التى توفيت اثناء حياته. ونرى على جدران تلك المقابر تمثيلا للعديد من المنازل والقصور ، وتلقى النقوش ضوءاً حيا على الوجود فى هذا المكان المحبب وزين الملك عاصمته بلوحات ورسومات نرى فيها قرص الشمس التى تخرج منه أشعتها حيث تنتهى بأيد تقبض

على علامات الحياه والاستقرار والقوة ، وكان يوجد إلى الشرق من المدينة مبنى لحفظ المراسلات الخارجية وكان هذا المبنى يحتوى على ودائع اللوحات الصغيرة من الطين المجفف والتى كتب عليها بالكتابة المسمارية (الأكدية) التى كانت تعتبر من لغة المراسلات الدولية . وقام بكتابة هذه الألواح كتبه كنعانيون أو مصريون يعرفون تلك اللغة . ويبلغ مجموع ما عرف من هذه الرسائل حتى الآن ٣٣٧ رسالة (٢٦٧) . وهى تلقى ضوءاً على العلاقات الدبلوماسية بين مصر ودول آسيا فى ذلك العصر . وهى عبارة عن المراسلات المتبادلة بين امنحتب الثالث والرابع وأمراء سوريا العليا وفلسطين وبابل وغيرهم من الموالين لمصر ، وتبين هذه الرسائل ان المدن المعادية لمصر كانت سامرة وصيدا ، أما صور وبيبلوس فقد التزمت بطاعة الملك المصرى . وعثرت احدى الفلاحات عام ١٨٨٧ وهى تقوم بجمع السماد من الخرائب القريبة والأماكن الأثرية فى تل العمارنة ، على عدد وافر من هذه الرسائل . ونرى حتى اليوم بقايا الأشراف والمقبرة الملكية والقصور والمعابد ومنازل الموظفين . وقد كشف عن حى خاص بالفنانين عثر فيه على مجموعة من التماثيل قام بنحتها الفنان تحوتمس (٢٦٨) .

وأقام الملك فى نطاق المدينة أربع عشرة لوحة إلى الشرق من النيل وتقع ثلاث منها إلى الجانب الغربى من شاطئ النيل فى الأماكن التى اختارها فى أطراف السهل . وتقص علينا النقوش انه فى العام السادس جاء الملك على عربته المطلية برقائق الذهب لكى يثبت حدود مدينة آخت آتون وهنا أقسم يمينا بوالده آتون انه لن يترك هذه الحدود على الاطلاق ، وسوف يبقى مقيما فى هذه المدينة المقدسة بقية حياته، وقد أقام هذه اللوحات فى السنة السادسة من الحكم .

وتذكر النقوش ان اخناتون هو الذى علم شعبه جمال الايمان بعقيدة آتون الجديدة وأكد النبلاء بصفة دائمة أنهم فهموا تعاليم العقيدة الجديدة وحفظوا فى قلوبهم كل ما قاله ملكهم . ولكن يجب ان نشك قليلا فى مثل هذه الأقوال .

ونقشت مقابر تل العمارنة بالنصوص التى لم نر لها مثيلا من قبل ، فقد امتازت بالشاعرية الرقيقة ونمقت تنميقا جميلا ، وهى عبارة عن مديح لآتون ، منها تلك الأنشودة التى يرددها الملك بنفسه، وهى منقوشة فى مقبرة منسوبة إلى آى ، وهى

شبيهة بالمزمور رقم ١٠٤ [٢٦٩] .

وكان اخناتون يعتقد ان آتون هو « الأب والأم لكل الخليقة » للأجانب وأيضا بالنسبة للمصريين ، ويريد بذلك ان يخطو خطوة أكثر تقدماً لأهمية التفكير الدينى أكثر مما كان يتوقع فى بداية الأمر . وربما حاول ان يظهر كذلك قلة نفع المعبودات القديمة ، وأراد ان يجعل من آتون مجموعة من المعانى فهو يمثل ـــ أول اتصال بين الانسان وفكرة الروح الطيبة ـــ التى ينتشر حبها بين الجميع ، دون اعتبار لجنس أو لون ، فهو « سيد الحب » وهو « الوحيد الذى يضفى الجمال على الشكل » وهو « سيد الأقدار » ، « صاحب التدبير » ، « مسبب الأحداث وهو الذى يخلق الحياه » و« لايوجد فقر (أو عوز) بالنسبة لمن يضع آتون فى قلبه لأن رجلا مثل هذا لن يعان من الألم ، أو يقول آه ، ليس عندى ... » .

ويقول اخناتون أيضا مجسدا كل هذه المعانى « يا آتون ، انت الوحيد ، ولكن فيك قوة حياة بلا نهاية ، التى بفضلها تبعث الحياة فى كل المخلوقات » ، « وعندما تجلب الحياة بكمالك إلى قلوب الناس فالحياة تولد فى الواقع » .

لم تكن رغبة اخناتون ان يصبح راهباً منعزلا ، وعلى العكس كان يميل إلى الظهور أمام الشعب كانسان بسيط المسلك على الرغم من انه اعتبر نفسه « الابن المحبوب جدا من آتون » . وكان يفضل ان يصوره الفنانون كزوج وكأب متفان ، وكان يرغب فى الواقع ان يعطى المثل الأسمى لوجود عائلى أساسه الحب والسعادة .

وقد شوهد فى مقبرة الوزير رع موسى مع زوجته ، وقد ظهرا يطلان من شرفة تعلوها أشعة آتون ، وهما يقومان بتوزيع سبائك الذهب من شرفة تعلوها أشعة آتون ، وهما يقومان بتوزيع سبائك الذهب على كبار الموظفين [٢٧٠] ، ونرى على احدى اللوحات الملك يقبل ابنته الطفلة ، على حين تدلل الملكة طفلتها الثانية على ركبتيها [٢٧١] ، وفى منظر آخر يتناول شريحة من اللحم ، وتتناول زوجته طائراً يطهى على النار [٢٧٢] .

وهذا يناقض صورة الملك التى عهدناها فى العصور السابقة ، بل صور لنا الفنان حزن الملك على وفاة احدى بناته مكت آتون أدق تصوير [٢٧٣] . وصور

الاحتفالات بدفنها فى تل العمارنة .

وهكذا كان اخناتون يمثل دائما بملامح الأب السعيد الحنون ، مداعباً بناته الصغار ويأخذهن على ركبتيه أو يحتضنهن ، وكزوج مخلص كان يحيط زوجته بالحب والحنان ويطلق عليها « سيدة قلبى » وكصاحب دعوة للعدالة والحق ، فقد شجع الفنانين على تمثيله هو وأفراد عائلته بواقعية مبالغ فيها بعض الشئ . فمثلا كانت الملكة نفرتيتى تعانى من انفصال شبكى فى العين ، ونرى بوضوح هذا المرض فى رأس تمثالها الشهير فى متحف برلين .

وعثر على صورة زوجته ممثلة على معظم لوحات ومعابد تل العمارنة ، أهمها رأسان عثر عليهما هناك عام ١٩١٤ ، احداهما من الكوارتزيت الوردى بها لمسات بالمداد الأسود وهى معروضة الأن بالمتحف المصرى . والأخرى وهى من الحجر الجيرى ومتعددة الألوان وهى موجودة الآن بمتحف برلين [٢٧٤] . وفى كثير من صوره نجد ان الملك قد نال نصيبه من الاهتمام أيضا ، فقد ظهر فى بعض الأحيان بكل عيوبه الجسمانية فى بعض الصور التى انتجها الفنانون الأجانب الذين كانوا فى خدمته .

وفى عصره انتشر الاتجاه الواقعى ضد القواعد الفنية التى كانت موضوعة من قبل لتصوير الملك أو أحد أفراد عائلته . وقد انتشر تأثير هذه المدرسة الفنية بسرعة حتى ان العين المجردة يمكنها التعرف فى الحال على الخصائص الفنية لهذا العصر . ففى فن تل العمارنة نرى ميلا شديدا إلى تصوير الطبيعة ورسم الطيور والنباتات ، وصور كبار رجال الدولة ، فنجد صورة الوزير الذى يعدو بجوار عربة الملك ، ثم تصوير الملك وبناته على عربته التى تجرى بسرعة شديدة وبحماس عجيب .

وفى السنة الثانية عشرة من الحكم جاءت والدته الملكة تى التى كانت تعيش فى طيبة ، لزيارة مدينة الأفق ، ويبدو ان اخناتون عد هذا التاريخ فى الواقع ــ عيده الثلاثينى ــ وكما نعلم ان العيد الثلاثينى للملك كان يحتفل به بعد ثلاثين عاما من اعلانه وريثا للعرش . ولكن اخناتون ترك كل العادات الدينية القديمة ، وحدد هذه السنة كتاريخ لعيده الثلاثينى ، وذلك لأسباب لا نعرفها حتى الآن على الرغم من انه

كان يحكم منذ اثنا عشر عاما ، وكان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً .

وقد لوحظ ان اخناتون احتفل ثلاث مرات بعيده الثلاثينى ، فى السنة السادسة فى طيبة وليس فى تل العمارنة ، وفى السنة الثانية عشرة والسنة الخامسة عشرة . وقد اقيمت الأعياد الكبرى تكريما لزيارة الملكة تى ، وقد شيد لها خصيصاً معبداً لكى يمكنها أداء الطقوس لآتون ، ولكن بعد وقت قصير من عودتها إلى طيبة توفيت ودفنت فى مقبرة صغيرة فى وادى الملوك ، على بعد بضعة أمتار من المكان الذى دفن فيه أبوها وأمها .

وبعد ذلك ، حدث فيما يبدو محاولة للثورة ــ أيدها كهنة آمون فى طيبة ــ ونتيجة لذلك أمر اخناتون بمحو اسم هذا المعبود من كل النقوش التى يظهر فيها ، وقد نفذ هذا الأمر بدقة بالغة ونرى اليوم نقوش الجدران القديمة وعليها آثار الكشط بالأزميل فى الأماكن التى يوجد فيها هذا الأسم المكروه . وقد فتحت مقبرة الملكة تى مرة أخرى ، لكى يمحى من اسم زوجها امنحتب الثالث ، كل اشارة إلى المعبود آمون ، وقبيل نهاية حكمه ، أمر بأن تمحى أيضا اسماء المعبودات الأخرى ولكن هذا الأمر لم ينفذ فى كل الأماكن .

واعتنق رجال البلاط القدماء لأمنحتب الثالث ــ أمثال الوزير رع موسى ــ الديانة الجديدة ، وتركوا طيبة والمقابر التى اعدوها لكى يهاجروا إلى العاصمة الجديدة . وأحاط اخناتون نفسه برجال بلاط جدد ولا نعرف عنهم أى شىء أمثال آى « الأب المقدس ، حمى الملك » ، ومرى رع الكاهن الأكبر الذى كان يحمل لقب كبير الرائيين للمعبود آتون فى معبده ، ونرى فى مناظر مقبرته تنصيبه كاهناً أول لآتون وقد تقلد وظيفته بين هتافات الجماهير ، والقى الملك خطابا فى تلك المناسبة ، ونرى على جدران هذه المقبرة مناظر تمثل الملك يقود عربته وكذلك الملكة نفرتيتى والأميرات الكبيرات يقدن أيضا ، عرباتهن ، والوزير نخت با آتون والمشرف على الجنود ماى وبانحسى الكاهن الثانى لآتون وحويا المشرف على الحريم الملكى وعلى بيت المال ، وتعد مقبرته من أهم مقابر تل العمارنة [٢٧٥] . وصور على جدران مقبرته وهو يتقبل هدايا من الذهب من اخناتون وزوجته اللذين وقفا فى شرفة القصر ، وتضم هذه

المقبرة مناظر تمثل اخناتون وامنحتب الثالث والملكة تى .

ولا ننسى أيضا معحو رئيس الشرطة ، ونراه فى مناظر مقبرته وهو برفقة الملك والملكة وبعض رجال الشرطة فى عرباتهم وهو يقومون بعمليات التفتيش على حصون المدينة . وأخيرا مقبرة أمير القصر والمشرف على الخزائن توتو الذى لعب دوراً هاما فى البلاط بالنسبة للأمراء الآسيويين غير المخلصين أمثال عازيرو ملك آمور (٢٧٦) .

وبين السنة الثالثة والخامسة عشرة من الحكم ، انجبت له الملكة نفرتيتى سبع بنات توفيت احداهن ، وأرسلت الأخرى إلى بيبلوس لكى تصبح زوجة لملك هذا القطر البعيد .

وعثر على ورقة بردى مؤرخة بالسنة الخامسة من حكم اخناتون فى مدينة غراب عند مدخل الفيوم (٢٧٧) ، وعثر فى الجنوب على نقش لمهندس يدعى « بيك » يشير إلى قطع الأحجار من منطقة أسوان لآثار الملك فى مدينة الأفق (٢٧٨) . وعثر على اسم الملك مكتوباً فى نقوش معبد صولب فى بلاد النوبة السفلى (٢٧٩) .

وقد يعيب بعضهم على اخناتون انه لم يول الجيش الاهتمام اللازم (٢٨٠) ويمكن القول بان حالته الصحية هى التى حالت دون خروجه فى حملات حربية ، وكان هناك نوع من النشاط الحربى نراه ممثلا على جدران المقابر فى تل العمارنة ، فنرى مواكب الجنود وكان هناك جنود للحراسة أمام القصور والمعابد وأبراج المراقبة (٢٨١) التى تحيط بالمدينة وقيام بعض الفرق والقوات ببعض التدريبات أمام الملك ، وكذلك مناظر أسرى الحرب من الآسيويين والنوبيين الذين يقدمون الجزية أمام الملك — وربما — فى هذا تقليد لأصل قديم ، وقد صور منظر يمثل الأعداء فى مقبرتى معحو ومرى رع فى تل العمارنة وعثر فى الكرنك على لوحة نقلت من تل العمارنة عليها مناظر جنود ومراكب حربية ، وكشفت الحفائر التى قام بها المعهد الفرنسى عام ١٩٣٢ فى منطقة مدامود عن ست كتل حجرية تحمل نقوشاً من عصر العمارنة تمثل مناظر حربية تبين المشاة والمركبات (٢٨٢) .

وفى هذه الاثناء ، كانت الأوضاع فى آسيا فى حالة يرثى لها (٢٨٣) ، فقد استغل الحيثيون الاضطرابات التى سببتها ثورة اخناتون الدينية فى الداخل ، لكى

يقودوا التحالف ضد مصر ، ونجحوا فى ذلك ، فملك قادش استعاد سهل سوريا الشمالية . واستولى ملك آمور احد المتحالفين مع الحيثيين على الموانى الفينيقية التى كان يحتلها المصريون أو كانت تحت نفوذهم ، وعلى الرغم من كل هذا لم يتحرك اخناتون ، وبفضل مجموعة الخطابات التى ذكرناها من قبل ، وهى تحمل اليوم الاسم الشهير « خطابات تل العمارنة » أمكن التعرف على حقيقة الوضع والاضطرابات التى سادت مناطق النفوذ المصرى فى غرب آسيا في عهد اخناتون . ويمكننا ان نفهم اليوم ان سياسته السلمية ربما معارضته من ناحية المبدأ والضمير لفكرة الحرب جعله يفقد مناطق النفوذ التى أسسها أجداده وكان يأمل ان يجمع بين السكان فى تلك المناطق التى يسيطر عليها ، فى عقيدة موحدة ، ولكنه فشل فى ذلك وفقد هذه المناطق والدليل على ذلك نراه فى تلك الخطابات . ويبدو أن ارشيف عاصمة الحيثيين يكمل ارشيف تل العمارنة . كان عدو مصر ايتاجاما يحكم قادش على حين كان سوبيلوليما يفرض سيطرته على حلب وكذلك على شمال سوريا وتقدم الآموريون بطول الشاطئ واستولوا على المدن التي كانت موالية للمصريين الواحدة بعد الأخرى .

استخدم عازيرو كل ذكائه ودهائه تارة والقوة والتهديد تارة أخرى لكى يستولى على الشاطئ بين صيدا وأوجاريت ، وفى أقصى الجنوب عمل مبعوثو الحيثيين على اقصاء الموالين الأوفياء لمصر . على حين كان ربعدى ملك بيبلوس يكافح ويقاوم فى أقصى الحدود وأيضا مملكة تونب وملك القدس الذين ناهضوا أعداء مصر [٢٨٤] . وكتب سكان مدينة تونب الكبرى إلى الملك اخناتون راجين منه ان يرسل إليهم بمساعدته وكتبوا إليه قائلين :

« تونيب ، مدينتك ، تبكى وتسيل دموعها ، لأنها لا منقذ لها ، ولعدة سنوات أرسلنا الرسل إلى سيدنا ـــ ملك مصر ـــ ولم نتلق منه أية اجابة ولا حتى كلمة واحدة » [٢٨٥] . وأرسل ربعدى ملك بيبلوس ، خطاباً وراء الآخر طالباً قوات مساعدة ولكن لم تأته النجدة . وكتب عبد خيبا الذى كان يحكم فى القدس يقول :

« لعل الملك يرعى البلاد ويرسل القوات ، لأنه اذا لم تأت القوات هذا العام ، فان كل أراضى الملك سيدى ، سوف تضيع » ، ويضيف فى نفس الخطاب ملحوظة موجهة إلى سكرتير اخناتون قائلا :

« اشرح هذا إلى الملك بوضوح : البلاد كلها عرضة للفناء » .

وفى أثناء ذلك الوقت ، كانت شعوب الخابيرو الصغيرة قد بدأت تتسلل إلى سوريا من الجنوب ، وأرسل الأمراء الموالون لمصر خطاباتهم العديدة ، شاكين طالبين حماية الملك ويعلنون ان الغزاة ينتصرون فى كل مكان .

وعلى الرغم من كل خطابات النجدة هذه لم يتحرك اخناتون واكتفى بإيفاد مبعوث لبحث الموقف فى فينيقيا ولكن هذا الأخير بطريقة غريبة جدا ، ثبت ملك آمور فى الأراضى ومناطق النفوذ التى انتزعها من مصر ، تلك الأراضى التى سوف تشمل فيما بعد بيبلوس أيضا . وهذا يعنى ان الملك قد اعترف بالأمر الواقع واكتفى باعتبار ملك آمور موال له ، يخضع لأوامره . أما فى فلسطين فقد قام البدو بدورهم بثورة ، واستولوا على مجدو ، ثم مناطق القدس القديمة ، وفى حالة من اليأس أرسل المواطنون يطلبون مساندة مصر ، ولم يرسل اخناتون إليهم أية نجدة ، وأخيرا سقطت ميتانى حليفة مصر تحت ضربات الحيثيين والاشوريين المتوالية ، وأصبح الحيثيون الآن فى أوج قوتهم وسوف يحاولون ارغام ملك آمور على توقيع معاهدة تحالف معهم ، وحتى هذا الوقت كان هذا الأخير يفضل ان يبقى مستقلا فى المكان الذى عينه فيه من قبل تحوتمس الثالث .

وكان حاملو هذه الخطابات يجدون اخناتون مشغولا بمسئولياته الدينية مناديا شعبه بالعمل على نشر الحب والسلام ، وغير متبصر بما يقوم به مواليه وقواده من صراع للمحافظة على بعض مناطق النفوذ فى سوريا . فالملك لا يريد ان يحارب ، وقتل معاونوه المخلصون بالتدريج ، أو أرسلوا إلى المنفى ولم تؤد الجزية إلى خزانة الملك ، ويبدو انه غرر به ممن حوله ، فقد حاول الملك فى نهاية حياته ان يتقرب من كهنة طيبة ، لكن نفرتيتى رفضت ان تخون الفكر الآتونى وبقيت فى تل العمارنة ، واستقرت فى القصر الشمالى هناك . ولم يكن لاخناتون أولاد ذكور ، فأرسل إلى طيبة زوج ابنته سمنخ كارع لكى يتفاوض مع القوى التقليدية الممثلة فى كهنة آمون ، وتوفى هذا الأخير فى الوقت نفسه الذى توفى فيه حموه . وكان قد تزوج من ابنة اخناتون مريت آتون فى الفترة الأخيرة من حكمه ، ولا نعلم مدى الصلة التى كانت تربط الأمير سمنخ

كارع بالعائلة الملكية ، ويبدو ان سمنخ كارع كان قد شاركه العرش فى السنتين الأخيرتين من حكمه، حين اصبحت صحة اخناتون فى تدهور عام .

وأخيرا توفى اخناتون فى السنة السابعة عشرة من حكمه وكان يبلغ من العمر تسعة وعشرين أو ثلاثين عاما ، أى ثلاثة عشر عاما كاملة بعد اعلانه ثورته الدينية ، وفى نفس الوقت توفى سمنخ كارع أو عزل عن العرش ، ولا نعلم عنه أى شئ بعد ذلك . ولا نعلم أيضا هل دفن اخناتون فى المقبرة التى أعدها لنفسه فى الصحراء فى شرق مدينة الأفق أولا . [٢٨٦] ولكن عثر على تابوت ضخم مغطى برقائق الذهب وعلى الغطاء الخارجى نقرأ النص الآتى :

« الأمير البهى ، المختار من رع ملك مصر العليا ومصر السفلى ، الذى يعيش فى الحقيقة ، سيد القطرين ــ اخناتون ــ الابن المفيد لآتون الحى ، ذو الاسم الخالد إلى الأبد » .

وعلى قاعدة التابوت ، نقشت الدعوات القصيرة إلى آتون ، التى ربما قد كتبها اخناتون نفسه، وهى مكتوبة بالعبارات الآتية :

« اننى استنشق العبير الذى يخرج من فمك ، اننى أشاهد جمالك كل يوم ، وأملى هو ان اسمع صوتك العذب وكأنه رياح الشمال ، ولعل الحياة تجعل الشباب يدب فى أوصالى بفضل حبك ، اعطينى يدك اللتين تحملان روحك ، لعلى اتلقاها واعيش بها ، لتظل تنادينى باسمى إلى الأبد ، ولن أكف ابدا عن اجابتك » . [٢٨٧]

وقد وضع هذا التابوت فى داخل تابوت آخر من الجرانيت الوردى وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى .

واعتقد بعض العلماء ان جثة اخناتون قد اعيد دفنها مع أمه الملكة تى فى البر الغربى فى طيبة وذلك نظراً للعثور على اسم اخناتون على بعض آثار المقبرة . ولا يمكننا الجزم فى هذا الأمر . ويمكن القول بان أعداء اخناتون قد عبثوا بجثته وبأثاثه الجنائزى بعد وفاته .

ومن أهم رجال عصره امنحتب المسمى أيضا حوى الذى كان يحمل لقب « ابن الملك حاكم كوش » وهو صاحب المقبرة رقم ٤٠ بالبر الغربى ، وبران نفر وكان

من كبار الموظفين وصاحب المقبرة رقم ٢٨٠ ، ونوى رئيس الفنانين فى مكان العدالة أى دير المدينة وصاحب المقبرة رقم ٢٩١ .

عنخ خبرورع ــ سمنخ كارع « جسر خبرو » [٢٨٨] (١٣٥٤ ــ ١٣٥١ ق.م.) :

كان يحيط بخلافة امنحتب الرابع ــ نوع من الغموض ــ فكما حدث فى أيام الملوك الأوائل للأسرة ، لم ينجب امنحتب الرابع سوى اناث [٢٨٩] . ولهذا السبب نجده قد اشرك معه فى الحكم قبيل نهاية حياته زوج ابنته الثانية سمنخ كارع ، وكلاهما قد انضم فيما بعد إلى عبادة وتأييد عقيدة آمون . فقد غيرت ابنة اخناتون مريت آتون اسمهاإلى مريت آمون . أما عن الملكة نفرتيتى ، فقد بقيت فى تل العمارنة ، وظلت وفية لعبادة آتون ، وقد حكم سمنخ كارع لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، اشترك خلالها مع اخناتون [٢٩٠] وكان من بين ألقابه نفرنفرو آتون ــ مرواع ان رع ، ويبدو ان اخناتون وسمنخ كارع قد توفيا فى وقت واحد على وجه التقريب .

وكان من الطبيعى ان تسند السلطة إلى زوج الأبنة الثالثة لأمنحتب وهو توت عنخ آمون ، الذى كان لا يزال صغيرا جدا ، وملازما للملكة نفرتيتى فى تل العمارنة . وقد كشف عن مقبرة سمنح كارع فى عام ١٩٠٧ فى وادى الملوك وكان يظن قديما انها تخص الملكة تى [٢٩١] وعثر فيها على بعض الآثار التى تحمل اسم اخناتون ولا يزال بعض منهم يعتقد انه دفن بالفعل فى هذه المقبرة . ولا يزال الأمر مثار جدل بين العلماء ، ومن البدهى انهم عبثوا بجثته وبأثاثه الجنائزى لأن خلفاءه كانوا ضعفاء ولم يستطيعوا الوقوف أمام أعدائه [٢٩٢] .

أساء بعض العلماء فهم العلاقة بين اخناتون وسمنخ كارع وأساءوا إلى الأول وجرحوه ، واتهموه بالشذوذ ، ولكن لايمكن ان يصل أى صاحب رسالة مؤمن برسالته أشد الايمان إلى هذا القدر من الاسفاف وبالطبع يجب النظر إلى هذه الآراء بنوع من التحفظ الشديد بل ورفضها من أساسها [٢٩٣] .

نب خبرورع ــ توت عنخ آمون « حقا ايون رسى » [٢٩٤] (١٣٥١ ــ ١٣٤٣ ق.م.) :

وصل إلى العرش عن طريق زواجه من عنخ اس ان با آتون الابنة الثالثة

لاخناتون ونفرتيتى . ويرى بعض المؤرخين ان توت عنخ آمون ربما كان ابنا لاخناتون من زوجة غير شرعية ، وعند توليه العرش ، تزوج من الابنة الثالثة لاخناتون . وليس هناك ما يؤيد هذا الرأى . كانت عنخ اس ان با آتون تبلغ من العمر تسعة أعوام ، وبعد ثلاثة أعوام تقريبا ، فى أعقاب حدث لا ندرى ما هى طبيعته ، نجد توت عنخ آتون يترك تل العمارنة ، ويرحل إلى طيبة ، وهناك اتخذ اسم توت عنخ آمون ، وعندما توج ملكا وتزوج من عنخ اس ان با آتون سلكت الزوجة مسلك زوجها فحذفت من اسمها اسم آتون واستبدلته باسم آمون وأصبحت تسمى عنخ اس ان آمون .

وكان الملك الصغير والملكة تحت سيطرة البلاط الممزق كلية . ولا نعرف ماذا لحق بزوجة اخناتون نفرتيتى ؟ ويرى بعض العلماء أنها ظلت وحيدة فى تل العمارنة ، ويرى البعض الآخر أنها رجعت لكى تعيش بجانب ابيها الذى كان دائما أهم شخصية فى البلاط وظل يسمى « آى ، حما الملك » ، وبعد اتمام مراسيم الاحتفال بدفن اخناتون ، احتفل بعودة البلاط إلى طيبة وتكريما لهذا الحدث زين بهو الأعمدة الشهير فى معبد الأقصر ، وعلى جدران هذا البهو نرى المناظر التى تمثل حماس الشعب وانفعاله اثناء الاحتفال الكبير الخاص بآمون رع حينما يقوم بزيارته السنوية فى قاربه المقدس لمعبد الأقصر خلال عيد الأوبت .

وترك مدينة الأفق كان يعنى انتصار كهنة آمون ، ولم يكن هناك أى نوع من الصراع ، بل على العكس ربما كان هناك محاولة للصلح بين المؤيدين للعقيدتين ، وخلال الاثنى عشر عاما التى استمرت فيها ثورة اخناتون ، أهملت وأغلقت معابد آمون والمعبودات الأخرى ، وهناك نص من عصر توت عنخ آمون يشير إلى أعمال الترميمات التى حدثت وأمر بها الملك فى مقاصير المعبودات الأخرى فهو يقول :

« لقد مرت معابد المعبودات بفترة عصيبة ، وأصبحت افنيتها مثل الطرق يمر فيها كل الناس وقد فرت منها المعبودات ولم تنصت لدعوات الداعين » [٢٩٥] ، « وحل الوهن بالبلاد نتيجة الاضطرابات ، وأهملت الطقوس للمعبودات . ولكن جلالته أخذ يبحث عما يليق بآمون (لكى ينفذه) » ، « وأمر الملك بان تنقش صورة المعبود آمون بالذهب الخالص ، وأقام الآثار للمعبودات الأخرى وزاد من أوقافهم » [٢٩٦] .

وعثر على هذا النص منقوشاً على لوحة كبيرة اكتشفت بالقرب من الصرح الثالث بالكرنك وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى ، وقد صور عليها الملك وهو يقدم القرابين إلى المعبود آمون والمعبودة موت .

ويتحدث عن انهيار معابد المعبودات من الفنتين حتى الدلتا ويذكر النص انه حينما كان الملك فى قصره أخذ يفكر فى كيفية ارضاء المعبودات ووجد ان خير وسيلة لذلك هو ان يقدم لهم التماثيل من الذهب [٢٩٧] . ويقول النص : « فكر جلالته فى عمل مشاريع يحبها قلبه باحثا عن أى عمل مفيد ليؤدى خدمة لأبيه آمون . وصنع له تمثالا فخماً من الذ هب الخالص . بل وفعل له خيراً مما كان قبل ذلك اذا جعل محفة تمثاله على ثلاثة عشر عمودا بينما كانت محفة ذلك التمثال العظيم على أحد عشر عمودا فقط » [٢٩٨] .

وظلت السياسة الخارجية فى تدهور مستمر خلال عهود خلفاء اخناتون الأقربين : سمنخ كارع ، توت عنخ آمون وآى . ويبدو ان شرق الدلتا كان عرضة فى ذلك الوقت لتسربات من عناصر جاءت من آسيا ، وعندما بلغ الملك الشاب سن النضوج ، قاد بنفسه الحملة العسكرية ضد هؤلاء الغزاة ، وتحدثنا النقوش عن :
« يوم القضاء على الآسيويين » . ويبدو انه كان هناك لقاء بينهم وبين جيش الملك اثناء طردهم من حدود مصر .

وعثر فى مقبرة بوادى الملوك على قطعة من الذهب صور عليها توت عنخ آمون وهو يقوم بتأديب عدو يقبض عليه من شعر رأسه ، فهل هذا المنظر له صلة بتلك الحملة ؟ [٢٩٩] وقد صور على أحد جانبى صندوق من الصناديق التى عثر عليها فى مقبرته على رسوم معارك حربية . [٣٠٠]

وحاولت الملكة نفرتيتى من جانبها ان تتآمر ضد توت عنخ آمون مع الحيثيين ولم يتحقق لها ذلك . وتوفى عنخ آمون صغيرا جدا وهو فى حوالى سن الثامنة عشرة ، بعد ن حكم حوالى تسعة أعوام ، أما عن أرملته فقد حاولت الزواج من أمير حيثى ، واغتيل هذا الأخير وهو فى طريقه إلى مصر .

فيقال ان عنخ اس ان آمون قد أرسلت بخطاب إلى ملك الحيثيين تطلب فيه

ان يرسل لها واحدا من ابنائه ليتزوجها ، ووعدته بانه سيصبح ملكاً على البلاد ، وقد تشكك الملك فى جدية هذا الطلب وأرسل مبعوثا من قبله ليعلم حقيقة الأمر . فاحتجت الأرملة ، وعندئذ أرسل ملك الحيثيين أميرا صغيرا . ولكن هذه االمحاولة باءت بالفشل . (٣٠١) وكانت دولة الحيثيين تمثل أعظم القوى فى شمال سوريا فى ذلك الوقت .

توفى الملك الصغير فجأة ودفن فى مقبرته فى وادى الملوك رقم ٦٢ والتى لم تكن كبيرة ، ولكن اكتشافها أحدث دوياً عالميا فقد عثر على ما بها من أثاث وأدوات فى حالة سليمة تماما ، واكتشف هذه المقبرة كارتر الذى كان يعمل لحساب اللورد كارنارفون . ففى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٢ عثر كأرتر على باب مختوم فى مكان عميق كانت تخفيه مخلفات حجرية وأتربة ورديم ناتجة عن حفر مقبرة رمسيس السادس التى تعلو مقبرة توت عنخ آمون ، وردمت هذه المخلفات مدخل مقبرة توت عنخ آمون إلى ارتفاع كبير (٣٠٢) . وكان الباب يؤدى إلى أربع غرف منها ثنتان داخليتان سالمتان تماما ، وأما الغرفة الخارجية عند المدخل فكانت تحوى أثاثا أعيد وضعه بسرعة وبغير ترتيب .

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ اجرى رسميا افتتاح الغرفة الخارجية وعثر فيها على ١٧١ قطعة من التحف والمخلفات الأثرية .

وفى ١٧ نوفمبر ١٩٢٣ قام كارتر بكسر الحائط الذى يفصل الغرفة الخارجية عن الغرفة الغربية أى حجرة التابوت وجد فيها مقصورة كبيرة وجدت بداخلها ثلاثة مقاصير أخرى ، الواحدة داخل الأخرى صنعت من خشب الارز ، وغطيت من الداخل والخارج برقائق الذهب ووجد فى أصغرها تابوت من الحجر الرملى يحتوى على ثلاثة توابيت آدمية الشكل الواحد داخل الآخر أيضا . ويحتوى التابوت الصغير المصنوع من الذهب الخالص على مومياء الملك بقناعها الذهبى الرائع ومعه حليه التى تبلغ ١٤٣ حلية من الذهب وكان هناك سرير من خشب مذهب يحمل وحده التوابيت الثلاثة والمومياء . ونقشت أجزاء من كتاب الأرض على مقاصير توت عنخ آمون .

ويبلغ وزنها كلها ١٣٧٥ كيلو جراما ويبلغ وزن التابوت الذهبى وحده ١١١٠ر٤

كيلو جراما من الذهب الخالص وقد لفت مومياء الملك بلفائف كتانية عددها ست عشرة لفة . وقد ترك التابوت الأوسط وفيه مومياء الملك فى المقبرة حتى اليوم . ومناظر هذه الحجرة تمثل جنازة الملك وطقوس فتح الفم يقوم بها الأب المقدس آى على مومياء الملك . واستقبال معبودة السماء نوت اياه ثم ظهور الملك مع المعبود أوزير ثم الملك بين المعبود آنوبيس ومعبودة الغرب [٣٠٣] . ثم نشاهد على الجدران منظر يمثل الساعة الأولى من كتابة ما هو موجود فى العالم الآخر . نرى فيه اثنى عشر قردا فى ثلاثة صفوف . ربما يمثلان ساعات الليل الاثنى عشرة .

أما الغرفة الشمالية أى غرفة الكنز فتضم صندوقاً كبيراً يشبه مقصورة مقدسة تضم تحت أغلفة عديدة أحشاء الملك المودعة فى أوعية كانوبية ، وعثر أيضا على بقية الأثاث الجنائزى من اسرة ومقاعد مذهبة وصناديق وتماثيل من الذهب والفضة وتماثيل خشبية مغطاه برقائق الذهب وأوانى من أشكال مختلفة وقد عثر كارتر فى هذه الحجرة على ٤٥ ألف قطعة مرصعة .

وفى أواخر نوفمبر ١٩٢٧ بدأ كارتر العمل فى الحجرة الرابعة أو الملحق حيث كشف عن تكديس لا يتصوره العقل لأشياء منوعة ، أربعة اسرة من نمط واحد ومقاعد وصناديق كما عثر على ٨٤ آنية من الالبستر و١١٦ سلة تحتوى على فواكه جافة وبذور كالعنب والدوم والماندراجور وبذر الشمام و٣٦ جرة من النبيذ . [٣٠٤] .

وقد ذكر لوكاس الذى قام بترميم الأثاث الجنائزى ان هذه المقبرة كانت معدة لآى [٣٠٥] ، ومن بين الأثاث عثر على مقعد العرش الذى صور عليه توت عنخ آمون وأمامه زوجته تضع قليلا من الدهون العطرية على صدره وتقدم له باقات الأزهار . ويعد هذا الكرسى تحفة فنية غاية فى الابداع استخدم فيها الفنان المصرى الذهب والفضة والعقيق والقيشانى والزجاج الملون إلى جانب الخشب [٣٠٦] .

وصور الملك على أحد الصناديق أو الخزانات المغطاة برقائق الذهب وهو يمارس رياضة الصيد وهو يحمل قوسه وسهامه لصيد الأوز البرى . ونجد على مقبض مروحته نقشاً يدل على أنه كان يكثر الخروج إلى الصحراء لصيد النعام ، فكان ينتقل بين منف وايونو ، وقد سجل زيارته لمنطقة ابى الهول فترك لوحة تذكارية ظهر فيها هو

وزوجته وهما يؤديان الطقوس لأبى الهول . وعلى صندوقه الصغير ، يوجد مناظر صيد الحيوانات البرية وخاصة الأسود [٣٠٧] .

ومنذ نهاية حكم امنحتب الرابع ، لم تكن السياسة الخارجية لمصر تحت مسئولية وادارة الملك نفسه، ولكن تحت مسئولية القائد ــ حور محب ــ ذو الشخصية القوية الذى سوف يؤثر فى أحداث نهاية الأسرة الثامنة عشرة انتظارا لتوليه هو نفسه السلطة . ومنذ بداية حكم توت عنخ آمون ، أخذ معالجة الأوضاع فى آسيا وجنوب فلسطين حتى نجح فى انقاذ ما يمكن انقاذه [٣٠٨] .

وعاش حتى عصر هذا الملك حوى الذى كان يحمل لقب ابن الملك حاكم كوش وفى مقبرته فى قرنة مرعى (رقم ٤٠) نرى مناظر الجزية التى جئ بها من بلاد النوبة السفلى [٣٠٩] . وكان حوى مسئولا أيضا عن ترميم الآثار التى تعرضت للهدم فى عهد اخناتون [٣١٠] . وعثرت البعثة الانجليزية الهولندية المشتركة فى سقارة على مقبرة رجل يدعى « ماى » كان يشغل منصب وزير الخزانة فى عهد توت عنخ آمون .

خبر خبرو رع اير ماعت ــ ايت نثر آى « نثر حقا واست » [٣١١]
(١٣٤٣ ــ ١٣٣٩ ق.م.) :

توفى توت عنخ آمون دون ان يترك أولادا ذكورا ، وآل العرش إلى أقرب اقربائه الذكور ، آى والد زوجة اخناتون ، نفرتيتى [٣١٢] . وقد اكتسب آى حقه فى الجلوس على العرش بواسطة زواجه من أرملة توت عنخ آمون ، وقد لعب دوراً كبيرا فى السياسة الداخلية بعد وفاة اخناتون فقد ساند سمنخ كارع وساعد توت عنخ آمون فى توليه العرش .

وفى بداية حياته كان جنديا وكان يشغل وظائف كبيرة فى سلاح المشاة وفى سلاح المركبات ، وأصبح على رأس الجيش . وبعد ذلك انخرط فى الوظائف الكهنوتية والادارية ولقب بلقب « الأب المقدس » وفى نصوص تل العمارنة ، كان يحمل لقب « المشرف على كل خيول جلالته » [٣١٣] .

ويبدو انه نجح فى الوصول إلى العرش اعتماداً على الصلة التى تربطه بالعائلة المالكة وكذلك لمركزه فى الجيش الذى عاونه فى الوصول إلى العرش .

وقد تميز حكم الملك آى بالغموض فهو لم يحكم إلا لمدة قصيرة لا تتعدى الأربع سنوات ، وكانت السياسة الخارجية تحت ادارة حورمحب الذى لم يكن بدون شك راضياً عن ارتقاء آى للعرش .

فلا نعرف حتى الآن عن أوجه نشاط الملك آى إلا القليل فقد شيد مقصورة بالقرب من مقبرة امنحتب الثالث فى طيبة . وقد ترك لنا مقصورة فى أخميم . [٣١٤] وظهر آى على جدران مقبرة توت عنخ آمون ، وهو يتقدم الجنازة ، وكان مرتديا ملابس الملك ونعرف انه زار منف فى السنة الثالثة من حكمه ولا نعرف كيف انتهت حياته فلا يزال ذلك الأمر غامضا [٣١٥] . وكل ما نعلمه انه كان كبيرا فى السن عند وصوله إلى العرش ــ وحدث امر ما بينه وبين حور محب قبل اعتلاء هذا الأخير العرش ، لأننا نعرف ان حورمحب عند توليه العرش محا اسم آى من على الآثار واستولى على معبده [٣١٦] .

وعند وفاة آى دفن فى وادى الملوك فى المقبرة التى تحمل الآن رقم ٢٣ [٣١٧] . وهى المقبرة الوحيدة التى بها النسخة الفريدة الكاملة لنشيد المعبود آتون . ومن أهم رجال عصره نفر حتب رئيس كتبة آمون وصاحب المقبرة رقم ٤٩ ، وناى الكاتب الملكى وصاحب المقبرة رقم ٢٧١ .

جسر خبرو رع ــ حور محب مرى آمن [٣١٨] (١٣٣٩ ــ ١٣١٤ ق.م.) :

توفى آى عام ١٣٣٩ ق.م. [٣١٩] وكان حور محب ، هو الرجل القوى فى ذلك الوقت ، لكى يتولى العرش ، وكان يشغل منصب قائد الجيش ولكى يعطى لنفسه الحق فى اعتلاء العرش ، تزوج من « موت نجمت » ابنة ووريثة آى أخت نفرتيتى ، وأصبح حور محب آخر ملوك الأسرة الأقوياء ، ويمثل عهده ، فترة انتقالية بين عصر الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة .

واذا كان قد اختير كملك فقد حدث هذا نتيجة لاختيار مقدس من آمون نفسه، وربما ساعده أيضا كهنة هذا المعبود . فهو ينتمى أصلا إلى عائلة من حكام الأقاليم ، ولد فى عهد الملك امنحتب الثالث فى بلدة حت نسوت [٣٢٠] . كان على

ج... كبير من الثقافة وانخرط فى السلك العسكرى ، ودخل الجيش ويبدو انه منذ الصغر كان يفضل الحياة العسكرية ، فأصبح « رئيسا للرماة » تحت حكم امنحتب الرابع ، ولم يعاد الملك وقام بقيادة الجيش تحت حكم توت عنخ آمون وآى .

وفى عصر توت عنخ آمون احتل منصب قائد الجيش ، وعلى هذا فقد خدم الملوك الثلاثة اخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون ، وأقام الفترة الأولى من حياته فى منف التى كانت ، مقراً للجيش ، وكان يشرف على تدريب الفرقة العسكرية والمناورات التى كان يقوم بها الجنود . وفى السنة الأولى من حكم آى توجه حور محب إلى منف لزيارتها . (٣٢١)

وقد ذكر تتويج حور محب وزوجته الملكة موت نجمت على تمثال من الجرانيت الأسود فى متحف تورين (٣٢٢) . ويقص علينا مراسيم هذا التتويج ، وقصة زواجه بموت نجمت التى كان يجرى فى عروقها الدم الملكى ، ولما تم التتويج فى طيبة توجه إلى الشمال قاصداً منف ، واصدر أوامره بتطهير البلاد من اتباع اخناتون وأمر بهدم معابد ومقاصير آتون ، واصلاح معابد المعبودات الأخرى ، وحاول انقاذ الموقف واعادة الأوضاع السياسية القديمة وتعاون مع كهنة آمون الأقوياء لكى يتجنب السيطرة السياسية لكهنة آمون على المملكة . وكان يتمتع بتأييد كهنة المذاهب الدينية فى أيونو ومنف والاشمونين .

وبعد ان كان حور محب من بين مؤيدى الملك توت عنخ آمون وآى فى البداية ، نجد ان هذا الاتجاه بدأ يتغير وشيئا فشيئا تعرض بعض الأوفياء لآتون ، أى بعض الذين عاشوا منهم اثناء فترة حكم حور محب للتشهير وعدوا ملحدين ، وأصبح اخناتون العدو الذى أطلق عليه ببساطة « هذا الملحد » .

وأعلن حور محب ان السنوات التى مضت منذ تاريخ عام ١٣٧٦ (٣٢٣) حتى تاريخ توليه العرش عام ١٣٣٩ ق.م. ، يجب محوها من الحوليات والقوائم الرسمية ، وعلى الرغم من انه حكم أربعة وعشرين عاماً ، فان بعض العلماء يرى انه حكم تسعة وخمسين عاماً (٣٢٤) . وقد أظهر حور محب رد فعله ضد عائلة امنحتب الثالث ، فنجد انه سلب آثار توت عنخ آمون ومحا اسم آى من عليها لكى يضع اسمه الشخصى .

وأخيراً نجده قد أرخ بداية حكمه ابتداء من وفاة امنحتب الثالث ، كما لو كان امنحتب الرابع ، سمنخ كارع ، توت عنخ آمون وآى لم يكن لهم أى دور أو وجود فى التاريخ المصرى القديم (٣٢٥) .

وتعد الفترة التى مكثها حور محب على العرش من الفترات التى بدأت فيها مصر تتخلص من الكوارث التى حلت بالبلاد بسبب احلام اخناتون ــ غير الواقعية ــ وقام من البداية بعدة اصلاحات فى الداخل وأشرف بنفسه على مواطن الفساد فى الدولة ، وكانت الطريقة المتبعة فى جمع الضرائب هى ان يقوم كل مزارع بتقديم ضريبة عينية من الحبوب أو ما شابهها ونقلها على مراكب وتوصيلها إلى مخازن الملك ، وتعرضت هذه المراكب للكثير من أعمال السلب والنهب . واعتدى البعض على أوقاف المعابد ، ولوحظ ايضا ان كثيراً من رجال الادارة فى الاقاليم يفرضون اتاوة على الأهالى . فقام حور محب بسن مجموعة من القوانين تحد من كل هذه الأمور وتنظم العلاقة بين الناس والسلطة الحاكمة (٣٢٦) .

وقام حور محب بالتفتيش على الموظفين ، وعمل على تطبيق هذه القوانين ، وحذر القضاة من الاتصال بالناس ومصادقتهم ، أو قبول أى نوع من الهدايا من أى انسان ، وقد عاقب بالموت كل من يخالف ذلك ، واصدر مرسومه الذى سجله على لوحة ، وضعت فى احدى قاعات معبد الكرنك (٣٢٧) . ووضع فى مناصب القضاة أشخاصاً محمودى السيرة ، ولديهم القدرة الكافية لفهم مشاكل الناس ، وكان القضاة يعينون بأمر ملكى ، أما العقوبات فكانت صارمة ورادعة بالنسبة للاعتداء على المراكب الخاصة بنقل محاصيل الضرائب وحماية أصحاب المراكب من عدوان قطاع الطرق ، ومعاقبة كل من يتأخر فى توريد الضرائب المستحقة لدور العبادة ، ومعاقبة الموظفين الذين يعملون بتجارة الرقيق ومنع الاستيلاء على جلود الحيوانات من الفلاحين ، وأمر بمنع الرشوة ومن يستولى على أموال الشعب بدون وجه حق من الموظفين الرسميين سيخضع للعقاب أيضا ، ومنع السخرة فى أعمال القصر الملكى ، ويشمل الجزء الثانى من القوانين العودة إلى احياء مجالس القضاء القديمة فى الأقاليم واعادة تنظيم الاحتفالات الخاصة بالقصر والحد من كثرتها (٣٢٨) .

وهكذا نجح فى اعادة السلطة إلى الحكومة المركزية ، ونجح فى القضاء على استغلال الموظفين ووضع الأمور فى نصابها .

أما عن نشاطه الحربى ، فقام بقيادة الجيش من جديد إلى آسيا ، ونجح فى استعادة جزء صغير من الأراضى التى فقدت هناك ، ثم قام بحملة أخرى فى النوبة السفلى . وتبين نقوش حور محب فى جبال السلسلة ، انتصاره على النوبيين ونرى مواكب الأسرى ، وسجل هذا الانتصار أيضا على جدران الصرحين التاسع والعاشر اللذين اقامهما فى معبد الكرنك ، وقد نقش منظر يمثل الملك ومجلسه من رجال البلاط وهم يستقبلون رؤساء بلاد بونت . وفى بداية حياته كان مقيما فى منف ، وقد ترك لنا فى منف تمثالا وضعه فى معبد المعبود بتاح يمثاه جالسا ناشراً بين يديه قرطاساً من أوراق البردى وقد وضع محبرته على ركبته ، وقد اخذ فى الكتابة وكان يحمل الألقاب الآتية : « حامل المروحة على يمين الملك » « أمير قواد الجيش » . وشيد لنفسه مقبرة فى منف أيضا ، فلما وصل إلى العرش وانتقل إلى طيبة بنى له مقبرة أخرى أكبر حجماً ، وكان اللصوص قد سطوا على مقبرة سقارة هذه ، وباعوا اجزاءها إلى المتاحف العالمية فى أوروبا وأمريكا [٣٢٩] .

وكشفت البعثة الانجليزية عام ١٩٧٥ عن تلك المقبرة إلى الجنوب من السور الخارجى لمجموعة الملك جسر . وأهم أجزاء تلك المقبرة تبين القوات والجنود وهم يحيون القائد واستراحة الجنود فى الهواء الطلق ، وكذلك مناظر الأسرى من النوبيين والآسيويين بألوان جميلة ، ويوجد بمتحف بولونيا بإيطاليا جزء من هذه المقبرة وعليه منظر فريد فى نوعه اذ وجدنا فارساً يمتطى جوادا ، والفارس له لحية وقد جلس على ظهر الحصان دون سرج ، ويدل ذلك انه آسيوى وان حور محب ذهب إلى آسيا ، وليس تمثيل هؤلاء الأسرى من آسيويين أو نوبيين من قبل التقليد ولكن يدل على ان حور محب ذهب إلى بلاد هؤلاء الأسرى [٣٣٠] .

أما عن نشاطه المعمارى فقد أرسل رجال المحاجر إلى جبال السلسلة لقطع الأحجار اللازمة لمنشآته الجنائزية ، وهو أول من بدأ بهو الأعمدة الكبرى فى الكرنك الذى اتمه رمسيس الثانى [٣٣١] ، وبدأ الصرحين التاسع والعاشر بالكرنك ومن أجل

ذلك هدم مبانى اخناتون التى اعترضت الصرح التاسع ويبدو ان جزءا من طريق الكباش الذى يبدأ من الكرنك كان من عمله، واغتصب لنفسه نقوش توت عنخ آمون فى بهو الأعمدة بالأقصر ، وشيد لنفسه معبداً جنائزيا فى البر الغربى فى طيبة (٣٣٢) ، كان قد بدأه الملك آى ، ولم يبق منه سوى الأساس . أما عن مقبرته فى طيبة فلم يبق فيها إلا تابوت مصنوع من الجرانيت الوردى ما زال باقيا فى مكانه (٣٣٣) .

وهى تعد من المقابر الضخمة فى وادى الملوك بالقرب من مقبرة توت عنخ آمون ، وهى تحمل الآن رقم ٥٧ وحفرت على محور واحد وتبدأ بسلم يؤدى إلى مدخل ثم إلى ممرات حتى نصل إلى حجرة البئر . ونرى فى مناظر هذا الجزء حور محب فى حضرة مجموعة من المعبودات . ثم نصل بعد ذلك إلى قاعة مربعة ، ثم تظهر عدة ممرات تؤدى إلى قاعة مستطيلة تتبعها حجرة الدفن (٣٣٤) . وهذه الحجرة لم يتم نقشها وبها اجزاء مرسومة من كتاب ما يوجد فى العالم الآخر وكتاب البوابات .

وعلى الرغم من ان اللصوص فى العصور القديمة لم يتركوا أى شئ لرجال الآثار إلا ان النقوش والمناظر التى تغطى جدران المقبرة تدل على ان الفن فى هذا العصر قد عاد مرة أخرى إلى التقاليد الأصلية وإلى بعض المظاهر التى رأيناها قبل عصر اخناتون (٣٣٥) .

وشيد الملك حور محب هيكل جبل السلسلة على الشاطئ الغربى للنيل بالقرب من ادفو (٣٣٦) . وكذلك معبد أبو عودة فى بلاد النوبة (٣٣٧) . وعندما توفى حور محب فى عام ١٣١٤ ق.م. لم يترك له وريثاً من الذكور وبهذا انتهت الأسرة الثامنة عشرة الكبيرة (٣٣٨) . وقد قدس حور محب بعد وفاته فى معبد البر الغربى وذلك خلال الأسرة التاسعة عشرة (٣٣٩) .

ومن أهم رجال عصره نفرحتب الأب المقدس لآمون رع وصاحب المقبرة رقم ٥٠ ، وروى الكاتب الملكى ورئيس الاستقبال لحورر محب وآمون وصاحب المقبرة رقم ٢٥٥ .

الفصل الثالث عشر

الأسرة التاسعة عشرة

(١٣١٤ ــ ١٢٠٠ ق.م)

لما كان الجيش المصرى يمثل القوة الضاربة بفضل اعداد وتنظيم كبار الملوك العسكريين فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، أصبح من الآن فصاعداً قوة لا يستهان بها فى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، وليس من الغريب أن نرى هذا الجيش يلعب من جديد دوراً كبيراً فى الحياة السياسية فى مصر فى الخارج وفى الداخل ، فالدور الذى قام به الجيش فيما سبق هو الذى اتاح لحور محب فرصة الاستيلاء على السلطة ، ولما أصبح هذا الأخير رجلًا مسناً ولم يترك ذرية من الابناء لخلافته، فقد فكر فى رجل عسكرى مثله لكى يتولى العرش من بعده ، هو :

من بحتى ــ رعمسسو الأول (١٣١٤ ــ ١٣١٢ ق.م)

عندما توفى حور محب فى عام ١٣١٤ ق.م دون أن يترك خليفة له، آل العرش إلى شخص يدعى رعمسسو (أى رمسيس) الذى حذف من اسمه أداة التعريف فى اللغة المصرية القديمة . وكان أصلا من تانيس فى شرق الدلتا ، وربما كان من ذوى القربى للملك المتوفى . واختاره حور محب بنفسه لتولى السلطة دون أية صعوبة . وكان من الضباط المقربين إلى حور محب وكان يحمل لقب وزير وألقابا كهنوتية أخرى ، ويعمل فى السلك العسكرى ، وحمل نفس الألقاب العسكرية التى كان يحملها حور محب نفسه، فقد تدرج فى الوظائف العسكرية فعين قائداً لفريق الرماة وكان مقره قلعة ثارو فى شرق الدلتا وسماها الرومان ــ سيلة ــ وهى تقع الآن فى مكان ما عند مدينة القنطرة يعرف باسم « تل ابى صفية » .

وعندما تولى العرش كان متقدما فى السن ولكى يؤكد السلطة الملكية لخليفته اشرك على التو ابنه سيتى الأول معه فى الحكم .

وقد توفى رمسيس الأول بعد سنة أو سنتين من الحكم [1] . وترك تماثيل له

تمثله على هيئة الكاتب الجالس فى الوضع المعروف للكتبه عند المصريين القدماء . وقد بسط على فخذيه قرطاساً من البردى ، وجاء ذكر اسمه على لوحة الأربعمائة العام التى كشف عنها فى تانيس . وعثر على تمثالين له فى الكرنك عام ١٩١٣ [٢] . وأقام قدس أقداس صغير فى ابيدوس [٣] وعثر فى وادى حلفا على لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر ومؤرخه بالعام الثانى من حكمه [٤] وهو يتحدث فيها عن اقامة معبد فى بوهن وتقديمه القرابين للمعبود مين ــ آمون ، وذكر اسمه على بعض الآثار بالقرب من الصرح الثانى بالكرنك مما يؤكد بأنه كان أول من قام بتنفيذ بهو الأساطين العظيم فى الكرنك [٥] .

وحفر لنفسه مقبرة فى وادى الملوك بسيطة فى تصميمها وتحمل الآن رقم ١٦ ، وهى لم تكن معدة عند وفاته ، وانتهى منها بسرعة لدفن الملك فى حجرة لم تكن إلا قاعة ثانوية لحجرة الدفن رسم بها نسخ من كتاب البوابات .

وكان لرمسيس الأول زوجة تدعى سات رع مجهولة النسب ، وقد عاشت من بعده ، ودفنت حين وفاتها فى جزء من صحراء طيبة فى وادى الملوك ، الذى لم يكن يستخدم حتى ذلك الوقت كمكان للدفن ، وسوف نراه يصبح فيما بعد جبانة الملكات والأميرات الشهيرات .

من رجال عصره والذى عاش أيضا حتى عصر الملك سيتى الأول ، امن ــ ام ــ أوبت المشرف الكبير فى البلاط وصاحب المقبرة رقم ٤١ .

من ماعت رع [٦] ــ سيتى الأول ــ مرى ان بتاح (١٣١٢ ــ ١٢٩٨ ق.م) :

تولى سيتى العرش ، وقد تجاوز سن الأربعين من عمره ، وعمل مثل ابيه ، ومثل حور محب فى السلك العسكرى ، وجاء ذكر وظائفه التى تقلدها على لوحة الأربعمائة العام فقد كان يحمل لقب « رئيس الرماة ، ومشرفا على الحرس فى قلاع ثارو » وكان أحد القواد الذين قضوا على النظام الدينى الذى وضعه اخناتون [٧] . وكان وزيرا واشترك مع رمسيس الأول فى الحكم لذلك تولى السلطة تلقائيا [٨] ، وأصبح هذا العاهل من بعد وفاة ابيه الملك الوحيد [٩] وبفضله عرفت مصر من جديد فترة من المجد ، لكن دون أن تصل إلى درجة التوسع التى وصلت اليها فى عصر تحوتمس

الثالث . ويعد عهده فاتحة عهد جديد لذلك نجده يستخدم فى نقوشه عبارة « باعث (حرفيا مجدد) الميلاد » [١٠] .

ومن الملاحظ ان اسم سيتى يعنى « المنسوب إلى المعبود ست » إلا أنه لم يكن معاديا للمعبودات الأخرى بل على العكس نجد أنه اضاف إلى لقبه اسم معبود آخر هو بتاح ونجد أيضا أنه عندما شيد معبداً للمعبود أوزير فى العرابة المدفونة ابعد رسم حيوان ست المقدس فى محراب أوزير تقديرا له [١١] .

وقد أراد بذلك أن يظهر للناس مدى ولائه لاوزير ، بل أحب المعبود أوزير ، ولم يحاول أن يغير اسمه الشخصى [١٢] حتى انه اصدر مرسوما نقش على أحد الصخور فى بلاد النوبة يقضى بحماية مخصصات الأوقاف فى منطقة نورى والموقوفة لصالح المنشآت الدينية والمعابد فى أبيدوس [١٣] . وأصدر تحذيراً إلى كل من يحاول أن يستولى على هذه المخصصات أو من يهمل الخدمة فى معابد تلك المنطقة ، فانه سوف يلقى عقاباً شديداً ، ويذكر أنه قام بذلك حبا لوالده أوزير معبود العرابة المدفونة ، وأصدر هذا المرسوم فى السنة الرابعة من حكمه . وأعاد هذا الملك اسم المعبود آمون فى كل مكان محى منه فى جميع أنحاء البلاد ، وعمل كل مافى وسعه وبكل الوسائل لكى يعيد لهذا المعبود سيطرته المطلقة على كل المعبودات الأخرى فى مصر .

وبعد مرور عامين من وفاة ابيه وصعوده على العرش أعاد سياسة الغزو المصرى فى آسيا ، واستعاد بعض النفوذ والسيطرة حتى جنوب سوريا [١٤] . فقد حاول العابيرو اثارة الشغب واستغلوا فرصة تغيير الملك ، فاعلنوا ثورتهم ودفعوا ببدو الصحراء الشرقية الشاسو إلى الحدود المصرية ، واستولوا على الحصون والحاميات المصرية التى تمتد بطول الطريق البرى من الحدود المصرية إلى فلسطين . ويقال ان البدو من الشاسو قد استولوا على ٢٣ مدينة محصنة على طول الحدود الشرقية وجنوب فلسطين . وان الذى قام بتحريضهم هو مواتلى ملك الحيثيين [١٥] .

فخرج اليهم فى السنة الأولى من حكمه على رأس جيش كبير وقضى على هذه الثورة واستعاد الحاميات وتغلغل فى فلسطين ، وقد حاول السكان المدفوعون بواسطة الحيثيين الوقوف ضد المصريين ، ولكن سيتى نجح فى هزيمة المتحالفين

قبل أن يتوافر لديهم الوقت الكافى للترابط فيما بينهم . ونقشت أخبار هذه الحملة على الجدران الخارجية لبهو الأساطين العظيم فى الكرنك [١٦] .

ويبدو انه خرج من بلدة ثارو (سيلى) واتجه حتى وسط صحراء سيناء وقام باعداد حصون صغيرة لحماية آبار المياه [١٧] ، ثم تقدم حتى مدينة كنعان وهى مدينة غزة الفلسطينية ثم قام بهزيمة الشاسو الثوار ، ووصل بعد ذلك إلى لبنان حيث شاهد الأمراء وهو يقومون بقطع أشجار الأرز . ونلمس فى مجموعة كبيرة من النقوش التى تغطى الجدران الخارجية لبهو الأساطين العظيم فى الكرنك كيف نجح فنانو العصر فى أن يظهروا مهارتهم بمعالجة مساحات كبرى للحروب ، تشمل مثلا مئات الأشخاص وبدأوا يتعودون على مثل هذه الأنواع من المناظر .

وعثر على لوحات صغيرة فى قادش [١٨] وفى تل شهاب [١٩] ذكر على كل منها اسم سيتى الأول ، وعثر فى بيت شان (بيسان) على لوحة تؤكد وصول جيوشه إلى مدينة حماه [٢٠] .

وهكذا اصبح سيتى الأول سيداً للموقف فى فلسطين ، وتقدم نحو سوريا ووصل إلى مرتفعات صور وأعاد لمصر مرة أخرى نفوذها فى غرب آسيا وسوريا العليا ـــ وبذلك حققت الجيوش المصرية النصر فى المناطق التى تقع شمال لبنان ، وقد تحقق كل ذلك خلال أربع حملات ، وحاول الحيثيون الحد من تقدم الجيش المصرى بعض الوقت وكانوا على قدر كبير من القوة وقد تركزوا فى بوغاز كوى فى شرق انقره ، ولكن دون جدوى ، وأصبح الهجوم الذى قام به سيتى ضد قوات الحيثيين المتقدمة ـــ حدثاً ذا أهمية كبرى ، وأصبح كل شخص سعيداً ان يرى أن ذكرى الكوارث التى حلت بنفوذ مصر فى آسيا فى عصر اخناتون قد بدأت تختفى وتمحى ، ويرى مصر من جديد قوية تقارب قوتها إلى حد ما فى الفترة الأولى من الأسرة الثامنة عشرة .

ورغم أن الحدود الغربية لمصر من ناحية ليبيا كانت دائما تمتاز بالهدوء منذ الدولة القديمة ، الا انها فجأة اصبحت تمثل خطراً كبيراً ، فنجد أن قبائل آرية انتشرت فى كل أوروبا الجنوبية ، ونجحت فى عبور البحر المتوسط ، وجاءت لكى تستقر فى ليبيا . وبدأت هذه القبائل فى محاولة للتسلل إلى مصر بحثا عن أماكن استقرار لها فى

أرض مصر الخصبة ، وخاصة وان أراضى الواحات فى الصحراء الغربية كانت معروفة منذ القدم بوفرة مراعيها وانعامها [٢١] . ويبدو أنه كان ضمن هذه الجماعات قبائل التحنو والمشواش . ونجح سيتى الأول فى محاصرتها بسهولة كبيرة دون أية مقاومة ولكنه لم يقض على الخطر كلية — وبقيت جذوره — وسوف يسبب هذا الخطر الكثير من المتاعب لخلفائه. ويرجح أن هذه الحملة على ليبيا كانت فى العام الثانى من حكمه أيضا . وقد جاء ذكرها فى نقوش معبد الكرنك [٢٢] .

وبعد حالة من الهدوء على الحدود الليبية ، اتجه سيتى مرة أخرى نحو آسيا لكى يتابع حملته الأولى التى طرد فيها الشاسو واخضع فلسطين وكنعان ، ولا نعرف تفاصيل هذه الحملة الأخيرة ، لأن نصوصها على جدران معبد الكرنك قد ضاعت معالمها ، وقد عثر على تمثال له على هيئة أبى الهول فى معبده الجنائزى بالقرنة ذكر عليه معظم البلاد التى اخضعها فى فلسطين وهى حوالى ستة عشر بلداً [٢٣] ، وربما قد وصل فى هذه الحملة الثانية حتى قادش ، وتذكر نصوص تمثاله أنه استولى على سامره وبلاد آمور ، وفى حملة ثالثة وصل فيها إلى وادى نهر العاصى كما يتضح من نصوص معبد الكرنك انه كان يحارب فى قادش ضد الحيثيين ، واذا كان سيتى قد نجح فى هزيمة الحيثيين بالقرب من قادش إلا أنِ هذا الصراع لم يحقق نتائج هامة لأنه لم ينجح فى استعادة شمال سوريا . ويبدو أن الحيثيين قد تراجعوا [٢٤] ، وفى حملة رابعة عاد مرة أخرى إلى آسيا وتقابل مرة ثانية مع الحيثيين شمال قادش وربما وقع فى هذه المرة معاهدة مع ملك الحيثيين ولكن لم تصلنا نصوصها [٢٥] . وليس لدينا أية تفاصيل عن المعركة التى دارت بين المصريين وقوات مواتلى ملك الحيثيين ، وانما تذكر أن سيتى عاد منتصراً من هذه الحملة . وعثر على لوحة عام ١٩٧٠ بالقرب من الحائط الخارجى لمدينة ساى بين الشلال الثانى والثالث ، وهى مؤرخة بالعام الثامن من حكم الملك سيتى الأول ، ويقص علينا النص أنه أثناء وجود الملك فى مدينة طيبة ، يؤدى الطقوس الدينية لأبيه آمون ، جاء من يخبره أن الأعداء من بلاد ارم يزمعون القيام بتمرد . وخشى الملك أن ينتهك الأعداء الحدود الجنوبية ، فخرج اليهم بالمشاه والعربات الحربية وقضى عليهم ولم يبق منهم أحدا [٢٦].

عرف سيتى الأول باهتمامه المفرط بتشييد المعابد ، فقد شيد معبداً فخماً فى أبيدوس مخصصاً للمعبود أوزير وإلى أرواح الملوك القدماء الذين دفنوا فى الجبانة الملكية المجاورة ، ويعد من أجمل المعابد المصرية ، وهدمت البوابة الأولى وكذلك الشرفة التى زينت بمناظر حروب رمسيس الثانى ، ويمتاز هذا المعبد بوجود سبعة هياكل أو مقاصير للمعبود حورس ، ايزيس ، أوزير ، آمون رع ، حور آختى ، بتاح ثم هيكل لتقديس الملك شخصياً . وتؤكد النقوش فى هذا المعبد أن المستوى الفنى فى هذه الفترة كان متقدماً ، وزار استرابون هذا المعبد وأعجب بما فيه (٢٧) . وأمر الملك بنحت معبد الرديسية شرقى ادفو فى الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب وأمر أيضا بحفر بئر هناك ، وانشأ مستعمرة بالقرب منه ، وكان الذهب المستخرج من هذه المنطقة مخصصاً لمنشآت سيتى الأول فى العرابة المدفونة ، وزخرفت جدرانه بمناظر سيتى الأول وهو يقدم القرابين للمعبود مين آمون وحورس بحدتى والمعبودة نخبت وثالوث طيبة وآتوم وحور آختى وبتاح (٢٨) .

والنقوش الخارجية لهذا المعبد من عمل رمسيس الرابع . وفى الكرنك ساهم فى بناء بهو الأساطين العظيم الذى بدأ فيه بعد نهاية ثورة اخناتون وقد زينت جدران هذا البهو بكثرة تحت حكم سيتى بمناظر طقوس جنائزية ومناظر تشير إلى انتصار الملك على البدو والليبيين والآموريين والحيثيين بالقرب من قادش . وقد استحدث الفنانون فى عهد سيتى الأول أمراً جديداً وهو رسم المعارك الحربية مفصلة وفى حجم كبير على جدران المعابد (٢٩) .

وشيد الملك معبده الشهير فى القرنة (٣٠) فى بداية وادى الملوك ، حتى تؤدى فيه الطقوس لروحه ولروح ابيه ، وعثر على آثار باسمه فى سيناء تدل على استغلاله لمناجم النحاس هناك ، وآثار أخرى فى قنطير وتانيس وترك فى ايونو مسلة نقلت إلى روما (٣١) . وفى الجيزة ترك بجوار أبى الهول لوحة من الحجر الجيرى اهداها إلى هذا المعبود ، وفى كل من منف ، واصطبل عنتر ترك نقوشاً ، وعثر من عهده على بردية محفوظة الآن فى متحف تورين وعليها أقدم خريطة ، خاصة ببعض مناطق استخراج الذهب فى وادى الحمامات (٣٢) . وشيد أيضاً معبداً فى وادى عباد شرقى ادفو فى

الطريق إلى مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية [٣٣] .

وقد ارسل الكثير من الفنانين لاعداد الأحجار بكميات وفيرة فى المحاجر المختلفة [٣٤] ، ولاستخراج الأحجار الثمنية اللازمة لتزين معابد المعبودات . وكما يميل بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن هؤلاء الرجال كانوا يعملون بالسخرة فى ظروف صعبة ، نقول ان لدينا نصاً من نفس هذا العصر يحدثنا كيف كان هؤلاء العمال محل عناية ورعاية :

« فكل واحد منهم كان له نصيب يومى من الخبز ، وحزمتين من الخضروات واللحوم المشوية ، وكل خمسة عشر يوما يصرف لكل واحد منهم رداء جديد نظيف »[٣٥]. وتوفى سيتى الأول فى حوالى عام ١٢٩٨ ق.م .

وفى وادى الملوك حفر سيتى لنفسه مقبرة ضخمة ، كشف عنها بلزونى Belzoni عام ١٨١٧ وتعد من أجمل مقابر وادى الملوك وتحمل الآن رقم ١٧ ، وبها العديد من الدهاليز والحجرات والقاعات ويبلغ عمقها فى الصخر حوالى مائة متر . ويوجد فى احدى الحجرات الجانبية قصة هلاك البشرية (كتاب البقرة) هذا إلى جانب ماهو معروف من قبل مثل كتاب البوابات وما يوجد فى العالم الآخر.وكان التابوت الداخلى من المرمر يحتوى على مومياء الملك [٣٦] ويوجد الآن بمتحف سوان فى لندن .

وقد انتزعت مومياء الملك من تابوته وعثر عليها فى خبيئة الدير البحرى فى عام ١٨٨١ وهى الآن بالمتحف المصرى .

وكان لسيتى الأول معبد صغير فى الشمال من الرمسيوم بناه قبل ان يبنى معبده الجنائزى فى القرنة ، ويتألف هذا الأخير من قسمين ، ويحتوى على ثلاث مقصورات ، يظن انها كانت لتقديس رمسيس الأول وآمون رع وسيتى الأول [٣٧] . وكان للمعبد الجنائزى فى القرنة صرحان من وراء كل منهما فناء كبير ، وفى المؤخرة ثلاثة مداخل رئيسية تؤدى إلى أقسام المعبد الثلاثة . والتى كانت مخصصة لعبادة آمون رع ورع حور آختى ورمسيس الأول وسيتى الأول [٣٨] .

واندثر قصر سيتى الأول سواء أكان فى شرق أو غرب طيبة ، وكشف من بقايا قصر له فى قنطير جنوب تانيس [٣٩] .

ومن رجال عصره وسرحات صاحب المقبرة رقم ٥١ الذى كان كاهنا لروح الملك تحوتمس الأول وعاش حتى عصر الملك رمسيس الثانى . وباسر حاكم المدينة والوزير وصاحب المقبرة رقم ١٠٦ ونب آمون رئيس النحاتين وصاحب المقبرة رقم ١٨١ . وباشد الخادم فى مكان العدالة وصاحب المقبرة رقم ٢٩٢ ، وباشد الرسام فى مكان العدالة وصاحب المقبرة رقم ٣٢٣ وحوى رئيس النجارين فى مكان العدالة وصاحب المقبرة رقم ٣٦١ .

وفى أبيدوس أقام سيتى الأول قبرا تذكاريا خلف معبده يعد من الأعمال الفريدة فى العمارة المصرية . وكانت تحيط به الأشجار ، ويشتمل على دهليز منحدر يبلغ طوله نحو ١١٠ أمتار . ويؤدى الدهليز إلى ردهة مستعرضة ثم إلى بهو يتوسطه مسطح مرتفع ، يؤدى اليه درجان متقابلان ، وتحيط به قناه ، وكأنه بذلك جزيرة وسط الماء . ومن وراء البهو قاعة كبيرة ، وهى اشبه بتابوت ضخم ، وسقفها احدب ولا يزال يحتفظ بمناظره الدينية الشائقة ، وقد وصفه استرابون [٤٠] .

وسر ماعت ستب ان رع [٤١] ـــ رعمسسو الثانى مرى آمون (١٢٩٠ ـــ ١٢٢٣ ق.م) :

عندما توفى سيتى الأول ، تولى السلطة فى الحال ، أحد أبنائه الصغار ـــ الأمير رعمسسو ـــ الذى لم يكن يبلغ من العمر سوى ست عشرة سنة ، ويبدو أن رعمسسو (أى رمسيس الثانى) قد بدأ حكمه كشريك لأبيه سيتى الأول على العرش ، وذلك لمدة تزيد عن ثلاث سنوات على الأقل ، ويبدو أنه كان هناك نوع من تقسيم الأعباء والمسئولية ، فقد تولى سيتى الأول الشئون الخارجية وعلى الأخص فى آسيا التى قام فيها بعدة حملات ، أما الشئون الداخلية فى مصر وفى بلاد النوبة فقد كانت فى يد الملك الصغير رمسيس الثانى [٤٢] . وعلى الرغم من عدم توافق التواريخ فى المصادر المصرية مع وثائق بلاد النهرين فان بعضا منهم يرى أن تاريخ ارتقاء رمسيس الثانى العرش هو عام ١٢٩٠ ق.م [٤٣] .

وتعد لوحة كوبان التى تقع على الشاطئ الشرقى للنيل على بعد ١٠٨ كم من اسوان مصدراً هاماً لأوجه نشاط رمسيس الثانى المختلفة أثناء اشتراكه فى الحكم مع والده ومساهمته فى كل المشاريع الملكية ، ويسجل هذا النص اهتمامه بمناجم الذهب فى وادى العلاقى [٤٤] ، وحفره لبئر فى أرض اكيتا حيث كشف عن الذهب بكميات كبيرة .

وهكذا تولى رمسيس الثانى عرش أبيه، وكانت أمه الزوجة الشرعية لأبيه، الملكة توى ، التى كانت تنتمى منذ نشأتها إلى العائلة الملكية . وكان الأمير الصغير ، نشطاً ومملوءاً بالثقة بالنفس ولديه الكثير من الطموح ، وقد ابعد أخوته الكبار عن طريقه بمساعدة مجموعة قوية من رجال البلاط ، ونجح فى اعلان نفسه ملكاً تحت اسم ــ وسر ماعت رع ــ وظل يؤكد على مدى سنوات حكمه، أن والده قد أهله منذ الصغر لكى يتولى العرش ، وكان يشغل وظيفة قائد الجيش ، وكان مستشاراً فيما يخص أعمال الدولة حتى قبل أن يبلغ سن السادسة عشرة . كان الموقف فى آسيا حينذاك خطيراً للغاية ، فقد أخذت قوة الحيثيين فى النمو شيئاً فشيئاً خلال الفترات السابقة ، واخذ مواتلى ملك الحيثيين ، يتقدم نحو الجنوب ــ تجاه قادش ــ المدينة الشهيرة منذ حروب تحوتمس الأول والتى تقع على الشاطئ الغربى لنهر العاصى على بعد ١٥٠ كم من دمشق [٤٥] . وكانت قوة الجيش الحيثى تعادل ضعف قوة الجيش المصرى فى العدد والعتاد .

وسخر مواتلى معظم امكانيات مملكته لهذه الحرب . وجمع حوله جيوشاً تنتمى إلى ما يقل عن عشرين طائفة وجنسية [٤٦] . ولابد أنه استعان بجماعات أخرى من قبائل بدو الصحراء فى سيناء .

وكان لابد أن تتصارع القوتان لبسط النفوذ على سوريا وكان الحيثيون يسعون إلى هذا الصراع أكثر من مصر ، وقبل رمسيس الثانى التحدى . قام بالحملة الأولى فى السنة الرابعة من حكمه وعبر فيها فلسطين حتى نهر الكلب على بعد قريب من بيروت حيث أقام هناك لوحة تذكارية [٤٧] . وفى خريف العام الخامس من حكمه عام ١٢٩٣ ق.م قام بحملته الشهيرة ضد مواتلى بقصد السيطرة على سوريا ، ونقشت أخبار هذه

الحملة التى عرفت بموقعة قادش على العديد من جدران المعابد : فى الكرنك على الحائط الخارجى لبهو الأساطين العظيم [٤٨] ، وعلى الحائط الخارجى بين الصرحين التاسع والعاشر فى المعبد نفسه، وعلى الصرح الأول فى معبد الأقصر ، وعلى الصرح الثانى فى معبد الرمسيوم ، وعلى الجدار الأيمن لبهو الأعمدة فى معبد أبى سمبل ، وقد صور لنا الفنان بعض مراحل من موقعة قادش فى مساحة شاسعة ، نرى فيها رمسيس وهو يعقد مجلسا حربيا ينهى فيه أوامره لقواده ، أو وهو فى مركبته الحربية يخترق بها مركبات الأعداء [٤٩] ، ومنها ما يصور معسكرات وحصون الجيش المصرى . وذكرت هذه المعركة على ثلاث برديات : بردية ريفا وبردية ساليبه وبردية قصائد بنتاؤر ، لأن كاتبها قام بتدوينها من أصل كان موجوداً فى وقتها . وقد اقتسم متحف اللوفر والمتحف البريطانى بقايا البردية التى كتبت عليها قصائد بنتاؤر [٥٠] . ولم يعثر على هذه البردية فى معبد الكرنك وعثر عليها فى مقصورة بأبى سمبل ، وتوجد نسخ من هذه القصائد فى الكرنك وفى الأقصر وأبيدوس والرمسيوم أيضا .

خرج رمسيس من قلعة ثارو وبعد مضى شهر وصل على بعد بضعة كيلو متر من معاقل مدينة قادش ، وتقع فى الزاوية التى تتكون من المصب الشمالى لنهر العاصى ورافد يأتى من الغرب وهو ما يسمى بالموقادية [٥١] .

وكان جيشه يتكون من أربع فرق : آمون ، رع ، ست ، وبتاح وكان يأمل فى الاستيلاء على المدينة ، وتقدم على رأس فيلق آمون وعلى بعد ما من قادش ، قبض على رجلين من بدو الشاسو ذكرا انهما كانا مع ملك الحيثيين وارادا أن يخدعا الجيش المصرى ، وأخبرا الملك المصرى بأن جيش الحيثيين لا يزال بعيداً عن هذا المكان ، وقالا أيضا بأن جيش العدو يقوم بالانسحاب من أرض المعركة [٥٢] .

وفى الواقع أن هذين البدويين لم يكونا غير جاسوسين ، وعلى ذلك اندفع بكل سرعة بعرباته وقواته إلى الأمام ، تاركا وراءه معظم قوات الجيش الثقيلة . وحدث أن فاجأ العدو فيلق رع لأن مواتلى كان ينوى القضاء على الخطوط الخلفية للجيش المصرى ، وبعد أن عبر بسرية تامة ، الشاطئ الشرقى لنهر العاصى ، اتجه نحو الجنوب ، على حين كان رمسيس يتقدم فى اتجاه الشمال بمحاذاة الشاطئ الغربى ، وعندما

اقترب رمسيس من قادش مع قواته الأمامية ، قطعت عليه قوات العدو الطريق عن بقية قواته الثقيلة ، وكانت القوات الحيثية أكثر عدداً وعتاداً ، عندما عبرت نهر العاصى وكانت تحت قيادة شقيق ملك الحيثيين ، وهكذا أصبح هناك حائل بين رمسيس وقواته الثقيلة .

ولم يكن أمام القوات المصرية وقت كاف لكى يغيروا من خططهم أو يعودوا ادراجهم فقد كان العدو بينهم ، وانسحبت قوات الـمشاة بسرعة ، ووقعت عربات الملك الحربية مع بقية حرسه فى الشرك وأصبحت منعزلة تماما ، وهنا حدثت البلبلة والاضطراب فى صفوف الجيش المصرى . وكان على رمسيس الثانى أن يواجه جيوش العدو وحده وقد أوشك الحيثيون أن ينتصروا ، ودفعوا بالقوات المصرية نحو جبهة جديدة حيث كانت مهددة من الخلف بواسطة الحامية التى تقطن فى قادش . وهكذا أصبح رمسيس الثانى منعزلاً فى اليسار بواسطة النهر ، وعلى قمة الجبال المواجهة له كان يوجد ملك الحيثيين يراقب مسار القتال .

كان رمسيس الثانى شاباً صغيراً مليئاً بالقوة والحيوية ، وكان عمره واحدا وعشرين عاماً فقط ، وكان واقفا فى عربته وثابتا عليها ، متوجا بغطاء رأسه الملكى وزيه العسكرى ، وكان هدفاً لأسهم العدو . وكانت فرصته الوحيدة للنجاة هو أن يتبع الطريق الذى يوازى النهر ، ويحاول أن يمهد له ثغرة بين صفوف الأعداء . ولم تكن العربات الحربية المصرية معدة لمثل هذا النوع من الصدام نظراً لخفة وزنها ، وهى لم تستخدم إلا للمناوشات أو تتبع خطوط العدو الخلفية بشكل خاطف وسريع . وكانت كل عربة لا تحتوى إلا على محارب واحد ، وكان يجر عربة رمسيس حصانان .

وتحدث الملك عن تفاصيل هذه المعركة فى النقوش التى حفرها على الصرح الأول من معبد الأقصر وكما يظهر من المناظر أنه كان وحيداً ، فقد أوثق القيود فى وسطه لكى يستطيع أن يستخدم سلاحه بيديه الاثنتين ، وكان عبارة عن قوس وأسهم وسيف مقوس ، وخنجر ، ولم يكن لديه أية دروع واقية . وكان عرضه فى أية لحظة أن تلتف العربة على نفسها ويسقط من عليها ، وكان عليه أن يكون مستعداً لقطع القيود بواسطة خنجره ، وعلى أية حال حاول بكل جهوده التقدم والهجوم بقوة بعربته

وتبعته بقية القوات وكان هجوماً عنيفاً وغير متوقع لدرجة أن القوات المصرية اخترقت صفوف العدو ، بعد أن قتلوا الكثير منهم ، ومن بينهم شقيق ملك الحيثيين ، ومن بين هؤلاء الذين دفعهم المصريون فى النهر كان ملك حلف الموالى للمصريين ، فكان على وشك الغرق ولكنه أنقذ فى آخر لحظة (٥٣) ، وعندما عبر رمسيس الضفة الأخرى وجد نفسه فى أرض مكشوفة وأمكنه أن يربط بين المشاة الذين فروا فى الهجوم الأول وعادوا لمؤازرته مرة أخرى على حين كان الأعداء ينقلون قتلاهم وجرحاهم ويقومون بالعناية ببعضهم .

وفى هذه اللحظة كان الجزء الأكبر من الجيش المصرى قد وصل أرض المعركة مما شجع رمسيس على شن هجوم حاسم على صفوف الأعداء المضطربة اذ منع الملك مواتلى وقواته الحيثية الاحتياطية المرابطة على شاطئ النهر من التقدم لمساعدة اخوانهم .

وأخيرا انتهت المعركة دون أن يحرز فريق بينهما النصر الحاسم . وهنا تقص علينا بردية قصائد بنتاؤر تفاصيل هذا الهجوم :

« عندئذ ظهر جلالته شبيها بأبيه المعبود مونتو ، وأمسك باسلحته ، وارتدى زيه الحربى ، مثل المعبود بعل فى ثورة عنيفة ، وكانت المركبة الحربية التى تحمل اسم : « نصر فى طيبة » قد جاءت من اصطبل ملكى كبير . واندفع جلالته واخترق صفوف هؤلاء الحيثيين الجبناء ، وكان وحيداً بالفعل ، ولم يكن معه أحد . وعندما القى نظرة خلفه ، رأى أن ألفين وخمسمائة مركبة حربية قد سدت عليه كل مخرج ، مع كل محاربى بلاد الحيثيين التعساء وأيضا عددا من (القوات) من البلاد المتحالفة ... ولم يكن معى أى ضابط ، أو قائد مركبة ، أو أحد أفراد القوات ، فقوات مشاتى وفرسانى وقعوا ضحية لهروبهم ، ولم يمكث منهم أحد لكى يقاوم هؤلاء الحيثيين . (وناديت) آمون ، أبى ماذا يجرى اذن ، انه لا ينسى فى ذلك الوقت ولده ، ماذا أنا فاعل بدونك ... انها تفوق قوة سيد مصر ، كيف يسمح للبربر أن يدنسوا أرضه ، ما قيمة هؤلاء الآسيويين بالنسبة لك — آمون — أن هؤلاء التعساء لا يعرفون معبودا ، ألم أشيد لك العديد من الآثار ، ألم أملأ معبدك باسراى ... اننى اناديك ، يا والدى آمون ، اننى وسط جحافل

البربر الذين لا أعرفهم . ان (قوات) كل البلاد قد اتحدت ضدى وأنا وحيد بمفردى ، بدون أى مخلوق معى ، لقد تركنى معظم جنودى ولم يتجه أحد من فرسانى بنظره نحوى . واذا ناديتهم ، لا يستطيع أحدهم أن يسمعنى ، ولهذا أناديك ، لأننى أعرف أن (قوة) آمون تفوق مليون جندى ... واذا كنت هنا ، فانه بناء على أمر من شفتيك يا آمون ولم أشك فى مشيئتك . ومن هنا ، من حدود بلاد البربر ، اننى أتوجه إليك بصلواتى ، ان صوتى يصل حتى ارمنت Hermonthis اننى أرى آمون . انه لبى ندائى انه يبسط يده نحوى ، انه معى ، الفرحة تتملكنى : انه خلفى ، إلى الأمام ، إلى الأمام اننى معك ، انا والدك ، يدى معك اننى سيد النصر واننى أحب الشجاعة . (وهنا) تملكتنى الشجاعة مرة أخرى . وأصبح قلبى سعيداً وكل الجهود قد كللت بالنجاح ، واجدنى شبيها بمونتو وأطلق السهام على يمينى ، وأوثق الأسرى على يسارى ، اننى أمامهم مثل بعل فى ثورة غضبه » [٥٤] .

وهكذا بفضل شجاعته الشخصية وبفضل مساعدة آمون المعنوية نجح رمسيس فى أن يخرج نفسه من المأزق ، وظهر فى السجلات الرسمية نوع من الشعر الخاص بالمديح الذى أصبح مشهوراً تحت اسم « بنتاؤرة » وجاء فى تلك الاشعار أن خطاباً قد ورد من الحيثيين يعبرون عن أعجابهم بقوة الملك ويطلبون وضع حد لتلك الحرب [٥٥] .

ومع مرور السنوات ادار مديح رجال البلاط رأس الملك ، لذلك غطى جدران معابده بالمناظر التى تمثل هذه المعركة والنقوش التى تقصها فى عبارات مبالغ فيها . وتقص الحوليات الرسمية :

« هاجم جلالته الحيثيين فى الوسط ، وكان وحيداً ولم يكن معه أحداً ، وأحاط به ألفا وخمسمائة مركبة حربية للعدو من كل جانب ولكنه قضى عليها بالجملة ، وقتل جميع أمراء البلاد المتحالفة مع الملك الحيثى ، وكذلك القواد الكبار لهذا الملك ، محطما مركباته الحربية ومشاته وجعلهم يأكلون التراب واندفع كل منهم وراء الآخر فى مياه نهر العاصى » وتتوالى الرواية بالتفصيل تدريجيا ، وفى النهاية نجد الملك يكتب بضميره الشخصى الأول المتكلم :

« لقد اندفعت نحوهم مثل معبود الحرب ، لقد قتلتهم ، وقضيت عليهم فى التوعلى حين يصيح أحدهم على الآخر : « انه ليس بشراً ولكن مارداً قوياً وما فعله ليس من فعل انسان ، فلم يحدث على الاطلاق ان هزم شخص واحد مئات الألوف هكذا » ، لقد قضيت عليهم جميعاً ولم يفر منى أحد ، لقد ناديت على جيشى : « اثبتوا ، اثبتوا ياجنود ، انظروا لقد حققت بمفردى النصر » ، « وبفضلى أصبحت حقول قادش جرداء بسبب القتلى ، لدرجة أنه كان من الصعب السير ، لقد حاربت بمفردى ، وقتلت بذراعى القوية مئات الألوف ذات الصفوف المتقاربة ، وفى هذه النقوش نجده يطلق على الحيثيين اسم رعاياه ، ونراهم يصعدون نحو عرشه بأجسادهم المرتجفة ويتحدثون عن ملكهم بسخرية » [٥٦] . وذكر الملك مواتلى من ناحيته فى وثائق بوغاز كوى بأن المعركة كانت انتصاراً له وان آمور وقعت فى أيدى الحيثيين [٥٧] .

وفى الواقع أن كلا الخصمين كانا فى قوة متساوية ولم يدخلا فى معركة حقيقية وبقيت سوريا تحت التهديد الحيثى [٥٨] . ولكن الخسائر كانت فادحة جدا من كلا الطرفين ، وفى خلال الأيام التى تعاقبت ، كان هناك نوع من الهدنة .

وقد نجح الملك إلى حد ما فى القضاء على حدة شوكة الحيثيين ، الذين كانوا قد كونوا تحالفاً من عشرين شعباً ، وكان على الجيش المصرى أن يواجه هذه الشعوب المتحالفة معاً . وأصبحت هذه المعركة معروفة أيضا لدينا جيدا بفضل المديح المبالغ فيه ، والذى طلب الملك كتابته وتصوير تصرفاته الشخصية أثناء المعركة . وأمكن من خلال هذه القصائد عمل خريطة لتحركات جيش المقدمة الذى يمثل الجزء الرئيسى . ولولا حسن تصرف رمسيس وبعض القادة معه لأوشكت الهزيمة أن تحل بالقوات المصرية ، التى ستكون لا نظير لها ، وكل ما فعله هو أنه نجح فى اختراق صفوف أعدائه ولم ينجح فى تحطيم الجيش الحيثى أو الأستيلاء على قادش .

وبعد ذلك رجع رمسيس إلى مصر دون أن ينجح فى طرد الحيثيين من قادش ، ومن المؤكد فى نفس الوقت أن ما حققه فى المعركة يعد نصراً كبيراً له ويحق له ذلك لأنه أظهر شجاعة نادرة ، وفى خلال السنوات العشر التى مرت بعد ذلك ، قام بعدة حملات إلى آسيا . ومن الواضح أن الحيثيين اضطروا فى النهاية إلى التراجع

تاركين أكبر جزء من سوريا تحت التهديد المصرى . وقد حاول الحيثيون التدخل لتأليب أمراء مدن فلسطين ولكن أزمة الخلافة على العرش اضعفت ملك الحيثيين .

وفى أعقاب وفاة مواتلى تولى ابنه الذى كان صغيراً جداً وبعد عدة سنوات من الحكم ، حل محله عمه الملك خاتوسيل الثالث وكان مشهوداً له بالحكمة والذكاء والنشاط . وانتهز رمسيس هذه الفرصة لكى يعاقب مدن فلسطين التى كانت موالية للحيثيين ، وأراد أن يستعيد موانى الشاطئ الفينيقى والسورى وتقدم نحو تونيب وأيضا حتى نهرينا ونجح فى اعادة الهدوء إلى فلسطين ، واستولى على تونيب من يد الحيثيين .

وعندما وصل إلى هذا الحد ، تطور الموقف الخارجى فجأة ، فقد ظهر فاتح ثالث فى آسيا مستغلا الصراع بين المصريين والحيثيين ، وهى آشور ، فقد أراد خاتوسيل أن يستعيد سيطرة الحيثيين ولكنه تصادم مع هذه القوة الجديدة ، التى بلغت أوج مجدها تحت الملك اداد ــ نيرارى وشا لمناصر الأول ، فقد استولى ملك آشور على الجزء الأكبر من ميتانى القديمة ، ثم استقر على نهر الفرات ومن هنا بدأ يهدد الممتلكات المصرية من ناحية والامبراطورية الحيثية من ناحية أخرى ، ورأى خاتوسيل أنه من الأفضل بدلا من أن يقسم قواته ، أن يتفاهم مع أحد خصومه فاختار أكثرهم تفهما وهى مصر .

وبدأ المصريون والحيثيون يشعرون بالخطر ولجأوا إلى التفاهم معاً ونصح معاونو خاتوسيل الملك بعقد معاهدة سلام دائم مع ملك مصر وعرض ملك الحيثيين على رمسيس الصلح وجاء رسولان لعرض مشروع معاهدة تحالف بين مصر وخيتا ، وكان المشروع مسجلًا بالخط المسمارى على لوحة من الفضة باسم خاتوسيل ، فقبله رمسيس وكتب رجاله نصاً آخر مترجماً باللغة المصرية على لوح من الفضة أيضا [٥٩] . وهى تعد معاهدة سلام ودفاع ومساعدة مشتركة بينهما وأيضا تعاهدا على تفادى الحرب بينهما ، واحترام حدودهما فى مكان ما فى شمال سوريا ، لا يمكننا التعرف عليها ولا يعتدى أحدهما على حدود الآخر ، ومعاونة الآخر فى حالة اعتداء دولة أجنبية أخرى والتعاون ضد الثورات الداخلية وتبادل اللاجئين السياسيين والفارين

الذين سوف يعودون إلى بلادهم الأصلية دون التعرض لأية عقوبة ، وأديا القسم أمام الألف معبود الحيثى ومجموع المعبودات المصرية كى يرعوا تنفيذ بنودها .

وكانت النسخة المصرية من هذه المعاهدة مؤرخة بالسنة الواحدة والعشرين من حكم رمسيس الثانى ونقشت على أثرين أحدهما على جدران معبد الكرنك والآخر فى معبد الرمسيوم (٦٠) . أما النص الحيثى فغير كامل وكتب بالخط المسمارى البابلى وهو خط اللغة الدبلوماسية فى الشرق القديم فى ذلك الوقت (٦١) . وعثر على أصل النص الحيثى فى خرائب بوغاز كوى .

وعادت المراسلات بين البلدين وتشير وثائق بوغاز كوى إلى التهنئة التى كتبتها الزوجة الكبرى لرمسيس الثانى ــ نفرتارى ــ إلى بودو ــ هيبات زوجة ملك الحيثيين ونقول فيها :

« اننى فى سلام وأرضى فى سلام واننى اتمنى لك يا أختى السلام » (٦٢) .

وبعدها بثلاثة عشر عاماً تقريباً ، جاء الملك الحيثى خاتوسيل فى زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحباً ابنته لتصبح زوجة للملك رمسيس وجاءت فى موكب فى فصل الشتاء وبفضل دعوات الملك المصرى تمتعت بجو معتدل . ووصلت بعثة الشرف مع الأميرة فى السنة الرابعة والثلاثين من حكم الملك . ولقبت هذه الأميرة بالاسم المصرى : ماعت ــ نفرو رع . ولكنها لم تصبح زوجة ثانوية بالمعنى المفهوم بل منحت الألقاب الرسمية الفعلية كملكة . وصورت فى معابد الكرنك وأبى سمبل والفنتين (٦٣) .

وصورت مع رمسيس الثانى على تمثاله الشهير فى متحف تورينو . وعثر بترى فى مدخل الفيوم فى بلدة من ور على بردية كتبت عليها قوائم بعدد ملابس هذه الملكة (٦٤) .

ونذكر هنا أيضا أن هذه الأميرة كان لها أخت أكبر سناً وكانت تعانى من مرض عصبى ، ووصفت بأنها ابنة ملك من قطر بعيد يسمى باختان Bachtan قد أصابتها روح شريرة فأرسل اليها من مصر الطبيب المصرى تحوتى ام حب الذى لم يستطع علاجها ، فارسلوا إليها تمثالاً شافياً لمعبود طيبة خونسو ، ولم يرغب الحيثيون فى

اعادة التمثال مرة أخرى إلى مصر ، ولمدة تقرب من السنوات الأربع ظل التمثال فى أرض أجنبية حتى اللحظة التى رأى فيها الملك حلماً أثر فيه، فأرسل فى طلب التمثال الذى وصل إلى طيبة بين احتفالات الكهنة والشعب . وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم لا فانها تدل على العلاقات السائدة بين البلدين (٦٥) .

وظلت المعاهدة مع الحيثيين سارية المفعول طوال مدة حكم رمسيس الثانى ، وكانت كل من الدولتين تكن للأخرى فى الواقع الاحترام والسيادة ، ولم تحاول احداهما أن تغير على الأخرى .

واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاماً حتى أيام ولدة مرنبتاح ، فقد أرسل هذا الأخير حبوبا إلى الحيثيين الذين واجهتهم مجاعة (٦٦) . ولنا أن نسأل ماهو وقع الكلمات التى جاءت فى النصوص المصرية والخاصة بالحثيين على الأميرة الحيثية والأشخاص الذين كانوا يحيطون بها عند قراءتهم لمثل هذا الكلام ، ومن حسن الحظ ، نعلم أن أغلب الحيثيين كانوا لا يعرفون اللغة المصرية القديمة ، ونعلم من ناحية أخرى أن البلاد كانت مكتظة فى ذلك الوقت بالسوريين والآسيويين وأجناس أخرى ، وما من شك فى أن مثل هذه الادعاءات كانت تزعج بعضا منهم وتسلى بعضهم الآخر .

فلم تؤثر السيطرة المصرية على سوريا فى بداية الأسرة الثامنة عشرة — على اخلاق الشعب المصرى . فقد كان السوريون يمثلون الجنس الخاضع وكان الملك وقواده لا يقيمون أية صلات مع السوريين أو علاقات لا يفرضها إلا الوضع السياسى نفسه، ولم يستمر هذا الوضع طويلا .

فقد عد رمسيس الثانى سوريا كجزء فعلى من مملكته، وكان يوجد فى بلاطه عدد كبير من الأمراء والموظفين السوريين الذين سوف يؤدى تأثيرهم إلى طبع البلاد بالطابع الشرقى ، فقد سمى رمسيس ابنته الكبرى والمفضلة عنده « بنت عنات » وهو اسم يدخل فيه اسم المعبودة السورية عنات ، وكان لهذا الأمر مغزاه الخطير عندما نعلم أن هذه الابنة كانت هى الورثية الشرعية للعرش .

وفى السنوات الأخيرة من حكمه أصبح رمسيس الثانى اسيوياً حقيقياً فى

بعض عاداته، وكان حريمه الواسع يضم الكثير من الأميرات الشرقيات وذلك نتيجة لارتباط الملك بأغلبية الأمراء السوريين الموالين له، وكذلك بالملوك المستقلين الذين تمتد أراضيهم فيما وراء سوريا .

وقد عثر على لوحة فى شمال نهر الكلب، وهى مهشمة كلية [٦٧] ، ويفهم من بقايا نصها أن الملك رمسيس ربما قام بحملة بين العام الخامس والثامن من حكمه، واستولى خلالها على ثمان مدن على الشاطئ الفلسطينى والسورى ، منها عسقلون وإلى الشمال من غزة ، وبعض المدن فى الجليل ولبنان ، واتجه نحو الشمال واستولى على حصن دابور فى بلاد عامور (وتبين النقوش على اللوحة خمسة من ابناء الملك اصطحبوه فى هذه الحملة ، وصوروا وهو يتسلقون السلالم حتى ابراج المراقبة فى أسوار المدن الخارجية) . وربما أثناء هذه الحملة كذلك وعند عودته إلى مصر ، حارب أقوام موآب وآدوم واستولى على مدينة ديبون التى تقع إلى الشرق من البحر الميت ، وكانت تابعة لأقوام موآب [٦٨] .

ومن العام العاشر من حكمه، عثر على لوحة أخرى إلى الجنوب من نهر الكلب ، تبين أنه كان لرمسيس الثانى نشاط عسكرى فى فينيقيا . ربما قام أثناء هذه الحملة بغرض الحصار على مدينة تونيب (فى شمال قادش) [٦٩] . وفى العام الثامن عشر من حكمه جاء رمسيس الثانى إلى آسيا ، فقد عثر على لوحة فى بيت شان [٧٠] ، وعلى الرغم من أنها لا تذكر أحداثاً محددة ، إلا أنها تؤكد مرة أخرى ، قوة الملك وسيطرته على هذه المناطق . وتقول عنه النصوص : « الرجل القوى الذى قضى على الأعداء ، الذين سقطوا على مدرجات الأرض بعد أن هزم زعماؤهم وجيوشهم » [٧١] .

و« لم يحقق أحد على الاطلاق ما حقق (الملك) ضد البلاد الأجنبية » [٧٢] . وقد اشير إلى الاستيلاء على عسقلون وبعض المدن الفلسطينية واللبنانية ودابور وحصار تونيب فى نقوش معابد الكرنك والأقصر والرمسيوم [٧٣] . وبين العام الخامس عشر والثامن عشر قامت ثورة فى بلاد ارم ، فذهب رمسيس الثانى إلى هناك . وكان معه أربعة من ابنائه من بينهم مرنبتاح ، وكان هؤلاء الأبناء يبلغون من العمر عشرين عاماً . واصطحب الملك من هناك سبعة آلاف أسير [٧٤] . وبعض المناظر على جدران معبد

رمسيس الثانى فى ابيدوس تشير إلى هذه الحملة [٧٥] .

وكان رمسيس يمكث فى طيبة مدة شهور الشتاء فقط ، ويقضى بقية شهور العام فى شرق الدلتا بالقرب من مناطق الحدود ، وقد شيد هناك قصراً جديداً ومدينة فى مكان يسمى برعمسيس « بيت رمسيس » والتى ذكرت فى التوراه تحت اسم « رمسيس » [٧٦] . وكانت تقع بين صان الحجر وقنطير فى شرق الدلتا وشيد فيها أيضا قصراً [٧٧] . وكانت برعمسيس عاصمة جميلة فقد تحدث عنها رجال البلاط والكتبة ، ومنها يستطيع الملك مراقبة ما يحدث فى البلاد الآسيوية . وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظ الرعامسة بقصورهم فى منف ، وزادوا عمرانها ، كما ظلت معابد آمون رع فى طيبة تحظى بأكبر قسط من رعاية الدولة [٧٨] .

وشيد مدينة أخرى فى المنطقة نفسها ذكرت فى التوراة باسم « بيتوم » وعلى أية حال فقد شيدت مدينة برعمسس بالقرب من مدينة قديمة تسمى زوان (تانيس — صان الحجر) التى ظهرت أهميتها منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة وكانت تقع على بعد بضعة كيلو مترات من شاطئ بحيرة المنزلة ، وسوف تصبح عما قريب من المدن الأكثر أهمية فى مصر القديمة [٧٩] .

وعلى الرغم من أن الجزء الشرقى من الدلتا كان مجالاً للاهتمام نظراً لسهولة العلاقات مع سوريا ، نجد أن الملك قد اهتم بغرب الدلتا فقد بدأ خطر شعوب البحر يدق على أبواب مصر من الغرب ، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل رمسيس الثانى يبنى سلسلة من التحصينات مثل حصن الغربانيات (على مقربة من برج العرب) وحصنا آخر عند العلمين ، وحصناً ثالثاً عند زاوية أم الرحم إلى الغرب من مرسى مطروح [٨٠] .

ونجد أن الملك قد شيد الكثير من الآثار فى بقية انحاء البلاد ، فقد عثر على اسم رمسيس الثانى على معظم الاطلال الأثرية . واذا قدر لنا حصر الآثار التى تحمل اسمه ، فهو يعد من أكبر البناة المصريين ، فقد كان شغوفاً بالعمائر والتماثيل كما كان يسلب آثار الآخرين بوضع اسمه عليها وكان لا يتردد فى محو أسماء الملوك السابقين من على جميع الآثار القديمة ، لكى يضع ألقابه عليها ، واذا أضفنا إلى الآثار التى

سلبها ، تلك الآثار الكثيرة التى شيدها لنفسه أو باسمه، فهمنا جيدا لماذا ترك تلك الذكرى الحية فى التاريخ المصرى القديم ، واختلط اسمه مع اسم سنوسرت فى الأساطير التى رددها اليونانيون فنجد أنه أضاف الكثير فى معبد الأقصر والكرنك أضاف الفناء الكبير فى معبد الأقصر ، وتقوم بين الأساطين الأمامية فى النصف الجنوبى من الفناء تماثيل كبيرة لرمسيس من حجر الجرانيت . ويتقدم الفناء صرح عظيم تكتنف مدخله ستة تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى ، اثنان منها على يمين ويسار المدخل من جرانيت أسود يمثلانه جالساً ، والأربعة الأخرى من جرانيت وردى تمثله واقفاً [٨١] . ومن أمامها مسلة شاهقة من حجر الجرانيت الوردى ، تحلى اختها الآن ميدان الوفاق ، أعظم ميادين باريس . وكان محمد على قد اهدى المسلتين إلى شامبوليون والذى أهداهما بدوره إلى الملك لويس فيليب ، وقد أمكن نقل احداهما إلى باريس وظلت الأخرى فى مكانها ، وطولها ٢٢٫٨٣ مترا ، بينما يبلغ طول مسلة باريس ٢٥٫٠٣ متراً [٨٢] .

واتم الملك بهو الأساطين العظيم فى الكرنك [٨٣] . وأقام على جانبى الطريق المؤدى إلى بهو الكرنك العظيم صفين من تماثيل الكباش الضخمة ، يمثل كل منها كبشاً بجسد أسد وأيضا فوق قاعدة مرتفعة ، وكان الكبش حيوان آمون المقدس [٨٤] .

وعثر فى الفناء الأول فى معبد الكرنك على تمثال ضخم لرمسيس الثانى وأمامه زوجته [٨٥] ، وشيد لنفسه معبداً جنائزياً فى البر الغربى فى طيبة ، والذى يسمى الآن « الرمسيوم » [٨٦] . وهو أحد الأبنية الأكثر ضخامة فى البلاد كلها وأمام المدخل كانت تقوم التماثيل الضخمة التى تمثل الملك جالساً ، والتى يبلغ ارتفاعها حوالى ثمانية عشر متراً تقريباً ، وهى منحوتة فى كتلة واحدة من الجرانيت الذى يستجلب من الشلال الأول ويبلغ وزنها أكثر من ألف طن . وشيد خمسة معابد فى بلاد النوبة هى : أبو سمبل ، وادى السبوع ، جرف حسين ، الدر وبيت الوالى ، ولعل أهم هذه المعابد وأشهرها هو معبد أبى سمبل الذى يقع جنوبى أسوان بنحو ٢٨٠ كيلو مترا ، ذو الواجهة التى تطل على النيل ـــ وأمام المعبد يوجد أربعة تماثيل ضخمة تمثل الملك جالساً وفى الوسط يوجد مدخل يؤدى إلى قاعة فسيحة تقوم على جانبيها التماثيل الأوزيرية

للملك ، وتؤدى هذه القاعة إلى صالة أخرى عرضية ثم أخيراً قدس أقداس . والمعبد بأكمله ، بتماثيله ومناظره منحوت فى الصخر نفسه ومن كتلة واحدة بعمق ٤٧ متراً من مدخله حتى قدس الأقداس (٨٧) .

وكل جزء من هذا العمل الفنى الكبير منحوت فى الصخر ولم تضف إليه أية كتلة من الخارج . وكان هذا المعبد مخصصاً لمعبود الشمس حور آختى وآمون رع وقامت خطته على أساس انها تلائم وقت شروق الشمس . وعندما تشرق الشمس فى الشرق من خلف الجبال التى تقع على الجانب الشرقى للنيل ، فهى تلقى بضوئها على أوجه التماثيل الأربعة الأمامية ثم تخترق المدخل فتضئ القاعات الداخلية ثم قدس الأقداس .

وزينت الجدران الشمالية للقاعة الأولى بمناظر تمثل معركة قادش ، كما أن المعركة نفسها نراها مسجلة أيضا فى معبد الأقصر ، فنرى الملك فى عربته يندفع نحو صفوف الحيثيين (٨٨) . ونرى فى قدس الأقداس تمثال رمسيس قائماً إلى جانب تماثيل المعبودات الأخرى : آمون ، بتاح ، رع حور آختى . ونرى فى كل أجزاء المعبد ، الملك يتعبد إلى صورته — إلى جانب المعبودات الأخرى — لأنه عد نفسه أو جسده ماهو إلا صورة من المعبود الخالق على الأرض (٨٩) .

ولكى يعزز هذا الاعتقاد كان يتعبد إلى صورته على الأرض مثل ما يتعبد إلى المعبودات . فكل الملوك كانوا من روح مقدسه ولكن رمسيس الثانى يعد أول ملك — رأى أن شخصيته الانسانية الحية — يجب أن تنحنى أمام صورته السماوية المقدسة . وإلى جوار معبد أبى سمبل الكبير شيد مقصورة للمعبود تحوت ، وفى الشمال ، شيد معبداً آخر خصص للمعبودة حتحور والملكة نفرتارى يزين واجهته ستة تماثيل كبيرة . وقد تم نقل معبدى أبى سمبل إلى مكان مرتفع خلف مكانهما الأصلى بنحو ٢٠٠ متر وذلك قبل أن تغمرها مياه السد العالى . وقطعت أحجار المعبد قبل نقله إلى ١٠٣٥ كتلة حجرية تزن كل واحدة منها ٣٠ طناً (٩٠) .

أما عن بقية المعابد الأخرى لرمسيس الثانى فى بلاد النوبة ، فيعد معبد بيت الوالى من أجمل معابد بلاد لنوبة بعد معبدى أبى سمبل ؛ وكان يقع فى مستوى

مرتفع جنوبى أسوان بنحو ٥٥ كيلو مترا وقد نقل إلى جنوبى السد العالى مباشرة ، وخصص لعبادة آمون رع وخنوم وعنقت . وتحلى جدران الفناء الخارجى مناظر تمثل رمسيس يهزم الأسيويين والليبيين والنوبيين ، وحاكم كوش يقدم الجزية من ذهب وجلود حيوان وعاج وكراسى مزخرفة وماشية وغزلان وزراف (٩١) .

ولم ينقذ معبد جرف حسين بأكمله، واكتفى بانقاذ بعض أجزائه، وكان مخصصاً لعبادة بتاح ؛ وكان بعضه مبنيا وبعضه محفوراً فى الصخر (٩٢) . أما معبد وادى السبوع فقد نقل من مكانه أيضا إلى مكان آخر مرتفع خلف مكانه القديم جنوبى أسوان بنحو ١٥٠ كيلو مترا وكان مخصصاً لعبادة آمون رع ورع حور آختى ورمسيس المقدس ، ويشبه فى تخطيطه كثيرا معبد جرف حسين (٩٣) . ويبعد معبد الدر عن أسوان بنحو ٢٠٠ كيلو مترا ، وقد خصصه الملك لعبادة بتاح وآمون رع ورمسيس المقدس ورع حور آختى (٩٤) . وكشف عن بقايا قصر له فى قنطير جنوب تانيس .

إلى جانب تشييد كل هذه الآثار سجل رمسيس اسمه فى كل مكان . ويبدو ان حبه للعظمة والفخامة قد ادى إلى تدهور الفنون وما يطلبه من رؤساء الفنون جعلهم يخرجون عن المعتاد احيانا والتقاليد الفنية المتبعة (٩٥) . تزوج رمسيس الثانى من نساء كثيرات (٩٦) ، وكان له خمس أو ست زوجات ، انجب منهن الكثير من الذرية بنين وبنات ، ونعرف منهن **ثلاث** :
نفرتارى التى تزوجها فى العام الأول من حكمه، والتى كانت تحمل لقب الأخت ، وانجب منها عدداً كبيراً (٩٧) من الأولاد احدهم يدعى سيتى ، وتعد مقبرتها فى وادى الملكات (٩٨) والتى تقع بالقرب من مقبرة سات رع زوجة سيتى الأول من أجمل المقابر . وتحمل الآن رقم ٦٦ ونجد فى حجرة الدفن بعض نصوص من كتاب البوابات وأجزاء من قصة هلاك البشر .

أما الملكة الثانية فهى ايزيس نفرت التى لا نعرف أصلها ، سوى انها كانت أما لاولاد الملك المفضلين : رمسيس ، خع ام واست ثم مرنبتاح . وتوفى اكثر ابنائه الأوائل فى حياته. وأهم هؤلاء الأولاد ابنه خع ام واست الذى كان احب ابنائه إليه، وفى السنه الثلاثين من حكمه فكر رمسيس الثانى فى اشراك ابنه خع ام واست فى

شئون الدولة (٩٩) ، والذى كان مشهوراً بالحكمة والتقوى وعمل كاهناً للمعبود بتاح وكان يشرف على الأعياد الثلاثينية لأبيه، وكان مهتما بالآثار القديمة فكان يرمم كل ما يجده فى حاجة إلى ترميم (١٠٠) ، ولهذا عثر على اسمه على العديد من الآثار ، ولكنه توفى فى السنة الخامسة والخمسين من حكم رمسيس ، ودفن فى جبانة الجيزة حيث عثر على مقبرته فى كفر البطران (١٠١) ، وأصبح مرنبتاح ــ الأبن الآخر ــ الوريث للعرش .

وأخيرا تزوج من الأميرة الحيثية ماعت نفرو رع التى احتلت مكانة هامة ، وقد ظهرت على لوحة عند مدخل معبد أبى سمبل بصحبة أبيها خاتوسيل عند مجيئها إلى مصر (١٠٢) . وقد ظهرت أيضا على أحد التماثيل التى عثر عليها فى تانيس وبجوارها أكبر أولادها آمون حرخبشف (١٠٣) .

أما عن أشهر بناته الأميرة بنت عنات فهى كبرى بناته، وعثر على مقبرتها فى وادى الملكات ، كما عثر فى نفس المكان على مقبرة لابنته الثانية مريت آمون . ويرى بعض العلماء أنه تزوج من بعض بناته ولكن هذا الرأى لا يستند إلى حقائق علمية واضحة ، وفى معبد وادى السبوع سجل ما يزيد عن مائة أمير وأميرة (١٠٤) ، وفى أبيدوس سجل ثلاثة وثلاثين ولدا واثنتين وثلاثين بنتا وصور بعض ابنائه فى معبد أبى سمبل .

وقد حكم رمسيس مصر أكثر من سبعة وستين عاماً أى أنه عمر حتى سن الثالثة والثمانين ، ودفن فى مقبرة أعدها لنفسه فى وادى الملوك وكانت أكبر من مقبرة أبيه، وتحمل الآن رقم ٧ ، ولكنها الآن فى حالة سيئة ويرجع ذلك إلى رداءة الصخر ، فبدأت تتساقط . أما مومياء الملك فقد أصابها الكثير من التلف وحفظت مع غيرها فى خبيئة الدير البحرى .

ومن أهم الموظفين الذين عاشوا فى عصره مسى (١٠٥) الذى كان يشغل وظيفة كاتب فى بيت المال فى معبد بتاح فى منف وترك لنا نصوصا تخص ملكية أرض تقع بالقرب من منف ، وكانت موضع نزاع بين الورثة والأوصياء وفيها عرض لألوان الفصل فى الدعاوى ، يدل على تحرى الدقة لمعرفة الحقائق (١٠٦) .

ونذكر أيضا نب ون اف الكاهن الأول للمعبودة حتحور فى دندرة وصاحب المقبرة رقم ١٥٧ ، وباك أن خونسو كبير كهنة آمون (المقبرة رقم ٣٥) وبانحسى كاهن طقوس الملك امنحتب الأول وصاحب المقبرة رقم ١٦ ، وهى مقبرة هامة نظراً للمناظر الدينية التى تحتويها ، ففيها تصوير لمعبد الكرنك وموكب الاناء المقدس لآمون والذى لا يصور إلا نادراً ، وخونسو الكاهن الأول لطقوس الملك تحوتمس الثالث (المقبرة رقم ٣١) ، ونجم المشرف على الحدائق (المقبرة رقم ١٣٨) ، ونفر رنبت المسمى كنرو كاتب الخزانة لآمون (المقبرة رقم ١٧٨) ، وايبى النحات (المقبرة رقم ٢١٧) . وهناك أكثر من ٣٠ مقبرة لكبار الشخصيات من عصر هذا الملك [١٠٧] .

با ان رع مرى آمون ــ مرنبتاح حتب حر ماعت (١٢٣٥ ــ ١٢٢٤ ق.م) :

كان حكم رمسيس الثانى طويلا للغاية ، وكان مستقلا جدا بالحكم ومستبدأ بسلطانه لذلك لم يطبق العادة القديمة ، وهى تسمية المشترك معه على العرش ، عندما بلغ سن السبعين عاماً . بالاضافة إلى ذلك فان وفاة ابنه المفضل خع ام واست فى نفس الفترة تقريباً قد أعفاه من ذلك العبء ، ولكنه أعلن ــ مرنبتاح ــ وريثاً وتقاسم بذلك السلطة معه، واظهر له هكذا بعض الثقة .

وعندما توفى رمسيس كان مرنبتاح فى ذلك الوقت رجلا مسناً يناهز الستين عاماً ، ويعد مرنبتاح ابنه الثلاثين فى سلسلة ابنائه [١٠٨] .

وكان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر لبتاح وقائداً للجيش [١٠٩] . وقد توج مرنبتاح على العرش ، ويبدو ان حقه كان شرعيا فى تولى العرش بزواجه من التى كانت تحمل لقب الأخت وهى الأميرة ايزيس نفرت ، الوريثة للعرش أيضا .

وعلى الرغم من شيخوخته فقد نجح فى المحافظة على هيبة مصر ولم يحكم إلا عشرة أعوام . كانت الحالة الداخلية مستقرة والجدير بالذكر أن أحوال مصر قد ساءت واضطربت بعد عهده ، كما زال مجد مصر السالف ، إلا انها أبقت على عطائها وتأثيرها الحضارى فى بلاد الشرق القديم .

ويعد مرنبتاح آخر ملك قوى فى الأسرة التاسعة عشرة . واتبع الملك سياسة عسكرية نشطة نظراً للأخطار التى كانت تهدد حدود مصر الغربية والشرقية والجنوبية .

ولعل الحدث الأكثر أهمية فى عهده هو حملته ضد الليبيين وشعوب البحر وانتصاره عليهم . وترك لنا الملك عشرة مصادر تحدثنا عن انتصاراته المختلفة ، وهى :

١ ــ لوحة عمدا :

مؤرخة بالعام الرابع ,الشهر الثانى من فصل الصيف ، اليوم الأول . ويحتوى نصها على ١٣ سطرا . ويتحدث عن الهجوم الليبى وشعوب البحر على الحدود الغربية ، والتمرد فى الجنوب (١١٠) .

٢ ــ عمود المطرية :

مؤرخ بالعام الخامس ، الشهر الثانى من فصل الصيف . وقد عثر على هذا العمود الأثرى منير بسطه أثناء حفائر هيئة الآثار فى منطقة المطرية عام ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ وعلى هذا العمود نص من أربعة أسطر (١١١) .

٣ ــ جزء من عمود بالمتحف المصرى :

مؤرخ كذلك بالعام الخامس ، الشهر الثانى من فصل الصيف . عثر عليه فى منف ، وهو من حجر الجرانيت الوردى . وعليه بقايا نص مهشم (١١٢) .

٤ ــ نص الجدار الشرقى لفناء الخبيئة فى الكرنك :

مؤرخ بالعام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الثالث . يحتوى هذا النص على ٨٠ سطرا . وتعرض للتشويه فى بدايته وفى بعض أجزائه . وطول هذا النص يدل على أنه كان الأصل الذى نسخت منه النسخ الأخرى من النص نفسه (١١٣) .

٥ ــ منظر الواجهة الداخلية للجدار الشرقى لفناء الخبيئة فى الكرنك :

نص مؤرخ بالعام الخامس ، الشهر الثالث . وعلى هذا الجدار صور مرنبتاح واقفاً يضرب الأعداء ، حيث نراه ممسكا بيده اليمنى بالمقمعة وباليسرى حبلا ينتهى بعدد من الأسرى رافعين أيديهم فى وضع استسلام ويقدمهم لآمون (١١٤) .

٦ ــ لوحة المتحف المصرى رقم CGC 34025, JE. 31418 :

مؤرخة بالعام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الثالث . كانت

هذه اللوحة فى الأصل ملكاً للملك امنحتب الثالث والتى أقامها فى معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة وأشرنا اليها عند حديثنا عن عهد امنحتب الثالث [١١٥] . وسجل على وجهها الأمامى نصاً عن أعماله المعمارية فى معبده الجنائزى فى البر الغربى وفى معبدى الأقصر والكرنك . ثم سلب هذه اللوحة مرنبتاح ونقلها إلى معبده الجنائزى الذى شيده إلى الشمال من معبد امنحتب الثالث فى البر الغربى فى طيبة [١١٦] . وسجل على ظهرها نصاً آخر عن نشاطه الحربى على الحدود الغربية وفى فلسطين . ونعلم من ناحية أخرى أن مرنبتاح قد أخذ الكثير من أحجار معبد امنحتب الثالث الجنائزى وذلك لتكملة معبده الجنائزى فى المنطقة نفسها [١١٧] .

ونحن لا ندرى ما هو السبب الحقيقى وراء استيلاء مرنبتاح على هذه اللوحة من معبد امنحتب الثالث ، ربما يرجع ذلك إلى ان الامكانيات المادية فى عهده كانت محدوده [١١٨] والدليل على ذلك انه سلب احجاراً متعددة من معبد امنحتب الثالث لتكمله معبده الجنائزى . ومما يساعد على عملية نقل هذه اللوحة إلى معبده هو قربه من معبد امنحتب الثالث . ويبدو ايضا ان امكانيات النحت قد قلت كثيراً فى عهده وفى عهد سيتى الثانى وعهد رمسيس الثالث [١١٩] .

ونلاحظ ايضا ان مرنبتاح لم يحاول ان يمحو او يطمس النص الخاص بامنحتب الثالث بل حافظ عليه وكذلك على المنظر فى اعلى النص . واضاف على ظهر اللوحه النص الخاص به مما يدل على ان هذه اللوحه كانت قائمة فى مكان ظاهر فى عهده الجنائزى ولم تكن ملصقة على جدار او حائط فى المعبد والا لأثر ذلك على سلامة نص امنحتب الثالث ، الذى عثر عليه فى حالة جيدة [١٢٠] . ممايدل على انها كانت مقامة فى مكان ظاهر حتى يتمكن من يدخل معبده الجنائزى أن يقرأ النصين معاً وربما يقارن ايضا بين ما حققه امنحتب الثالث وبين ما حققه مرنتباح فى حربه ضد الليبين على الحدود الغربية وما حققه فى الشمال الشرقى ضد بعض المدن الفلسطينية وشعوب (سهل) اليسيرارو . ولهذا نجد ان نص مرنبتاح اسهب فى اظهار مدى الخطر الذى كان يهدد حدود مصر الغربية . بينما اسهب النص الخاص بامنحتب الثالث فى اظهار النشاط المعمارى للملك .

نرى فى اعلى اللوحة منظراً مزدوجاً يظهر فيه مرنبتاح على يمين ويتبعه المعبود « خونسو نفرحتب » وهو يقوم بتقديم علامة الخبش بيده اليمنى إلى المعبود آمون وبيده اليسرى يمسك بعلامة حقا . وعلى اليسار مرنبتاح يعطى بيده اليمنى علامة الخبش لآمون ويمسك بيدة اليسرى علامة حقا ويتبعه المعبودة موت .

ونقرأ امام امون فى المنظر الذى على اليمين :

« خذ لنفسك إداة الحرب للانتصار على كل بلد اجنبى »

وعلى اليسار نقرأ :

« تلقى لنفسك اداة الحرب ضد كل البلاد الأجنبية مجتمعة فى مكان واحد » .

وبعد ذلك يبدأ النص الذى يتكون من ٢٨ سطراً ، والذى يحدثنا فيه الملك عن انتصاراته على الليبيين وزعيمهم وبعد ذلك يحدثنا عن انتصاره على بعض المدن فى فلسطين . ونقرأ فى السطرين ٢٦ ــ ٢٨

٢٦ « ... وانبطح كل الزعماء طالبين السلام . ولم يعد أحد يرفع رأسه من بين الاقواس التسعة . وامسكت التحنو ، وخاتى هدأت ، وأصيبت كنعان [١٢١] بكل أذى ، ٢٧ واستسلمت [١٢٢] عسقلون [١٢٣] ، وأخذت [١٢٤] جزر [١٢٥] ، وينعم [١٢٦] اصبحت كأنها لم تكن (اى محيت) [١٢٧] (وسهل) يزريل [١٢٨] اقفر [١٢٩] ولم يعد له بذور [١٣٠] وخارو [١٣١] اصبحت ارملة [١٣٢] .

٢٨ « لتامرى ، والبلدان كلها ائتلفت فى سلام . وبالنسبة لأى من (اقوام) الرحل الخارجين (عن الطاعة) [١٣٣] فانه سوف يقضى (عليه) بواسطة ملك مصر العليا والسفلى با ــ إن ــ رع ــ مرى ــ آمون ، ابن رع ، مرنبتاح ــ حتب حر ماعت ، معطى الحياه مثل رع يوميا » [١٣٤] .

٧ ــ لوحة المتحف المصرى رقم JE. 50568 :

مؤرخة بالعام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الثالث . عثر عليها بالقرب من منوف وتسمى لوحة اتريب ، ويبلغ ارتفاعها ٣٫٥٠ متر ، وهى منقوشة على الوجهين . يحتوى الوجه الامامى على ١٩ سطراً والخلفى على ٢١ سطراً . نرى

فى أعلى النص على الوجه الامامى منظراً يمثل الملك مرتدياً غطاء الرأس نمس ويرفع يده اليمنى تحية للمعبود آمون وباليد اليسرى يمسك بحبل ينتهى بعدد من الأسرى . وقام ليففر بعمل ترجمة دقيقة لنص هذه اللوحة (١٣٥) .

٨ ـــ نقش على جدران معبد العماره بالقرب من عمدا :

مؤرخ بالعام السادس ، الشهر الاول من فصل الفيضان ، اليوم الاول . ولكن يتحدث عن انتصارات الملك مرنتباح على الليبيين فى العام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الاول . وسجل هذا النص على الجانب الشرقى من النهاية الشمالية لبوابة المعبد . ويتضمن ثمانية اسطر (١٣٦) .

٩ ـــ بردية انستاسى رقم ٢ :

عثر عليها فى سقارة ، وهى من عصر مرنبتاح ، وتشير إلى انتصارات الملك دون اعطاء أية تفاصيل حربية ، وتعطينا اسم شعبين لم يذكرا فى المصادر السابقة (١٣٧) .

١٠ ـــ بردية انستاسى رقم ٣ :

وهى من عصر مرنتباح أيضا وبها اشارة لسكان الجبال اى البدو (١٣٨) . بعد استعراض ما جاء فى نصوص هذه المصادر التاريخية والتى تتحدث جميعها عن النشاط العسكرى لمرنتباح نستطيع ان نقول بانه :

بالنسبة للحدود الجنوبية :

نجد أنه فى العام الرابع قامت بعض العناصر الكوشيه بالتمرد مستغلة القلاقل على الحدود الغربية . فتعرضوا لاقسى عقاب واشعلت النيران فى اغلبهم وتعرضوا للتعذيب وذلك بسبب الثورة التى قاموا بها ، لم تعاود كوش التمرد مرة اخرى لمدة طويلة بعد ذلك ، اى بعد هذا الدرس الذى لقنه اياها جيش الملك مرنتباح (الاثر ١ ، السطر ٧ ، ٩) . وبعد هذه الحمله بدأ مرنتباح يتفرغ لما يحدث على الحدود الغربية حيث يخبرنا نص عمدا كذلك انه « اهمل النوبيين » (الاثر ١ ، السطر ١٢) . ويؤكد لنا النقش الموجود بجوار المنظر الذى يعاقب فيه مرنتباح بعض الاعداء على الجدار

الشرقى لفناء الخبيئة بالكرنك ، هذه السيطره على الجنوب حيث يقال له « استوليت على كل الارض فى جزئها الجنوبى » (الأثر رقم ٥) .

بالنسبة للحدود **الشمالية** :

يتحدث الأثر رقم ٥ على الحدود الشمالية حيث يقال لمرنبتاح : « استوليت على كل الأرض فى جزئها الجنوبى ، وختمتها فى جزئها الشمالى » ربما يعنى لفظ ختمتها بالحصون اللازمة منعاً لتسرب عناصر من شعوب البحر .

بالنسبة للحدود **الغربية** :

كان هناك الاعتداء الليبى بالتعاون مع شعوب البحر وعناصر أخرى . ونجد على الأثر رقم ١ (السطر ٤) أن هذا الاعتداء حدث فى العام الرابع ، الشهر الثانى ، اليوم الأول . وعلى الأثرين رقمى ٢ ، ٣ نجد العام الخامس ، الشهر الثانى . أما بقية المصادر (الأثر ٤ السطر ٣١ ، الأثر ٥ ، الأثر ٦ السطر ١ ، الأثر ٧ ، ٨) فهى تعطينا العام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف . وهذا يعنى أن الاعتداء الليبى بدأ بمناوشات على الحدود فى العام الرابع وحدث تسرب بعض العناصر الليبية عبر الحدود الجنوبية من الصحراء الغربية (الأثر ١ ، السطر ٤) . وفى العام الخامس ، الشهر الثانى ، نجح مروى الزعيم الليبى فى التقدم نحو الشمال إلى حدود الدلتا الغربية ونجح فى الدخول عبر أقاليم الدلتا فى بر ــ ايرو بعد أن اجتاز حصون الحدود الغربية . ولكنه لم يجتز حدود الفرع الكانوبى للنيل ، ووصل بعدها إلى مرتفعات الواحات قاطعاً منطقة أراضى الفرافرة (الأثر ٤ ، السطر ١٨ ــ ٢٠) .

ويبدو أنهم بقوا هناك عدة أيام وشهور (الأثر ٤ ، السطر ١٩). وطبقا للأثر رقم ١ (السطر ٥) يبدو أنهم كانوا مئات الآلاف ، أكثرهم عدداً الليبيون وعدد من سكان وقبائل الصحراء الغربية من التحنو ، التمحو ، والمشواش ، والكهك (الأثر ٢ ، الأثر ٤ ، السطر ٥٧ ؛ الأثر ٦ ، السطر ٥ ، ١١ ؛ الأثر ٧ ، السطر ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧) وعدد أيضا من شعوب البحر : الايكاواشا ، التورشا ، والروكو ، الشاردنا ، الشكروشا (الأثر ٢ ؛ ٣ ؛ الأثر ٤ ، السطر ١ ، ١٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦) (الأثر ٧ ، السطر ١٣ ــ ١٥ الأثر ٩ ، السطر ٤) وكانت هذه الشعوب الخمسة قد جاءت قد جاءت أصلًا من جزر اليونان وايطاليا

وآسيا الصغرى . وتذكر الأثر ٩ ، السطر ٤ ، اسم شعبين : الاسديركا والمرنيا التى ربما كانت من شعوب أقل عدداً وجاءوا أصلا من آسيا .

اضف إلى ذلك بعض العناصر المتفرقة من خيتا (آسيا الصغرى) (الأثر ١) السطر ١٣ . وكانت كل هذه الشعوب والعناصر والأجناس تحت قيادة مروى ابن ديد (الأثر ٤ ، السطر ١٣) الذى اصطحب معه أيضا زوجته وأولاده ، وجاءوا ليبحثوا عن خيرات مصر لكى يملأوا بها أفواههم لأنهم كانوا يتقاتلون فى بلادهم فى سبيل الحصول على أقل زاد (الأثر ٤ ، السطر ٢٢) . وكان الغرض من هجومهم أيضا هو الاستقرار فى مصر ، ويضيف الأثر رقم ٧ (السطر ١٥) « الذين يعيشون على الأعشاب مثل الماشية » .

وبعد الهجوم اجتمع الملك برجال بلاطه وأخبرهم بنبأ العدوان الليبى (الأثر ٤ ، السطر ١٦) بعدها أعطى الملك تعليماته إلى جيشه فخرج إليهم ، وحدثت المواجهة فى اليوم الرابع عشر (الأثر ٤ ، السطر ٢٨) . ومن المحتمل أن الملك لم يشترك بنفسه فى المعركة نظرا لكبر سنه إلى حد ما . وترك هذه المهمة لقواته الشابة وكان قائد الرماه فى مقدمة الجيش ، وبقى هو فى العاصمة يدير دفه الأمور وشئون الدولة (الأثر ٤ ، السطر ٢٧) . ولاشك أن الملك مع قواده خططوا معاً للقضاء على العدو ، ولاسيما وان مرنبتاح كان ابنا لرمسيس الثانى المقاتل الشجاع . وخرج الجيش للعدو وكان المعبود نوبتى يمد اليهم يد العون والمعبود آمون بمثابة درعهم (الأثر ٤ ، السطر ٢٧ ، ٣٢) .

ورأى الملك المعبود بتاح فى رؤيا وهو يحثه على الدفاع عن البلاد ووعده بالنصر (الأثر ٤ ، السطر ٢٨ ـــ ٢٩) [١٣٩] . وكانت ست ساعات فقط من القتال كافية لرماة جيش جلالته للقضاء على العدو (الأثر ٤ ، السطر ٣٣) .

وكان من نتيجة القتال هو فرار الزعيم الليبى فى الظلام بعد أن قتل الآلاف منهم وأخذت ممتلكاته ومعداته وفضته وذهبه وأوانيه من البرونز (الأثر ٤ ، السطر ٣٤ ـــ ٤٠) .

وصور لنا الأثر رقم ٤ كيف حالته وقت القتال . وكيف هرب ماراً بالحصون

على الحدود الغربية (السطر ٤١) وكيف أصبح عدواً لجيشه وعين آخرا بدلا منه (السطر ٤٤) . ويذكر لنا النص أيضا عدد الأسرى من أبناء الزعماء ومن شعوب البحر ومن الليبيين ومن الكهك والمشواش (السطر ٥٦ ــ ٥٧) .

وأخذ الأسرى إلى العاصمة طيبة فى موكب ماراً تحت شرفة القصر الملكى (السطر ٤٨) ، وفى الصالة الكبرى للقصر الملكى ظهر الملك أمام رجال بلاطه سعيداً بما رآه وسعيداً بما حققه جيشه (السطر ٦٢ ــ ٦٣) .

وتصور لنا الآثار أرقام ٤ (السطر ٤٧) ؛ ٦ (السطر ٢١) ؛ ٧ (السطر ٤) مدى السرور والسعادة التى عمت فى البلاد وحالة الأمن التى سادت فى داخل وخارج الحدود بعد هذا الانتصار الكبير .

بالنسبة للحدود الشرقية :

لم تتحدث المصادر السابقة عن نشاط الملك على الحدود الشرقية فيما عدا الأثر رقم ٦ ولكن هناك اشارة إلى هذا النشاط على الأثر ١ (السطر ٢) « قاهر جزر » (السطر ٣) « الأسد ضد خارو » ، وان صدى انتصاره على الليبيين أثار الرعب والخوف فى البلاد الآسيوية (السطر ٦) وأيضا على الأثر ٤ (السطر ٢٤) حيث يذكر الملك انه قضى على قبائل البديوشو التى كانت تعيش فى شمال الجزيرة العربية .

ومن الغريب أن نص الكرنك الطويل (الأثر رقم ٤) لم يذكر لنا أى نشاط للملك على الحدود الشرقية . أما الأثر ٦ (السطر ٢٦ ــ ٢٨) يذكر لنا استيلاء الملك أو بمعنى أصح جيشه على كنعان واسترداد عسقلون وجزر والقضاء على ينعم والقضاء على جماعة (سهل) اليسيرارو . ويفهم من ذلك اذا قارنا كل هذه الفقرات ببعضها البعض نجد أن نشاطه الحربى لم يتعد حدود فلسطين فهو يذكر لنا قبائل البديوشو وبعدها اتجه إلى محاربة بعض المدن الفلسطينية أما فيما وراءها أى رتنو فقد كانت ترتعد من قوة الملك ، وخيتا كانت فى حالة صعف نتيجة غزوات شعوب البحر (الأثر ٤ ، السطر ٢٤) .

أسباب الحملة :

لم تذكر نصوص الأثر رقم ٦ الأسباب التى من أجلها أرسل الملك بقواته إلى هذه المدن الفلسطينية على الرغم من أنه ذكر لنا الأسباب التى قام من أجلها بحملتيه ضد كوش فى الجنوب وضد الليبيين وشعوب البحر فى الغرب .

ونحن نعتقد أن عدم ذكر هذه الحملة فى نصوص أخرى ، وعدم ذكر أية تفاصيل عنها ربما أنها كانت حملة تأديبية بسيطة الحجم لذلك أشير اليها فى جملة واحدة على الأثر رقم ١ . ويبدو أن القوات كانت محدودة مثل الحملة التى أرسلها الملك للقضاء على التمرد فى كوش . وطبقا لرأى دوماس وفانديه [١٤٠] فان مرنبتاح قام بحملة صغيرة حتى سشم فى فلسطين لمعاقبة بعض المدن الفلسطينية . ولم يخبرنا كاتب النص كيفية الاستيلاء على هذه المدن الفلسطينية وكيفية القضاء على ينعم وجماعة (سهل) اليسيرارو على الرغم من أن حملة الملك على ليبيا مملوءة بالتفاصيل وصورها لنا كاتبها بكل أحداثها وتفاصيلها منذ البداية حتى النهاية .

ونحن نعتقد انه عندما بدأت شعوب البحر فى تحركاتها ، منها من هاجر من جزر اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى نحو ليبيا عن طريق البحر المتوسط بالمراكب . ومنها الآخيين الذين عبر البعض منهم البحر المتوسط إلى ليبيا والبعض الآخر اتجه من آسيا الصغرى نحو فينيقيا وفلسطين وذلك عن طريق الطريق البرى ونزلوا على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط . ودفعت هذه الشعوب المهاجرة بدون شك ، والتى كانت أكثر قوة [١٤١] شعوب أخرى من سكان آسيا الصغرى (مثل شعوب شاطئ ليديا وكرى وميسى) [١٤٢] أمامهم بحثاً عن أماكن استقرار جديدة فى المدن الفينيقية والفلسطينية . ويبدو أيضا أن عناصر من شعوب البحر كذلك استقرت فى هذه المدن [١٤٣] وكانت مصدراً وبؤرة للثورة ضد النفوذ المصرى فى فلسطين [١٤٤]. وربما ساعد على ذلك ان دور مصر السياسى فى آسيا قد قل فى نهاية حكم رمسيس الثانى نظراً لكبر سنه [١٤٥]. ومن ناحية أخرى يبدو أنه كانت هناك عناصر محاربة منفصلة عن مملكة خيتا انضمت إلى الليبيين فى هجوم على حدود مصر الغربية أو أن عناصر من شعوب البحر نفسها جاءت من آسيا الصغرى ساهمت فى هذا الهجوم طبقا لما جاء

على الأثر ١ (السطر ١٣) ومما يؤكد وجود عناصر آسيوية ضمن القوات الليبية هو ما جاء على الأثر ٩ ، السطر ٤ ، ان جيش الملك اضرم النار فى الاسديركا واحرق المرينا ، والمرينا كانوا أصلا من سوريا .

وهذا ما يؤكد أن حملته على فلسطين كانت حملة تأديبية لمعاقبة المدن الفلسطينية وسكانها من العناصر الأجنبية التى ربما كانت قد ناصرت الاعتداء الليبى على مصر .

تاريخ الحملة :

لم يذكر لنا نص الأثر ٦ تاريخ هذه الحملة ، فقد ذكرت فى آخر النص الذى يتحدث فيه الملك عن حملته ضد الليبيين ، وطالما أن النص مؤرخ بالعام الخامس الشهر الثالث من فصل الصيف ، فقد اعتقد بعض العلماء أن هذه الحملة على فلسطين حدثت فى أعقاب حملته على ليبيا أى فى العام نفسه.

ونحن نعتقد أن حملته على فلسطين ربما حدثت فى العام الرابع اعتماداً على الجملة التى وردت فى نص الأثر رقم ١ (السطر ٢) « قاهر جزر » أى أن حملته حدثت بعد حملته على الجنوب وقبل حملته ضد ليبيا ، أى أنه أمن حدود الجنوب الشرقى ليتفرغ للخطر الكبير على الحدود الغربية بعد ذلك .. ونظراً لأن الدوافع إلى حملته ضد المدن الفلسطينية لم تمثل خطراً فعليا على الحدود الشرقية لمصر لذلك أرسل الملك حملة تأديبية صغيرة ولهذا لم يذكر هذه الحملة فى نص الأثر رقم ٤ الطويل . وعلى الرغم من أن هذه الحملة ذكرت فى نهاية النص الذى يتحدث عن حملته ضد الليبيين ، فهذا لا يعنى أن جيوش الملك قامت بالحملتين فى الشهر الثالث من فصل الصيف من العام الخامس ، أى الشهر قبل الأخير من فصول السنة . فليس من المعقول أيضا أن تستطيع قوات الملك أن تحقق النصر فى الغرب فى الشهر الثالث من فصل الصيف بعد حملة مضنية وشاقة أثناء شهر مايو ، وفى الشهر نفسه أو الشهر الرابع من فصل الصيف تحقق النصر كذلك فى الشرق ؛ وهذا ما نشك فيه. ولهذا فنحن نعتقد أن حملته فى الشرق ربما وقعت فى العام الرابع . ويذكر فخرى أن هذه الحملة حدثت فى العام الثالث [١٤٦] . ويرى بعض العلماء ان هذه الحملة التى

قام بها جيشه فى فلسطين حملة غير مؤكدة . وأن المقصود من نشر نصوصها مع نصوص حملته ضد الليبيين هو بث روح الخوف فى نفوس الآسيويين [١٤٧] . ومن ناحية أخرى يذكرهيرودوت أن مرنبتاح لم يقم بحملة حربية واحدة [١٤٨] . ونحن لا نتفق مع هذين الرأيين .

ويبدو أنه فى أعقاب هذه الحملة كذلك بدأ مرنبتاح ينظم عملية مرور القبائل التى تأتى من جنوب فلسطين عبر الحدود الشرقية لمصر بحثاً عن مصادر المياه الضرورية لها . ونقرأ فى بردية أنستاسى رقم ٦ ، السطر ٥٤ — ٥٨ التى هى عبارة عن تقرير للكاتب أنينى إلى سيده كاتب بيت المال « كا جب » [١٤٩] يخبره فيه بالآتى :

« أما بخصوصنا فقد توقفنا عن السماح بمرور قبائل الشاسو من أدوم [١٥٠] (إلى) حصن مرنبتاح حتب حر ماعت ليعش فى رخاء وصحة ، والذى فى ثيكو إلى مستنقعات بيتوم (التابعة) لمرنبتاح حتب حر ماعت والتى فى ثيكو (أيضا) لكى يحييوا ولكى تحيا ماشيتهم بفضل الارادة [١٥١] العظيمة للفرعون [١٥٢] ليعش فى رخاء وصحة (أنه) الشمس الخيرة لكل الأرض ، فى السنة الثامنة اليوم الخامس » .

يفهم من هذا النص انه كان لمرنبتاح حصناً فى أرض الثيكو يحمل اسمه ، وانه كان لا يسمح بمرور قبائل الشاسو إلا باذن الملك وتعليماته . وهذا يعنى أيضا انه منذ العام الرابع حتى السنة الثامنة من حكمه لم يحدث أى احتكاك بهذه القبائل فى حدود الوثائق التى نعرفها .

ترك لنا مرنبتاح آثاراً عديدة تحمل اسمه منها لوحات حفرت على جدران الصخور ، ولوحات وضعت على جدران المعابد ، وتماثيل ملكية مختلفة الأوضاع والأحجام [١٥٣] ، وجاء اسمه على بعض البرديات ، وعلى بعض المسلات الصغيرة ، وعلى بعض الجعارين ، وترك آثاراً تدل على مساهمته فى تشييد معبد الأوزيريون فى أبيدوس ، ومقصورة فى السريرية فى مصر الوسطى ، ومعبد تحوت فى هرموبوليس [١٥٤] ، ومعبد رع فى ايونو . وقد شيد لنفسه قصراً فى منف ، كشف عن أطلاله ، وكان يتألف مدخله من ردهة ذات أربعة أساطين فى صف واحد ، ويشتمل القصر على ثلاثة أقسام ، يشغل اقسم الأمامى بهو مستعرض ، ويشمل القسم الأوسط قاعة عرش ، وكان

القسم الخلفى يحتوى على القاعات الخاصة [155].

وشيد لنفسه معبداً جنائزيا إلى الشمال من معبد امنحتب الثالث فى البر الغربى فى طيبة وقد أخذ الكثير من أحجار معبد هذا الأخير لتكملة معبده [156].

وعندما توفى مرنبتاح فى عام ١٢٢٤ ق.م لم تكن مقبرته فى وادى الملوك قد انتهى منها بعد، ويذكر بانحسى فى نص من العامين السابع والثامن من حكم الملك، أنه كان يذهب لتفقد لعمل فى هذه المقبرة [157]. وهى تحمل الآن رقم ٨، فقد لوحظ وجود الغطاء الخارجى للتابوت من الجرانيت خارج حجرة الدفن، وقد نحت الغطاء الداخلى للتابوت وأعطى له شكل وجه الملك، وهو موجود الآن فى مكانه فى المقبرة التى تقع بجوار مقبرة والده رمسيس الثانى، ونقلت مؤمياؤه إلى مقبرة امنحتب الثانى عندما وقعت عملية نهب المقابر حيث كشف عنها لورية عام ١٨٩٨. ورسم على جدران حجرة الدفن نسخ من كتاب ما يوجد فى العالم الآخر وكتاب البوابات.

ومن أهم رجال عصره توى الكاتب الملكى لاتصالات ومراسلات الملك، وصاحب المقبرة رقم ٣٢.

يرى بعض العلماء أن حكم مرنبتاح هو العلامة الفاصلة بين مجد مصر وعزتها وقوتها وانهيارها وضعفها بعد هذه الفترة، اذ أنه بعد انقضاء حكم مرنبتاح — فى منتصف الأسرة التاسعة عشرة — أخذ المجد المصرى يكبو ويخبو ثم يخفت رويداً حيث : أولا : بدأت مصر تفقد نفوذها فى آسيا إلى الأبد، وثانيا بدأت الوحدة السياسية فى التفكك والتى كانت تمثل الدعامة الأولى والقوة الأساسية للنفوذ المصرى، وذلك ما حدث فى عصر الانتقال الأول والثانى وسوف نرى من جديد قيام ممالك صغيرة يعادى بعضها الآخر، تستقر فى مصر العليا أو السفلى، ولن تجد مصر فى هذه المرة الملك القوى والقدير الذى يستطيع أن يضع حدا لكل هذه الفوضى السياسية، وكل ما كان هناك عبارة عن مهدئات وقتية، ومن فوضى إلى اضطراب تصبح مصر فريسة للامبراطوريات القوية البعيدة، للأشوريين تارة ثم الفرس تارة أخرى وأخيرا اليونان.

من ماعت رع ـــ آمن مس حقا واست [١٥٨] (١٢٢٤ ـــ ١٢١٩ ق.م) :

تولى من بعد مرنبتاح ولده آمون مس ، وليؤكد حقه فى تولى العرش تزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت تاوسرت ؛ ولكنه توفى أو عزل عن العرش بعد فترة قصيرة [١٥٩] . وعثر على مقبرته فى البر الغربى وهى تحمل رقم ١٠ .

آخ ان رع ـــ ستب ان رع ـــ مرنبتاح ـــ سابتاح [١٦٠] (١٢١٩ ـــ ١٢١٠ ق.م) :

تزوجت الملكة تاوسرت من اخ أكبر لآمن مس كان يعانى من مرض قصر القدم ، وتوج تحت اسم سابتاح ، ولكن على الرغم من هذا التتويج فقد كانت تاوسرت هى التى بيدها السلطة الفعلية بمساعدة أحد رجال الدولة الكبار الذى كان يسمى باى كما فعلت الملكة حتشبسوت فى الأسرة الثامنة عشرة والتى حكمت بمساعدة سنموت . وقد أحاطت الملكة باى بتكريم كبير ، وسمحت له بان يشيد لنفسه مقبرة فى وادى الملوك .

وقد توفى سابتاح بعد أن حكم أكثر من ستة أعوام ، ولا نعرف عن فترة حكمه شيئاً سوى أن الفوضى قد زادت بعد وفاته وأصبح حكام الأقاليم يتمتعون بسلطة مستقلة . وقد قام الملك ببناء معبد جنائزى إلى الشمال من معبد الرمسيوم وعثر على مقبرته بالبر الغربى وهى تحمل الآن رقم ٤٧ .

وسر خبرو رع ـــ مرى آمون ـــ مرنبتاح ـــ سيتى الثانى [١٦١] (١٢١٠ ـــ ١٢٠٥ ق.م) :

تزوج هو أيضا كسابقيه من تاوسرت ـــ أرملة الملكين السابقين ـــ التى أصبحت ذات مكانة هامة حتى أنها نسيت كل ذكريات زوجيها السابقين ، وأرخت حكمها الرسمى بموت أبيها ـــ مرنبتاح الأول ـــ كما لو كانت هى الوحيدة التى تحكم بطريقة شرعية ـــ وقد أقامت مثل أزواجها الثلاثة السابقين مقبرتها فى وادى الملوك ، ولكن يلاحظ فى مقبرة زوجها الأخير ـــ سيتى الثانى ـــ ان اسمه قد محى وكتب من جديد ، مما يدل على انه فى وقت ما كانت تاوسرت تملك السلطة الفعلية وأرادت ابعاد اسمها زوجها ، ولكن سرعان ما ابعدت هى عن السلطة وأعيد اسم سيتى

الثانى ، ولا نعلم عنها أى شئ بعد ذلك أو عن مستشارها باى ، ولم يطل عمر سيتى الثانى بعدها طويلا واختفى بدوره بعد أن حكم خمس سنوات . وقبيل نهاية حكمه وقعت جميع البلاد فريسة للفوضى . وشيد سيتى الثانى مقصورة للقارب المقدس لثالوث طيبة فى الكرنك [١٦٢] .

وقد جاء ذكر اسم تاوسرت فى مناجم الفيروزفى سيناء [١٦٣] . وعثر على مقبرة تاوسرت بالبر الغربى وهى تحمل الآن رقم ١٤ وكذلك مقبرة سيتى الثانى وهى تحمل الآن رقم ١٥ .

بعد وفاة سيتى الثانى سادت الفوضى وافتقرت البلاد إلى ملك قوى يدير الحكومة المركزية ، وظهر شخص سورى يسمى ارسو نجح فى أن يفرض نفسه كملك على مصر مما يدل على مدى تفكك وانهيار الملكية المصرية [١٦٤] . وفى الخارج تقدمت القبائل الهندو أوروبية من آسيا نحو الجنوب والغرب ، على حين استغل هؤلاء الذين استقروا فى ليبيا فرصة الفوضى التى حلت بمصر لكى يعيدوا تنظيم أنفسهم مرة أخرى . وقد جاء على لسان رمسيس الثالث بطل هذه الفترة حديث يصف فيه أيام الفوضى والاضطرابات وهى كلمات مقتطفة من بردية **هاريس** : « كانت أراضى مصر مضطربة ، وكل شخص يعيش محروما من حقوقه ، ولعدة سنوات ، لم يكن هناك رئيس واحد ذو كلمة ، وأصبحت البلاد فى أيدى القدماء ورؤساء المدن الذين يتنازعون بعضهم بعضاً كباراً وصغاراً ، وبعد ذلك ، جاء وقت آخر من سنوات خالية ، نجد أحد السوريين ويسمى ارسو أصبح رئيسا عليهم ، ربما كان ارسو أصلا من أسرة هاجرت من سوريا منذ فترة واستقرت فى مصر ، ونجح فى الوصول إلى العرش بفضل أعوانه وكان له نفوذ فى البلاط وجمع حوله رجاله واستولى على السلطة [١٦٥] ، ونهب ممتلكات المصريين وعامل المعبودات كالبشر ولم يقدم أية اضحيات فى المعابد » [١٦٦] .

ومن عصر سيتى الثانى نعرف شوروى رئيس المشاعل الخاصة بالمعبود آمون وصاحب المقبرة رقم ١٣ بشيخ عبد القرنة ، وحوى الذى كان يشغل وظيفة كاهن امنحتب الأول وصاحب المقبرة رقم ١٤ .

والآن نتناول موضوع الخروج ذلك أن بعض العلماء رجحوا الخروج فى عهد

مرنبتاح ، وقد القينا الضوء من قبل على الآثار التى تخص هذا الملك لاستخلاص بعض النتائج التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع فى عهده ولهذا أثرنا ان نتناول المشكلة من عدة جوانب بعد الانتهاء من حديثنا عن عصر الأسرة التاسعة عشرة .

الفصل الرابع عشر

هل هناك صلة بين أحداث حملة مرنبتاح على فلسطين ووقائع الخروج ؟

أولا ــ الآراء المختلفة بالنسبة للخروج :

اتجه علماء الدراسات المصرية القديمة والدراسات الشرقية بالأدلاء بعدة آراء في هذا الموضوع . فيرى بعضهم ــ دون الاعتماد على نصوص أثرية مصرية ــ ان خروج بنى اسرائيل من مصر قد حدث فى عصر الهكسوس [١] . وظهر رأى آخر يفيد بأنهم خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة [٢] ، وبالتحديد فى عهد الملك تحوتمس الثالث ، وآخرون يعتقدون ان خروجهم حدث فى عهد ابنه امنحتب الثانى . وقد وضع مانيتون خروج بنى اسرائيل ايام امنحتب الثانى [٣] . كما ان هناك من الباحثين من يرى ان ذلك حدث فى عهد امنحتب الثالث .ووصل الامر ببعضهم الاخر الي القول بأن خروجهم من مصر كان على اثر وفاة امنحتب الرابع [٤] . وظهرت آراء أخرى ترى ان الخروج حدث فى عهد رمسيس الثانى [٥] . أما الرأى الوحيد المعتمد على نص أثرى مشكوك فى صحة قراءته وتفسيره فأنه يرى ان خروج بنى اسرائيل من مصر كان فى ايام مرنبتاح [٦] . وذلك اعتمادا على الفقرة التى جاءت فى السطر رقم ٢٧ على الأثر رقم ٦ (أى اللوحة الموجودة بالمتحف المصرى والتى سبق ذكرها ضمن آثار مرنبتاح) والتى جاء عليها ما يأتى :

« (وسهل) يزريل اقفر ولم يعد له بذور »

وقد قرأ أغلب العلماء الاسم « يزريل » باسرائيل وقد اعتمد أكثر العلماء على هذه الفقرة للتحدث عن الخروج فى عهد هذا الملك وابدوا الآراء فى هذا الصدد . بينما يرى البعض الآخر ان خروج بنى اسرائيل من مصر فى عهد الملك مرنبتاح يعد أمراً يكاد يكون مستحيلا ، وذلك لعدم توافر الأدلة الأثرية الكافية لاثبات وجودهم فى مصر فى عهد هذا الملك [٧] .

وفى الواقع ان كل هذه الآراء لا تعتمد على مصادر أو شواهد أثرية مؤكدة لكى تدعمها ، ولم نجد حتى الآن نقشاً أو نصاً واحداً على الآثار المصرية والمصادر التاريخية تؤيد أى من هذه الآراء السابقة أو تدفعنا لابداء رأى جديد ، بل على العكس ظلت المصادر الأثرية والنصوص المختلفة حتى يومنا هذا على صمتها ازاء هذا الموضوع [٨] ، الذى اصبح يمثل مشكلة من مشاكل تاريخ مصر القديمة .

ثانيا ــ هل هناك أدلة أثرية على الخروج ؟

وقد حاول بعضهم البحث عن اسم سيدنا موسى فى النصوص المصرية ، وافترض بعضهم العثور على هذا الاسم فى بردية انستاسى رقم ١ ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لوجود العديد من الاشخاص الذين يحملون اسم « مسى » .

وقد جاء فى سفر الملوك الأول ، ان سليمان بنى معبداً ، فى بيت المقدس ٤٨٠ سنة بعد خروج اطفال اسرائيل من مصر ، وفى سفر الخروج جاء ان إقامة العبرانيين فى مصر قد استمرت حوالى ٤٣٠ عاما [٩] .

والقصة التى جاءت فى التوارة كما نسخها فيما بعد الكتبة اليهود ، تمثل بعض الاسهاب الأدبى للظروف الضخمة التى صاحبت هذا الخروج .

ولكن هناك مصدران من العصر المسيحى يشيران إلى احداث الخروج ، وهما متأثران فى الحقيقة بما جاء فى قصص العهد القديم :

أولهما : عبارة عن نص مأخوذ من مخطوطات قبطية كانت ضمن مجموعة مكتبة بودلاين Bodleian library ، والتى قارنها المالك ببعض قطع الرق التى فى حوذته . وآلت كل هذه المجموعة بعد ذلك لمطبوعات اكسفورد . اما عن تاريخ هذه المخطوطات فهى ترجع الى القرن الثالث الميلادى [١٠] .

وجاء فى نسخة من هذه المخطوطات ، والتى تعد نسخة من العهد الجديد كتبت باللهجة القبطية الصعيدية ، النص الآتى :

« هذا هو الذى احضرهم خارجا ، وقام بعمل الآيات والمعجزات فى مصر وفى البحر الأحمر وفى الصحراء (لمدة) اربعين عاما » [١١] . والمقصود بالحديث هنا هو

سيدنا موسى عليه السلام .

ثانيهما : نجده على مقربة من مدينة الخارجة ، فى جبانة من أهم الآثار المسيحية فى مصر هى جبانة البجوات ، التى مازالت هياكلها قائمة ، وبينها خمسة بها رسوم ملونة ، أكثرها مناظر دينية مأخوذة من قصص العهد القديم ، مثل خروج بنى اسرائيل من مصر ، وقصة سيدنا آدم ، وقصة سيدنا نوح ، وقصة سيدنا ابراهيم وابنه اسحق ، وكذلك نجد صور لبعض القديسين المسيحيين . ويرجع تاريخ هذه الجبانة إلى القرن الرابع والقرن الثامن الميلادى (١٢) .

وفى نهاية القرن الماضى قامت بعثة جمعية الاكتشافات الأثرية المصرية الانجليزية بعمل حفائر فى شرق الدلتا ، وكانت تأمل فى العثور على بقايا أثرية لجماعات الخروج ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق ولم تعثر على أى أثر مادى (١٣) . حتى النتائج العلمية من الحفائر التى تمت فى منطقة جريكو فى فلسطين لم يعطينا أى دليل مادى عن موضوع الخروج . وبالمثل نتائج الحفائر التى قامت بها بعض البعثات الأثرية اليهودية فى مناطق مختلفة من شبه جزيرة سيناء ، فى أعقاب عدوانهم الغاشم واحتلالهم لها فى يونيو ١٩٦٧ .

ثالثا ــ نظرة تحليلية للفقرة التى وردت فى نص لوحة مرنبتاح :

ان ما جاء فى السطر ٢٧ من لوحة مرنبتاح بخصوص قيامه بحملة تأديبية ضد بعض المدن الفلسطينية (١٤) ليس له صلة على الاطلاق بأحداث الخروج وذلك للأسباب الآتية :

أولا : مما يؤسف له ان أغلب العلماء عندما يتعرضون لهذه الفقرة فى كتاباتهم يترجمون كلمة « يزريل » بـــ اسرائيل » (١٥) وهذا ما يخالف فى رأينا قراءة وترجمة الكلمة على هذا النحو . لذلك فمن الأفضل قراءتها وترجمتها بـــ «يسيرارو » والمقصود بهذه التسمية فى رأينا سكان أو قبائل سهل يزريل أو جزريل (الذى ذكرته التوراة تحت اسم اسدرالون Jezreel وهو مرج ابن عامر من الناحية الشرقية الشمالية من جبال الكرمل(١٦) (والذى يمتد من حيفا غربا الى وادى الأردن الغور) .

ومن ناحية أخرى فان ترجمة الأسم بـــ « اسرائيل » يخالف ما كان سائداً من أوضاع سياسية فى فلسطين فى عصر الأسرة التاسعة عشرة وما قبلها ، لأن ترجمة الكلمة بـــ « اسرائيل » يعنى وجود أرض مملكة اسرائيل على أرض فلسطين فى بداية هذه الأسرة أو قبل قيامها بفترة . وهذا لم تشر إليه النصوص من هذه الفترة .

ويبدو ان جيش الملك مرنبتاح قد اتخذ الطريق الدولى القديم الذى يمكن تتبعه من دلتا النيل وعلى ساحل سيناء حيث يتفرع إلى مناجم النحاس والفيروز فى شبه جزيرة سيناء ومن سيناء يتجه الطريق شمالا نحو ساحل فلسطينى حتى جبال الكرمل على مسافة مِن البحر . وهنا يتفرع الى طريقين يتجه الواحد إلى الساحل فيصل صور وصيدا وجبيل وسائر المانىء الفينيقية . ويسير الآخر إلى الداخل فيجتاز سهل مجدو ويعبر الأردن فى واديه الشمالى ثم يتجه رأسا إلى دمشق فى الشمال الشرقى . (١٧)

وكما يحدثنا نص مرنبتاح ان جيش الملك بدأ بمعاقبة كنعان (١٨) ويقصد بها هنا مدينة غزة ثم عسقلون وهما تقعان على الساحل الجنوبى لفلسطين (١٩) ، ثم سار بَمحازاة الشاطىء الى الشمال ثم توجه بعدها إلى مدن الداخل جزر (٢٠) وينعم ووصل إلى وادى الأردن أو منطقة مرج ابن عامر (٢١) (Esdraelon) أى اجتاز فلسطين بأكملها وتقابل مع سكان أو قبائل سهل جزريل أى فى المنطقة التى تفصل بين تلال الجليل فى الشمال عن مرتفعات فلسطين فى الجنوب (٢٢) . ويلاحظ ان الكاتب المصرى قد اتبع الترتيب الجغرافى أى ذكر مدى جنوب الساحل ثم الموجودة فى الداخل فى الشمال الشرقى (٢٣) .

ثانيا : مما يؤسف له ايضا ان أغلب العلماء يسمون هذه اللوحة بـــ « لوحة اسرائيل » . (٢٤) وهنا يخالف ما جاء على وجهى اللوحة من نصوص . فهى تحتوى فى وجهها الأمامى على نص من عهد الملك امنحتب الثالث يسجل فيه أعماله بالنسبة لمعابد طيبة وخاصة معبدى الأقصر والكرنك . وعلى ظهرها يوجد نص مرنبتاح ، ولهذا فمن الأفضل تسميتها اما بـــ « اللوحة ذات النصين » أو « لوحة انتصارات امنحتب الثالث ومرنبتاح » أو « نص البر الغربى لامنحتب الثالث

ولمرنبتاح » عند الحديث عن أعمال أحدهما [٢٥] .

ثالثا : يذكر كيتشى فى كتابه «الشرق القديم والتوراة» «ان اسرائيل كانت موجودة فى غرب فلسطين فى عام ١٢٢٠ ق.م. وان غزوها لأراضى فلسطين كان فى وقت مبكر عن هذا التاريخ أى فى عام ١٢٩٠ ق.م. (أى عند ارتقاء رمسيس الثانى عرش البلاد) أو عام ١٣٠٤ ق.م. [٢٦] .

وفى رأينا أن هذا الرأى لايستند على أى نص تاريخى أو مصدر أثرى ، ولهذا لا يجب الأخذ به على الاطلاق ، وذلك للأسباب الآتية :
(أ) ان عملية استقرار أية جماعة من الجماعات يحتاج إلى فترة زمنية طويلة فلو ان اسرائيل كان لها وجود فى فلسطين فى الفترة التى سبقت مرنبتاح ، فلماذا لم تذكرها النصوص المصرية مرة واحدة وخاصة وان النقوش المصرية تحدثنا عن فلسطين ومدنها منذ عصر الدولة القديمة .

فاذا عدنا إلى الوراء إلى عصر الأسرة السادسة نجد ان بعض الشعوب أو القبائل التى كانت تقطن بالقرب من جبال الكرمل قامت بتهديد طرق التجارة المصرية اذ ذاك فاضطر الملك بيبى الأول (٢٤٠٢ ــ ٢٣٧٧ ق.م.) إلى ارسال القائد ونى فجهز جيشين سار أحدهما بطريق البر ، وسار هو مع الجيش الآخر بطريق البحر فنزل عند مكان من المحتمل ان يكون قريبا من جبال الكرمل ، وسار بعد ذلك فى داخل البلاد وانتصر ، وقمع الثورة هناك لأن فلسطين لم تكن فى ذلك العهد بلدا مواليا لمصر . [٢٧]

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، نجد الملك تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ ق.م.) قام بأول حملة على فلسطين فى العام الثانى والعشرين من حكمه أى فى السنة الأولى من انفراده بالحكم . وانه غادر حصن ثارو (على مقربة من القنطرة) فى طريقه إلى فلسطين فوصل إلى غزة بعد تسعة أيام وقد قطع مسافة تزيد على ٢٨٠ كم . ولم يضع تحوتمس الثالث وقته لأنه كان يعلم ان الذين شقوا عصا الطاعة عليه جمعوا جموعهم عند مدينة مجدو (تل المتسلم) على الحافة الجنوبية لسهل جزريل . وكان هذا الاتحاد تحت رئاسة أمير قادش . وبعد ان ترك جيش

تحوتمس غزة ووصل بعد ذلك الى بلد يقال له « يحم » بعد مسيرة أحد عشر يوما . وبعدها كان أمام تحوتمس ثلاث طرق اثنان منها يدوران حول سفح الجبال يبدأ من مكان يسمى عرونا وبعد ان حاصر مجدو سبعة شهور استطاع الاستيلاء عليها وبعد الاستيلاء على مجدو اتجه تحوتمس شمالا مستوليا على البلاد كلها ومن بين المدن التى استولى عليها ينعم (وتقع على بعد تسع كيلو مترات من بحيرة طبرية) وهى التى جاء ذكرها فى نص مرنبتاح [٢٨] .

ونجد أن نقوش الأسرة التاسعة عشرة مليئة باخبار الحملات الحربية التى قام بها ملوك الأسرة ضد بدو سيناء أوضد القوى الكبرى التى ظهرت فى بلاد الشرق القديم وكانت تتناهض السياسة المصرية فى سورية وفلسطين .

ولكن لم تذكر هذه النصوص ايضا أية اشارة إلى وجود مملكة لاسرائيل .

فنجد الملك سيتى الأول (١٣٠٣ ــ ١٢٩٠ ق.م.) قام بحملة فى فلسطين وسوريا وتغلغل بعمق داخل فلسطين ضد قبائل العابيرو والبدو من الشاسو وقضى على ثورتهم ثم تقدم حتى مدينة كنعان . وعندما حاولت قبائل الشاسو التجمع مرة أخرى فى بلدة ينعم لم يمكنهم سيتى الأول من التجمع سويا فى مكان واحد [٢٩] .

ومن الملاحظ ان نص الملك سيتى الأول يذكر لنا مدينتى كنعان وينعم وقد ذكرتا فى نص مرنبتاح بعد ذلك .

وهناك لوحة تركها لنا الملك رمسيس الثانى فى شمال نهر الكلب يخبرنا نصها عن حملة قام بها الملك بين العام الخامس والثامن من حكمه فى فلسطين واستولى فيها على مدينة عسقلون وبعض المدن الفلسطينية وحارب شعوب أدوم فى جنوب فلسطين ومؤاب ، واستولى على بعض المدن إلى الشرق من البحر الميت . [٣٠] وهنا ايضا لم يأت ذكر لوجود مملكة لاسرائيل .

رابعا : يلاحظ ان كلمة يزريل بها مخصص العصا المعقوفة وهو المخصص نفسه الذى نجده فى اسماء الشعوب الأجنبية [٣١] . واضاف كاتب النص الى الكلمة أو الاسم

مخصص الرجل الجالس والمرأة واتبعهما بثلاثة شرط علامة الجمع . مما يؤكد انه يقصد الأقوام أو الشعوب أو القبائل أو الأشخاص .

ونلاحظ ايضا خلو الكلمة أو الاسم من أية مخصصات للمكان (الجبل أو المدينة) مما يدل على سكان البلاد الأجنبية والذى نجده فى اسماء بعض المدن الفلسطينية مثل كنعان وعسقلون وجزر وينعم . ونلاحظ كذلك ان فى اسماء هذه المدن الأخيرة يوجد مخصص العصا المعقوفة والجبل معا مما يعنى انها تخص ممالك أو دول وشعوبها أو مدن وسكانها . ولهذا فان غياب مخصص الجبل أو المدينة من كلمة يزريل يدل على ان النسمية يراد بها أقوام كانت تعيش فى مناطق الحواف الجنوبية لسهل جزريل شرق شمال جبال الكرمل ولهذا لم يربطهم النص صراحة بمدينة أو بمنطقة جبلية داخل فلسطين نفسها ، وذلك يعنى ايضا أنهم كانوا أقواما فى حالة ترحال وتنقل دائمين . أو كانوا من سكان مناطق السهل المتاخمة للحدود مما تؤكده علامة الحدود فى الاسم .

ومما يدل على ان الحديث هنا فى كلمة يزريل عن سهل ، هو المصطلح المصرى القديم : bn prf. f أى « لم يعد له بذور » حيث ان الزراعة لا تنمو الا فى مناطق السهول . كما ان الكاتب المصرى استخدم الضمير المتصل للشخص الثالث الغائب المذكر المفرد للدلالة على الملكية « له » ولم يكتب « لهم » .

خامسا : لم يذكر لنا النص من قريب أو من بعيد انهم كانوا من نزلاء فلسطين كما رأى د. صالح [٣٢] . وهناك نص مؤرخ من العام الثامن من حكم رمسيس الثانى جاء فيه التعبير الجغرافى يزرى (ل) الذى كان يطلق على المنطقة جنوب فينيقية وهذا التعبير قريب الصلة بكلمة يزريل فى نص مرنبتاح (يلاحظ وجود مخصص العصا المعقوفة والجبل معا فى نهاية الكلمة) .

وعلى ذلك فان كلمة يزريل Jezreel (مرج ابن عامر) فى شرق شمال جبال الكرمل) يقصد بها سكان هذه المناطق ولا يقصد بها كما فهم أو فسر أغلب علماء الدراسات المصرية بالاسم « اسرائيل » . ومما يعزز هذا الرأى هو ما جاء فى نهاية الفقرة : « وخارو اصبحت أرملة لمصر » وكما نعلم ان كلمة خارو كان يقصد بها

جنوب فينيقية (أو سورية) وجزء من فلسطين .

ولم يظهر أى من التعبيرين : يزريل (الذى جاء فى نص مرنبتاح) ويزرى (ل) (الذى جاء فى نص رمسيس الثانى) فى المصادر التاريخية أو الأثرية المصرية من العصور اللاحقة مما يشير إلى ان هذين التعبيرين استخدما فقط فى الأسرة التاسعة عشرة للتعبير عن معنى جغرافى محدد .

وكل هذه المعطيات تشير الى أن المقصود بكلمة يزريل فى نص مرنبتاح هم قبائل سهل جزريل الذين أرادوا ان يحتكوا بجيوش الملك مرنبتاح فانزل بهم أشد العقاب . واذا نظرنا الى ترتيب ذكر مدن الساحل فى نص مرنبتاح نجده يذكر كنعان وعسقلون وجزر [٣٣] وينعم مما يدل على أن جيوش الملك بعد ان أخضعت مدن الساحل اتجهت إلى الناحية الشرقية الشمالية من سهل فلسطين لاخضاع القبائل هناك الذين ربما تعرضوا لسبل التجارة المصرية والدليل على ذلك ان نهاية النص تخبرنا :

« وبالنسبة لأى من (أقوام) الرحل الخارجين (عن الطاعة) فانه سوف يقضى (عليه) بواسطة ملك مصر » . وتختلف قبائل سهل يزريل عن جماعات البدو المعروفة التى كانت تقطن جنوب فلسطين وتغير على الحدود الشرقية لمصر وتهدد طرق التجارة مثل العابيرو ، والشاسو والبديوشو . وقد فرق الكاتب المصرى فى نصوص الدول الحديثة بين هذه القبائل خارج حدود مصر الشرقية فهى قبائل رحل . ففى رسالة لأحد قواد الحامية على الحدود الشرقية تقول :

« أما بخصوصنا فقد توقفنا عن السماح بمرور قبائل الشاسو من آدوم (إلى) حصن مرنبتاح حتب حر ماعت ليعيش فى رخاء وصحة ، والذى فى ثيكو الى مستنقعات بيتوم (التابعة) لمرنبتاح حتب حر ماعت والتى فى ثيكو (ايضا) لكى يحيوا ولكى تحيا ماشيتهم بفضل الارادة العظيمة للفرعون ليعش فى رخاء وصحة [٣٤] » .

سادسا : تشير الفقرة « لم يعد له بذور » ان المنطقة اصابها دمار شديد ، أى لم يصبح لديها ما تستطيع ان تقتات به ، على الرغم من ان النص لم يذكر السبب الحقيقى وراء معاقبة هذه الجماعة أو القبائل . ولكن كان من نتيجة هذه الحملة ان أصبحت سورية وفلسطين بدون حماية ، وهذا هو المقصود بالتعبير : « خارو اصبحت أرملة لتاميرى » [٣٥] أى أن جيوش الملك نجحت فى تأمين الحدود الغربية وما ورائها .

سابعا : ان اسم اسرائيل لم يرد الا فى مصادر التوراة فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حين ذكر ان ميشع ملك مؤاب حارب اسرائيل [٣٦] .

ثامنا : ان نص مرنبتاح ليس له صلة على الاطلاق بأحداث الخروج . وذلك لاننا نعلم ان الظروف التى مهدت للخروج وأسبابه معروفة فى آيات القرآن الكريم ، وكذلك المعجزة التى دفعت خلال الخروج . فكلمة « خروج » أو « خرج » أو « طرد » لم ترد فى نص اللوحة بالنسبة لقائل سهل يزريل ، ولم يذكر النص كذلك أى تتبع للملك لهذه القبائل من داخل الحدود المصرية [٣٧] . ولم يذكر النص أيضا أية معجزة .

تاسعا : عثر على اسم الملك مرنبتاح على أكثر من أثر فى شبه جزيرة سيناء وجزر ورأس الشمرا مما يدل على نشاطه واهتمامه بتأفين هذه المناطق .

عاشرا : يبدو ان عهد مرنبتاح كان عهدا لإحياء روح الكفاح الوطنى ، ففى عهده كتبت بردية ساليبه رقم ١ التى تعود بالأحداث إلى الوراء وتحدثنا عن بداية حرب التحرير ضد ملوك الهكسوس والتى بدأها سقننرع ضد ابوفيس [٣٨] .

وكتبت هذه البردية فى ذلك العهد لتبين ان الانتصارات القومية القديمة لم تمح من مخيلة بعض المثقفين والكتبة مهما طال الأمد عليها . [٣٩] ويبدو ان تسجيل الانتصار على الليبيين وشعوب البحر على أكثر من مصدر وكتابته فى نص طويل من ثمانين سطراً (نص الكرنك الأثر رقم ٤) يدخل ضمن هذه السياسة لبعث روح الكفاح الوطنى ، والاشارة إلى حملته على آسيا وبعض المدن الفلسطينية والمبالغة فى معاقبة هذه المدن وقبائل سهل يزريل ربما كان إتجاهاً معيناً من الكتبة المصريين

الذين ربما قد تأثروا بأحداث الخروج الذى ربما وقع أو حدث قبل عهد مرنبتاح ؟ .
ومن النصوص التى كتبت ايضا بدافع بعث هذه الروح القومية ، ذلك النص الذى تركه مرنبتاح فى الكرنك ويقارن فيه بين عهد الهكسوس الذى حلت فيه الكوارث بأرض مصر وبين عهده المجيد الذى تحققت فيه كل هذه الانتصارات [٤٠] ومما يدل على هذه الروح ايضا وذلك الاتجاه فى عصر مرنبتاح هو وجود حصن فى ثيكو كما تذكر لنا بردية انستاسى رقم ٦ ، يحمل اسم مرنبتاح ، ووجود منشأة عسكرية على الضفة الغربية فى طيبة تحمل اسم الملك ايضا [٤١] .

حادى عشر : هناك حقيقة هامة ، وهى أن آيات القرآن الكريم تؤكد لنا أن فرعون قد غرق هو ومن معه أو هو وجنوده [٤٢] . ثم أمر الله عز وجل بان ترفع جثته مصداقا لقوله تعالى : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » [٤٣] . قال ابن عباس وغيره من السلف فى تفسيره لهذه الآية : « ان بعض بنى اسرائيل شكوا فى موت فرعون ، فأمر الله سبحانه وتعالى البحر ان يلقيه بجسده سويا بلا روح ، ليتحققوا من موته وهلاكه ، ولهذا قال تعالى « فاليوم ننجيك » أى نرفعك على نشز من الأرض « ببدنك » ، قال مجاهد « بجسدك » وقال الحسن « بجسم لا روح فيه » ، وقوله « لتكون لمن خَلفَك آية » أى لتكون لبنى اسرائيل دليلًا على موتك وهلاكك وان الله هو القادر [٤٤] . وجاء فى سفر الخروج « ان ملك مصر قد مات وتنهد بنواسرائيل » [٤٥] .

والآن كيف يكون مرنبتاح هو فرعون الخروج كما يدعى البعض طالما انه قام بحملته على فلسطين فى العام الرابع أو الخامس من حكمه . فلو انه غرق لما ذكر اسمه على بردية انستاسى رقم ٦ والمؤرخة بالعام الثامن من حكمه ، كما ان لدينا آثاراً مؤرخة بالعام العاشر من حكم مرنبتاح [٤٦] . واذا كان الملك قد غرق فى أعقاب طرد بنى اسرائيل ، لما قيل له فى نهاية السطر ٢٨ على لوحته هذه الدعوة :
« معطى الحياة مثل رع يوميا »

والدعوة نفسها ذكرت فى نص الكرنك (الأثر رقم ٤ ، السطر ٧٩) : « معطى الحياة مثل رع ابديا » .

ثانى عشر : أخيرا ان مدة حكم مرنبتاح كانت مدة حكم قصيرة نسبيا ، فقد حكم حوالى عشرة أعوام أو أكثر بقليل ، وعندما تولى الحكم كان كبيرا فى السن . وعلى الرغم من كبر سنه الا انه كان خبيرا فى شئون السياسة الخارجية ويشعر بالخطر الذى كان يهدد حدود مصر الغربية والشرقية (٤٧) . ويبدو ان تأثير مرنبتاح على ابيه العجوز كان كبيرا وكان هو الموجه الحقيقى للسياسة الخارجية للبلاد لهذا فان احتمال حدوث الخروج فى عهده مع الظروف التى مهدت له لا يمكن ان تحدث خلال هذه الفترة القصيرة من الحكم وعلى ذلك فهو ليس فرعون الخروج .

وبناء على كل هذا فان تسجيل أحداث الخروج بما فيها من وقائع وتفاصيل ومعجزات يحتاج الى مئات الأسطر وربما الى أكثر من نقش على لوحة واحدة ومن المحتمل ايضا ان أحداث الخروج قد حزفت عن عمد من النصوص لأنها تمس العقيدة . ولهذا فلا يجب الاعتماد على فترة قصيرة فى نص مرنبتاح للادلاء باراء كبيرة والربط بينها وبين حدث دينى هام مثل حادث الخروج وتخيل قيام مملكة اسرائيل قبل قيامها الفعلى بأربعة قرون تقريبا يتعارض مع حقائق التاريخ .

الفصل الخامس عشر

الأسرة العشرون

(١٢٠٠ ــ ١٠٨٥ ق.م)



لاشك ان وصول القبائل الهند واوروبية فى مجموعات كبيرة إلى ليبيا ، وفى البحر المتوسط وفى آسيا فى نهاية الألف الثانى (حوالى عام ١٢٠٠ ق.م) قد غير موازين القوى فى تلك المنطقة ، فقبل وصول تلك القبائل ، كانت مصر من ناحية والعراق من ناحية أخرى تمثلان مركز الثقل الحضارى فى الشرق القديم ، فكانتا فى الواقع ، مستقلتين وتبعدان عن بعضهما بما يكفى تجنب اى صراع بينهما . ولكن فى بداية الالف الثانى ، نجد ان اول موجات الهجرات الهند واوروبية قد غيرت بسرعة هذه الاوضاع الموجودة ، التى كانت قائمة منذ الألف الخامس .

وادى تكوين الامبراطوريات الكبرى الجديدة فى الشرق القديم : الحيثية فى الاناضول ، الآشورية فى اعالى الفرات ، إلى اضطرار مصر للدفاع عن نفسها بانشاء عدة اسوار وحصون تمتد إلى فلسطين وسوريا ولكن بمرور الوقت اثبتت تلك الأسوار عدم فاعليتها لحماية وادى النيل ولأول مرة فى تاريخها نجد ان مصر اصبحت عرضة للهجوم عن طريق البحر على الشاطئ الشمالى الغربى نفسه، ولكن سوف تنجح فى صد اسطول الغزاه ، وبهذا حققت لنفسها ولبضع سنوات قادمة حالة من الهدوء والامان ، ولكن لن تصبح على الاطلاق فى ذروة قوتها لكى تستطيع ان تؤدى اى دور فى مواجهة القوى الجديدة ، فالبحر المتوسط الذى عد حتى ذلك الوقت ــ منطقة محايدة ، اصبح بدوره معبرا للمرور والهجرات . وسوف يتحول إلى مركز للتنافس الحضارى ، واوشكت عزلة مصر المؤقته على هذا البحر على ان تنتهى ، فحتى ذلك الحين كان فى مقدور مصر ان تنطوى على نفسها وتظل كما هى ذات نقاء افريقى ، ولكن نظراً لحتمية التغير وبمرور السنوات عليها نجدها من الآن فصاعداً اقل مقاومة للمحافظة على تلك الاصالة الافريقية .

وأصبحت مصر عن طريق الدلتا تمثل جزءاً من حضارة البحر المتوسط سواء

قبلت ام لم تقبل [1]. ولتغير الأمر الواقع كان لابد ان يصحب ذلك تطور داخلى فى مصر ، وسوف نرى ان مركز الثقل السياسى لمصر قد تغير نتيجة لتغير مركز الصراع الحضارى تجاه البحر المتوسط . ولكن مصر نظراً لامتدادها الكبير فى الطول فان تغير مركزها الإدارى قد يجلب عليها أخطاراً لاحد لها ، فالنسبة لها كما راينا سابقا ، فاقامة العاصمة فى الدلتا قد يؤدى بالتأكيد ، إلى اثارة التذمر فى الجنوب إلى حد ما ، ويبدو ان كل عناصر ومقومات الانهيار كانت تكمن بدون شك فى هذا الموقف الحساس .

وكان عليها ان تراقب عالم البحر المتوسط ، وان تحمى نفسها منه لذلك لجأت إلى اقامة عاصمتها فى مصر السفلى ، ولما اصبح المركز الادارى يقع فى اقصى الشمال ، فقد اصبحت مصر العليا مستقلة إلى حدما ، ونتيجة لذلك نجد انها نزعت عن نفسها كل مقومات القوة فى انفصال قطريها ومملكتها ــ إلى جانب هذا العامل ــ الذى لايمكن علاجه او تفاديه ، ظهر عدم توازن آخر سوف يزيد الامر سوءاً ايضاً ويتمثل فى امرين ثانويين :

١ ــ ان طيبة وكهنة آمون اصبحوا يمتلكون الكثير من الهيبة فى نظر المصريين وظلت طيبة بالنسبة لأهل الشمال ، تمثل مركزا يجذب الجميع ويسبب المضايقات نظراً لاقامة العاصمة الادارية القوية فى الدلتا .

٢ ــ عدم وجود رؤساء او ملوك كبار يستطيعون بهيبتهم الشخصية او بواسطة حسن تصرفهم ان يحتفظوا للبلاد بنوع من الوحدة السياسية فى ذلك الجسد الكبير المحطم .

وكل من هذين العاملين سوف يؤدى بالضرورة إلى تفكك مصر وسقوطها السريع ، واصبحت بلاد الملوك الكبار امثال امنمحات الاول وسنوسرت الثالث وتحوتمس الثالث ، فريسة لمن يطمع فيها ويريد الاستيلاء عليها وغزوها . فموقعها الجغرافى الذى جعل منها مركزاً لالتقاء عدة طرق ، جعلها باستمرار عرضة للاطماع ، ولكن خطورة الموقع لم تتضح إلا عندما يصبح البحر المتوسط آهلا بالسكان ومتقدما فى الحضارة ويصبح مركزاً للاشعاع الثقافى . وانتقال مركز التقاء حضارات العالم القديم فى الشمال ، جلب الكثير من النكبات على مصر ، فالجميع اصبح يتطلع

إليها . وكل هذه العوامل الخارجية التى تؤثر فى التوازن القديم للحضارات ، تجلب معها انهيار لبعض اصحاب هذه الحضارات فى حين انها تدفع ببعضها الآخر إلىَ مكان الصدارة .

وســـر خعورع ـــ ستـــب ان رع ، مرى آمون ـــ ســـت نخت مرر آمـــون رع [٢] (١٢٠٠ ـــ ١١٩٨ ق.م) :

تعكس النصوص المصرية مدى قسوة ودكتاتورية المغتصب السورى للعرش ، ثم ظهر فجأة منقذ فى شخص أمير ، يسمى ست نخت ، الذى كان مسناً فى ذلك الوقت ـــ وربما ـــ انه إعتمد على رد فعل شعبى ، او انه نال تأييد كهنة آمون ، فعزل ارسو وأسس الأسرة العشرين [٣] .

وعلى الرغم من ضعف البلاد نتيجة لطول فترة الفوضى التى تعرضت لها من قبل ، فان هذه الأسرة قد نجحت ايضا فى الحصول على بعض الهيبة لمصر فى الخارج ، ولكن ذلك لم يدم طويلا ، ولم يكن هذا إلا فترة يقظة قصيرة لأن الانهيار المحتم الذى لايمكن تجنبه كان على وشك الحدوث .

وقد حكم مؤسس الأسرة لفترة قصيرة ، ونحن نجهل طبيعة العلاقة التى كانت تربطه بالبيت المالك السابق ، ومن المحتمل انه كان احد ابناء رمسيس الثانى الكثيرين ، ولم يمض على وفاة رمسيس الثانى اكثر من عشرين عاماً ، وتوج هذا الأمير ملكاً على مصر ، وفى اثناء حكمه الذى استمر عامين فقط ، نجح فى اعادة النظام والهدوء بوجه عام فى البلاد [٤] .

وتقص الحوليات او النقوش التى ذكرناها بصدد ارسو ماياتى : « بعد هذه الأشياء ، عندما اصبحت المعبودات راضية من جديد عن الهدوء واعادة القوانين القديمة فى مصر ، رفعوا ابنهم ست نخت على عرشهم الكبير بصفته ملكاً . فأقر النظام فى البلاد التى ثارت وقضى على الثوار الذين كانوا فى المنطقة ـــ وطهر عرش مصر الكبير ـــ واعاد مرة أخرى المنبوذين والمتشردين ، وتعرف كل انسان على اخيه الذى كان مسجونا واخيرا أصلح معابد المعبودات » [٥] .

وفكر ست نخت على التو فى اقامة مقبرة له فى وادى الملوك وهى تحمل الأن رقم ١٤ وهى مقبرة تاوسرت نفسها ، وبعد ان اتم العمال حفر الممر على بعد قليل فى الصخر ، عثروا فجأة على المقبرة السرية لآمون مسى ، التى لم يعرف مكانها ، لأنها كانت بعيدة عن الانظار خلال الاثنى عشر عاما من الاضطرابات بعد رحيله، لذلك توقفت كل الاعمال فى نحت مقبرة ست نحت ، وعندما توفى الملك دفن فى مقبرة الملكة تاوسرت ، بعد ان غيرت من اجل ذلك بعض النقوش والمناظر على الجدران ، وقد فتحت هذه المقبرة فيما بعد ، بعدة اجيال ، وقام الكهنة باعادة ترتيب الاثاث الجنائزى فى المقبرة التى لم يعثر فيها إلا على مومياء الملكة تاوسرت ، فوضعوها فى التابوت الفارغ لست نخت ، ولم يعثر حتى الآن على مومياء ست نخت التى لاتزال مختفية [٦] .

وسر ماعت رع مرى آمون ــ رعمسسو الثالث حقا أيون (١١٩٨ ــ ١١٦٦ ق.م) :

تولى من بعد ست نخت ، ولده رمسيس الثالث ، الذى كان قد اشترك معه فى الحكم من قبل بصفته وريثا للعرش ، ويبدو انه كان يقرب من الأربعين عاماً عند توليه العرش ، ولذلك لم يجد رمسيس ايه صعوبة فى تولى الحكم وهو يمثل آخر عهد قوى شهدته مصر ، ونظرا لانه يحمل اسم رمسيس ، فذلك يدل على انه ولد ، وسمى بهذا الاسم عندما كان رمسيس الثانى لايزال حيا بالفعل ، ويدل ايضا على ان والده كان من افراد العائلة المالكة وربما كان ست نخت بالفعل هو احد ابناء الملك رمسيس الثانى ، ولهذا لم يكن من الضرورى عمل فاصل حقيقى بين الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ، وليس هناك أى سبب يعطى مانيتون الحق فى ان يبدأ هنا اسرة جديدة ، ولكن يبدو انه لجأ إلى ذلك بعد سنوات الفوضى التى اعقبت حكم سيتى الثانى ، وعلى اية حال سارت الأمور فى مجراها الطبيعى وتولى رمسيس الثالث الحكم واظهر انه جدير بهذا الأسم مثل سلفه العظيم رمسيس الثانى [٧] .

ففى الداخل قام رمسيس الثالث باصلاح الادارة وأيضا كل النظم الاجتماعية . ولكن للأسف الشديد مازالت تفاصيل هذه الاصلاحات غير معروفة جيداً .

ويحتفظ المتحف البريطانى ببردية تسمى بردية هاريس رقم ١ ويبلغ عدد درزوجها ٧٩ صحيفة ، وهى من أهم الوثائق المصرية وتضم ١١٧ عمودا كتبت بالخط الهيراطيقى ويبلغ طولها ٣٩,٦٢ متراً ، (مائة وثلاثين قدماً) وهى أشبه بالوصية عدد فيها الملك رغباته الأخيرة ، وتتحدث عن اصلاحات الملك وعما شيده من دور للعبادة وما خصصه من اوقاف وقرابين وما الحق بهذه الاوقاف من موظفين وعمال [٨]. وتبدأ باسماء العاملين ثم عدد الماشية ومزارع الكروم والحقول والسفن والمدن فى مصر وسوريا ثم يلى ذلك المبالغ التى تأتى عن طريق الضرائب ، وجزءا خاصاً باقليم هيلوبوليس ومنف وبعض المعبودات المحلية ، وتذكر هبة بمناسبة عيد دينى خاص [٩] وذلك فى السنة الثانية والثلاثين ، ثم ينتهى نص البردية بعرض بعض الاحداث السياسية .

وعلى الرغم من ان الفن والعادات قد تغيرت ، ولو بشكل يسير الا انه كان من الصعب على العلماء التميز بين مخلفات الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ، على الرغم من وجود اختلاف كبير بين عهدى رمسيس الثانى والثالث وخلفائهم .
واذا نظرنا إلى الوظائف الكهنوتية ، وجدنا انه منذ عصر الملك مرنبتاح اصبحت الوظائف فى طبقة الكهنوت العليا لآمون رع فى طيبة ، وراثية ، وازدادت سيطرة الكهنة فى كل البلاد .

وتعد الفترة مابين آخر حكم رمسيس الثانى ونهاية الأسرة الخامسة والعشرين ، فترة مجد للحياة الدينية فى مصر ، اذ تعد عصراً للكهنة فى الحقيقة ، ولهذا تختلف هذه الفترة عن غيرها من الفترات السابقة ، وقد لاحظنا انه فى كل تاريخ مصر لعبت عبادة المعبودات المختلفة دوراً هاماً فى حياة الملوك وفى حياة رعاياهم . واقوى كهنة فى مصر هم كهنة آمون رع ، فقد اضيف إلى معبد هذا المعبود فى الكرنك الكثير ، وزين بواسطة الملوك السابقين ، واصبح فى ذلك الوقت من اكبر المعابد فى العالم القديم .

وكان للمعبد اراضيه ومزارعه الخاصة به ، وكان الجزء الاكبر من هذه الاوقاف يخص مختلف الكهنة ، ويعمل فى هذه الاراضى اسرى من الاجانب ، كما كانت

هناك مجموعة من الموظفين يخصصون لادارة هذه الممتلكات المقدسة ، وكانت اوقاف آمون رع شاسعة جدا بحيث لايمكن حصرها ، اذ كان مجموع اراضيه يصل إلى ١٠ ٪ من اراضى البلاد المزروعة بينما جميع المعبودات الاخرى كانت اراضيها تصل إلى ٥ ٪ فقط . وكان لآمون ٥٠٠ , ٨٦ من الارقاء الذين يعملون فى اراضيه، وكان له قطعان من الماشية لايقل مجموعها عن ٠٠٠ , ٤٢١ رأساً .

كما كانت له حدائق فى طول البلاد وعرضها ، كما كانت له مناجم الذهب فى النوبة . وكانت له تسع مدن فى سوريا تأتيه محاصيل اراضيها وضرائبها بانتظام ، وغير ذلك من الموارد ، واهمها ما يقدمه عامة الناس وما يقدمه الملوك وكبار الشخصيات [١٠]. ولهذا اصبح كبار كهنة آمون على جانب كبير من الثراء . هكذا كان الوضع الدينى عندما ارتقى رمسيس الثالث العرش ــ وكان رجلا على جانب من التقوى ــ وسوف نرى كيف اصبح الملك فيما بعد مجرد اداة فى ايدى كبار الكهنة هؤلاء ، واخذوا يرتبون امورهم بالتدريج لكى يتولوا عرش البلاد [١١] .

تولى رمسيس الثالث العرش عام ١١٩٨ق.م ، وخلال السنوات الأربع الاولى من حكمه، اتبع السياسة التى بدأها ابوه فى إعادة النظام والقوانين ، ولم يتوقف عن هذه الاعمال إلا بسبب حملة محدودة قام بها ضد العدو فى بلاد آمورو وأسر خلالها العديد من الأسرى الذين وزعوا كعبيد فى المعابد المختلفة [١٢] . ونجح رمسيس الثالث على الأقل فى تدعيم النظام العسكرى ، وهذا امر ضرورى بالنسبة لظروف مصر الخارجية ، ويقال ان الملك قام بحملة قبل العام الخامس من حكمه فى الجنوب لتهدئة الأوضاع هناك . [١٣] ولكن فى العام الخامس كان عليه ان يواجه خطراً حقيقياً آتيا من الغرب ، وهو الخطر نفسه الذى تعرض له من قبل مرنبتاح منذ خمسة وعشرين عام ، ومرة أخرى نجد شعوب البحر [١٤] تبحث عن مناطق نفوذ لها فى الشرق فقضوا على دولة الحيثيين وغيرها من دول آسيا واستولوا على قبرص ونزلوا فى شمال سوريا ، ووصلت تلك القبائل فى ذلك الوقت حتى حدود فلسطين متجهين نحو مصر . ومن ناحية اخرى نجد ان الليبيين قد بدأوا فى الثورة فى السنة الخامسة من حكم رمسيس بسبب تعيين حاكم جديد عليهم وكانوا قبائل متعددة منهم المشواش ، وقد نجح

رمسيس الثالث فى حملته الأولى فى الحد من تقدم تلك القبائل التى جاءت من ليبيا ونجحت فى دخول حدود مصر [١٥] ، ومن هناك بدأوا يهددون منف ، وبعد نجاحه فى هذا الإختبار الأول وقتل منهم اثنا عشر الفاً واسر العديد من الرجال ، كان عليه فى الوقت نفسه ان يواجه الموجه الأخرى من الغزو الهندو اوربى فقد جاء غزاتهم ومعهم زوجاتهم واطفالهم من الشرق ومن الشمال ، وهددوا حدود مصر من البر ومن البحر فى آن واحد ، ويبدو ان تلك الشعوب قد فشلت فى اتحادها مع الليبيين فى شمال افريقيا ، فأخذت تبحث عن مجال جديد فى آسيا الصغرى وفى سوريا ، وليس لدينا معلومات مؤكدة عن الحملة البرية ولكن يبدو ان الجيش المصرى قد نجح فى محاصرة الهندو اوربيين على الحدود الفلسطينية ، اى خارج حدود مصر ، وارخ هذا الحدث بالسنة الثامنة من حكم رمسيس ، وسجل الملك معاركه معهم على جدران معبد مدينة هابو [١٦] ، فنقوش ذلك المعبد فى البر الغربى فى طيبة تسمح لنا بتتبع قصة الانتصار المصرى ، فقد تقدم الاعداء نحو مصر عن طريق البر والبحر واعد الملك بعناية كبيرة اسطولا ضخماً للدفاع عن الدلتا واعد قوات مدربة جيداً ، ويبدو انه فاجأ الغزاة وربما اخذهم بعنصر المفاجأة حتى انهم لم يستطيعوا الرسو على الشاطئ وهلك اغلبهم ، وصور لنا الفنان قتال المصريين فوق سفنهم وشوهد العدو امامهم وكان من بين تلك الشعوب : الشردانه ، الدانو ، والبلست الذين اشتهروا فيما بعد ، والثككر . وعلى اية حال فقد تحطم اسطول الغزاة من « شعوب البحر » امام شواطئ الدلتا ولم يعاودوا الكرة مرة اخرى [١٧] . ومن ثم فقد عادت السيطرة المصرية كاملة على سوريا .

ويبدو ان الانتصار الاول لرمسيس الثالث على الليبيين وحلفائهم كان غير حاسم فبعد ست سنوات تقريبا من الغزوة الاولى ، وفى العام الحادى عشر من حكمه تعرضت البلاد لخطر الليبيين من جديد [١٨] ، فاتحدت قبائلهم من جديد تحت امرة رئيس واحد هو كابر Kaper الذى بدأ باخضاع بقايا الشعوب الليبية الأصلية وحقق السيطرة الكاملة للهندو اوربيين على الليبيين . وعندما تحقق له ذلك ، دفع كابر بقبائله لغزو مصر ، وتقابل مع الجيش المصرى بالقرب من منف ايضا ، وكان انتصار رمسيس فى هذه المرة حاسماً ، فقد اسر رمسيس كابر وولده ، واخذا كأسرى حرب ، وقضى على أكثر من ألفى رجل وعاشت القبائل الهندو أوروبية بعد ذلك بطريقة غير منظمة

ولم تحاول غزو مصر بالقوة مرة أخرى . ولكنها كانت تجذبهم إليها دائما ، وبدلا من ان يدخلوها كغزاه ، بدأوا من الآن فصاعدا يتسللون إليها بالطرق السليمة ، ففى اغلب الاحيان كان يستعان ببعض الليبيين كمرتزقة بواسطة الأسر المحلية القوية او بواسطة الملوك الذين بحثوا عن حل لمعالجة النقص فى عدد رجالهم . وهكذا نجحوا فى ان يصبحوا قوة داخل الدولة ونجحوا فى النهاية فى الاستيلاء على العرش وسوف يرتقى احد احفاد هؤلاء المحاربين المرتزقة يوما ما عرش مصر كما سوف نرى .

ونجت مصر من الغزو بفضل الإنتصار البرى الكبير . وهكذا اضطر رمسيس الثالث ان يحارب الليبيين ويهزمهم . وقد جاء ذكر هذه الحملة الأخيرة فى بردية هاريس [١٩] ، وفى معبد مدينة هابو هناك نصان يقصان أحداث المعركة وصوراً لغنائم الحرب من الاسرى وما تعرض له بعض هؤلاء الاعداء من تعذيب [٢٠] . وبعد انزال الهزيمة بالشعوب الليبية وحلفائها من شعوب البحر حاول رمسيس استعادة السياسة التقليدية لمصر فى آسيا ، واضطر للقيام **بحملة أخيرة إلى سوريا للقضاء على ثورة هناك بعد العام الحادى عشر** [٢١] ، وقد قضى بذلك على جماعة من البدو كانوا يتنقلون فى الصحراء جنوب فلسطين . ولم يكن هذا غير مجرد غارة لم تتكرر ثانية فلم يتعرض لأية مضايقات بعد ذلك وحكم منذ ذلك الحين فى سلام تام .

واصبح الجزء الجنوبى من الشاطئ الفينيقى نفسه، والذى كان يخضع مدة طويلة لرقابة القوات المصرية ، محتلا الأن بواسطة شعوب البلست (الفلسطينيين) وهى قبيلة هندو اوربية ولم يصبح لمصر اى دور فعال تؤديه فى الهلال الخصيب بعد ذلك الحين .

واصبح لرمسيس شهرة كبيرة ، وفى كل مكان يخشى اسمه، وكان جيشه واسطوله الدعامة الاساسية لتأكيد تلك السيطرة المصرية لعدة سنوات ، واصبحت حدوده وشواطئه آمنة ، وغدت سفنه التجارية تستطيع التجوال بين شواطئ مصر وفينيقيا دون التعرض لأى خطر . وفى هذا العصر كان لكبار كهنة ايونو ومنف وطيبة ــ اساطيل تجارية خاصة بهم ــ يغدقون عليها من اموالهم الخاصة ، وكانت هذه السفن تقوم

باحضار اخشاب الارز اللازمة من غابات لبنان التى كانت تستخدم فى بناء المعابد والسفن ، وفى أثناء هذا الحكم ، ارسلت بعثة رسمية إلى بلاد بونت عن طريق البحر الاحمر [٢٢] وعادت السفن محملة باشجار البخور والصمغ وكل المنتجات الأخرى لهذا البلد البعيد ، كما حدث الأمر نفسه فى عصر الملكة حتشبسوت ، ونحن نعرف الشكل العام لهذه السفن الضخمة التى كانت تستخدم فى هذا العصر وذلك عن طريق الوصف الذى وصفت به مراكب الاعياد المقدسة لآمون رع ، حيث كان يبلغ طوال الواحدة منها حوالى ستة وستين مترا وكانت تصنع من خشب الآرز وتغطى فى بعض اجزائها برقائق الذهب ، وكان يعلو سطحها مقصورة كبيرة مغطاة برقائق الذهب ومطعمة بالاحجار نصف الكريمة ، على حين كانت مؤخرتها ومقدمتها مزينة برؤوس الكباش والحيات المحلاة بالذهب اللامع ، وكان لها شراع كبير مربع الشكل وملون ومزين بحليات متعددة ، وكان بحاراتها يستخدمون المجاديف المتعددة الالوان ، وكان عددها يتراوح بين خمسة عشر وثلاثين على كل جانب وقد ارسل الملك ايضا حملة سرية إلى مناجم شبه جزيرة سيناء لاحضار النحاس ويتحدث الملك عن اعماله بوجه عام بالالفاظ الأتية :

« لقد جعلت نساء تامرى (مصر) يستطعن السير ، الرأس عارية إلى اى مكان يرغبن الذهاب اليه ــ بدون حراس مرافقين ــ لأنه لايوجد اى اجنبى او اى شخص على الطريق يسبب لهن اية مضايقة . لقد جعلت المشاة وفرسان المركبات الحربية من الآن فى راحة ، اثناء حكمى ، والشردانة والكهك (المرتزقة) فى مدنهم ، مستلقين على ظهورهم . ليس هناك خوف ، لانه ليس هناك متمردين من بلاد كوش أو منافسين من سوريا ، اقواسهم واسلحتهم وضعت فى مخازنها ، بينما هم انفسهم يشربون حتى الثمالة ، ويصيحون صيحات السرور وزوجاتهم معهم واولادهم بجانبهم ، انهم لاينظرون خلفهم (من الخوف) قلوبهم مطمئنة لانني معهم [٢٣]! لقد انقذت الناس من التعاسة ومنحتهم نسيم الحياة ، لقد انقذت هؤلاء الذين كانوا عرضة للاستغلال من طبقات اقوى منهم ، لقد اعدت لكل انسان حقوقه التى استمتع بها فى مدينته ، وساعدت من ينشد العدالة امام ساحات المحاكم ، لقد سعدت البلاد التى كانت عرضة للبؤس

والشقاء . لقد احسنت معاملة الناس وقدرت المعبودات ، ولم استول على اى شئ يخص الآخرين » [٢٤] .

كان هذا الملك مولعاً بالفن المعمارى ، فقد اقام ثلاثة معابد كبيرة فى منطقة طيبة وحدها ، أو لها المعبد الذى يحتوى على مقاصير القوارب المقدسة لآمون وموت وخونسو على اليمين بعد الصرح الاول فى الكرنك ، وثانيهما معبداً للمعبود خونسو الذى فى الكرنك ايضا . والثالث هو معبد مدينة هابو ، وقد تم بناؤه فى العام الثانى عشر من الحكم ، ويوجد فى الطرف الجنوبى من جبانة طيبة فى البر الغربى ، وهو من اجمل المعابد التى شيدها الملوك فى تلك المنطقة [٢٥]. ويبدو انه كان معجباً بخطط رمسيس الثانى ومتتبعا لها لذلك اتخذ معبد الرمسيوم كنموذج له ، فشيد معبد مدينة هابو بنفس الضخامة واستخدم فيه بعض الكتل التى كانت تخص معبد سلفة ، ولهذا المعبد شكل فريد من نوعة فالمدخل على شكل برجين كبيرين ، يشبة إلى حد كبير احد الحصون الآسيوية ، وتشمل على عدة حجرات ، نقشت على جدرانها مناظر تمثل رمسيس الثالث وحريمة بعضهن يمرح ويغنى امامه او الملك يلعب النرد مع احدى نسائه [٢٦] والبعض الآخر يمسكن بمراوح من ريش النعام او يحملن باقات الازهار ، وتتميز هذه المناظر بالطابع الشرقى ، وشيد المبنى نفسه على الطريقة السورية ويبدو ان هذا الجزء كان خاصاً بالملك يلجأ إليه ليسرى عن نفسه ويقضى فيه بعض الاوقات مع نسائه كما هو واضح فى بعض المناظر الممثلة على الجدران ، ومن الخلف يمتد فناء امامى فسيح نجد فى نهايته صرحا كبيراً محاطاً بابراج فى وسطها المدخل الرئيسى الذى يؤدى إلى الفناء الاول ، وفى هذا الفناء ، نجد ان الحائط الذى يمتد إلى اليسار يمثل رواقا على شكل واجهة قصر ، الذى شيد بجانب المعبد ، ولكنه تهدم الآن ولم يبق منه شئ [٢٧] ويلى الفناء الاول ، فناء ثان به اعمدة ، ثم يأتى بهو الأعمدة الذى يقوم سقفه على اربعة وعشرين عموداً ويوجد إلى الخلف ، قاعتان صغيرتان تؤديان إلى قدس الاقداس ، ومن حوله جمعت عدة مقاصير وحجرات كانت مخصصة للكهنة والموظفين . وفى حرم المعبد كشف عن مبنيين لادارة المعبد وتبلغ ساحته أكثر من خمسة عشر فداناً . وقد بنى على فترتين ، تم فى الفترة الاولى بناء المعبد وملحقاته

والسور الداخلى ، وفى الفترة الثانية تم بناء السور الخارجى ببوابته الضخمتين المحصنتين فى الشرق والغرب ، وكان يوجد مرسى امام البوابة الشرقية [٢٨]. وقد استخدم لبناء هذا المعبد أكثر من ستين الف عامل .

وفى كل جزء من اجزاء المعبد زينت الجدران بنقوش ذات الوان مختلفة تمثل الملك يسحق اعداءه او يقودهم اسرى إلى المعبودات المختلفة [٢٩] او الملك فى حضره المعبودات المختلفة او مناظر تسجيل حروب رمسيس الثالث . ويقع الصرح الاول وسط الجدار الشرقى من السور الداخلى ، ويبلغ ارتفاعه ٤٥ ; ٢٤ من المتر وعرضه ٦٨ متراً الا قليلا ، وكانت تقوم فى واجهة اربع ساريات ، وتحليها صورة الملك يسحق اعداءه امام آمون وحور آختى ونص طويل يسجل انتصاره على شعوب البحر [٣٠] .

اما الصرح الثانى فهو أقل عرضا من الصرح الأول وارتفاعه سته عشر متراً وتحلى واجهة هذا الصرح مناظر ونصوص عن القتال مع شعوب البحر ، وقد ابدع الفنان تمثيل ملامح الأجناس المختلفة [٣١]. وقد بلغ فن النحت اوج مجده فى عهد رمسيس الثالث وذلك باستخدام المساحات الواسعة لتصوير مناظر القتال على البر والبحر ، وتصوير مناظر الصيد . وخيرها ماصورة فنان الاسرة العشرين لرمسيس الثالث على الوجه الخلفى للصرح الثانى فى معبد مدينة هابو [٣٢] .

واذا صدقت النقوش ، كانت الابواب مزينة بالنحاس المطلى والمذابح مزودة بالاوانى العديدة من الذهب والفضة والنحاس ، وكانت توجد بالمعبد « آثار تشبه جبال المرمر » [٣٣]، وتماثيل مغطاه بالذهب ومن حول المعبد ، انتشرت الحدائق وبساتين الأزهار الفيحاء والبحيرات المنسقة ، ويشير الملك انه لم يعاقب شخصاً ما وان الجميع كان سعيدا بالعمل فى ظل حكمة العادل .

وبالاضافة إلى معبديه فى الكرنك ، خصص رمسيس الثالث الاوقاف الضخمة على كهنة آمون رع ، واقام الحدائق الغناء فى الكرنك وطيبة وامر بزراعة مساحات كبيرة من اشجار الكروم التى تمون المعابد « بالنبيذ بوفرة كما لوانه كان

ماء » . وقد حفرت البحيرات لزراعة مساحات زهيرات من اللوتس الازرق الذى يستخدم بكثرة فى احتفالات الأعياد وقال الملك : « لقد ملأت هذه المعابد بالعبيد رجالاً ونساء ، وقد اكتظت خزائنها بخيرات انحاء البلاد ، وكانت الصوامع تعلو حتى السماء ، وكانت القطعان اكثر عددا من حبات الرمال ، وكانت تقام الحظائر الخاصة بالاضاحى اليومية ، ومزارع لتربية الاوز والدواجن ، وانشئت حدائق الكروم والفواكهة وزرعت الخضروات وكل انواع الازهار ، وقد عد كل مبنى مخصص للمعبود آمون رع ، كزخرف خالد على مر الزمان » [٣٤] .

وتحدثنا النقوش عن ابواب من الجرانيت ، واعتاب من الذهب ، ومذابح من الفضة مطعمة بالذهب ، وحوامل لاوانى مطعمة بالذهب والفضة ، وتماثيل من الذهب مزينة بالحلى ، وقوارب مطعمة بالذهب اعدت من اجل المواكب الدينية ومقاصير مغطاة بالذهب ويقول الملك ايضا : « لقد خططت الميادين الفسيحة ، المملوءة بالحدائق والأزهار واشجار النخيل من كل الانواع و(اعددت) أماكن للتنزه وشوارع فسيحة تحفها اشجار الفاكهة وازهار تجذب الانظار جئ بها من جميع البلاد (لقد زرعت) أشجار الزيتون والكروم ومساحات واسعة من الحدائق المحاطة باسوار وبها اشجار بالغة الطول مصطفة بطول كل هذه الممرات العديدة » . [٣٥] وقام باعمال مشابهة فى معابد منف وايونو ، وكرم المعبودات فى كل مكان فى البلاد وذلك بالهدايا الثمينة ، وقام بتشييد وترميم المعابد وملحقاتها من الحدائق ويقص علينا الملك كذلك : « كيف انه ملأ الصوامع التى كانت خاوية اثناء فترات الفوضى والاضطرابات التى تفشت فى أعقاب نهاية الأسرة التاسعة عشرة . ويحدثنا عن اعادة بناء المعابد التى تهدمت ، وتطهير البحيرات المقدسة واعادة الاحتفال بالاعياد الدينية التى كانت قد اهملت ، وطرد الموظفين المهملين ، وقام بتدريب صغار الكهنة ، ويذكر ايضا استغلاله إلى حد كبير لمناجم النحاس والاحجار الكريمة فى سيناء ، ومحاجر الذهب فى الصحراء التى تقع إلى الشرق من النوبة السفلى ، وامر بحفر الآبار فى عدة نقاط من الصحراء ، وزرع الاشجار فى كل البلاد لكى يستظل الناس بظلها [٣٦] . وحاول اعادة تنظيم طبقات المجتمع مقسم طبقات الموظفين إلى مشرفين على القصر ، امراء

كبار ، مشاة ، قواد مركبات حربية ، قوات مساعدة وخدم ووظائف متعددة » .

ولكننا لا نعلم الكثير عن المعنى الحقيقى لهذه التقسيمات الادارية ومدى دلالة هذه الاصلاحات [٣٧] . ويبدو ان القدر لم يكافئه على نشاطه وعلى كل هذه الانجازات . فقد حدث فى اواخر ايامه ان تأخرت المستحقات الشهرية التى توزع على العمال ، فثار هؤلاء واضربوا عن العمل وانتهى الأمر بتدخل الوزير [٣٨]. وقد ساءت الحالة الاقتصادية فى نهاية حكمه حتى اضطر عمال الجبانه فى غرب طيبة إلى الاضطراب عن العمل لأن مقرراتهم لم تصرف لهم لمدة شهرين فى العام التاسع والعشرين فى حكم هذا الملك . ومن ثم توقف العمال عن عملهم ، وفى اليوم التالى تجمعوا وهاجموا مخازن معبد الرمسيوم وهم يصيحون بانهم جائعون ، وعندئذ تدخل احد كبار الموظفين فى محاولة لتهدئتهم وتكرر الاضطراب بعد ذلك حتى اضطر وزير الجنوب ان يتدخل لاعطائهم ما يستحقونه [٣٩]. وفى العام الثانى والثلاثين من حكمه ، كان رمسيس الثالث قد قرب من السبعين عاما واختار لنفسه وريثاً من ابنائه يسمى رمسيس ، ويبدو ان صحته قد تدهورت واحس ان ايامه اصبحت معدودة ولكن قبل وفاته بقليل اكتشف فى القصر مؤامرة ، كان الغرض منها الإسراع بوضع نهاية لحياة الملك واعطاء الحكم لأحد الأمراء الآخرين الذى كان ابنا للملك من احدى زوجاته من الطبقة المتوسطة وتسمى تى والتى ارادت ان تصل بولدها بنتاؤر إلى العرش [٤٠] ولدينا ملخص لقصة هذه المؤامرة ونفهم منه ان مجموعة من موظفى البلاط ونسائهم قد قرروا ان يحدثوا انقلابا فى داخل القصر فى اللحظة التى تشتعل فيها ثورة فى المدينة .

وكان الملك يعيش فى آخر ايامه ولذلك تمكن من تتبع القصة ، وقد اختار بنفسه رجال القضاء لتولى هذا الأمر وقد اعطاهم التعليمات الأتية كتابة : « اما بالنسبة للكلام الذى سوف ينطق به المتهمون فإننى لا أعرفه ابداً ، اذهبوا واستجوبوهم ، وعندما يتم ذلك ، تجعلونهم يموتون بايدهم ودون ان اعلم انهم يستحقون الموت ، وسوفى يلقى الأخرون عقوبتهم على ايديكم ، دون ان اعلم اى شئ ايضا ، احرصوا على الاتهملوا شيئاً ولا تمتهنوا العدالة ، واقولها لكم حقيقة ، اما بالنسبة لكل ما

حدث وبالنسبة لما فعلوه ، فان كل ما حققوه سوف يقع على عاتقهم ، اما بالنسبة لى فإننى دائما فى مأمن عن كل خطر ، لأنتى اعد الأن بين الملوك الموتى الذين سوف يبعثون امام آمون رع ملك المعبودات واوزير سيد الابدية » [٤١] .

ومن الملاحظ ان البردية [٤٢] لم تتحدث طويلا عن تى اول الخائنين ، واكتشف ان بعض المتآمرين قد لجأوا إلى السحر وعمدوا إلى صنع تماثيل من الشمع تحمل اسماء بعض اعدائهم وذلك يقضوا عليهم بالسحر والقوى الخفية . ولكن يعطوا انفسهم الشجاعة فقد استخدم المتآمرون ايضا البرديات السحرية وقد ثبت ان اكثر من اربعين شخصاً وجه اليهم الاتهام ، من بينهم الأمير بنتاؤر الذى كان يطمع فى ان يتوج ملكا على العرش ، وقد اجبر بعض المتهمين على الانتحار . ونجهل ماذا كان مصير الملكة تى ــ ام الأمير ؟ وقد توفى الملك المسن قبل الحكم النهائى فى القضية ، وقد حوكم هؤلاء المتآمرون بواسطة خليفة رمسيس الثالث ، مما يدل على ان هذا الأخير قد توفى من مدة قريبة . ولا نعرف هل توفى الملك مقتولا ؟ وربما عوقب من قاموا بالمؤامرة بواسطة ولده وذلك قبل ان يجد المتآمرون الوقت الكافى للاستيلاء على السلطة ، وربما أيضا ان الملك توفى وفاة طبيعية وذلك فى نفس اللحظة التى كشف فيها عن المؤامرة ، وهكذا تركت لولده مسؤلية معاقبة المتهمين الذين قبض عليهم أثناء حياة أبيه.

إلى جانب هذه المؤامرة فقد وقعت فى اقليم اتريب ثورة او ازمة عزل على اثرها الوزير من منصبه [٤٣] . وعلمنا ان اباه ست نخت قد هجر المقبرة التى حفرها لنفسه، لأنها تداخلت مع مقبرة أخرى اكثر قدما ، لكن رمسيس الثالث اكمل الأعمال الناقصة وحول الممر ، ونجح فى اضافة بعض الممرات والقاعات حتى عمق مائة وثلاثين متراً ، ودفن هناك بواسطة ابنه الملك الجديد رمسيس الرابع ، وهى تختلف عن المقابر الأخرى فى مناظرها وهى تحمل الآن رقم ١١ [٤٤] ، اذ زينت بعض جدران المقبرة بمناظر تمثل اماكن الطهى الملكية وصورة تمثل عازف القيثارة المشهور ، وقد قدس رمسيس الثالث فى بداية حياته [٤٥] . وهناك مقبرتان من عهد هذا الملك : مقبرة الأمير خع أم واست وهو ابن للملك رمسيس الثالث وهو ليس الأمير المشهور ابن

رمسيس الثالث وتحمل رقم ٤٤ ، ومقبرة الأمير أمن حرخبشف وهو ابن ثانى لرمسيس الثالث وتحمل رقم ٥٥ .

وجاء ذكر تاريخ وفاة رمسيس الثالث على بردية هاريس ، تلك الوفاة التى حدثت فى العام الثانى والثلاثين من حكمه وذلك قبل نهاية العام بسبعة أسابيع او ثمانية . وطبقا للطريقة التى استخدمها المصريون لكى يجعلوا سنين الحكم تطابق سنوات التقويم نجد أن بضعة الاسابيع الباقية من السنة الأخيرة لحكم رمسيس الثالث قد احتسبت ضمن العام الاول لحكم رمسيس الرابع الذى حرص ان يعلن اكثر من مرة ، ان اباه قد اختاره ليكون وريثا للعرش . واذا قارنا بين كل من تحوتمس الثالث ورمسيس الثالث ، نجد ان الأول قام بعدد اكبر من الحملات واعد جيشا بريا قويا ، على حين ان الثانى كان اقل عدداً فى حملاته ولكنه اعد اسطولا بحريا قويا ، وكان هدف تحوتمس ان يجعل لمصر مكانة سياسية مرموقة فى الخارج ، اما الثانى فهدفه هو الذود عنها وحماية حدودها الغربية ، وكان الاول محباً للظهور وابراز قوته ، اما الثانى فكان ذا طابع انسانى ، ففى حديثة إلى القضاه يوضح انه لايريد إلا نشر العدالة ، وقد شهد عصر الاول نهضة فى الفن المعمارى تميز عصر الثانى ببناء المعابد الضخمة . ومن أهم رجال عصره ثا نفر الكاهن الثالث لآمون ، وصاحب المقبرة رقم ١٥٨ ، وحقا ماعت رع نخت الكاهن الأول لمنتو وصاحب المقبرة رقم ٢٢٢ .

حقا ماعت رع ستب أن آمون ــ رعمسسو الرابع حقا ماعت مرسى آمون [٤٦] (١١٦٦ ــ ١١٦٠ ق.م) :

توج الملك الجديد بعد فترة المراسيم الجنائزية للملك السابق ، اى بعد حوالى اسبوعين تقريباً من بداية ما يسمى بالنسبة الثانية من الحكم ، اى فى اليوم الخامس عشر من الشهر الأول لسنة التقويم المدنى ، التى تقابل فى هذه الفترة السادس عشر من شهر يونيو .

وهذه التفاصيل لها أهميتها ، فهى تبين انه قد مضى اثنان وسبعون يوماً ما بين تاريخ وفاة الملك المسن وتتويج الملك الجديد ، مما يؤكد ما قاله المؤرخون اليونان

الذين نقلوا إلينا فيما بعد ان فترة الحداد كانت تبلغ ما يقرب من اثنين وسبيعين يوما . وفى الوقت نفسه كانت قضية المتآمرين التى تحدثنا عنها آنفا قد انتهت وعوقب المدانون ونفذ الحكم . ولكى يعمل رمسيس الرابع على نشر شعبيته لجأ إلى اصدار عفو عام عن كل من كانوا موضع شك وشبهات وعن كل من لاذ بالفرار .

وهذا بعض ما جاء فى قصيدة قيلت فى مناسبة احتفالات التتوج : « ياله من يوم سعيد ، فالارض والسماء مبتهجتان لانك انت سيد مصر العظيم فقد عاد من فر إلى دياره ، وظهر كل من توارى عن العيون ، واصبح الجائعون سعداء بعد ان شبعت بطونهم ، ومن كانوا ظمأى رووا ظمأهم ، ومن كانوا عرايا ارتدوا الثياب الفخمة ، ومن كانوا عرضه للأمراض ، اصبحوا يتزينون بالملابس البيضاء ، واطلق سراح من كان فى السجون ، وقرت نفوس من كانوا فى حزن ومن كانوا يتصارعون فى البلاد ساد الصلح بينهم ، وبدأ النيل يفيض بالخير ، واصبحت قلوب الناس مغتبطة » . [٤٧] وتشير الجملة الأخيرة إلى ان تاريخ التتويج يطابق إلى حد كبير اول ارتفاع لمنسوب مياة النيل الذى يحدث دائما فى ١٧ يونيو .

وفى اقل من شهر فيما بعد — فى اشد فترات الصيف حرارة — ظن الملك انه راى حلماً مقدساً ، فأمر بارسال حملة إلى محاجر وادى الحمامات فى الصحراء الشرقية ، لكى تختار المكان المناسب للحصول من تلك المنطقة على اجود انواع الاحجار الملونة من الاردواز التى تستجلب بكميات كبيرة إلى مصر بصنع تماثيل المعبودات ، وكانت هذه الحملة مكونة من ثمانية آلاف رجل وترك هناك نصاً طويلا مؤرخاً بالعام الثالث منَ حكمه. وامضى الملك ايام فى السير عبر الصحراء المحرقة [٤٨] .

ومهما يكن من أمر فبعد زيارته هذه ارسل بعثة اخرى هامة إلى المحاجر بقيادة كبير كهنة آمون نفسه. وكانت هذه البعثة تحتوى على ثلاثة او اربعة آلاف عامل وخمسة آلاف جندى ، واجهوا النكبات سواء بالتعرض للهجوم من بدو الصحراء ام نتيجة لانتشار الأمراض لندرة الماء ، فقد توفى من افراد هذه البعثة حوالى تسعمائة رجل . وكمكافأة على ذلك — ربما لانه اطاع اوامر الوحى المقدس — تلقى الملك

وحى المعبود اوزير فى ابيدوس ، الذى اكد له انه لن تحدث كوارث أخرى اثناء فترة حكمه، وقد عثر على لوحتين كبيرتين فى ابيدوس توضحان مدى حبه للمعبودات ، منها نص مؤرخ بسنتين من هذا الحدث ، ويطلب فيه رمسيس الرابع من المعبود اوزير ان يمنحه حكما طويلًا وان يمتعه حتى النهاية بنعمة البصر وان يهبه دائما الاحساس بجمال الحياة وهو يقول : « هبنى الرضا فى كل يوم ، واسمع صوتى فى كل صلاة اخصصها لك ، واعطنى ما اتمناه بقلب يفيض بالحب ، امنحنى فيضانا عاليا غنياً ... لكى يعيش الشعب ، وايضا ماشيته واشجاره التى خلقتها يداك ، لأنك انت خالق كل شئ ولا ترضى ان يكون غير ذلك ، لن يصبح من العدل ... هبنى حياة جديدة وحكما طويلا لانك وعدت بذلك وبلسانك وهذا الوعد لا يمكن ان يكون محلًا للتأجيل » (٤٩)

وعثر على اسمه فى سرابيط الخادم فى شبه جزيرة سيناء ، وفى بوهن وقام ببعض الترميمات فى معبد خونسو بالكرنك ، وعندما ارتقى العرش كان يبلغ من العمر خمسة واربعين عاماً تقريباً ، علماً بانه لم يحكم إلا ست سنوات فقط ، وطبقاً لفحص مومياته فقد توفى بعد ان جاوز الخمسين من عمره .

وعثر على وثيقة من عصره فى منطقة الفنتين تتضمن اتهامات وجهت إلى بعض الاشخاص من بينهم كاهن معبد المعبود خنوم الذى قام باختلاسات وتقاضى رشاوى وانتهاك لحرمة المعابد . وتوجد هذه البردية فى متحف تورين ، وكان هناك اراضى وقف لصالح المعبد فى الدلتا تجلب له كل عام عددا من مقادير الحبوب كان يشترك فى اختلاسها ايضا قائد السفينة المكلف بنقلها . وحدث هذا فى السنة الاولى من حكم رمسيس الرابع (٥٠) .

ويحتفظ متحف تورين ايضا ببردية طولها ٨٦ سم عليها تصميم لمقبرة رمسيس الرابع (٥١) ، والتى تقع فى وادى الملوك وتحمل الآن رقم ٢ وقد تعرضت للسرقة ، وقام الكهنة فيما بعد بنقل مومياته إلى مقبرة امنحتب الثانى وهى الآن بالمتحف المصرى ويوجد فى حجرة الدفن فصول من كتاب الموتى وكتاب الكهوف .

وهكذا لم تنفذ المعبودات اته وتوفى رمسيس الرابع عام ١١٦٠ ق.م وكان من

أهم رجال عصره « رعمسسو نخت » كبير كهنة آمون الذى أشرف على بعثة وادى الحمامات التى تعرضت لمخاطرة كثيرة بسبب نقص المياة والمرض وهو صاحب المقبرة رقم ٢٩٣ فى البر الغربى . [٥٢] والفنان الرسام انحور خعوى الذى قام باعمال الرسم والتلوين فى جبانة طيبة فى عهد كل من رمسيس الثالث والرابع ، وعثر على مقبرته فى جبانة دير المدينة وهى ملونة بالوان جميلة زاهية [٥٣] وهى تحمل الآن رقم ٣٥٩ .

ونعرف ايضا رئيس ورش الفنانين ام حرخع صاحب المقبرة رقم ٢٩٩ . وتحت حكم الملك رمسيس الثالث والرابع عاش احد الكهنة ويدعى با ان عنقت الذى ذاعت شهرته لاتهامه بالاعتداء على مخصصات معبد المعبود خنوم وبيع الحيوانات المقدسة المخصصة للمعبد [٥٤].

النصف الثانى من الأسرة العشرين :

خلف رمسيس الرابع سبعة ملوك (يحملون جميعهم اسم رمسيس حتى رمسيس الحادى عشر) ، وقد حكموا فى الفترة من ١١٦٠ ــ ١٠٨٥ ق . م ولا نعرف عنهم الشئ الكثير سوى ان فترة حكمهم قد تميزت بالاضطرابات الداخلية والمجاعة . كظاهرة للعصر ، نجد ان المقابر الملكية لم تعد فى مأمن فقد جاء اللصوص لينهبوا التوابيت الملكية لكى يستولوا على الحلى الثمينة ، ولم يعد امام الملوك الحاكمين إلا طريقة واحدة لكن يحافظوا على بقايا اسلافهم ، الا وهى اخراج هذه البقايا من مقابرها الأصليه لكن يدفنوها بطريقة سرية فى مقابر اخرى جماعية .

وعندما نفكر فى المنزلة التى كان يتمتع بها الملك فى نفوس المصريين فى عصر الدولة القديمة والوسطى وايضا خلال الدولة الحديثة ، فقد عدوه معبودا وفى الوقت نفسه ملكاً ، نرى إلى اى مدى فقدت الملكية هيبتها والتالى قوتها ، ونرى مظاهر ضعف الملكية فى تلك الثورات التى قامت خاصة فى مصر الوسطى ، وهى ثورات اشعلتها بالتأكيد عناصر ليبية انتشرت بكثرة فى هذه المنطقة .

وازداد من ناحية اخرى نفوذ كهنة آمون فى طيبة ولنا ان نتخيل مدى سلطتهم

عندما نتفهم حقيقة الدور الذى قاموا به فيما بعد .

ولنعرف ما هى طبيعة العلاقات الأسرية التى كانت تربط بين هؤلاء الملوك الرعامسة ولكن نعرف انه كان لبعض منهم مقابر فى وادى الملوك ولدينا بعض الوثائق عن حكمهم واعمالهم ، **وهؤلاء الملوك هم** :

ــ وسر ماعت رع سخبر ان رع ــ رعمسسو الخامس مرى آمون [٥٥]

ــ نب ما عت رع مرى آمون ــ رعمسسو السادس (أو آمون حرخبش اف) نثر حقا ايون [٥٦] .

ــ وسرماعت رع مرى آمون ستب ان رع ــ رعمسسو السابع ايت آمون نثر حقا ايون [٥٧] .

ــ وسرماعت رع آخ ان آمون ــ رعمسسو الثامن مرى آمون ــ ست [٥٨] .

ــ نفر كارع ستب ان رع ــ رعمسسو التاسع خع ام واست مرر آمون [٥٩] .

ــ خبر ماعت رع ستب ان رع ــ رعمسسو العاشر مرى آمون [٦٠] .

ــ مرماعت رع ستب إن بتاح ــ رعمسسو الحادى عشر خع ام واست مرر آمون نثر حقا ايون [٦١] .

رمسيـــس الخامـــس :

لا نعرف عن رمسيس الخامس الشئ الكثير ، فقد عثر فى جبال سلسلة على لوحة تفيد ارساله بعثة لقطع الاحجار من هناك ومن الجائز انه حكم اكثر من أربع سنوات وكشف عن مومياته فى مقبرة امنحتب الثانى وبفحصها وجد انه كان مريضا بالجدرى ، وتوفى متأثرا بمرضه.

وقد اتصلت مقبرته فى وادى الملوك بمقبرة رمسيس السادس ، وأهم آثار عهده ، بردية فى متحف بروكلين وهى مؤرخة باعام الربع من حكمه ويبلغ طولها عشرة امتار ، وتسمى الآن بردية ولبور Wilbour [٦٢] . وهى تقدر الضرائب على مساحة من الأرض تمتد من مدينة الفيوم حتى مدينة المنيا لصالح المعابد . وكانت الضرائب تحصل بالحبوب وتقدر على كل أرض حسب جودة انتاجها وكان ملاك الاراضى من اصحاب الحرف المختلفة [٦٣] . وكان قد عثر على هذه البردية فى الأقصر حوالى عام ١٩٢٩ فى جهة

الخوخة اثناء اعمال التنظيف التى قامت بها مصلحة الآثار لبعض المقابر.

رمسيـــس الســـادس :

كان رمسيس السادس يقيم فى الدلتا ، عثر على اسمه فى معبد الرديسية الذى شيده سيتى الاول فى منطقة بئر وادى عباد بالقرب من وادى الحمامات . وعثر على اسمه ايضا على اناء عثر عليه فى تل بسطة [٦٤] وعثر على اسمه كذلك فى ناحية مناجم الفيروز بسرابيط الخادم بشبه جزيرة سيناء ، وايضا على بعض الآثار الأخرى المتفرقة .

وقام الملك بنحت مقبرة فى البر الغربى فى طيبة وهى الآن رقم ٩ . وتعد هذه المقبرة من اضخم المقابر الملكية اذ يصل عمقها إلى ٩٣ متراً واغناها بالنقوش والرسوم التى تتحدث عن العالم الآخر ونسخ من كتاب الموتى وكتاب الكهوف وما يوجد فى العالم الآخر والأناشيد الشمسية وقصة هلاك البشر . وسجل كتاب الليل والنهار لأول مرة وكذلك كتاب الليل وكتاب الأرض . ويبدو ان هذه المقبرة قد اعدت لدفن والد الملك رمسيس الخامس ، ولكن اسم رمسيس الخامس استبدل باسم رمسيس السادس . ويؤدى مدخل المقبرة إلى ممر وعلى الجدارين الأيمن والأيسر مناظر تبين الملك امام حور آختى واوزير ومجموعة من النصوص هى عبارة عن كتاب الابواب [٦٥]

كان بننوت حاكم واوات وعمدة عنيبة فى عهده . وفى اثناء اقامة هذا الحاكم فى بلاد النوبة صنع تمثالا للملك رمسيس السادس فى معبد الدر [٦٦] وقد كافأه الملك بآنيتين من الفضة .

رمسيس السابع :

حكم هذا الملك حوالى سبع سنوات ، اما عن آثاره فهى قليلة جدا ، فقد عثر له على مقصورة للعجل منفيس فى قرية الاطاولة شمال عين شمس حيث كانت توجد مقابر العجول المقدسة لهذا المعبود . وقد عثر على مقبرة رمسيس السابع فى وادى

الملوك وهى تحمل الآن رقم ١ .

رمسيس الثامن :

ربما كان هو وسلفه من ابناء رمسيس السادس . عثر على اسم رمسيس الثامن على لوحة لأحد موظفيه اكتشفت فى ابيدوس ومحفوظة الآن فى متحف برلين [٦٧]. ولم نعرف بعد اين تقع مقبرة رمسيس الثامن . ولم يعثر على اى تماثيل لرمسيس الخامس والسابع والثامن والعاشر والحادى عشر [٦٨] .

رمسيس التاسع :

ادى الفقر فى عصر رمسيس التاسع إلى كثرة حوادث السرقة والاعتداء على حرمة المقابر ، ففى حوالى عام ١١١٥ ق.م تحت حكم هذا الملك ، كان الوضع الاقتصادى فى حالة تدهور وايضا الحالة السياسية كانت فى توتر مستمر . وفى نهاية حكم رمسيس التاسع حاول اللصوص ان ينهبوا المقابر الملكية لأول مرة ، والقضية التى اقيمت ضد المدنيين تبين مدى انهيار الادارة الداخلية واشير اليها فى برديتين ، بردية ابوت Abbott بالمتحف البريطانى وهى مؤرخة من السنة السادسة عشرة من هذا الحكم . والأخرى بردية امهرست Amherst وهى ترجع إلى التاريخ نفسه تقريبا والبرديتان تتناولان موضوع سرقات المقابر .

كشف عن الحادث باسر Pasar عمدة البر الشرقى فى طيبة حيث ابلغ عن سرقة مقبرة امنحتب الأول وأرسلت لجنة مؤلفة من موظفين رسميين لفحص مقابر الملوك وغيرها من مقابر البر الغربى .. وقد قامت هذه اللجنة بعملها بناء على تقرير رفعة باور Paour عمدة البر الغربى فى طيبة بالاشتراك مع رئيس شرطة الجبانة فى ذلك الوقت الذى افاد بان اللصوص دخلوا بعض هذه المقابر ، وفى اعقاب ذلك ذهب الوزير — خع ام واست — إلى وادى الملكات للتحقيق فى الموضوع بنفسه ، وقد عثر باور بسرعة على المتهمين مما يدعو — بدون شك — إلى الاعتقاد بأنه هو نفسه كان من بين المنتفعين من السرقات واصطحب معه احد اللصوص القدامى ، وطلب منه ان يرشد عن المقبرة التى سرق منها فلم يعترف إلا بعد تعذيبه. وفى اليوم الحادى

والعشرين انعقدت المحكمة وبدأ الوزير يناقش اقوال باسر وادعى الوزير انه قام بنفسه بفحص المقابر ووجدها سليمة ، وان ما ذكره باسر غير صحيح وخسر باسر دعواه امام المحكمة التى كان عضوا فيها ، ويتضح من محاضر التحقيق والمحاكمة ان الوزير خع ام واست وعمدة البر الغربى كانا مسرورين من قرار المحكمة .

ويبدو ان الوزير نفسه كان متورطاً فى القضية لأنه اصدر العفو عن كل من إتهمهم باسر [٦٩]. وادى هذا الحكم بالبراءة إلى قيام بعض المتهمين بعد ذلك إلى الاعتداء على مقبرة الملكة ايزيس زوجة رمسيس الثالث وعلى مقابر أخرى من بينها مقبرة سيتى الاول ورمسيس الثانى وقد عوقبوا بشدة ولكن محاولات السرقة استمرت بعد ذلك ايضا كما سوف نرى فى عصر ملوك الأسرة الحادية والعشرين [٧٠] .

وعثر على تصميم مقبرة رمسيس التاسع التى تحمل الآن رقم ٦ على قطعة صغيرة من الحجر الجيرى محفوظة الآن بالمتحف المصرى [٧١] ، وكان الكاتب يقوم بتسجيل عدد ما نقل من سلال الرديم ، واسماء العمال الذين تخلفوا عن العمل واسباب تخلفهم وكان يرفع تقريرا إلى مكتب الوزير ويستمر العمل طوال العام ، وكانوا يستخدمون ادوات من النحاس توزع عليهم لزوم اعمال النحت [٧٢] ، وكانوا يستخدمون مصابيح تصنع من القرميد وتملأ بزيت نباتى وقد اشار شرنى Černy ان العامل كان يعمل ثمانى ساعات يوميا وللقضاء على الصناج الذى كان يتصاعد من هذه المصابيح كانوا يضيفون إلى الزيت بعض المواد لتخفيف تصاعد الصناج . وافترض بعض العلماء انهم كانوا يضعون الملح العادى او يستخدمون زيت الخروع الذى لايتصاعد منه صناج بكثرة ، وكان نحت المقبرة يستغرق اكثر من عامين وكان يوجد فى حجرة الدفن نسخ من كتاب الكهوف وكتاب الموتى رسمت على الجدران . وحكم رمسيس التاسع سبعة عشر عاما او اكثر [٧٣] .

رمسيس العاشر :

وجاء بعده رمسيس العاشر الذى حكم لمدة ثمانية اعوام ، وكانت مدة حكمه حافلة بالاحداث الهامة ، ففى هذه الفترة ، اصبحت قوة كهنة آمون تفوق الحد ، وعندما كان هذا الملك اميرا صغيرا ووريثا شرعيا للعرش ، كان موضوعاً تحت رعاية

احد ابناء كبار كهنة المعبود آمون ، الذى كان يعمل فى خدمة معبد آمون . وقد ازداد نفوذ كبير الكهنة هذا ، الذى كان يسمى أمنحتب لدرجة انه فى العام العاشر من الحكم ارغم الملك على التخلى عن جزء كبير من الاوقاف التى كانت تخص التاج لمصلحة كهنة آمون ، وهناك اشارة غامضة إلى « ثورة كبير الكهنة » توضح ان هناك بعض العقبات التى نشأت بينه وبين الملك ولكنها انتهت بتنازل الملك .

وتمثل لنا المناظر على جدران معبد الكرنك كبير الكهنة امنحتب ورمسيس العاشر — على قدم المساواة — وذلك كان على عكس ماقضت به التقاليد ، ومن المحتمل ان امنحتب قد تزوج من ابنه ووريثة رمسيس السادس وكان يرى فى نفسه انه احق بالجلوس على العرش .

وعلى اية حال كان من الواضح ان الملك اصبح مجرد اداة بسيطة فى ايدى كبار الكهنة . وقبل نهاية الحكم ، تعرض بعض الاشخاص للمحاكمة ، واتهموا بانهم تسللوا إلى المقابر القديمة للملوك واستولوا على الذهب والحلى الأخرى المدفونة مع المومياوات [٧٤] .

ووردت الينا تفاصيل القضية ، ونعرف منها مدى عمليات التخريب التى قام بها اللصوص ، وهناك نص عن احدى القضايا التى تخص مقبرة على شكل هرم لملك وملكة من الأسرة الثامنة عشرة ، وها هو ما صرح به بعض المتهمين فى اقوالهم :

« لقد دخلنا عبر المبانى والجدران المشيدة للمقبرة ووجدنا تابوت الملكة يرقد هناك ، وفتحنا التابوت وغطاءاته، ثم وجدنا بعد ذلك مومياء الملك المبجل . وكان يوجد حول رقبته العديد من التمائم والزينات والحلى الذهبية ، وكان رأسه فغطى بقناع من الذهب ، وكان كساؤه مصنوعاً من الذهب والفضة من الداخل والخارج ، وكان (الكساء) مطعماً بالاحجار الكريمة الثمينة ، فقمنا بنزع الذهب الذى وجدناه على مومياء الملك المبجل ، وايضا التمائم والحلى التى تزين رقبته وكذلك الأغطية التى كان يرقد عليها الملك ، وعثرنا ايضا على مومياء الملكة وانتزعنا من عليها كل ما تحمله ايضا ، ثم أشعلنا النيران بعد ذلك فى التوابيت وحملنا معنا المتاع الجنائزى

الذى وجدناه بالقرب منها ، وهو مصنوع من الذهب والفضة والبرونز ، وقمنا بتقسيم الغنيمة إلى ثمانية انصبة من الذهب وكذلك فعلنا بالتمائم والحلى والملابس » .

وتبين ان مقبرتين ملكيتين من عصر لاحق كانتا قد تعرضنا للنهب وايضا العديد من مقابر النبلاء والاشراف ، ويقول التقرير : « لقد تبين ان اللصوص قد دخلوا كل هذه المقابر ، واخرجوا جثث اصحابها من توابيتهم مع مختلف الأغطية التى القوا بها على الأرض ، وسرقوا المتاع الخاص بالموتى وايضا حليهم الذهبية والفضية » (٧٥) .

واجبر اللصوص على الاعتراف « عن طريق الضرب فوق اقدامهم وايديهم بهروانتين » وبارغامهم على مصاحبة الموظفين حتى المقابر التى اعترفوا بنهبها . وقد استمرت هذه القضية سنوات عديدة ، وتوفى الملك قبل الانتهاء من البت فيها ولسوء الحظ فاننا لا نعلم ماتم فيها . ودفن الملك فى مقبرته فى وادى الملوك وهى تحمل رقم ١٨ . هذا ولم يحكم رمسيس العاشر إلا سبع سنوات وتوفى عام ١١٢٩ ق.م.

رمسيس الحادى عشر :

قام الملك رمسيس الحادى عشر بالاشراف على دفن الملك السابق ، ويعد رمسيس الحادى عشر آخر سلالة الرعامسة وايضا آخر من دفنوا فى هذا الوادى الشهير . ويعد حكمه الذى استمر ثمانية وعشرين عاما بداية لتدهور السلطة الملكية وزيادة نفوذ كهنة آمون ، وذلك بفصل نشاط كبير الكهنة « حريحور » الذى كان خليفة وربما كان ايضا ابناً لكبير الكهنة السابق امنحتب الذى تحدثنا عنه سابقاً . وكما اسلفنا فإنه من المحتمل ايضا ان تكون زوجة امنحتب اميرة ملكية وان حريحور كان ابناً لها . وعلى اية حال فقد عد نفسه سيداً لمصر على الرغم من ان رمسيس الحادى عشر كان يعتلى العرش من الناحية الرسمية .

وحاول رمسيس الحادى عشر ان يعزل كبير كهنة آمون لفترة ما واحتفظ لنفسه طوال فترة من الزمان بالحق فى أختيار خليفة له، وسرعان ما تغير الموقف لأنه وجد نفسه غير قادر على ان يحكم بمفرده او ان بقية الكهنة قد مارسوا ضغطاً كبيراً عليه، او

انه لم يكن ذكيا بالقدر الكافى واراد ببساطة ان يفضل احدهم ، ولذلك نجد ان رمسيس الحادى عشر قد عين حريحور كبيراً لكهنة آمون ، وكان حريحور رجلا عسكرياً بلا شك [٧٦]، وهذا الاختيار الذى تم بدون حذر قد ساعد على التعجيل بنهاية الأسرة العشرين .

وتزوج حريحور من نجمت ، وقد اكتسب شيئا فشيئاً كل الصفات الملكية ، وقد عمل فى أول الأمر على أن يظهر بمظهر الرجل المخلص — وبفضل التقرب إلى الملك — نجده بعد ان كان يشغل وظيفة كبير كهنة آمون ، اضاف إلى هذه الوظيفة القابا أخرى : « نائب الملك لكوش » الذى يكفل له السلطة على بلاد كوش ثم لقب « وزير الجنوب » الذى يسمح له بحكم مصر العليا بالفعل وان لم يصبح فى بداية الأمر سيداً لمصر كلها فعلى الأقل اصبح سيداً لجنوب البلاد ، وهذا يجعلنا نفترض انه اعتمد على مساندة بعض الكهنة الذين دفنوا بجواره .

ويقال انه اثناء حكم رمسيس الحادى عشر ، استعان الملك بنائبه لكوش بانحسى [٧٧] واستعان ايضا بمرتزقته من بين لكى يقضى على بوادر ثورة قامت فى الاقليم السابع عشر ، واذا صدقنا ما قاله مانيتون فى قصة طويلة مخصصة لهذا العصر — ونقلها يوسفوس — نجد ان حرباً اهلية قد اندلعت — ربما — لسبب دينى يؤيدها انصار المعبود ست فى الشمال ضد المعبود آمون فى الجنوب فى طيبة ، ولكن هزم انصار المعبود ست وقضى عليهم [٧٨] .

وصلت إلينا من العصر بردية ماير رقم ١ — Mayer A وهى محفوظة بمتحف ليفربول ومؤرخه بالنسبة التاسعة عشرة من حكم رمسيس الحادى عشر ، وفيها استجواب لشخص يدعى موت نفر الذى كان حارساً وسأل عن بعض السرقات التى حدثت فى احد المعابد فى البر الغربى ، وقام رمسيس الحادى عشر باتمام معبد المعبود خونسو فى الكرنك ، وصور فى بهوا الأعمدة وهو يقدم القرابين للمعبودات المحلية ، وفى مناظر آخرى شوهد حريحور يقدم للمعبودات ايضا .

وزاد مركز ونفوذ حريحور فنجد انه بعد ذلك بعام او عامين قام ببناء فناء امامى يقع إلى الجنوب . وهنا كشف حريحور النقاب عن نواياه فصور وعلى جبهته الصل

المقدس الخاص بالملوك وفى اماكن أخرى واضعا التاج المزدوج وانتهى الأمر بان اتخذ القاب الملوك [٧٩] . وقد جاء على لوحة عثر عليها فى ابيدوس ان رمسيس الحادى عشر قد عمر حتى السنة السابعة والعشرين من حكمه. وفى الخطابات التى ترجع إلى نهاية الأسرة العشرين ، جاء ذكر لقب « فرعون » دون ذكر الملك المراد بهذه التسمية وذلك على أكثر من ثلاثة عشر خطاباً ولكن عرف ان المقصود بهذه التسمية هو رمسيس الحادى عشر [٨٠] واثناء ذلك الوقت ، كان هناك فى شرق الدلتا فى تانيس ، امير يسمى : « نسوبانب جدت ــ سمندس » الذى كون له فى هذه المنطقة سلطة موالية له إلى حد ما .

وفى تلك الفترة المضطربة تجد ان نفوذ مصر فى أسيا قد انهار . وليس هناك ما هو اول على انهيار هذا النفوذ مما حدث موظف كبير فى دائرة املاك المعبود آمون ويسمى « ون آمون » الذى إرسله كبير الكهنة حريحور إلى شواطئ فينيقيا ليحصل على اخشاب الارز اللازمة لتجديد القارب المقدس لآمون فى طيبة [٨١] والذى كان عرضة للسخرية من حاكم جبيل الذى رفض مساعدته بعد ان نهبه اللصوص ، واخذوا الاشياء التى كانت معه والتى جاء بها من مصر ليقدمها ثمناً للاخشاب التى كان يود الحصول عليها [٨٢] .

لم يبق لرمسيس الحادى عشر الكثير من السلطة ، وعندما توفى اعلن الكاهن الأكبر لآمون حريحور نفسه ملكا فى الحال ، وفى تانيس ــ ابان ذلك الوقت ــ كان الأمير المحلى سمندس يمارس سلطته مواليا للملك منذ بداية حكم رمسيس الحادى عشر ، ولكنه اتخذ اخيرا القاب الملوك . وقد عثر على مقبرة رمسيس الحادى عشر فى البر الغربى وهى تحمل الآن رقم ٤ .

وهكذا تنتهى الأسرة العشرون ويؤول العرش إلى الكهنة وتنتهى بذلك سلالة الملوك الذين يحملون اسم رمسيس وانقسم حكم مصر من جديد إلى جزأين

- فى الشمال يحكم سمندس وكان قويا للغاية ، وذلك بفضل زوجته التى منحته حق التربع على العرش .
- وفى الجنوب حريحور ــ وزير الجنوب القديم ــ الذى اتخذ الالقاب الملكية .

ومن الملاحظ ان ايا منهما لم يبد للآخر اية عداوة ظاهرة ويبدو فى الوقت نفسه ان حريحور عد نفسه مواليا لسمندس ــ وهو ولاء ظاهرى فقط ــ لأنه كان يحكم كملك لمصر العليا فى طيبة من ناحية وكسيد فعلى لكهنة آمون من ناحية أخرى . وعين ولده بعنخى فى طيبة كبير كهنة آمون بدلا منه [٨٣] .

الفصل السادس عشر

الأسرتان الحادية والعشرون والثانية والعشرون

(١٠٨٥ ــ ٧٣٠ ق.م)



الأسرة الحادية والعشرون (١٠٨٥ ــ ٩٥٠ ق.م) :

ــ حدج خبر رع ــ ستب ان رع ــ نس‌بانب جدت ــ سمندس مرى أمون (١٠٨٥ ــ ١٠٥٤ ق.م)

ــ تبى حر نثر أن أمون ــ حريحور سا أمون [١]

تتقابل فترة حكم سمندس فى الشمال مع فترة حكم حريحور فى الجنوب ايضا ، وكان حريحور فى سن الشيخوخة عندما تولى السلطة فى الجنوب ، ولم يكن حريحور من عائلة كهنوتية ولكنه اكتسب وظيفة كبير الكهنة عن طريق الانخراط فى السلك العسكرى ، وكانت توليته للعرش نتيجة لوفاة رمسيس الحادى عشر ، أو أنه عزل الملك عن العرش وتولى السلطة بدلا منه ــ على الأقل فى الجنوب ــ واذا كان لدى حريحور النية فى ضم الشمال تحت سلطانه فانه لا يملك الوقت الكافى لتحقيق اهدافه ، وعقب وفاته ظلت مصر مقسمة بين سلطة فعلية فى مصر العليا على رأسها « بعنخى » كبير كهنة آمون وملك شرعى فى الشمال هو سمندس وبالتالى نظرا لتلك الظروف سوف نجد ان سمندس هو الذى اصبح مؤسساً للأسرة الحادية والعشرين ، التى سوف تتخذ عاصمتها فى تانيس فى شرق الدلتا [٢] .

كان سمندس من بلدة مندس وتزوج من ــ تانوت أمون ــ التى كان لها الحق فى ارتقاء العرش ونحن لا نعرف اصله تماما ، اذ ربما كان وزيرا فى البداية . [٣] وفى الواقع ان كلا من سمندس وحريحور قد توفيا دون ان يغيرا شيئاً من الوضع السياسى فى مصر . ويبدو انه كان هناك نوع من التفاهم بينهما على اقتسام المملكة بين الملكين ولذلك لم تحدث خلافات تذكر .

واعتمد مانيتون فى تاريخه على اسرة تانيس ، ولذلك يبدأ الأسرة الحادية والعشرين

بالملك سمندس ويتجاهل حريحور على الرغم من أن الوثائق والنصوص تبين لنا بوضوح أن مصر العليا قد قبلت بعين الرضا حريحور ملكا شرعيا لها ومنحته بهذه الصفة كل الالقاب الملكية المعروفة ، وعند اعتلائه العرش اتخذ الاسم الاضافى « سا آمون » (ابن آمون) . وكان يستخدم ايضا لقب كبير كهنة آمون كجزء من إسمه الفعلى [٤] وجعله يظهر فى الخانة الملكية التى تعبر عن الاسم الملكى .

وفى أثناء ذلك كان حريحور رجلا مسناً ، وانجبْ من زوجاته العديدات ثمانية عشر ولدا وتسع عشرة بنتا ، وسجل اسماءهم جميعا على جدران معبد المعبود خونسو فى الكرنك [٥] ذلك المعبد الذى كان قد بدأ فى تشييده رمسيس الثالث والذى إنتهى منه فى ذلك العصر .

وتولى من بعده ابنه الاكبر — بعنخى — وظيفة كبير كهنة آمون ، مما يدل على أنه فى تلك الفترة لم يستطع أن يمارس اعماله ككبير لكهنة آمون منذ أن أصبح ملكاً .

ولم يعثر حتى الآن على مقبرة حريحور ولا على مومياته ، ولكن على العكس عثر على مومياء زوجته الملكة نجمت حيث توجد الآن فى المتحف المصرى وقد توفى ابنهما بعنخى بعد وفاة والده حريحور مباشرة ، وتولى من بعده وظيفة كبير الكهنة ابنه باى نجم الذى يعد فى الوقت نفسه حفيد حريحور وعن قريب سوف يختفى حريحور بدوره .

وإستمر سمندس يحكم فى مصر السفلى ، ويبدو انه قبيل نهاية حكم حريحور إستولى على السلطة فى كل البلاد أى فى الدلتا وفى مصر العليا ايضا ، لاننا نراه فى نهاية حياته يقوم بعمل ترميمات فى معبد الكرنك ، وعثر له على عمود فى قرية الديابية تجاه جبلين تقص علينا نقوشه أنه كان يعيش فى منف وكان يذهب إلى طيبة من حين إلى آخر ، وبينما هو فى قصره فى منف إذ أخذ يفكر فى بعض الاعمال الدينية ، فبلغه أن أحد منشآت تحوتمس الثالث فى معبد الاقصر غمرتها مياه الفيضان فأرسل بعثة من ثلاثة آلاف رجل لقطع الاحجار الرملية اللازمة للترميم من منطقة جبلين [٦]. وقد اشار ولده بسوسينس انه حكم البلاد كلها .

وكان يسمى فى هذه الفترة حدج خبر رع ، وكان هذا الجزء الأول من الاسم

يعنى «(معبود) الشمس صانع التاج الأبيض » (تاج الوجه القبلى) ربما كان فى هذه التسمية إشارة إلى سيطرته على مصر العليا . ويبدو انه بدأ يؤرخ سنوات حكمه منذ اللحظة التى إستولى فيها على عرش تانيس مع بقائه أميرا مواليا . وتوفى سمندس بعد حريحور ببضع سنوات وتمتع بفترة حكم طويلة لأنها استمرت اكثر من ثلاثين عاما ، وعلى الرغم من ذلك فإن سمندس لم يكن ملكاً بالفعل إلا لمدة واحد وعشرين عاما ولم يحكم مصر كلها إلا اربع سنوات او خمس فقط [٧] .

لم يكشف عن مقبرة سمندس حتى الآن . اما عن مخلفاته المعمارية فى تانيس ، فأكثرها قد تعرض للهدم .

وكان لطيبة تأثير قوى من الناحية الدينية على تانيس فأصبح لثالوث طيبة مكان الصدارة فى تانيس .

ـ عا خبر رع ـ ستب ان آمون ـ باسا خع ان نيوت « بسوسينس الأول » مرآمون (١٠٥٤ ـ ١٠٠٩ ق.م)

ـ خع خبر رع ستب آن آمون ـ باى نجم الأول مرى آمون [٨] :

أسند سمندس سلطاته ـ قبل وفاته ـ إلى ابنه (؟) بسوسينس الأول الذى حكم البلاد كلها سبعة عشر عاماً . [٩] على حين استمر حفيد حريحور ـ باى نجم ـ يشغل وظيفة كبير كهنة آمون .

وفى نهاية حكمه حدث فيما يبدو ثورة فى طيبة ، ربما كان الغرض منها وضع باى نجم على العرش ، ولكن قضى على هذه الحركة ونفى انصارها إلى إحدى الواحات فى الصحراء الغربية . وإنتهى العداء بين العائلتين فى أعقاب التبادل الدبلوماسى الذى نتج عن المصاهرة بينهما ، ولم ينجب بسوسينس الأول أولادا ذكورا ، لذلك زوج ابنته ماعت كارع التى كانت تملك طبقا للتقاليد المصرية الحقوق الشرعية فى العرش ، التى نقلتها إلى ابن بعنخى ، باى نجم .

وتبعا لذلك سوف نرى أن باى نجم قد ورث السلطة فى الجنوب خلفاً لأبيه والملكية فى الشمال عن طريق زوجته ، لذلك منحت لزوجها الجديد لقب الوريث الشرعى لعرش المستقبل ، وعندما توفى بسوسينس الأول عام ١٠٣٧ ق.م تولى كبير

الكهنة باى نجم مهام العرش .

عثر على مقبرة بسوسينس الأول فى تانيس ، وتقع بين المعبد الكبير والسور المشيد من الطوب وكشف عنها « مونتيه » Montet عام ١٩٤٠ ووجدها سليمة ، ولم تسرق [١٠] واقام بسوسينس الأول حائطاً سميكا من الطوب اللبن حول المعبد الكبير بتانيس .

تولى باى نجم السلطة بعد وفاة بسوسينس ، إتخذ إسم خع خبر رع واصبحت زوجته ماعت كارع ملكة . وكنا نظن ان وحدة مصر سوف تتحقق من جديد ولكن عوامل الانفصال كانت من القوة بحيث تعثرت بسببها خطوات تنفيذ تلك الوحدة ، وأصبح من الصعب قيامها . وحاول باى نجم الاول على الرغم من إستقراره فى الشمال أن يحافظ على سلطته فى الجنوب ، وذلك بفضل تعيين أبنائه بصفة شخصية فى وظيفة كبير كهنة آمون ، وعقب وفاة ابنه الاكبر يبدو ان ثورة ما قامت فى طيبة ونتيجة لذلك عين باى نجم الأول على التو ، إبنه الثانى على رأس كهنة آمون فى طيبة ولكن هذا الأخير الذى كان يسمى منخبرع إستولى على السلطة لصالحه ، وقضى نهائيا على طموح ابيه وخططه التى أثمرت نتائج سلبية للغاية .

ومن أهم أعمال باى نجم الأول ومنخبرع هو ذلك السور الكبير الذى مازالت معالمه باقية بقرية الحيبة إلى الجنوب من الفشن .
كما قام منخبرع ببناء برج للمراقبة إلى الجنوب قليلا من الحيبة . ونعلم أن باى نجم الأول قد أتم بوابة معبد خونسو فى الكرنك ، ووجد إسمه أيضا على مقصورة المعبود أوزير ــ بى ــ عنخ فى الكرنك [١١] .

رأينا فيما سبق أن رمسيس الحادى عشر كان آخر ملك دفن فى وداى الملوك ، ولم يعثر على مقبرة حريحور ولم تكشف الحفائر التى أجريت فى وادى الملوك حتى الآن عن أى أثر لهذه المقبرة . ولذلك يبدو أن سمندس وبقية ملوك هذه الأسرة قد دفنوا فى تانيس ــ مدينة أجدادهم ــ ولم يتعرف على أماكن مقابرهم . وكان من نتيجة ترك الجبانة الملكية القديمة فى وادى الملوك فى طيبة حيث دفن كل ملوك

الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ، هو الانطلاق الحقيقى والتوسع فى نهب المقابر فى الجبانة التى اصبحت منعزلة تماما . وتسلل اللصوص إلى المقابر الواحدة بعد الأخرى ، وعلمنا عن طريق البرديات أن ملوك هذه الأسرة إضطروا أكثر من مرة إلى إعادة دفن مومياوات أسلافهم التى تعرضت للنهب والسلب . وأثناء حكم بسوسينس الأول وباى نجم مثلا ، كان يجب اعادة دفن مومياوات الملك أحمس ، امنحتب الأول ، تحوتمس الثانى ، سيتى الأول ، رمسيس الثانى ، رمسيس الثالث ، وعثر على موميائهم خارج توابيتها وقد اعيدت إلى مقابرها أو نقلت بعيداً فى مكان آخر أكثر أمناً [١٢] .

وتمتع باى نجم الأول بحكم مستقر مملوء بالرخاء لمدة تقرب من الأربعين عاما ، وكان له ولد يسمى « ماساهرتا » شغل لفترة ما وظيفة كبيرة كهنة آمون ولكنه توفى قبل أبيه ولاتزال مومياؤه بالمتحف المصرى حتى الآن ، وتبين أنه كان يبلغ من العمر اوسطه لحظة وفاته.

وتولى بدلا منه وظيفة كبير الكهنة بعد ذلك إبن آخر له يسمى منخبر رع كان قد ولد بطيبة ولكنه إستقر فى تانيس ، وتقص علينا النقوش أنه فى العام الخامس والعشرين من حكم باى نجم ، جاء منخبرع إلى طيبة بين الاحتفالات العامة لكى يتولى وظائفه الكبرى ، ولكى تلتئم الجروح القديمة عفا الملك عن كل المذنبين الذين نفوا وتشردوا ولاقوا العذاب منذ عدة سنوات فى واحات الصحراء .

وفى بداية العام الجديد ، الذى يطابق أو يوافق نهاية الخريف فى العام نفسه ، نجد أن منخبر رع لجأ إلى اعداد الصيغ التى يطلب فيها من آمون رع السماح باعادة هؤلاء المنفيين ، والطريقة المتبعة بالنسبة لسؤال المعبودات فى مثل هذه المناسبات كانت غريبة بعض الشئ :

فنجد أن الكهنة كانوا يحملون فوق اكتافهم محفة عليها تمثال المعبود ، واذا كان من الضرورى الرد بالايجاب على اسئلة كبير الكهنة فى الصفوف الخلفية يميلون إلى الأمام ، ويبدو التمثال مائلا لكى يجود برضاه وموافقته . وتصف لنا النصوص هذه الاستشارة بالالفاظ الآتية :

« خرج جلالة المعبود آمون رع ــ ملك المعبودات ــ فى موكب ، ووصل إلى البهو الكبير لمعبد آمون وتوقف أمام قدس الاقداس . وذهب إليه كبير الكهنة منخبر رع ، مرتلا الأناشيد الطويلة على عدة مراحل ، ثم تحدث إليه، قائلا : «ياسيدى الطيب ، هناك موضوع ما : هل يجب ان نتحدث عنه ــ وعندئذ ــ مال المعبود الكبير بعمق إلى الأمام على حين رفع الكاهن الأكبر يديه شاكراً معبوده الذى يتحدث ــ كأب يتكلم مع إبنه ــ وبعد ذلك قال الكاهن الأكبر « هل ترغب فى العفو عن عبيدك وتسمح لهم بالعودة إلى مصر ، وعندئذ مال المعبود بعمق إلى الامام » (١٣) .

ولما كان يخشى عودة المذنبين من منفاهم أن يوقدوا أتون الصراعات القديمة حيث كانوا يميلون إلى الأخذ بالثأر من بعضهم البعض مما يؤدى إلى سقوط ضحايا جدد ، عندئذ قال الكاهن الأكبر إلى المعبود : « واذا قيل أن أحدا قد قتل رجلا حيا هل ترغب فى أن يعدم ، وعندئذ مال المعبود الكبير بعمق » .

وسرعان ما اتخذ منخبر رع لقب الملك ، وهكذا على الرغم من مجهودات باى نجم ، فان مصر ظلت مقسمة إلى جزأين ، على حساب تدهور الأوضاع السياسية فى البلاد كلها ، لأن كبير كهنة آمون لم يكن يمتلك فى ذلك الوقت تلك القوة المادية التى كان يتمتع بها فى عصر الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وتبعا لتلك الأحداث ، نجد أن الدولة أصبحت فى حالة إقتصادية يرثى لها نظرا لقلة ما يعود عليها من جزية أجنبية تضم إلى خزائنها ، والتى كانت نتيجة للحروب المتتالية التى قام بها الملوك الكبار فيما سبق . ومن الآن اصبح من الصعب الاعتماد على أوقاف أرض المعابد ولنا أن نفترض أن تلك الأراضى كانت فى جزئها الأكبر فى حيازة كهنة آمون انفسهم . وبعد وفاة باى نجم ، إستمرت الأسرة فى حالة من الانفصال . ويقال أنه فى عصر منخبرع حدثت ثورة واضطر إلى ارسال الزعماء المتهمين إلى المنفى بالواحات الخارجة (١٤) .

وسرماعت رع ــ ستب ان آمون ــ آمن ام اوبت (١٠٠٩ ــ ١٠٠٠ ق.م) :

توفى بعد ذلك باى نجم وجاء ملك يسمى آمن ام أوبت ، ولانعرف العلاقة بين هذا الملك وعائلة بسوسينس ، وحكم هذا الملك تسع سنوات ، ولانعرف شيئاً ذا

أهمية عنه، ومن الواضح أنه إهتم بعض الشئ بطيبة حيث كان منخبرع كبير كهنة آمون لايزال يتمتع بنفوذ هناك لعدة سنوات طويلة تالية ، وأخيرا أولاها لأبنائه نسوبانب جدت (سمندس) وباى نجم الثانى اللذين اصبحا بدورهما كباراً للكهنة ، ودفن آمن ام اوبت فى مقبرة بسوسينس .

نثر خبر رع ــ ستب ان آمون ــ ساآمون مر آمون [١٥] (١٠٠٠ ــ ٩٨٤ ق.م) :

تولى من بعد آمن ام اوبت فى عام ١٠٠٠ ق.م ابنه (؟) ساآمون الذى ترك إسمه فى مختلف المعابد فى المدن الكبرى فى تانيس ، منف ، هليوبوليس وطيبة . فقد اعاد بناء بوابة وأسوار معبد عنات فى تانيس ، كما قام بترميمات فى مقصورة المعبد الكبير . وجدير بالذكر أن باى نجم الثانى كان كاهناً أكبر فى السنوات الأخيرة لحكم آمن أم أوبت والسنوات الاولى لحكم ساآمون وقد عثر فى تانيس على نقش صُور عليه ساآمون بالصورة التقليدية المعروفة للملوك وهم يعاقبون آسيوياً .

ومن الجائز أن ذلك كان تخليداً لانتصار ساآمون على جماعة البلستى والاستيلاء على مدينة جزر . وقد جاء ذكر ذلك فى سفر الملوك الجزء الأول ، الاصحاح التاسع ، الفقرة ١٦ أن الملك منح ابنته كزوجة للملك سليمان ، وتعاهد الملك سليمان مع الملك المصرى عن طريق المصاهرة ، واصطحب ابنة ملك مصر فى مدينة داود حتى إنتهى من بناء منزله، « منزل الابدية » وانتهى من بناء المعبد بعد إتمام الزواج ، الذى من المحتمل أنه حدث فى عام ٩٨٠ ق.م . ويقال أن هذه الأميرة قد اعطيت مدينة جزر كصداق ، ولكن من الصعب معرفة ما اذا كانت هذه الاحداث قد وقعت أثناء حكم ساآمون او ابان حكم خليفته بسوسينس الثانى [١٦] وقد حكم ساآمون حوالى ستة عشرة عاماً .

تيت خبر ان رع ــ ستب ان رع ــ حور باسباخع إن نيوت (بسوسينس الثانى) مرى آمون [١٧] (٩٨٤ ــ ٩٥٠ ق.م) :

تولى من بعد ساآمون ، بسوسينس الثانى ، ويبدو أن كبير كهنة طيبة قد قرر فى أثناء هذا الحكم ، نزع مومياوات الملوك من مقابرها المسروقة واعادة دفنها فى مكان سرى ، تفاديا لاستمرار اللصوص فى عملية سلب مقابر وادى الملوك على أمل

أن يعثروا أيضا على بعض الأشياء الثمينة .

واختير لهذا المشروع مقبرة قديمة تقع فى جبانة طيبة إلى الجنوب من معبد الدير البحرى ، وكان من السهل اخفاء معالمها والوصول إليها عن طريق اسفل الوادى حيث يوجد المدخل فى نهاية بئر عمقه حوالى اثنى عشر مترا ، وفى نهايته نجد سردابا طويلا يبلغ ستين مترا ويؤدى إلى حجرة الدفن . وفى تلك الفترة كان معبد الدير البحرى لايزال مستخدماً وكان يوجد فى تلك المنطقة العديد من الكهنة والحراس لحماية المومياوات الملكية . وكانوا بلاشك على علم بما حدث لأغلب المومياوات .

وضعت فى هذه المقبرة السرية ، معظم مومياوات الملوك القدامى ، بعض منها فى توابيتها الأصلية وبعضها الأخر وضع فى توابيت الذين فقدت مومياواتهم أو حطمت . وكان كبير الكهنة باى نجم هو الذى نفذ هذا المشروع وأشرف عليه (١٨) واشرف ايضا على علاج بعض المومياوات (١٩) .

كان الوصول إلى مدخل تلك المقبرة سهلا حتى نهاية هذا الحكم والحكم الذى يليه نظراً لدفنهم من حين إلى آخر بعض المومياوات المعرضة للسلب والتلف .

لكن نظراً لتكدس هذا البئر بالاحجار والزلط فقد نسى مدخل هذه المقبرة لمدة تقرب من ثلاثة آلاف عام حتى عثر عليها فى عام ١٨٧١ بطريقة الصدفة بواسطة ثلاثة أخوة من أسرة عبد الرسول أشهر مهربى الآثار والمتعاملين فيها فى قرية القرنة ، والذين كانوا قد أحتكروا سر هذه البئر ونزلوها خفية ثلاثة مرات خلال نحو عشر سنوات (٢٠) وعندما تم الكشف عن سر هذه المقبرة فى شهر يوليو ١٨٨١ عثر فيها على مومياوات الملوك الآتية أسماؤهم :

سقنن رع من الأسرة السابعة عشرة ، احمس ، امنحتب الأول ، تحوتمس الثانى والثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، سيتى الأول ورمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشرة ورمسيس الثالث من الأسرة العشرين ، وكبار الكهنة ماساهرتا ، باى نجم والملكات نجمت (زوجة حريحور) وماعت كارع (زوجة باى نجم) وايضا أميرتان من الأسرة الحادية والعشرين .

ونقلت هذه المومياوات في شهر يناير عام ١٨٨٢ باشراف ماسبيرو مدير مصلحة الآثار فى ذلك الوقت . وفى يوليو ١٨٨٦ جرى فى القاهرة حفل كبير بسبب هذا الحدث [٢١] . أما عن مومياوات ملوك الأسرة الحادية والعشرين فى تانيس ، فقد لاحظنا من قبل أن معظم هؤلاء الملوك قد دفنوا فى تانيس فى الدلتا . وفى عام ١٩٣٩ عثرت البعثة الفرنسية التى كانت تعمل فى صان الحجر (تانيس) على بعض المقابر الملكية التى وجدت سليمة لم تمسسها يد اللصوص ومنها مقابر الملك بسوسينس الأول ومقبرة الملكة موت نجمت زوجته . كما عثر إلى جانب مقبرة الملك مقبرة كبير الكهنة ورئيس الرماه فى عهده واسمه « اوند باد ندد » . وعثر كذلك على مقبرة الملك آمون أم اوبت [٢٢] أما عن بقية ملوك الاسرة فقد إختفت مومياواتهم ومقابرهم ، وأغلب هذه المقابر تغطيها الحقول الآن ، ولم يعثر لهؤلاء الملوك إلا على بعض المقابر الصغيرة فى الدلتا .

على حين أن كبار كهنة آمون وأيضا بعض الملكات والأميرات قد دفنوا فى طيبة ، ولهذا السبب وضعت مومياواتهم فى الخبيئة العامة . ولم يعثر حتى الآن على المقابر المسروقة التى إنتزُعت منها مومياواتهم . ولاتزال هذه المقابر مجهولة الموضع حتى الآن تحت الصخور المتراكمة منذ آلاف السنين فى جبانة طيبة ، أو تحت الرمال فى المناطق الصحراوية فى وادى الملوك . وفيما يخص كبار الكهنة ماساهرتا وباى نجم وأيضا الملكات اللاتى ذكرناهن سلفا ــ الذين وجدت مومياواتهم فى المقبرة العامة ــ فانه يمكن القول بانه اذا فرض وعثر على مقابرهم ، فمما لاشك فيه أنها كانت عرضه أيضا للنهب المنتشر بصورة واسعة منذ العصور القديمة . أما عن مقابر حريحور وكبار الكهنة أمثال بعنخى ومنخبر رع ، سمندس ، وبسوسينس ، فلم يعثر عليها حتى الآن . واذا قدر لنا العثور على هذه المقابر سليمة فان ذلك سوف يثير دهشة العالم واعجابه فى يوم من الأيام ، كما حدث بالنسبة لاكتشاف مقبرة توت عنخ آمون [٢٣] .

ــ وتم ايضا نقل العديد من المومياوات الملكية إلى مقبرة نس خونسو وزوجها كبير الكهنة باى نجم الثانى فى البر الغربى فى طيبة [٢٤] ومن المحتمل ايضا انه

خلال حكم نفس هذه الاسرة ـــ فى تاريخ سابق بقليل ـــ نزعت مومياوات ملكية أخرى من مقابرها التى سرقت ووضعت فى مقبرة امنحتب الثانى .

- ففى الواقع عند الكشف عن مقبرة امنحتب الثانى عام ١٨٩٨ ، عثر فيها بالاضافة إلى مومياء الملك على مومياوات الملوك : تحوتمس الرابع ، امنحتب الثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، مرنبتاح من الأسرة التاسعة عشرة ، رمسيس الرابع ، والخامس ، والسادس من الأسرة العشرين ،[٢٥] ويبدو ان مكان هذه الخبيئة قد نسى ايضا فى العصر الذى وضعت فيه مومياوات أخرى فى خبيئة الدير البحرى ، ولحسن الحظ انها نجت من ايدى اللصوص الذين هددوا وادى الملوك على مدى قرون متعاقبة .
- وفى عام ١٨٩٨ ابلغ احد افراد اسرة عبد الرسول مدير مصلحة الآثار حين ذاك وهو مسيو جريبو بوجود خبيئة هائلة أخرى ، إلى الشمال من معبد الدير البحرى ، وهى عبارة عن مقبرة من عصر الأسرة الحادية عشرة حيث عثر فى دهاليزها وحجراتها بواسطة دارسى على حوالى ١٥٣ تابوتا لكبار كهنة وكاهنات آمون واتباع من الموسيقيين والمنشدين من اسلاف كبار كهنة الأسرة الحادية والعشرين [٢٦] .

وانتهت الأسرة الحادية والعشرون بوفاة بسوسينس الثانى فى عام ٩٥٠ ق.م ونشأت سلالة ملكية جديدة [٢٧] من ـــ عائلة ليبية قوية ـــ كانت تقيم فى إقليم هيرا قليوبوليس . وعندما توفى باى نجم الثانى تولى وظيفة كبير الكهنة من بعده ولده باسبا خع ام نيوت .

فى نهاية الأسرة ـــ استقر احد الرؤساء الليبيين ويسمى ماواسن بن بوى واوا فى مدينة هيراقليوبوليس ـــ على حدود الصحراء الغربية إلى الجنوب من منف . واصبح ذا قوة ونفوذ وكذلك ابنه نب نحسى وحفيده باتوت الذين لعبوا دورا هاما فى تلك المنطقة من مصر . ويبدو ان هذا الأخير قد تزوج من الوريثة الشرعية للأسرة ، حيث جاءت من مدينة سوس إلى الشرق من العراق ، لأن ابنها كان يحمل اسم ـــ شوشنق ـــ الذى اطلق عليه المصريون اسم شنشنق « رجل شاشان » أو « سوس » ومن الآن سوف تغلب الاسماء ذات الطابع الشرقى على اسماء العائلة ، مثل سرجون وتاكلوت .

وكان ششنق هذا أقوى رجال المملكة ، وكان من الحكام الاوائل لهؤلاء الذين لقبوا انفسهم بلقب « رؤساء المشوش » وهو اختصار للقلب « رؤساء الما » اى « رؤساء الاجانب » [٢٨] . وهم اقرباء الليبيين الذين قضى عليهم مرنبتاح ورمسيس الثالث ، وقد ذكر يويوت فى مقالة له ان عائلة ششنق لم تستقر فى هيرا قليوبوليس وانها كانت تقيم فى بوباسطة منذ اوائل الأسرة الحادية والعشرين ، وكان لششنق والد توفى اثناء حكم ساآمون ودفن فى احتفال كبير فى ابيدوس حيث خصصت الهبات تكريما لروحه،وقد اكتشف ششنق ان هذه الهبات قد بددت بطريقة غير مشروعة ، وتقدم ششنق فى نهاية الأسرة الحادية والعشرين إلى ملك مصر طالبا منه معاقبة المتهمين والمسئولين عن هذا التبديد واقامة لوحة جنائزية لوالده فى ابيدوس [٢٩] .

وعلى هذه اللوحة المخصصة لنمرود والد مؤسس الأسرة الثانية والعشرين لم يأت ذكر هيراقليوبوليس او معبودها المحلى حرى شف ، مما يؤيد راى يويوت فى انها استقرت فى تانيس [٣٠] .وبالفعل قام ششنق بتتبع المتهمين وقد حدث ان تعرض العديد من الاشخاص للمحاكمة وعلى راسهم المشرف على الاوقاف الجنائزية ــ تحتمس ــ وحدث ذلك فى منتصف حكم الملك ساآمون . على حين كان باى نجم كبيرا للكهنة آمون رع .

وعقدت المحاكمة فى معبد المعبود آمون فى الكرنك ، وقد شهدها ، الملك وكبير الكهنة ايضا مما يدل على مدى تأثير ششنق وقوته ، وعلى الرغم من ان اسلافه كانوا من ليبيا وسوس ، إلا ان اسرته اصبحت مصرية كلية ذات نفوذ وكان المتهمون من الموظفين والمراقبين والكتبة الذين استخدمهم المشرف الأول تحوتمس ، واتهموا بأنهم إستغلوا منتجات الضياع الجنائزية وقاموا بترويجها لمصلحتهم الشخصية ، وكانت تلك المنتجات تستخدم كموارد للقرابين المخصصة لروح نمرود وايضا كمورد للمشرفين على المقبرة والكهنة . واعلن تحوتمس انه برئ حتى تثبت ادانته، وللقيام بهذه المحاكمة لجأوا إلى الوسيلة الأتية كما تقص علينا النصوص التى وردت إلينا :

« كان تمثال المعبود الكبير يحمل على الاكتاف فى الصباح ويخرج به الكهنة من قدس الاقداس حتى بهو الاعمدة فى معبد الكرنك ، ويأتى كبير الكهنة باى نجم

امام هذا المعبود الكبير وينحنى أمامه بإجلال تحية له، وعندئذ يضع كبير الكهنة وثيقتين امام المعبود الكبير احدهما تقول : « ياآمون رع ، هناك بعض الاتهامات التى يجب التحرى عنها الخاصة بحالة تحوتمس ، المشرف الأول » . والثانية تقول . « ياآمون يقال انه ليس هناك اتهامات يجب التحرى عنها بشأن تحوتمس المشرف الاول » .

ويقول كبير الكهنة لهذا المعبود الكبير : « ياسيدى الفاضل سوف تحكم » وينحنى بشدة هذا المعبود الكبير ثم يختار الوثيقة الثانية التى يقال فيها « ليس هناك اتهامات يجب التحرى عنها بشأن تحوتمس ، المشرف الأول » ويبعد الأخرى . ويطوف كبير الكهنة حول هذا المعبود الكبير ويضع الوثيقتين امامه ويختار المعبود الكبير الوثيقة نفسها التى اختارها من قبل .

اما بالنسبة للموظفين المساعدين الذين اتهموا ، ففى هذه المرة كان الملك نفسه هو الذى يتحدث إلى المعبود الكبير ويطلب منه اذا كان هؤلاء الأشخاص يستحقون العقاب بالموت « ويميل المعبود الكبير بشدة » وعندئذ « ينحنى جلالته على الأرض امامه » وطلب من آمون رع ان يؤيد كل اعمال ششنق وقد اجاب المعبود على ذلك بالايجاب [٣١] .

واغتنى ششنق تحت حكم بسوسينس الثانى ، آخر ملوك هذه الأسرة وذهب ليعيش فى بوباسطة فى الدلتا حيث تزوج ولده اوسركون من الأميرة ماعت كارع ابنه الملك ، الوريثة الملكية للعرش ، وبفضل هذه المصاهرة ونفوذه العريض ضمن وراثة عرش مصر وعقب وفاة بسوسينس اعتلى العرش ولم يقابل ششنق اية معارضة لأنه كان يحتل مكانه مرموقة فى المملكة ، وكان يبلغ فى ذلك الوقت حوالى الخمسين من عمره . وحتى عائلته التى كانت فى الواقع من اصل ليبى ، قد استقرت منذ اكثر من مائة وخمسين عاما تقريبا فى مصر ، واصبح هو ايضا مصرياً صميما ووصلتنا من عصر هذه الاسرة نسخة من تعاليم الحكيم آنى وبها فقرات تذكرنا تماماً بتعاليم بتاح حتب من آداب السلوك وتبجيل الوالدين [٣٢] .

الأسرة الثانية والعشرون (٩٥٠ ــ ٧٣٠ ق.م) :

ترجع هذه الاسرة إلى اصل ليبى وتمثل إلى حد ما ــ الدكتاتورية العسكرية . واذا كان العنصر العسكرى قد تداخل فيها بنسبة قليلة ، إلا اننا نجد ان المرتزقة الليبيين والماشواش قد نجحوا فى ان تكون معظم وحدات الجيش قاصرة عليهم وحدهم . وكان رؤساؤهم يتمتعون بنفوذ كبير نظرا لأن البلاد كانت فى حالة انهيار سياسى وعسكرى واقتصادى وهى منقسمة إلى عدة ممالك . واصبحوا يمثلون القوة العسكرية واستغلوا هذا التفوق لكى يسلبوا عرش البلاد [٣٣] .

وكنا نعتقد او نتوقع ان وحدة البلاد السياسية سوف تتحقق فى ظل حكمهم ــ كما هو الحال عامة عندما تستولى اقلية عسكرية على السلطة ــ ولكن لم يحدث شئ ما من هذا القبيل . فقد كانت الأسرة الثانية والعشرون مفككة ايضا وضعيفة مثل الأسرة التى سبقتها . ويضاف إلى ذلك ان المرتزقة الليبيين استقروا فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين ، وفى خلال القرون السابقة حاولوا ان يتمصروا ففقدوا بذلك وحدتهم وخصائصهم السلالية التى تعد جزءاً من قوتهم وذلك عن طريق زواجهم المتكرر من المصريات . وإلى جانب هذا ، نجد انهم كانوا فى الواقع أقل تطورا من المصريين لذلك اعتنقوا حضارة البلاد ولم يصبح لهم أى تقاليد شخصية خاصة بهم ، تلك الخصائص والتقاليد التى كانت تميزهم او بمعنى آخر كانت تعزلهم عن المصريين ، وهى التى سمحت لهم بان يسيطروا بسهولة على المصريين فقد اصبحوا مصريين من أصل أجنبى وليسوا غرباء على الاطلاق واعتنقوا الديانة والعادات المصرية وتكلموا اللغة المصرية . وهذا ايضا حال فئات من شعوب البحر من امثال الماشواش [٣٤] الذين نزلوا سواحل ليبيا منذ اواخر القرن الثالث عشر ق.م. وعجزوا عن دخول مصر بالقوة اكثر من مرة فاكتفوا بالتسلل اليها مرتزقة حيناً ، ومدنيين رعاة وتجاراً ورقيقاً حيناً آخر . ثم ما لبثوا ان تمصروا عن أختيار ودانوا بدين المصريين وعبدوا معبوداتهم [٣٥] .

وهكذا كانت عهودهم اقرب فى بعض مجالاتها الى عهود الملوك المتمصرين ، فلم يعدهم التاريخ اجانب بقدر ما عدهم مغتصبين كمالم يستطيعوا ان

يؤثروا فى روح الحضارة المصرية بقدر ماتأثرروا بها

واخيرا إن الانفصال المتوقع من الشمال والجنوب ، كان يمثل فجوة هامة فى التكامل السياسى ، وعدم التوزن او التوافق بين الجنوب والشمال كان له اثار أكثر عمقا . ففى مصر الوسطى فى هيرا قليوبوليس ، نجد ان تلك الاسرة التى من اصل ليبى قد استولت على السلطة المحلية وحلت محل ملوك تانيس واسست الأسرة الثانية عشرين فيما بعد .

وقد ذكر مانيتون ان ملوك الأسرة الثانية والعشرين كانوا تسعة ملوك من بوباسطة ، وامدتنا الآثار باسماء ما لايقل عن خمسة ملوك يحملون أسم شسنق ، واربعة باسم اوسركون (٣٦) ، وثلاثة باسم تاكيلوت .

جدج خبر رع ـ ستب أن رع ـ ششنق الأول (٩٥٠ ـ ٩٢٩ ق.م) :

تمثل عائلة ششنق الأول التى ينتمى إليها ملوك هذه الأسرة ، المثل الحى لطريقة التمصير التى تعرض لها الليبيون فى مصر . فنعلم انهم قد استقروا فى منطقة هيرا قليوبوليس ، منطقة الحدود الليبية ، وفى تانيس . وكانت عائلة ششنق الاول من اصل ليبى نقى ، ومن ناحية اخرى نعلم ان اسم ششنق لم يكن من اصل مصرى . ونراهم ايضا قبل ان يستولوا على السلطة فى هيرا قليوبوليس قد اصبحوا مصريين بالفعل ، وبعد ان كانوا رؤساء عسكريين فقط ، اصبحوا كهنة للمعبود حرى شف (٣٧) ، وبهذا اللقب اصبح لهم الحق فى ان يدفنوا فى ابيدوس مثل المصريين .
وسوف تزداد سلطة العائلة فيما بعد ومن هيرا قيبوبوليس سوف يبسطون سلطتهم حتى بوباسطة فى فى وسط شرق الدلتا .

استقرت هذه المجموعات فى تل بسطة وكان رئيسهم يحمل اللقب الاجنبى « ما » او « الملك الكبير ما » ، وهو اختصار لما شواش ، وامتد سلطانهم فى الجنوب حتى أسيوط وعقب وفاة بسوسينس الثانى ، اتخذ ششنق الالقاب الملكية ولكن يعطى الحق الشرعى لاسرتة زوج ابنه اوسركون إلى ابنة بسوسينس الثانى .

ويمكن القول ايضا ان الدكتاتورية العسكرية الليبية قد اثارت الاضطرابات فى

البلاد ، ولا نعرف الى اى حد امتدت الثورة ضدهم .

ويبدو ان تلك الثورة قد اعتمدت على تأثر طيبة بوجه خاص ، ومن المحتمل انه فى هذه اللحظة بالذات لجأ بعض كهنة أمون للهرب إلى النوبة السفلى .وكانت انظار ملوك هذه الأسرة تتطلع بصفة دائمة نحو الشمال الذى اصبح من الأن مركزا للثقل الحقيقى لمصر ، لذلك نجدهم قد تركوا منطقة هيرا قليوبوليس لكى يستقروا فيما يبدو فى شرق الدلتا . وابدوا فى البدية اهتماما واضحاً بمدينة هيراقيوبوليس لما ضحينا العريق ، تلك المدينة التى ازدهرت فى عصر الانتقال الأول ، اخذت تنتعش فى عصر الانتقال الثالث . وكان لششنق الأول ولد ثالث يذعى « ايوبوت » الذى عين كبيرا لكهنة آمون ، محتفظاً بالعلاقة التى كانت تربط هذه الوظيفة بالتاج متبعا هكذا سياسة الأسرة السابقة .

وكان كهنة آمون لايزالون يمثلون القوة الكبرى فى البلاد وكان معبد آمون المركز الرئيسى للحياة الدينية .

ومن اهم احداث حكم ششنق الاول غزو سوريا العليا وفلسطين وقد جاء ذكر هذه السملة فى الكتاب المقدس ، فنجد فى سفر الملوك الاول ، الفصل الرابع عشر ، والجزء الثانى من التأريخ ، الفصل الثالث عشر انه : « فى السنة الخامسة من حكم مر بعام جاء شِشاق (هكذا كان يسمى ششنق فى الكتاب المقدس) ملك مصر ليهاجم القدس بالف ومائتى مركبة حربية وستين الف فارس ، وخرج من مصر ومعه شعب لا يمكن حصره من الليبيين والسوقيين والأثيوبيين ، واستولى على المدن المحصنة التى كانت ملكا ليهوذا ووصل حتى القدس ، واستولى على خزائن بيت الأبدية وخزائن بيت الملك ، واخذ كل شئ واخذ كل الدروع من الذهب التى صنعها سليمان » (٣٨) .

وتتطابق السنة الخامسة من حكم يربعام ــ ملك اسرائيل ــ الذى خلف سليمان فى العام ٩٢٩ ق.م مع السنة الحادية والعشرين من حكم ششنق ، وكان الجيش المصرى ، يضم فى تلك الفترة قوات مرتزقة من الليبيين والسوقيتين الذين ــ ربما ــ قد يكونون قبائل من شرق الدلتا ، اما الاثيوبيون فهم قبائل الزنوج من بلاد النوبة السفلى الذين اطلق (الذين اطلق عليهم من قبل اسم الكوشيين) والذين امدوا فى كل الاوقات الجيش المصرى بافضل واقوى عناصره المقاتله.

ولا يجب فهم كلمة فارس التى جاءت فى الكتاب المقدس على انه خيال ، لان المصريين لم يكن لديهم فرسان [٣٩] ، ومن المحتمل جدا ان هؤلاء الستين الف رجل كانوا من مشاة الجيش العاديين .

وتنقصنا التفاصيل العديدة عن هذه الحملة ، وعندما عاد ششنق منتصراً إلى مصر ، سجل بالنقوش قصة انتصاره على الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الاعمدة الكبير فى معبد الكرنك [٤٠] ويظهر فى منظر فوق رؤوس الاسرى ، الذين يمثلون اهالى مائة وست وخمسين مدينة فى فلسطين والتى تقع على الحدود الجنوبية لارض يهوذا وشمال الجليل ، ومن بينها نجد اسماء عديدة معروفة فى الكتاب المقدس ، من بين هذه الأسماء « حقل ابراهيم » الذى لم يتعرف عليه ولكنه يمثل اول ذكر تاريخى سيدنا إبراهيم .

ولكى يصبح من السهل الاقتراب من هذه النقوش على الجدران شيد الملك بوابة رئيسية بالكرنك تقع بين الصرح الثانى ومعبد رمسيس الثالث ، اطلق عليها اليوم اسم « بوابة باستت » [٤١] التى يمر من اسفلها طريق مرصوف يؤدى إلى هذه النقوش ، ويمكن ملاحظة قوائم مناطق ادوم ويهوذا ، ويقوم الملك فى هذه المناظر بتقديم الاسرى إلى آمون [٤٢] ، وتحمل اعمدة هذه البوابة حتى اليوم ، آثار ثقوب المسامير التى كانت تستخدم لتثبيت صفائح الذهب او الفضة فى الاحجار . وقد فكر فى بناء فناء ولكنه لم ينجزه .

وفى محاجر جبال السلسلة التى اخذت منها احجار البناء ، نجد نقشاً مؤرخاً بنهاية العام الواحد والعشرين من الحكم . [٤٣] ويبدو ان الحملة نفسها قد حدثت بالفعل فى خريف هذا العام نفسه . وكان من نتيجة هذه الحملة تزويد المعابد المصرية بالغنائم العديدة .

وعلى اية حال كان من الصعب انجاز كل مشروعات البناء التى ذكرتها هذه النقوش ، وربما كانت المحاولة التى قام بها ششنق هى عبارة عن احياء للنفوذ والسيطرة المصرية على تلك المناطق .

ولانعلم هل قام ششنق بحملة أخرى بعد ذلك فى شمال فلسطين أولا ؟

ويبلغ ششنق فى ذلك الوقت سن السبعين ، وتوفى فى العام التالى ، ومازلنا نجهل حتى الآن المكان الذى دفن فيه ، واين حفرت مقبرته ؟ وقد حاول ششنق الاول اتباع سياسة اسلافه فى الحد من نفوذ كهنة آمون ولهذا وضع على رأس الكهنة احد ابنائه . وحاول خلفاؤه ان يقلدوه ، ولكن كما حدث سابقا لكل ملوك الاسرة الحادية والعشرين ، نجد ان مجهوداتهم قد باءت بالفشل ، لأن الابناء الذين عينوا على راس كهنة آمون فى طيبة ، كانوا يحاولون بصفة دائمة ان يقيموا فى الجنوب اسرات متشابهة للفرع الاكبر القائم فى الشمال . وللقضاء على هذا الاتجاه حاول الملوك ان يحدوا من نفوذ كبار كهنة آمون ، وذلك بانشاء وظيفة دينية جديدة وهى : « الزوجة المقدسة » أو « العابدة المقدسة أو الحرم المقدس لآمون » [٤٤] وكانت هذه العابدة المقدسة اميرة من الأسرة المالكة ، وكان من نتيجة هذا ، ان هؤلاء المتعبدات قد انتزعن سلطة كبار الكهنة دون ان يكن مخلصات للسلطة المركزية على الاطلاق مثل كبار الكهنة . مازالت خلافة ششنق الأول موضع نقاش بين العلماء حتى الآن وذلك نظراً لندرة الوثائق .

سخم خبر رع ــ ستب أن رع ــ أوسركون الأول (٩٢٩ ــ ٨٩٣ ق.م) :

تولى من بعد ششنق الأول ــ ابنه اوسركون الأول ــ الذى اسرف فى الاهتمام بمعابد المعبودات ، ولا نعرف الكثير عنه فقد حكم حوالى ستة وثلاثين عاما ، وكان فى ذلك مثل الملك رمسيس الثالث ، فنجد انه ترك لنا قائمة بالهبات الضخمة التى خصصها لمختلف الكهنة خلال الثلاث السنوات او الأربع الاولى من حكمه . وتتكون هذه الهبات فى معظمها من اوان وكؤوس من الذهب او الفضة ، وعندما يذكر وزن المعدن ، فان العدد يرتفع إلى آلاف الاوزان . وقد ورد جزء كبير من هذه الثروة من معبد سليمان بالقدس . كما ترك لنا مقاييس النيل التى كانت تسجل على مرسى معبد الكرنك [٤٥] . وشيد اوسركون او والده فى قرية الحيبة معبداً للمعبود امون الذى كان يعبد على هيئة الكبش ويسمى آمون الصخرة ويوصف بآمون صاحب الزئير الكبير [٤٦]

ويبلغ اوسركون عند توليته العرش كوريث شرعى ، الخمسين من عمره تقريبا وفى العام العشرين من حكمه، وفى عام ٩٠٩ عندما بلغ سن السبعين اشرك معه ابنه الاكبر تاكيلوت فى الحكم طبقاً للتقاليد المصرية المتبعة وذلك بصفته ملك المستقبل . وقد استمرت هذه المشاركة فى الحكم سبعة عشر عاماً .

وسرماعت رع [٤٧] تاكيلوت الأول (تكرتى) (٨٩٣ ــ ٨٧٠ ق.م) :

وعندما توفى اوسركون الأول فى عام ٨٩٣ ق.م كان يبلغ من العمر حوالى سبعة وثمانين عاما ، وبقى ابنه تاكيلوت الأول كحاكم وحيد وكان يبلغ من العمر ثمانية وستين عاما [٤٨] ، وبعد سنتين تقريبا ، اى فى سن السبعين أشرك معه ولده اوسركون الثانى فى الحكم . وقد عثر على اثر باسم تاكيلوت فى بيبلوس [٤٩] .

وسرماعت رع ــ ستب ان آمون ــ اوسركون الثانى (٨٧٠ ــ ٨٤٠ ق.م) :

عندما تولى اوسركون الثانى الحكم واصبح منفردا بعرش مصر كان يناهز الخمسن من عمره ، وقد قام هذا الملك بعدة ترميمات هامة فى معبد بوباستت ، وقد عثر فى الحفائر التى اجريت فى المنطقة ، على بقايا بوابة من الجرانيت الأحمر وعليها تمثيل مراسم عيد السد فى السنة الثانية والعشرين من حكم اوسركون الثانى .

وأعلن الملك فى نقوش هذه البوابة انه اعفى طيبة كلها من الضرائب لانها (أرض) طاهرة [٥٠] .

وعندما بلغ اوسركون الثانى سن السبعين اشرك معه فى الحكم ولده حقا خبر رع ــ ستب ان رع شِشنق الثانى فى عام ٨٤٧ ق.م [٥١]، ولكن هذا الأخير توفى بعد اربع سنوات [٥٢] واختار اوسركون الثانى ولدا آخر هو تاكيلوت الثانى .

وكشف ــ مونتيه ــ عن مقبرة اوسركون الثانى فى تانيس ووجد بجانبة تابوت كبير كهنة آمون رع حرنخت [٥٣] الذى ربما كان ابناً له، وكان له ابناء كثيرون منهم الكاهن الاكبر اوسركون الذى قام بتسجيل بعض الاحداث فى نقوش بوابة بوباستت التى اقامها شِشنق الاول فى الكرنك ، وابن آخر يسمى نمرود وكان كبيراً للكهنة أيضا . بعد حكم اوسركون الثانى يضع كيتشن Kitchen اسم الملك :

حدج خبر رع ــ ستب أن رع ــ حورسا ايزه [٥٤]

حدج خبر رع ــ ستب أن رع ــ تاكيلوت الثانى (٨٤٧ ــ ٨٢٣ ق.م) :

اشترك تاكيلوت الثانى مع والده فى الحكم لمدة سته اعوام وانفرد بالحكم بعد وفاة ابيه عام ٨٤٧ ق.م وفى العام الحادى عشر من حكمه عين نجله الذى يسمى اوسركون ايضا كبيراً لكهنة آمون . وفى ذلك الوقت وقعت اضطرابات عنيفة فى طيبة وانتشر لهيب الثورة إلى مصر الوسطى ، واستطاع اوسركون ان يقضى على هذه الثورة . [٥٥] وعاد إلى طيبة حيث استقبل استقبالا حاراً . وفى السنة الخامسة عشرة اندلعت ثورة أخرى ولا نعرف نتيجتها . وفى السنة الرابعة والعشرين من حكم تاكيلوت الثانى توجه احد أهالى طيبة إلى اوسركون لعرض الصلح .

وبعد فترة قليلة توفى تاكيلوت الثانى ولم يكن قد بلغ فى ذلك الحين سن السبعين ، ولم يختر بعد شريكا له فى الحكم . ولم يتول العرش ابنه الاكبر اوسركون . وقام الملك تاكيلوت الثانى ببعض الاعمال المعمارية فى معبد المعبودة باستت [٥٦] .

وسرماعت رع ــ ستب أن رع (أو آمون) ششنق الثالث [٥٧] (٨٢٣ ــ ٧٧٢ ق.م) :

خلف تاكيلوت الثانى ، حفيده (؟) ــ ششنق الثالث ــ الذى كان شاباً صغيرا يبلغ من العمر حوالى ثمانية عشر عاما . وفى طيبة احتفظ اوسركون بوظيفته ككبير للكهنة آمون لمدة سنوات ، واختفى فترة وحل محله حورس سايزه الثانى وعاد مرة اخرى فى السنة التاسعة والثلاثين من حكم ششنق الثالث وباشر وظيفته وظل مخلصا للملك الشرعى .

وعن عصر ششنق لدينا بعض الحوليات عن الاحداث فى حكمه منقوشة على بوابة معبد بوباستت فى الكرنك ، وهى علينا تقص علينا انه فى العام الخامس

عشر من الحكم ، ثارت طيبة ضد الملك ششنق ويبدو ان اثناء هذه الثورة اضطر كبير الكهنة اوسركون للفرار إلى الجنوب البعيد ، وفى النهاية — قضى على هذه الثورة — وعاد كبير الكهنة ، وعفا آمون عن كل الثائرين .

وابتداء من عصر هذا الملك كان اللقب « برعا » أى فرعون الذى يعنى « البيت العالى » الذى يسكن فيه الملك ، أى صاحب السلطة الشرعية ، يستخدم امام اسم الملك [٥٨]

. تولى بعد ششنق الثالث ملكان هما بامى وششنق الخامس [٥٩] .

وسرماعت رع — ستب أن رع (أو آمون) — بامى (٧٧٢ — ٧٦٧ ق.م) :

فى العام الثانى والخمسين من الحكم ، كان الملك ششنق الثالث قد بلغ حوالى السبعين من عمره ، لذلك اشرك معه فى الحكم ولده بامى الذى يعنى اسمه « القط » ولكن فى العام التالى توفى كلاهما وآل العرش إلى آخر يدعى ششنق أيضا [٦٠] .

عاخبر رع — ستب ان رع ششنق الخامس (٧٦٧ — ٧٣٠ ق.م) :

يرى — فاندية — وضع ششنق الرابع فى الأسرة الثالثة والعشرين [٦١] ، لأن بعض ملوك الأسرة الثانية والعشرين قد عاصروا بالفعل ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ، والذى انهى عهد الأسرة الثانية والعشرين هو ششنق الخامس . وجاء ذكر تاريخ ملوك هذه الأسرة على لوحة كشف عنها فى السرابيوم لاحد كهنة — هيراقليوبوليس — الذى كان يدعى « حاربسون » وهى مؤرخة بالعام السابع والثلاثين من حكم ششنق الخامس . ويذكر على اللوحة ان اصل سلالة اسرته يرجع إلى ستة عشر جيلا ، وهو من سلالة كان رئيسها ليبيا يسمى بويو واو ويذكر ايضا ان سلالته عاصرت ششنق الاول حتى اوسركون الثانى [٦٢] .

ان استيلاء الليبيين على السلطة لم يغير شيئا ما فى التقسيم الادارى الظاهرى لمصر التى بقيت مقسمة إلى جزأين او إلى مملكتين . وفى نهاية الأسرة

الثانية والعشرين ، نرى طيبة تثور مرتين بطريقة علنية ضد ملوك الشمال مما يجعلنا نعتقد انه كان فى الوسط الليبى سلطة مستقلة متزايدة ضد الملكية فى الشمال .

الفصل السابع عشر
من الأسرة الثالثة والعشرين حتى الأسرة الخامسة والعشرين
(٨١٧ ـ ٦٥٦ ق.م)



الأسرة الثالثة والعشرون (٨١٧ ــ ٧٣٠ ق.م) :

زادت مقومات الفوضى والاضطراب ابان حكم ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، خاصة اثناء حكم الملوك ششنق الثالث ، بامى ، وششنق الرابع . وبدا الانقسام يسود مصر اكثر فاكثر ، خاصة فى الدلتا . وهكذا قامت الأسرة الثالثة والعشرون قبل ان تنتهى الأسرة الثانية والعشرون ، لذلك نجد ان الاسرتين كانتا متعاصرتين لفترة ما ، خاصة ايام ششنق الثالث الذى استمر حكمه حوالى تسعة وثلاثين عاما وايضا بامى الذى استمر حوالى سبع سنوات .

اعطى مانيتون ــ الأسرة الثالثة والعشرين اسماء اربعة ملوك على راسهم بادى باست ، ومن فحص بعض الاسماء والالقاب التى كان يحملها ملوك الأسرة الثالثة والعشرين مثل : بادى باست ، ششنق الخامس ، او سركون الثالث ، وتاكيلوت الثالث ، نجد ان هذه الأسرة كانت تربطها بالأسرة الثانية والعشرين صلة قرابة .

وظهرت فى تلك الفترة أهمية بوباست كعاصمة للأسرة الجديدة [١] حيث استقرت فيها عائلة ششنق منذ فترة قبل ان تستولى الأسرة الثانية والعشرون على السلطة .

وهكذا نتج عن تقسيم البلاد إلى جزأين جنوبا وشمالا إلى وجود فرع آخر فى شرق الدلتا . لم يتوقف التفكك عند هذا الحد ، فإلى جانب هاتين الاسرتين المتعاصرتين اللتين تقاسمتا السلطة ، يبدو انه ظهرت فى الشمال الغربى من الدلتا اسرات محلية صغيرة ، وعلى الرغم من ان كل هؤلاء الملوك الصغار لم يظهروا العداء لبعضهم بعضاً على الأطلاق إلا ان هذه التجزئة للسلطة كانت ذات نتائج خطيرة بالنسبة لمصر التى وجدت نفسها فى حالة من التمزق والانهيار وكان من الصعب فى

مثل هذه الظروف تكوين جيش قوى للدفاع عن البلاد وايضا غدت عاجزة عن تنفيذ المشروعات الاقتصادية العامة الضرورية لرخاء البلاد .

وفى حوالى عام ٧٣٠ ق.م اصبح الموقف العام غامضاً للغاية . فمن ناحية كانت السلطة فى الدلتا مقسمة بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين ومؤسس الأسرة الثالثة والعشرين ، ومن ناحية أخرى كانت هناك الاسرات التى اغتصبت السلطات المحلية فى الاقاليم ، وكان اغلب هؤلاء الحكام من اصل عسكرى ليبى ، وفى مصر الوسطى كان من المستحيل تحديد ما يخص كلا من ملوك الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين ، دون ان يؤدى ذلك إلى نوع من الصراع بينهما .

ونجد فى مصر العليا ان كبير الكهنة وخاصة « الحرم المقدس » لآمون والتى كانت تمت بصلة قرابة إلى الملك الذى يحكم فى الشمال ، كانت تتمتع بنفوذ فى منطقة طيبة ، وكانت مستقلة تماما عن الحكومة المركزية .
اما فى بلاد كوش فنجد ان عناصر كهنة آمون الذين هاجروا فى بداية الاسرة الثانية والعشرين اخذوا يتجمعون فى مملكة مستقلة واتخذوا نباتا عاصمة لهم .

ومن أهم ملوك الأسرة الثالثة والعشرين :
وسر ماعت رع ــ ستب أن آمون ــ بادى باست (٨١٧ (؟) ــ ٧٦٣ ق.م) [٢] :

كان رجلا قوياً فى تلك الفترة ، ويبدو من اسمه انه كان من عائلة جاءت من بوباست [٣] ، وطبقاً لما اورده مانيتون كانت هذه العائلة اصلا من ــ مدينة تانيس ــ واستولى على السلطة وتوج ملكا ، ويبدأ به مانيتون الأسرة الثالثة والعشرين . وكان يبلغ من العمر نحو ستة وخمسين عاما عند توليه مهام العرش [٤] .

وفى السنة الرابعة عشر من حكمه اى عندما بلغ سن السبعين ، اشرك معه فى الحكم اميراً يسمى ايوبوت ، وهو اسم كان شائعاً فى العائلة الملكية ، فى الأسرة السابقة ، مما يبعث على الاعتقاد بان بادى باست ، كان مرتبطاً بالسلالة الملكية القديمة عن طريق المصاهرة ، لكن هذا الشريك لم يتمتع بالعمر الطويل ، ولم يذكر عنه شئ ما بعد ذلك ، ويقال انه فى عام ٧٤٩ ق.م اقام بعض التجار الايونيين من جزيرة ــ

Milet ـــ فى آسيا الصغرى ، مركزا تجاريا فى غرب الدلتا وكان لهذا الحدث اهميته لانه يمثل اول خطوة فى سلسلة العلاقات العميقة بين اليونان ومصر التى يمكن تحديدها ابتداء من هذا التاريخ . ركز المصريون جهودهم فى هذه الفترة نحو الشرق ، ففى عام ٧٣٤ ـــ ٧٣٢ ق.م تدخل الآشوريون تحت قيادة الملك « تكلات فالاصر الثالث » فى سوريا العليا وفلسطين ، وشعر المصريون ـــ فى هذه اللحظة ـــ بضرورة خوض الصراع ضد هذه الدولة المعتدية وان يضعوا حداً لاطماعها . بعد بادى باست يذكر كيتشن اسم الملك :

وسرماعت رع ـــ ستب ان آمون ـــ ايوبوت [٥] :

عاخبر أن رع ـــ حرى آمون ـــ ششنق الرابع (٧٦٣ ـــ ٧٥٧ ق.م) :

يضع ـــ فانديه ـــ هذا الملك كخليفة لبادى باست [٦] ، وجاء ذكر اسمه على اللوحة التى اقامها حاربسون فى السرابيوم [٧] ، وقد حكم هذا الملك حوالى ستة اعوام . ولا نعلم عن حكمه الشئ الكثير . وجاء ذكر اسمه ايضا على بعض الجعارين [٨] .

وسر ماعت رع ـــ ستب ان آمون ـــ اوسركون الثالث [٩] (٧٥٧ ـــ ٧٤٨ ق.م) :

توفى ششنق الرابع فى عام ٧٦٣ ق.م وتولى من بعده اوسركون الثالث ، الذى ربما كان ابنا لايوبوت الذى ذكرناه ، وهو نفسه اوسركون الثالث الذى لا نعرف على وجه التحديد هل من الأفضل وضعه بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين او الأسرة الثالثة والعشرين ؟ [١٠] وفى نهاية حكم بادى باست كان كبير كهنة آمون فى طيبة يسمى تاكيلوت ، والذى قد يكون اخاً لاوسركون هذا ، وفى اثناء هذا الحكم الجديد ، تولى ثلاثة ابناء لهذا الملك وظيفة كبير الكهنة بالتوالى ، مما يدل على ان اوسركون كان يتمتع بنفوذ كبير فى طيبة .

وقد فكر اوسركون بمنح احدى بناته كزوجة مقدسة إلى آمون طيبة ، وهى محاولة لجعل قوة الملكية مرتبطة بقوة معبود طيبة ، وقد خلف ابنة اوسركون الثالث ـــ شوب ان اوبت الاولى ـــ سلسلة من العابدات المقدسات اللاتى لعبن دوراً هاماً فى السياسة اكثر فاعلية من دورهن فى الحياة الدينية [١١]. وقام لكلان Leclant ببحث

الروابط بين العابدة المقدسة والمعبودة تفنوت [١٢] .

وهناك نقش هام مؤرخ من هذا الحكم يقص علينا ان معبد الأقصر قد تعرض للغرق بمياه فيضان النيل الذى جاء مرتفعاً جدا حتى ان المنطقة اصبحت مثل البركة ، وتسبب عن ذلك اضرار بالغة ، وأجرى الملك بعض الترميمات فى المعبد . وقد اضطروا إلى اخراج تمثال المعبود آمون رع على امل ان يخفف المعبود حدة الازمة ويظهر معجزاته [١٣] . وكان المعبد عرضه دائما للغرق بمياه فيضان النيل فى العصور التى تعاقبت ولكن مجرى النيل اصبح الآن اكثر اتساعاً عن ذى قبل ولم يعد يمثل اية خطورة .

الموقف الداخلى فى مصر وقيام مملكة نباتا فى الجنوب وحملة بعنخى :

كانت البلاد فى حالة من التفكك والانهيار الشديد وكان الامراء المحليون لمختلف الاقاليم يعدون انفسهم ملوكاً مستقلين ، حتى انه فى العام التاسع او العاشر من حكم اوسركون الثالث ، كان هناك فى مصر الكثير من الرؤساء . وكانت الدلتا ومصر الوسطى فى ايدى هؤلاء الرؤساء ، وكان الوضع كالاتى كما بينه ـ يويوت ـ فى دراسة له. [١٤] كان نمرود يحكم فى هرموبوليس ، وبن نف دى باست فى هيراقليوبوليس ، واوسركون الرابع (؟) من سلالة بادى باست فى بوباست ، وايوبوت فى ليونتو بوليس ، وكان بعضهم يحمل لقب أمير ، وبنى ايزه (أوايسه) فى اتريب ، وكان هناك ايضا اربعة حكام يحملون لقب « رؤساء الما » وهم امراء : مندس ، وسبنيوتس ، وبوزوريس ، وبيزبتيس . ومن اقوى هذه العائلات فى الوسط الدلتا كانت اسرات بوزوريس ومندس .

اما فى الغرب فكان حاكم سايس ـ تف نخت ـ يحمل لقب « الرئيس العظيم للغرب » . وكان هناك « رئيس الما » فى بيس ابتى (صفط الحنة حاليا) [١٥] .

اما فى بلاد النوبة السفلى وكوش ، فقد تطورت الامور فى نباتا خلال هذه الفترة خاصة بالقرب من الجبل المقدس [١٦] ، اى جبل برقل ، فقد تكونت مملكة متحدة قوية واعتنق ملوكها الديانة المصرية ، التى انتشرت بقوة فى بلادهم ، وقد شيدوا فى سفح الجبل المقدس معبداً للمعبود آمون زين على الطريقة المصرية وكانت المناظر

التى تزين الجدران لاتختلف فى شئ عن المناظر فى المعابد المصرية [١٧] .

كان هناك ملك يدعى وسرماعت رع ــ بعنخى وكان ابنا للملك كاشاتا ويحكم جزءا كبيرا من المنطقة الجنوبية متخذا عاصمته فى نباتا التى تبعد كثيرا عن الشلال الثالث . ولكن لم يكن من اصل زنجى ، ولكن ربما كان من سلالة بعض الامراء المصريين او نواب الملك حكام كوش فى الوقت الذى كانت فيه النوبة السفلى جزءا من الممتلكات المصرية .

وهذا الأسم لا يدل بالضرورة على انه من أصل مصرى ، فمنذ قرنين نجد ان العناصر المصرية التى هاجرت واستقرت فى بلاد النوبة قد اندمجت بالتأكيد مع سكان النوبة السفلى ، ومن الجائز ايضا ان بعض كهنة طيبة قد هاجروا إلى بلاد النوبة ومارسوا نشاطهم هناك عندما تولى ششنق الاول السلطة .

هكذا كان يحكم بعنخى ــ شعباً من اصلى نوبى نقى ــ ولهذا اطلق على هذه الأسرة التى اسسها بعنخى اسم « الأسرة الكوشية » [١٨] . وهو وان كان لا يدين باى شئ على الاطلاق لمصر فنجد انه قد طبق فى بلاطه كل نظم الحكم والادارة المصرية واعتنق الديانة المصرية وكان هو وبعض امرائه يتحدثون اللغة المصرية القديمة .

واتخذ لنفسه الالقاب المصرية مثل الملوك مثل لقب « ملك مصر العليا والسفلى ، الاسم الحورى ، ابن رع » . ويحمل التاج الأبيض للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، ويتعبد إلى ثالوث طيبة وكان يعد آمون رع ملك المعبودات كلها ، وقد زين مدنه بالمعابد على طراز المعابد المصرية . وكانت جدرانها مزينة بالنقوش ، وكان بعنخى على درجة كبيرة من الثقافة ، وكان جيشه يماثل الجيش المصرى فى فترات عصر الدولة الحديثة وكان بين قواته ، بعض القوات الزنجية ، وقد أثرى نتيجة لاستغلاله مناجم الذهب فى الصحراء الجنوبية الشرقية ، وبفضل تجارته مع مصر التى جلبت علية الرخاء الكبير وطبعت حياة مجتمعه بالطابع المصرى ، وقد قص علينا الاحداث التى وقعت فى نص رسمى عثر عليه فى نباتا ، باسلوب واضح بعد ان حكم بعنخى لمدة تقرب من العشرين عاما ، بدأ يتدخل فى شئون مصر ، وكانت

الظروف متاحة له لكى يوسع نفوذه ولكى يظهر بمظهر المنقذ لطيبة التى كانت بالنسبة له ــ المدينة المقدسة للمعبود الكبير آمون رع ــ ولم ينشغل بعنخى كثيراً بأمر الملك الحاكم ــ اوسركون الثالث ــ وكان يرغب فى حماية طيبة ومعابدها المقدسة وكذلك كهنة آمون رع من الاضطرابات التى سببها لهم ملوك الدلتا الصغار لذلك كان الأمر يعد بالنسبة له، واجبا مقدساً .

فى تلك الاثناء نجح تف‌نخت حاكم مدينة سايس فى اخضاع مختلف اقاليم قرب الدلتا واكتفى باعتراف اقرانه الامراء له كحاكم على المناطق التى اخضعها واصبح سيدا على معظم اجزاء الدلتا وبدأ فى غزو مصر الوسطى واراد الصمود فى وجه قوات بعنخى وتوحيد قوى المصريين (١٩) ، وجمع من حوله كل الامراء والحكام ، وقد زاده قوة ، التحالف الذى عقده مع نمرود امير هرموبوليس (٢٠) .

كان بعنخى فى نباتا عندما تقدم تف نخت إلى مصر الوسطى ، وتبدأ رواية الاحداث بوصول رسل جاءوا من طيبة إلى نباتا ربما كان ذلك فى حوالى عام ٨٤٧ ق.م ــ اى فى السنة العاشرة من حكم اوسركون الثالث ــ وقد ابلغ هؤلاء الرسل بعنخى ان تف نخت ، قد اعلن نفسه حاكماً على سايس فى غرب الدلتا ، وانه استولى على منف ، وتقدم نحو الجنوب وحاصر مدينة هيراقليوبوليس ، الموطن الاصلى للعائلة الملكية فى الأسرة الثانية والعشرين ، وعندما علم بعنخى بهذا النبأ لم يجد امامه سوى الضحك والسخرية ، وبعد قليل جاء رسل ومبعوث عن الامراء والضباط العسكرين فى طيبة ، ليخبروه ان غزوات تف نخت قد امتدت ثلاثمائة كيلو متر إلى الجنوب من منف ، وانه تحالف مع تمرود حاكم هرموبوليس .

يبدو ان امير سايس ، قد بدأ فى اعادة توحيد البلاد من حوله ، ويبدو انه نجح على الأرجح فى مهمته هذه عن طريق الاقتناع عوضاً عن الغزو المفاجئ ، وقد اعترفت بسلطته الأسرات المحلية . ونظير هذا الاعتراف ــ تركهم فى وظائفهم كموالين له ، وعندما نجح تف نخت على هذا النحو فى توحيد بعض اجزاء مصر السفلى ، تغلغل فى مصر الوسطى حيث تقابل مع جيش بعنخى الذى رحل من الجنوب . وعندما جاء مبعوث طيبة إلى بعنخى ، ارسل بدوره مبعوثاً آخر إلى قواد طيبة يطلب منهم اعلان

حالة الحرب ، واستدعاء الكثير من الرجال لكى يكونوا على أهبة الاستعداد حتى وصول جيش . وقد اعد بنفسه جيشه على وجه السرعة وخاطب قواده لحظة الرحيل قائلا : « لاتتلكأوا بالليل او النهار ، كما لو كان الامر نوعاً من النزهة ، ولكن حاربوا من اجل الهدف ، وافرضوا على العدو القتال من بعيد . لانكم تعرفون ان آمون هو الذى ارسلكم ، وعندما تصلون إلى طيبة امام معبد الكرنك ، اغتسلوا فى النهر المقدس ، وضعوا الملابس النظيفة وارخوا اقواسكم واركعوا على الأرض امامه قائلين : ارشدنا الطريق لكى نحارب فى ظل سيفك » [٢١] .

ونزل جيش بعنخى النيل فوق اسطول ضخم ، ووصل إلى طيبة ، وبعد ان تلقى بركة آمون تابع طريقة فى النيل وعن قريب سوف يقابل اسطول تف نخت الذى كان يصعد النيل فى تجاه طيبة ، وإندفعت قوات بعنخى حتى هيراقليوبوليس حيث يوجد تف نخت على رأس جيش متحالف مكون من الامراء نمرود امير هرموبوليس ، وايوبوت من ليونتوبوليس واوسركون من بوباست ، ومن الجائز انه كان يمت بصلة لاوسركون الثالث ، والأمير ششنق من بوزوريس ، والأمير جد آمون اوف عنخ من مندس ، وآخرين انضموا اليهم .

اما عن الملوك الأواخر للأسرة فنعرف منهم :

وسر ماعت رع ــ ستب ان آمون ــ تاكيلوت الثالث (مرى ايسه) [٢٨] ، وسر ماعت رع ــ ستب ان آمون ــ آمون رود (مرى آمون) [٢٩] ، عاخبر رع ــ ستب ان آمون ــ مرى آمون اوسركون الرابع . [٣٠] ويذكر كيتشن فى نهاية الاسرة **كلا من** : ايوبوت الثانى ولا نعرف الجزء الاول من اسمه ويذكر ايضا واس نثر رع ــ ستب ان رع ــ ششنق السادس ، ويشك فى وجود هذا الأخير [٣١] .

وقد حكم هؤلاء الملوك ثمانية عشر عاماً من ٧٤٨ ــ ٧٣٠ ق.م (طبقا لفاندية) [٣٢] ، ولا نعلم عنهم الشئ الكثير ، فتاكيلوت الثالث ربما كان كبيراً للكهنة قبل ان يتولى الحكم . اما خليفته آمون رود فكان احد ابناء اوسركون الثالث ، وجاء بعد ذلك اوسركون الرابع الذى حكم فى بوباست اثناء حملة بعنخى على الدلتا . وقد اقام

الملوك الثلاثة مقصورة فى الكرنك عليها اسماؤهم وقد انتهى من تشييدها فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين [٣٣] .

الأسرة الرابعة والعشرون (٧٢٠ ـــ ٧١١ ق.م) :

تتكون الأسرة الرابعة والعشرون من ملكين فقط ـ تف نخت ، باك ان رن إف ـــ وقد حكمت هذه الأسرة فى غرب الدلتا فى سايس ، على حين حكم بعنخى من الأسرة الخامسة والعشرين فى الجنوب فى كوش ، ويعتقد ان نفوذه امتد حتى منف . ونعرف تفاصيل الصراع الذى حدث بين الشمال والجنوب عن طريق المصدر نفسه ـــ لوحة بعنخى ـــ التى تعطينا صورة لما دار من احداث ، وهذا المصدر غير واقعى لأنه يقص الاحداث من جانب واحد ، لأن بعنخى يدعى فى هذا النص انه قضى تماما على تف نخت وغزا كل مصر ، حتى حدود الدلتا الشمالية ، ومن المحتمل جدا انه طرد تف نخت وأتباعه من مصر الوسطى كما استولى على منف ، ومن المشكوك فيه انه استولى على مناطق ابعد من ذلك . فنجد فى الواقع انه بعد انتصاره المزعوم ، ترك مصر فجأة ووصل إلى عاصمته نباتا ، وهو امر غريب للغاية ، وبالاضافة إلى ذلك فلدينا ما يثبت ان تف نخت ظل سيدا فى الدلتا لعدة سنوات بعد الغزو الأثيوبى لها ، وانه كون الأسرة الرابعة والعشرين فى الدلتا وليس كما ذكر مانيتون ان مؤسس الأسرة هو باك ان رن اف . وكانت الاسرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون متعاصرتين ، ولكن وحدة البلاد لم تكن قائمة بالقدر الكافى .

شبسس رع ـــ تف نخت (٧٢٤ ـــ ٧١٦ ق.م) :

لم يذكر مانيتون شيئاً ما عن تف نخت ، وكل ما نعرفه عنه فى البداية انه كان اميرا لمدينة سايس فى غرب الدلتا وانه نجح فى تجميع اغلب امراء الدلتا حوله اثناء غزو بعنخى لمصر ، وانه حاول الوقوف أمامه ولم يستطع ، والأثر الاول الذى تركه لنا تف نخت وذكر عليه كملك هو لوحة محفوظة الآن فى متحف اثينا . وقد قمنا بدراسة هذه اللوحة فى رسالتنا عن مدينة سايس [٣٤] . ولا تمدنا هذه اللوحة باية معلومات تاريخية سوى ان تف نخت قد خصص وقفا من الاراضى لصالح معبد المعبودة نيت معبودة سايس وحامية الأسرة . وعليها نرى تف نخت مصوراً فى المنظر الذى يعلوا النص

ويحمل الالقاب الملكية ويقوم بتقديم علامة الحقل إلى المعبودة نيت معبودة سايس وإلى المعبود آتوم ، والنص كالآتى : .

« فى السنة الثامنة ، تحت حكم ملك مصر العليا والسفلى ، سيد الارضين ، حورس سياخت [٣٥] ، ملك الوجه القبلى والبحرى ، المنتسب إلى المعبودتين ، المبجل ، حورس الذهبى ، شبسس رع ، ابن رع من صلبه ، محبوبه ، المولود من نيت ، الأم المقدسة ، تف نخت . (فى) يوم عيد ، صدر مرسوم ملكى فى مدينة معبد رمسيس التى (تقع) على فرع النيل ، لاعطاء ارض من ١٠ أروره ... لمعبد المعبودة نيت سيدة سايس ، على عاتق حارس ابواب معبد نيت ايرإف عانيت ابن رئيس حراس بوابة نيت ، سيدة سايس ، ايرى ... ». اما عن الأثر الثانى فهو عبارة عن لوحة فى مجموعة خاصة [٣٦] ، ليس عليها ذكر لسنة الحكم ، ولكنها تذكر هبة منحها الملك : « حورس ، سياخت [٣٧] ، ملك مصر العليا والسفلى شبسس رع ، ابن رع ، تف نخت ابن نيت ، إلى المعبود حورس وواجيت » .

واح كارع ــ باك ان رن إف (٧١٦ ــ ٧١١ ق.م) :

ذكر مانيتون ــ عن خطأ ــ انه مؤسس الأسرة ، وحكم حوالى ستة اعوام وكان رجل قانون ومشرعاً وصاحب حكم يقتدى بها . وقد نسب إليه ديودور الصقلى مجموعة من الاصلاحات الاجتماعية والقضائية الهامة التى وجد لها ريفيو « Revillout » آثاراً فى الوثائق الديموطيقية [٣٨] ولا نعرف عن حكمه إلا الشئ القيل ، وعلى الرغم ان فترة حكمة على الدلتا كانت قصيرة ، فان طيبة لم تعترف به كملك الاطلاق ، وذكر اسمه على احد لوحات السرابيوم التى سجلت دفن احد العجول المقدسة فى عامه السادس وهو آخر سنوات حكمه [٣٩] . ويرى بعض منهم انه قد اشعل ثورة فى فلسطين ضد الآشوريين وانه ساعد على هذا التمرد بواسطة ارسال قوة مصرية ، ولكنها هزمت على الفور بواسطة الجيش الاشورى [٤٠] . يرى دوما Daumas ان ــ باك ان رن اف ــ قد ارسل إلى الملك سرجون الثانى ملك آشور الهدايا لأن أشور بدأت تهدد مصر بعد استيلائها على السامرة . ولكنه لم يستطع القيام بهجوم مضاد لأنه كان مهدداً من القبائل الزنجية فى الجنوب [٤١] ويرى د. عبد الحميد زايد ان الذى ارسل الهدايا إلى سرجون الثانى هو شابا كا [٤٢] .

فى خلال هذه الفترة ، دعى الأمير شاباكا إلى نباتا فيما يبدو بسبب وفاة جده الاكبر بعنخى ، وعند عودته إلى مصر فى عام ٧١٥ ق.م وجد على عرشها باك أن رن اف فقرر فى هذه اللحظة أن الفرصة مواتية لكى يعلن نفسه ملكا ويوحد مصر فى مملكة واحدة كبيرة ، ويبدو أن باك أن رن اف حاول التصدى لغزو شاباكا للدلتا ولكنه لقى حتفه، ويعد ذلك هو الغزو الثانى لجيش نباتا لمصر ، ثم اضحت البلاد كلها خاضعة تحت لواء حكمه.

وكان القتال براً وبحراً ، وتلقى المتحالفون من الشمال اول هزيمة لهم فى منطقة بحر يوسف ، واضطر تف نخت وحلفاؤه للانسحاب إلى الدلتا ، فيما عدا نمرود الذى هرب نحو مدينته هرموبوليس ، وعندما وصل جنود بعنخى إلى هذا الحد ترددوا وراوا انه من الأفضل لهم العودة نحو الجنوب ، وعندما وردت هذه الانباء إلى بعنخى فى نباتا ، اظهر نوعاً من الضيق لأن جيشه لم يواصل انتصاراته وطارد الحلفاء وغزا الدلتا ، وعلى الرغم من انه كان فى ذلك الوقت متقدما فى السن ، إلا انه قرر على التو الذهاب بنفسه إلى مصر وصاح قائلا : .

« بحق حب أبى آمون لى ، فاننى سأذهب بنفسى إلى مصر ، واجعل الدلتا تشعر بمذاق اصابعى » (٢٢) . وعندما وصل بعنخى امام هرموبوليس وذلك فى العام العشرين من حكمه « خرج من مقصورة سفينته، وصعد على مركبة حربية ثائراً كالفهد وصاح فى جنوده : « هل من واجبكم كجنود ان تهملوا شئونى ، يجب انزال الضربة النهائية بالعدو » .

واقام بعد ذلك معسكره بالقرب من هرموبوليس وبعد عدة اسابيع : « اصابت المدينة العدوى ، وخرج النواب وسجدوا على وجوههم امام الملك ، وطلبوا منه العفو ، وحضروا له الهدايا من الذهب والاحجار الكريمة وصناديق مملوء بالملابس وايضا التاج الذى كان يحمله نمرود على راسه. ثم ارسلوا زوجة نمرود وابنه لكى يلتمسا منه العفو ، واخيرا رضى بعنخى باصدار عفو عام ، وخاطب نمرود قائلا : « من اضلك ، من اضلك حقا لكى تعرض حياتك للهلاك فى محاربتك لى ، اننى ارغب فقط فى ان ينحنى امامى شعب مصر العليا ، وان يقبل شعب مصر السفلى حمايتى » (٢٣) .

وكان بعنخي قد استولى على البهنسا وطهنا قبل وصوله إلى اسوار هرموبوليس وعمل نمرود على المقاومة ، ولكنه استسلم فى النهاية ، وعفا عنه بعنخي وسلم كل خزائنه إلى معبد الكرنك ، وبعد ذلك دخل بعنخي المدينة ، وقام بتأدية الطقوس الدينية فى معبد المعبود تحوت ـــ المعبود المحلى ـــ وبعد ذلك توجه إلى قصر نمرود ، ولفت نظره عدد نساء الحريم ، وطلب ان يرى اصطبل الخيل ، فقد كان يهتم كثيرا بالخيل ولكن عندما رأى ان الخيول تتالم قال : « بحق حب المعبود لى ، اقسم اننى اشعر بالم شديد امام هذه الخيول الجائعة اكثر من كل الاخطاء الأخرى التى ارتكبها نحو نمرود » .

واتجه بعد ذلك إلى اللاهون ـــ المركز الادارى القديم لملوك الاسرة الثانية عشرة ـــ التى اوصدت ابوابها عند اقترابه منها وقد ارسل رسولا إلى الحامية ، الذى قال لهم « ايتها المخلوقات الغبية ، البائسة اتبحثون عن هلاككم ، فاذا مضت ساعة ولم تفتحو لى هذه الابواب ، فستصبحون فى عداد الموتى ، وهذا ما سوف يؤلمنى » (٢٤) .

وبناء على ذلك استسلمت المدينة ، ولم يقتل احد ، واستولى على الخزائن التى خصصها ايضا لمعبد آمون بالكرنك . وقد حضر إلى بعنخي بعض الامراء لتقديم فروض الطاعة ، منهم امير هيراقليوبوليس بف تف دى باست ولم يمتنع إلا امراء الفيوم واطفيح ، واخيرا وصل بعنخي امام مدينة منف حيث كان يتولى القيادة فيها تف نخت . وارسل انذارا إلى المدينة التى امتنعت عن الاستسلام ، وقاومت الحامية بشدة ، ولكن المدينة تعرضت لهجوم كبير وتبع ذلك قتال عنيف ، وكان تف نخت قد فر ليلا بدعوى انه ذاهب للبحث عن قوات مساعدة ، ولما وصل بعنخي منف فى الصباح وجدها محصنة بالمياة ولكنه استطاع ان يدخلها ، وتم له تحقيق السيطرة فى النهاية . ثم اشترك بعنخي فى الطقوس الدينية فى معبد المعبود بتاح ، واعاد الكهنة إلى مناصبهم ، وطهر المدينة من مظاهر الحرب ، وقسم الخزينة بنصيب متساويين المعبودات المحلية والمعبود آمون رع فى الكرنك .

واستسلم الأمير ايوبوت وبعض الامراء الآخرين ، ثم اتجه بعد ذلك إلى

هليوبوليس حيث قام بالتطهر فى البحيرة المقدسة ، غامراً وجهه فى الماء المقدس وقام بنحر الاضاحى المعتادة إلى المعبود رع ، ثم دخل وحده قدس الاقداس حيث اعترف به كهنة المعبود رع ملكا . وبعد ذلك خضع له الامير اوسركون من بوباست ، وبعدها تقدم إلى اتريب ، على بعد قريب من رأس الدلتا واستسلم اميرها بتى ايسه الذى كان يحكم هناك ، ووهب كل خزائنه لبعنخى ودعاه لزيارة الاصطبلات وان ينتقى الخيل التى تحوز اعجابه ، وحاولت مدينة ــ مسد ــ ان تثور عليه وذلك بواعز من تف نخت .

كان تف نخت قد لجأ إلى مستنقعات الدلتا ، وبعد مرور عدة ايام تلقى بعنخى رسالة منه قائلا : « اننى لا استطيع ان اقاومك فترة اطول من ذلك ، اننى فقير بائس ويتخلل الخوف عظامى ، اننى لم استطع ان امكث فى مكان لأرتوى ، ولم استمع إلى الموسيقى ، اننى جائع وظمآن ، عظامى تؤلمنى ، رأسى عارية ، وملابسى رثة » .

عند ذلك عفا عنه بعنخى ، وبناء على ذلك اعلن كل الامراء الشماليين خضوعهم واحضروا الجزية وقدموا فروض الطاعة والولاء للملك المنتصر ، فيما عدا اثنين او ثلاثة لم يستسلموا وعدهم بعنخى من الخارجين على طاعته ، وبذلك اصبح بعنخى سيداً للبلاد كلها من البحر المتوسط حتى الجندل الرابع ، وعندئذ امر بعنخى بنقش لوحة فى معبد نباتا لكى يخلد ذكرى هذه الانتصارات العسكرية . وهى بالنسبة لنا تعد مصدراً هاما للمعلومات التاريخية والمواقع والمدن فى مصر فى تلك الفترة [٢٥] .

كان بعنخى تقياً ومحارباً قويا ، ولكنه لم يكن سياسيا فقد ترك الفوضى تنتشر كما هى الحال فى العهود السابقة وفجأة عاد إلى عاصمته البعيده نباتا ، ولم يكن من السهل عليه مراقبة البلاد بحزم وحكمة [٢٦] . وعلى الرغم من رحيل بعنخى عن مصر ، إلا ان الشعب لم يتردد على اطلاق فى منحة الألقاب الملكية المختلفة .

وقد دفن بعنخى فى كورو فى اول هرم حقيقى لمجموعة من المقابر من هذا الطراز . ويبدو انه عندما مر بعنخى بطيبة عام ٧٣٠ ارغم العابدة المقدسة لآمون ابنه اوسركون الثالث ــ شوب ان اوبت الاولى ــ ان تتبنى اخته ــ امن أردس الاولى ــ

كعابدة مقدسة وبعد ذلك بقليل شغلت ابنه بعنخى التى كانت تدعى شوب ان اوبت الثانية الوظيفة نفسها .

اما عن ملوك الأسرة ، فنعلم انه ثبت اوسركون الثالث على عرش مصر ، وتوفى اوسركون الثالث فى عام ٧٤٨ ق.م بعد ان حكم تسعة اعوام او عشرة وطبعاً للنقوش التى تركها فى الكرنك والتى يتحدث فيها عن اعماله التى حققها فى طيبة فى العام الخامس والثامن والعاشر من حكمه (٢٧) ، ويفهم منها ايضا انه على الرغم من اهماله من قبل بعنخى فان سلطته الرسمية لم تتعرض للانهيار وان ظلت سلطته الفعلية غير موجودة او غير ممارسة .

الأسرة الخامسة والعشرون (٧٥١ ـ ٦٥٦ ق.م)

وسر ماعت رع ـ سنفرورع ـ بعنخى (٧٥١ ـ ٧١٢ ق.م) :

يعد مؤسس الفرع الرئيسى للأسرة الخامسة والعشرين فى مصر والتى امتد سلطانها حتى منف ، وذلك بعد هزيمة تف نخت وهروبه إلى مستنقعات الدلتا ، ولا نعرف حتى الأن ما هى الأسباب التى أدت إلى عودة بعنخى المفاجئه الى نباتا ، وحكم بعنخى على عرش نباتا ومصر حوالى خمسة وثلاثين عاما .(٤٣)
وعثر على اسمه على كتل صغيرة فى معبد المعبودة موت بالكرنك وعلى تمثال من البرونز للمعبودة باستت . (٤٤)

نفركارع ـ واح ايب رع ـ شاباكا (٧١٢ ـ ٦٩٨ ق.م) :

فى عام ٧١٢ ق.م تولى شاباكا عرش البلاد ، وحكم فى طيبة وربما امتد نفوذه حتى منف ، وكانت الأمور اثناء حكمه مستقرة فى مصر العليا ، فقد اصبح حكام نباتا من عبدة آمون المخلصين ، وجعلوا عاصمتهم فى نباتا ، المركز الثانى لعبادة آمون رع . واغدق ـ بعنخى ـ كل الثروات التى استولى عليها من الامراء المحليين ومن حكام الشمال ، على خزائن معبد الكرنك ، وكان شابا كا معروفاً بورعه وكان يذهب لتأدية كل واجباته المقدسة فى حضرة معبود طيبة آمون فى معبده الكبير فى الكرنك ، واضاف من جانبه الكثير إلى خزائن معابده ، تلك التى كانت مكتظه من قبل بالذهب والفضة ، والتى حرص الملوك السابقون على تخصيصها على التوالى ، ولاسيما الملك ششنق

الذى اغدق على معابد آمون الثروات والكنوز التى استولى عليها من معبد الملك سليمان فى القدس منذ قرنين مضيا . [٤٥]

ولم يكن شابا كا بالنسبة للطيبيين ، اجنبيا أو مجرد حاكم من نباتا نجح فى اخضاعهم ، ولكن كان يعد الابن المخلص لآمون ، وكل ما حدث انه عاد إلى وطنه القديم طيبة ، واصبحت حدود مصر ونباتا حدوداً مشتركة ، كما كان الوضع فيما سبق إلى حدما فى عصر الملوك الاقوياء عندما كانت حدود مصر تمتد حتى الشلال الرابع او فيما وراءه .

ويبدو ان عائلة شاباكا قد حضرت معه إلى مصر . وكان هو نفسه مصرياً قلباً وقالباً على الرغم من انه كان يحمل فى دمه الأصل الزنجى ، ومنذ وقت بعيد كانت مصر تستعين بجنود من الزنوج فى جيشها ، ولم تكن القوات ورجال البلاط من الزنوج الذين يحيطون بشاباكا امراً جديداً .

وفى كل المدن المصرية الهامة إلى الجنوب من طيبة حتى الفنتين عند الشلال الأول ، كانت تلك المنطقة فى كل العصور مجالاً للاختلاط بين المصريين والاجناس الزنجية الذين كانوا يستقرون بكثرة على ضفاف النيل ، وشعر سكان مصر العليا وخاصة الطيبيين ، انهم قريبون من الجنس المسيطر على مصر ، لكن هذا الأمر كان مختلفاً فى منف وفى الدلتا .

وكان مصريو الشمال الذين يتمتعون حتى اليوم بالبشرة البيضاء ويجرى فى عروقهم خليط من الدم الآسيوى والافريقى والبحر المتوسط ، يعدون انفسهم افضل من سكان الجنوب او على الأقل أفضل من أهالى نباتا ، ولهذا تحمل اهل الشمال سيطرة ملوك نباتا بنوع من الصبر والقلق والضيق لانهم كانوا يدركون ان الدلتا كانت مهددة بغزو الأشوريين لها ، وقد زادت دوافع الغزو بسبب وجود جيش مصرى وآخر من نباتا متحدين معاً تحت قيادة شابا كا وكانوا على علم بالثورات والاضطرابات التى حدثت فى فلسطين وفى سوريا ضد الغزو الأشورى ، وكانوا لايجهلون ان مصيرا مماثلا كان فى انتظارهم اذا لم يتدخل جيش الجنوب لحمايتهم ، واستمروا فى الوقت نفسه فى حالة الولاء لذكرى تف نخت وابنه باك ان رن اف على الرغم انهم كانوا يفضلون

بطبيعة الحال ملكاً من الشمال ، وكانت الخلافات تسود كل مكان فى الدلتا بين مختلف اسرات الامراء المحليين ولكن الذى أوقفهم عن الصراع فيما بينهم هو الخوف من آشور والهيبة التى كانت تفرضها حكومة شابا كا [٤٦] .

وكان اسحاق رجل الدولة فى القدس ، يراقب بنوع من الاهتمام ـــ الوضع فى مصر ـــ وكان يشعر بالاضطربات التى تسود مصر السفلى ، وقد ترك شاباكا نباتا نظراً للظروف الخارجية واستقر فى طيبة ، ومن هذه اللحظة بدأ يعمل على اعادة غزو مصر السفلى والتى حاول غزوها بعنخى من قبل ، ويبدو انه نجح فى هذه العملية ولكننا لا نملك اى تفاصيل عن هذا الغزو الذى قتل خلاله باك ان رن اف .

وتتميز فترة حكم شاباكا بالأعمال المعمارية الكبرى التى قام بانجازها وخاصة فى معبد الكرنك ، الأقصر ، ومدينة هابو فى البر الغربى [٤٧] .

واذا صدقنا الروايات فى العصور المتأخرة ، فقد كان شاباكا رجلا شديد التقوى ورعاً حتى انه كان يأبى عادة الحكم بالاعدام على المتهمين . وبعد ان اخضع الدلتا ، لم يظهر اى ميول للحرب ، ولكن فى عام ٧٠١ قرر ان يرسل حملة إلى فلسطين لكى يحد من تقدم الآشوريين ، ولم يقودها بنفسه بل اسند القيادة إلى ابن اخيه ـــ طهرقا ـــ الذى جاء إلى مصر منذ عام ٧١٤ ق.م وكان شابا يبلغ من العمر حينذاك ـــ العشرين ، ويسمى الكتاب المقدس طهرقا « تيرهاقا » ملك اثيوبيا ، (سفر الملوك الجزء الثانى ١٩ ، ٩) على الرغم من انه لم يكن ملكا فى ذلك الوقت بل كان قائداً ، وقد انذر الاشوريون اليهود بعدم الاعتماد على ملك مصر لأنه كان ضعيفاً [٤٨] . وبالفعل اعلن « اسحاق » فى يهوذا أنه لايمكن الاعتماد على مساندة مصر وقرر ملك يهوذا ـــ ان يهاجم آشور وقام بتكوين تحالف ضد ملك أشور سنحاريب ولكن نجد ان هذا الأخير بعد ان وطد دعائم حكمه بحزم وقوة بعد مرور خمس سنوات ، قرر ان يعاقب فلسطين ، وبدأ سنحاريب حملته لاخضاع مدن الساحل الفينيقى ووصل حتى عسقلان وحدود مصر ، وتقدم المصريون للزود عن حدودهم فارسل سنحاريب فرقة من جيشه إلى القدس وقامت معركة فى التيكه ـــ EL- tekeh واوقف تقدم المصريين ، وقضى على الثوار فى فلسطين وحوصر حزقيا فى القدس ولم يقض سنحاريب على

حكام القدس ولكنه اصابها بشئ من الدمار ، واضطر حزقيا إلى دفع تعويض كبير ، وتنازل عن جزء كبير من خزائنه علاوة على بعض حريمه فى مقابل ان يحتفظ بعرشه ويقوم بدفع الجزية .

واضطر سنحاريب إلى مغادرة فلسطين بسبب الطاعون الذى انتشر فى معسكره . وهكذا انقذ الجيش المصرى باعجوبه ، وخرجت مصر سليمة من ذلك الموقف الحرج وعاد طهرقا إلى مصر دون ان يحقق اهدافه .

وتوفى شاباكا فى عام ٧٠١ ق.م [٤٩] واصبحت الزوجة المقدسة لآمون فى طيبة من الآن من العائله الملكية فى نباتا ، وكانت زوجة شاباكا التى كانت تسمى ــ آمون اردس الأولى ــ « زوجة مقدسة لآمون » ، وشيدت المقاصير باسمها [٥٠] .

جد كاورع ــ من خبر رع ــ شاباتاكا [٥١] (٦٩٨ ــ ٦٩٠ ق.م) :

توفى شاباكا ، وخلفه ولده شاباتاكا الذى اتصفت فترة حكمه بعدم الاستقرار لأنه لم يستطع توحيد البلاد من جديد ، وبوجود حالة صراع دائم فى الدلتا ، وقد حاول ان يتبع سياسة اكثر نشاطاً فى أسيا وذلك بتشجيع الثورات ضد الأشوريين فى فلسطين ، لكن هذه السياسة لم تحظ باكثر مما اثمرته سياسة اسلافه. وعثر له على تمثال يمثله جالسا بالقرب من معبد بتاح فى منف [٥٢] .

وشيد مقصورة فى الكرنك بالقرب من البحيرة المقدسة [٥٣] . وعثر على اسمه منقوشاً على عدة جعارين [٥٤] .

نفرتم ــ خورع ــ طهرقا [٥٥] (٦٩٠ ــ ٦٦٤ ق.م) :

جاء من بعد شاباكا ، وكان يبلغ من العمر حينذاك خمسة واربعين عاماً وهو لم يترك مصر منذ بلوغ سن العشرين ، لذلك فقد تمصر كلية واتخذ لقب « فرعون » أمام إسمه [٥٦] على الرغم من ان النقوش والمناظر تمثله ذا ملامح زنجية واضحة ، وكان باكورة اعماله هو ارساله فى طلب والدته التى كانت تسمى ــ ابار ــ من نباتا لكى تأتى لزيارته فى تانيس فى شرق الدلتا حيث كان يقيم . ويصف لنا هذه الزيارة **كالاتى** :

« لقد انفصلت عنها عندما كنت شابا صغيرا فى العشرين ، لأننى اصطحبت صاحب الجلالة (شاباكا) عندما غزا الدلتا . وهكذا بعدما انقضت هذه السنوات ،

جاءت إلى تانيس حيث كنت اقيم ، ووجدتنى متوجاً ملكاً ، فسعدت كثيراً ، وكان الناس ينحنون إلى الأرض امام والدتى » [٥٧] . وادرك انه لايمكن مراقبة التهديد الآشورى . من عاصمته البعيدة فى الجنوب ، لذلك اقام فى الشمال ، واستقر اغلب الوقت فى تانيس وفى منف ايضا [٥٨] وذلك لتتبع تطور الموقف فى فلسطين وفى البحر المتوسط وخاصة فى الجزء الغربى منه، ونظراً لاستقراره فى الشمال فى تانيس نجد انه كان بعيدا كل البعد عن مصر العليا لكى يستطيع ان يحكمها بنشاط وحزم ولكنة بذل مجهوداً كبيراً لكى يضمن على الأقل ولاء الجنوب له.

وخرج عن التقاليد ولم يترك على الاطلاق كل السلطة لكهنة آمون ولكن تنازل عن جزء من هذه السلطة إلى « حاكم الجنوب » منتومحات [٥٩] . وحكم طهرقا اثناء الخمسة عشر عاماً الاولى من حكمه فى سلام تام ، قام خلالها بعده اعمال معمارية هامة فى تانيس ومنف وطيبة وغيرها [٦٠] . وشيد فى معبد الكرنك فى وسط الفناء الاول الكبير بهوا عمدة ضخماً يؤدى إلى الصرح الثانى [٦١] ، وإلى الجنوب من المعبد الرئيسى ، شيد معبداً مخصصاً للمعبود بتاح واوزير وامر فى الوقت نفسه بنحت معبد فى الأودية الصخرية فى نباتا يشبه فى طرازه معبد رمسيس الثانى فى ابى سمبل [٦٢] ومن المحتمل انه كان يقوم احيانا بزيارة اقاليمه فى الحبشة ، وحفر لنفسه مقبرة فى نباتا مثل سابقيه.

وفى طيبة نجح فى فصل السلطة الدينية للحكومة عن السلطة المدنية وذلك لاسباب سياسية ، فاحداهما كانت تحت سيطرة المتعبدة المقدسة آمون اردس الثانية ابنة الملك ، التى اصبحت مساوية للملك فقد كتب اسمها داخل خانة ملكية ، وكانت تحتفل بالاعياد الثلاثينية ، والأخرى كانت فى ايدى رابع كهنة آمون ـــ منتومحات ـــ أمير طيبة وحاكم الجنوب . وكانت المشكلات فى الشمال اكثر تعقيداً ، ولم يتمكن ملوك نباتا من القضاء على العائلات القديمة التى كانت لها اطماع ونفوذ فى كل مكان [٦٣]

تعرضت البلاد فى نهاية حكم ملوك نباتا للغزو الآشورى **ثلاث مرات** [٦٤] :

ـــ الغزوة الآشورية الاولى (٦٧١ ق.م) :

فى عام ٦٧٤ ق.م ـــ اى فى السنة السادسة عشرة من الحكم ـــ بدأ الملك الآشورى ،

اسرحدون سلسلة من الهجمات ضد مصر ادت فى النهاية إلى سقوط اسرة ملوك نباتا (٦٥) ، وكان اسرحدون قد تولى من بعد سنحاريب ، ورأى من الأفضل اعادة سياسة الغزو فى فلسطين واستولى على صور ، ولم يمنع الفشل الذى منى به طهرقا فى فلسطين من قبل فى ان يحول انظاره عن آسيا بل على العكس نجده يتابع سياسة التحريض واشعال الثورات ضد الآشوريين فى سوريا اثناء اقامته فى تانيس ، فهو بدون شك ولا احد سواه الذى أثار التمرد فى صيدا ، فقرر اسرحدون فى ٦٧١ ق.م مهاجمة مصر مباشرة ونجح فى عبور صحراء سيناء ووصل إلى وادى الطميلات ، وقد تفادى الدلتا ، حيث تجمعت فيها بالتأكيد القوات المصرية ، ودمر الحاميات المصرية ووصل فى خلال خمسة عشر يوماً إلى منف واستولى عليها كما أسر الحريم وعائلة طهرقا وقال : « انه انتزع جذور كوش من مصر » (٦٦) .

واتجه بعد ذلك نحو الدلتا التى هاجمها من الخلف واخضعها لسيطرته . اما عن طهرقا فقد نجح فى الهرب فى البداية إلى طيبة ، ثم هدد اسرحدون هذه المدينة ، وسار بمحاذاة الوادى نحو الجنوب ، على حين اسرع منتومحات بالاعتراف بالسيطرة الآشورية حتى يتجنب سقوط طيبة ، وارسل منتومحات الجزية لكى يتفادى لقاء الفاتح القوى ، ويرى بعض المؤرخين انه فى بداية الأمر نجح طهرقا والمصريون الذين معه فى مطاردة الغزاة إلى ما وراء الحدود الشرقية للدلتا .

ولكن فى عام ٦٧١ ق.م هزم طهرقا بالفعل ، وانسحب إلى مصر العليا بعد سقوط منف ، وادرك اسرحدون ان السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد المنهزمة هو تقسيمها إلى ممالك صغيرة متشابهة مثلما كان الحال عند غزو بعنخى لها ، وتبعا منلذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة ، ويحكم فى كل منها أمير أصلى من المقاطعة ، وسمحوا للأسرات المحلية بأن تبقى فى أماكنها ، وتولى مهام الحكم فى سايس ومنف الأمير ـــ نكاو ـــ الذى كان فيما يبدو من سلالة تف نخت المنافس السابق لبعنخى ، وحفيد باك ان رن إف . وفى تانيس كان يوجد أمير يسمى بادى باست . وفى مندس اقام هناك على العرش الأمير بامى الذى ربما كان ابناً للحاكم الذى سلم هذه المدينة لبعنخى ، واتبع اسرحدون نفس هذه السياسة فى بعض

الاقاليم الأخرى .

ولاسباب ما غادر اسرحدون مصر بسرعة ــ ربما ــ بسبب مرض مفاجئ ولم يترك وراءه غير قوات قليلة ، واستغل طهرقا رحيله لكى يحرض حكام الاقاليم الذين خضعوا له اثناء الغزو الآشورى .

الغزوة الآشورية الثانية (٦٦٦ ق.م) :

لم يعد طهرقا نفسه منهزما ، فقد عاد فى عام ٦٦٩ ق.م إلى منف وبدأ يبحث عن حليف جديد فى آسيا الصغرى ، وحاول ان يؤلب الامراء ضد الاحتلال الآشورى ، وعقد هؤلاء الامراء معاهدة مع طهرقا فى مصر العليا ، الذين فضلوا سيطرته على سيطرة اسرحدون ، وكان هذا التحالف سبباً فى عودة الآشوريين مرة ثانية فى عام ٦٦٦ ق.م ، وكان طهرقا قد استطاع ان يسترد منف ولجأ اسرحدون إلى القيام بحملة لكنه توفى فى الطريق وبعد قليل اخذ ابنه وخليفته اشور بانيبال فى تنفيذ مشاريع ابيه فأرسل قائده الأعلى الذى جمع قوات الامبراطورية من فينيقيا وسوريا وفلسطين ، ولم يكن قد مضى اكثر من ثلاثة اعوام على نجاح طهرقا فى جمع المصريين من حوله، وارسل آشور بانيبال جيشاً إلى مصر ، ودارت المعركة فى شرق الدلتا وهزم الجيش المصرى فى كار بانيت Karbanit ثم تقدم الغزاه إلى منف ، واستولوا عليها مرة أخرى وفر طهرقا للمرة الثانية إلى طيبة وعندئذ تتبعه الغزاه بصعودهم النيل والاستيلاء على طيبة التى تعرضت للسلب والنهب من جانبهم ونجت من التدمير ، مما خفف من وقع الكارثة . وبعد ذلك نزل الآشوريون إلى مصر السفلى ، واقاموا الحاميات فى المدن الرئيسية ، وعما قريب نجد ان نكاو أمير سايس واثنين او ثلاثة امراء آخرين قد بدوا فى التفاوض مع طهرقا ، الذى استقر من جديد فى طيبة املًا منهم فى التخلص من الآشوريين .

لكن هذه المحاولة باءت بالفشل وقبض على نكاو ومؤيديه وارسلوا مقيدين بالحديد إلى نينوى ــ عاصمة الآشوريين ــ ونجح نكاو فى النهاية فى كسب ود الآشوريين وحصل على العفو ، وكان آشور بانيبال ذكياً اكثر مما يجب ، ولذلك عفا عن نكاو ، وسمح له بالعودة إلى سايس محملا بالهدايا وحكم هناك وأصبح موالياً

للآشوريين ، وظلت طيبة وكل الجزء الجنوبى من مصر العليا مخلصاً لطهرقا ، ولم يحاول الآشوريون التوغل إلى هذه المناطق مرة أخرى .

وكشفت الحفائر التى اجراها جريفيث ــ Griffith فى منطقة كاوا ــ بين الجندل الثالث والرابع ــ عن خمس لوحات كبيرة تقص علينا اهم الأعمال التى قام بها طهرقا فى السنوات الاولى من حكمه . وقد اقام فى تلك المنطقة معبداً مخصصاً للمعبود آمون على طراز المعابد المصرية ، واوقف الكثير من العمال والصناع الذين جئ بهم من منف للعمل فى هذا المعبد (٦٧) . وفى السنة السادسة من حكمه حدث ارتفاع كبير فى منسوب مياه فيضان النيل وتسبب ذلك فى خسائر فادحة فى بعض المعابد على الرغم ان طهرقا حاول ان يقلل من ضخامة هذه الخسائر (٦٨) . وفى عام ٦٦٥ ق.م ، كان طهرقا يبلغ من العمر عندئذ حوالى السبعين . ففضل الاقامة فى نباتا ، واشرك معه ابن اخيه شاباكا وكان يحمل اسم تانوت آمون ، وتوفى طهرقا فى عام ٦٦٣ ق.م ودفن فى نورى (٦٩) . وعثر فى البر الغربى فى جبانة شيخ عبد القرنة على المقبرة رقم ١٣٢ الخاصة برع موسى الكاتب الكبير للملك وهى من بين المقابر النادرة من هذا العصر فى البر الغربى .

باكارع ــ تانوت آمون (٦٦٤ ــ ٦٦٥ ق.م) :

توج تانوت آمون كملك على كل من نباتا وطيبة فى عام ٦٦٤ ق.م ، ولم يتردد فى الذهاب للاقامة فى طيبة لكى يحاول غزو البلاد كلها . وقد عثر فى منطقة جبل برقل على لوحة من عهده تسمى لوحة الحلم (٧٠) ويذكر عليها انه فى السنة الاولى من حكمه ، شاهد رؤيا عبارة عن ثعبانين احدهما عن يمينة والآخر عن يساره ، وقد فسرت هذه الرؤيا على انه سوف يصبح ملكاً على مصر العليا والسفلى ويحلى رأسه رمز المعبودتين نخبت وواجيت .

ووصل إلى طيبة وتقدم إلى منف ، وظل نكاو وفياً لآشور بانيبال وقتل اثناء الصراع ، وسقطت منف فى ايدى مؤيدى وجنود تانوت آمون ، وقدم القربان للمعبود بتاح ثم أبحر بعد ذلك ليقاتل امراء الدلتا الذين فضلوا السلام على الحرب ، وتقبل ولاء اغلب الاسرات المحلية فى الدلتا ، وفيما بعد نجد ان الدلتا كلها بدأت تثور ضد

الآشوريين وتتحالف مع تانوت آمون الذى كان قد دعا امراء الدلتا إلى قصره وكان المتحدث بلسانهم هو امير سوبد ــ باخرورى ــ وفى هذه الاثناء كان منتومحات يتولى شئون طيبة ، وطغى سلطانه على نفوذ كبير الكهنة واكتشفت له آثار عديدة تبين انه كان مواليا لطهرقا وتانوت آمون [٧١] .

ــ الغزوة الآشورية الثالثة (٦٦٤ ق.م) :

على الرغم من ان الآشوريين قد طردوا من مصر للمرة الثانية فانهم لم يترددوا فى العودة إليها مرة أخرى ، واصبح الطريق ممهدا امام آشور بانيبال لدخول مصر ، وتقدم بجيشه دون ان يقوم بمعركة فعلية ، وقد فر تانوت آمون إلى طيبة . وجاء حكام الدلتا الموالون للآشوريين لتقديم فروض الطاعة للفاتح . وفى هذه المرة اراد آشور بانيبال ان يعاقب بشدة عدوه ، وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التى نهبها ودمرها ومن بين الغنائم التى سلبها سلتان يغطيهما الذهب والنحاس ، وذاع نبأ سقوط المدينة الكبرى فى جميع انحاء العالم القديم ، وقد اشير إلى هذا فى الكتاب المقدس فى سفر ناحوم الجزء الثالث ، ٨ ، الذى ذكر ايضا ان اطفالها قتلوا فى كل مكان فى انحاء المدينة وحكم على نبلائها بالنفى والأسر وقيد كل كبار نبلائها بالسلاسل [٧٢] . اما عن تانوت أمون فقد تراجع على الفور فيما وراء الحدود الجنوبية إلى نباتا ، وهكذا عاد تانوت أمون إلى كوش ، حيث لم يعد من هناك على الاطلاق وتوفى هناك ودفن فى كورو . وهو يعد آخر ملك فى سلالة ملوك نباتا الذين حكموا مصر ، ولن نرى أى ملك من هذه السلالة يحكم مصر بعد ذلك . ولكن هذه السلالة استمرت وعاشت لعدة قرون فى منطقة نباتا ومروى وحكمت هناك شعباً لا ينتمى بأية روابط سياسية مع شعب مصر ، وأصبحت اللغة الكوشية لغة وكذلك الكتابة وهى تختلف عن الهيروغليفية على الرغم من ان التأثير المصرى كان لايزال واضحا . وتسمى هذه اللغة باللغة المروية [٧٣] و[illegible] بين التأثير المصرى ، وكانت عبارة عن نصوص دينية ، كتبت على شواهد قبور أو موائد قرابين ، وفيها نصوص سجلت على جدران معبد كلابشة من العصر الرومانى [٧٤] ومعبد ايزيس فى فيلة من العصر اليونانى الرومانى [٧٥] .

ومن الملاحظ ان المقابر هناك اخذت شكلا هرمياً [٧٦] وسنرى هذه الدولة تحافظ على استقلا لها حتى عام ٣٥٠ بعد الميلاد [٧٧] .

وفى نقش عثر عليه فى الكرنك يذكر لنا منتومحات الاعمال التى قام بها فى محاولة لاعادة بناء ما دمره الغزاة فهو يقول : « لقد طهرت كل المعابد ، وهذا ما يجب عمله لأنها سرقت بعد غزوة قام بها اجانب انجاس [٧٨] » . ويتحدث عن الكارثة كما لو كانت « عقاباً مقدساً » وكان يبحث دائما عن وسائل جديدة يعيد بها إلى المعابد هيبتها وكان « يمضى ايامه ولياليه فى البحث » . وقد شيد قارباً جديداً للاحتفالات خاصاً بأمون وكذلك مقاصير جديدة واقام التماثيل للمعبود ، وقد شيد من جديد معبدا للمعبودة موت (زوجة آمون) فى الكرنك وقام بتنظيف البحيرة المقدسة ، واصلح تماثيل المعبود خونسو المحطمة ورمم من جديد مقاصير المعبودات الأخرى فى طيبة وفى قفط فى شمال الأقصر ، واصلح تمثالا للمعبود مين ، المعبود المحلى ، وقد ترك نقشاً فى ابيدوس يدل على مروره بها وقد رمم المعبد وشيد قارباً مقدساً للمعبود اوزير ، وفى النهاية حفر لنفسه مقبرة ضخمة فى جبانة طيبة [٧٩] ، لكن كل هذه الأعمال قد قضى عليها بسبب الصعاب والاضطرابات التى حلت بالبلاد فيما بعد .

الفصل الثامن عشر

الأسرة السادسة والعشرون

(٦٦٣ ــ ٥٢٥ ق.م)

تطور الوضع السياسى الخارجى ، وأخذ يتحدد اكثر فأكثر ، وأخذ الدور الذى اضطرت شعوب البحر المتوسط ان تلعبه فى ظل القوى الجديدة تتبلور معالمه بوضوح ، تلك القوى التى ظهرت جليا منذ الغزوة الأولى لشعوب البحر ، واصبحت مصر أضعف من ان تحرر نفسها بمفردها من سيطرة الآشوريين ولذلك سوف نراها تعتمد على اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر وعملوا كمرتزقة ، ولم تستمد مصر قوتها على الأطلاق من مصادرها الذاتية ولكن بالأستعانة بالمرتزقة الأجانب الذين كانوا قادرين بمفردهم على حمايتها من الأمبراطوريات الآسيوية القوية من ناحية ، والعمل على القضاء على مصادر الشغب وضمان الولاء والطاعة من جانب رعايا الملك المصرى من ناحية أخرى .

لكن هذه المساندة المؤقتة لم تكن كافية لحمايتها من آسيا ، لذلك نجدها تتقبل عن طواعية ان لم يكن برحابة صدر — الغزو النهائى للأسكندر الأكبر — ليبعدها من فترة قاسية من الخضوع للفرس للمرة الثانية

وهكذا تعرض مصر عن ماضيها العريق . لكن قبل ان يصبح فقدها لحريتها امراً واقعاً عرفت مصر ايضا فترة من المجد والرخاء بفضل ملوك الأسرة السادسة والعشرين [١] .

حور عا ايب — واح ايب رع — بسماتيك الأول (٦٦٣ — ٦٠٩ ق.م):
كان بسماتيك قد عاد من سوريا حيث كان قد لجأ اليها بعد عودة تانوت أمون إلى مصر ، وسوف يتبع السياسة الحكيمة لأبيه ، وكان على يقين انه ليس بامكانه الصمود امام جيش آشور ، وأعلن فى البداية بصفة مؤقتة نوعاً من الخضوع الظاهرى . وكان آشور بانيبال قد كافأ نكاو المتوفى على اخلاصه وذلك بتعيين ابنه بسماتيك ملكاً على مصر

وبه تبدأ الأسرة السادسة والعشرون ، وهكذا توج بسماتيك الأول على عرش مصر وهو ينحدر فى الوقت نفسه من سلالة تف نخت أمير سايس البعيدين ، وبهذا أصبح له الحق فى تولى العرش .

ونظراً لأن اباه قد لقى مصرعه منذ عامين سابقين ، فانه ارخ صعوده على العرش بتاريخ ٦٦١ ق.م الذى يعادل السنة الثالثة من حكمه . واتخذ لقب « فرعون » امام اسمه .[٢]

واصبحت سايس ــ مدينة اجداده ــ عاصمة لمصر وتقع فى شمال وغرب الدلتا ، على الشاطئ الأيمن للفرع الكانوبى للنيل وهى لا تبعد كثيراً عن مدينة كفر الزيات الحالية ، وكانت تعد من اقدم مدن مصر ومركزاً لعبادة المعبودة نيت ، وكانت عامرة فى هذا الوقت بالكثير من المبانى وكان معبد نيت من أجمل المعابد واكبرها[٣] .

ويبدو ان بسماتيك قد تعرض فى السنوات الأولى من حكمه لبعض الأضطرابات ، وقد جاءت المعارضة من جانبين مختلفين ، فمن ناحية كانت مصر العليا لاتزال تحت سيطرة منتومحات ، الذى ظل وفيا لملوك نباتا ، ومن ناحية أخرى نجد عدداً من امراء مصر السفلى قد انحاز إلى جانب الآشوريين .

وكان بسماتيك متحفزاً للتخلص من هذه السيطرة بمجرد ان تسنح له الفرصة المناسبة . ويذكر هيرودوت انه اثناء الاحتفال باحد الأعياد الدينية فى معبد المعبود بتاح فى منف ، لوحظ ان الكاهن المسئول عن أعمال التطهير ، لم يحضر كما هى العادة اثنى عشر كوباً من الأوانى الذهبية بل احضر منها احد عشر فقط ، ولما كان بسماتيك حاضراً فى هذه المناسبة فقد استخدم خوذته البرونزية فى اعمال التطهير وطبقاً لاسطورة الوحى ، ان من يسكب له الماء فى اناء من البرونز سوف يصبح وحده ملكاً على مصر[٤] .

ولم يحاول زملاؤه الذين كانوا معه اثناء هذه الطقوس النيل منه لأنهم كانوا يعرفون انه تصرف بحسن نية ، ولذلك قرروا ان ينفوه فى مستنقعات الدلتا المجاورة لبوتو . وكان يوجد فى مدينة بوتو تمثال للوحى ، فذهب بسماتيك يوماً من الأيام إلى

معبد بوتو ليسأل الوحى عما يخبئه له القدر فأجابه الوحى « بأن الانتقام سيأتى من البحر عندما يصل رجال من البرونز » .

وبعد ذلك بقليل تحققت المعجزة فبالقرب من المكان الذى كان يقيم فيه بسماتيك نزل قراصنة ايونيين وكاريين يلبسون دروعاً وخوذات من البرونز . فعرف فيهم الرجال الذين تحدثت عنهم النبوءة ، فأغراهم بالوعد وعلى الرغم من الخسائر التى انزلوها بالبلاد إلا أن بسماتيك اقنعهم بالتحالف معه.

واستطاع بمساعدة هؤلاء الرجال الأجانب الأنتقام من اقرانه الأمراء القدامى وتحقيق وحدة البلاد . وفى البداية استطاع بسماتيك التفاوض مع احدى عشرة عائلة قوية فى الدلتا وللسيطرة على الآخرين استعان بهؤلاء المرتزقة الذين ارسلوا بواسطة جيجس ملك ليديا وحليف بسماتيك [٥] . وبالفعل نجح بسماتيك فى القضاء على سلطان بعض الأمراء الأقوياء فى السنوات الأولى من حكمه. ويبدو ايضا ان الصراع قد استمر عشرات السنين لكنه نجح اخيراً فى القضاء على تلك الأسرات الأقليمية التى كانت تتقاسم السلطة فيما بينهما فى مصر السفلى ، ومنذ ذلك الوقت اخذ على عاتقه عملية تنظيم المملكة ادارياً .

ففى مصر العليا كان منتومحات لا يزال حاكما لطيبة ، وقد لجأ بسماتيك بكل السبل إلى تجنب الصراع مع ملوك نباتا ، وقد ثبت منتومحات فى مكانه لأنه كان مواليا لملوك نباتا . وارسل فى السنة التاسعة من حكمه ابنته نيتوكريس إلى طيبة لكى تصبح زوجة مقدسة لآمون [٦] ، وبعد عدة مفاوضات ، نجح بسماتيك فى اقناع العابدة المقدسة لآمون بأن تتبنى ابنته مقابل أن يدعها فى منصبها الكهنوتى الرفيع ، وقد كانت لاتزال أميرة من اصل اثيوبى وهى شوب ان اوبت الثانية ابنة بعنخى ، التى كانت متقدمة فى السن ولا تزال تعيش حتى ذلك الوقت فى الكرنك حيث كانت تحظى بالتكريم « كمحرم مقدس لآمون » واصبحت نيتوكريس تسمى ايضا شوب ان اوبت الثالثة ، واصبحت ثالثة زوجة مقدسة تحمل هذا الأسم [٧] .

وجاءت ابنته الوريثة الشرعية إلى طيبة فى موكب كبير مكون من عدة مراكب تحت امرة القائد البحر سماتاوى تف نخت حاكم مدينة هيراقليوبوليس . وصلت إلى

طيبة فى ستة عشرة يوماً ، كان يصحبها عدد كبير من التابعين من رجال البلاط والكهنة والضباط ، وخصص لها المنح التى شملت ممتلكات فعلية واوقافا واعطاها اغلب الهبات التى كانت مخصصة لها و وكانت نيتوكريس فى ذلك الوقت أقل من عشرين عاماً وقد أعدلها قصراً فى طيبة [٨] . حيث حملت فى محففة من الخشب مغطاه برقائق الذهب والفضة ، وهكذا نجح بسماتيك بطريقة ذكية فى ضمان ولاء كهنة آمون ، وفى خلال السنوات التالية عمل كل جهده لإصلاح ما افسده الآشوريون فى طيبة ومعابدها .

وعلى الرغم من كل هذه المجهودات فلم تحظ المدينة بأهميتها السابقة ، وأصبح معبد الكرنك الذى نهبت خزائنه مجرد مكان مقدس هادئ بعد ان كان مركزاً للديانة الرسمية ومجالا للنشاط السياسى كما سبق .

ثم نراه بعد ذلك بقليل يقوى من نفوذه ، ويعين حاكمين جديدين أحدهما فى الجنوب فى ادفو وكان من الموالين له وهو ــ نسى ناوا ياو ــ وذلك لكى يحد من نفوذه الطيبيين لأنه كان فى حاجة إلى الجيش فى الشمال [٩] . وحاكم آخر فى مصر الوسطى فى هيراقليوبوليس ، وهو ــ سماتا وى تف نخت ــ الذى كان من ابرز الشخصيات وكان يسيطر على المواصلات النهرية [١٠] .

وكان يهدف من وراء هذه المحاولة وضع حد لاستمرار الفوضى فى مصر العليا تجاه السلطة المركزية ، وهكذا عادت إلى مصر وحدتها السياسية مرة أخرى ، ومن المحتمل ان الغزو الآشورى هو الذى مهد لهذه الوحدة وساعد على تحقيقها مرة أخرى ، وان استقرار السلطة المركزية ساعد من ناحية أخرى على اقامة هذه الوحدة ، على الرغم من ان هذه الوحدة لا تقارن بتلك الوحدة التى شهدتها مصر فى الفترات المجيدة من تاريخها ، وكان الاجانب هم الذين يعضدون قوة بسماتيك وخاصة المرتزقة الأغريق وذلك ضد رعاياه المقربين ، وكان له الفضل المباشر فى اعادة تنظيم القوة العسكرية المصرية ضد الآسيويين ، وتزويد الجيش المصرى بدماء جديدة وخبرات مؤهلة ، حتى الاسطول المصرى اعيد تنظيمه على غرار النظام اليونانى ، وتعرض النظام الأقتصادى الداخلى نفسه للبلاد للتغير بسبب قيام المستعمرات اليونانية ، وهكذا نرى

انه عندما بدأت مصر تتخلى عن تقاليدها الموروثة ، استطاعت ان تتكيف مع مطالب الحياة الجديدة للعالم القديم (١١) .

وقام بسماتيك بتحصين الحدود الشرقية والجنوبية ، لكن الموقف الخارجى بدأ يتطور بسرعة فقد دخل آشور بانيبال فى صراع مع بابل وعيلام واعلن ملك ليديا عدم خضوعه لآشور بانيبال وفى عام ٦٥٢ ق.م وجد الملك الآشورى نفسه متورطاً فى حرب أهلية داخلية وادت الى الأنشغال تماما بها ، مما اتاح لبسماتيك الفرصة لأعلان استقلاله عن آشور دون ان يضطر إلى الدخول فى حرب معها ، وبمساعدة هؤلاء المرتزقة ، تمكن من ان يعزز مكانته فى الداخل والخارج (١٢) .

فقد انتشرت قبائل « السيث ــ Scythes» فى الشرق واستطاع بسماتيك ان يبعدهم بمنحهم العطايا وبتهديده لهم بجيشه القوى الذى طرد الحاميات الآشورية حتى « اخدود » فى فلسطين . كما بدأ يمد العون إلى بابل وعيلام حتى يأمن خطرهم ، وهكذا أصبح سيداً للموقف داخليا وعلى حدود بلاده (١٣) .

اهتم بسماتيك اساساً بعلاقاته مع اليونان ، التى بدأت اهميتها تتضح فى هذا العصر ، واخذت الحضارة اليونانية تزداد أهمية بصفة عامة فى اثينا ، وكورنث ، واسبرطة ، وجزر بحرايجة ، وفى المدن المستقلة للشاطئ الغربى لآسيا الصغرى وفى اماكن أخرى ايضا .

وكانت سياسة الملك هى اقامة علاقات تجارية وتوطيد اواصر الصداقة مع هذه الشعوب اكثر من شعوب الشرق ، واصبح المرتزقة اليونانيون يمثلون القاعدة الرئيسية فى جيشه ، ولكى يمنع اى صدام بينهم وبين القوات المصرية أمر بان تحدد لهم منطقتين مميزتين لاقامتهم ، احداهما فى شرق الدلتا والأخرى فى اطراف عاصمته سايس ، ولذلك تركزت القوات اليونانية الرئيسية فى دفنه ، وتسمى اليوم « تل الدفنة » على الفرع الدمياطى للنيل ، على بعد خمسة عشر كيلو متراً غرب مدينة القنطرة الحالية بالقرب من بور سعيد .

وقد اقيم هناك حصن قوى لا تزال بقاياه موجوده حتى الآن . وكان يعد مركزاً للتجمع العسكرى اليونانى ، ووضعت بقية القوات اليونانية فى نقراطيس على بعد

عشرين كيلو مترا في جنوب غرب سايس ، بالقرب من دمنهور الحالية ، وهناك اقيم ايضا حصن ومعسكر حربى .

وتبعا لذلك نشطت التجارة مع المدن اليونانية ، وكان المرتزقة اليونانيون يعودون إلى بلادهم يحملون معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصاً عجيبة عن رخاء مصر ويروجون لصناعتها وديانتها ولفنها حتى ان الرحالة اليونانيين بدأوا يتوافدون على مصر ، وبدأ الطلبة اليونانيون فى الأختلاط بدور العلم المصرية . وخير شاهد على رقى الحياة الفكرية فى مصر هو وفود الكثيرين من الشخصيات اليونانية على مصر لينهلوا من مواردها وليرتادوا مكتباتها [١٤] .

وكانوا يسمون الملك ـــ بسما تيخوس ـــ وكان الأسم محل تقدير كبير حتى انه كان شائعاً فى بلاد اليونان ، ونرى مثال ذلك فى البيت الحاكم فى كورنث حيث كان ابن أخ الملك برياندر الشهير كان يطلق عليه اسم بسما تيخوس ايضا ، وقد تعلم كثير من المصريين اللغة اليونانية ، وبدأ اليونانيون من جانبهم فى درراسة فلسفة الديانة المصرية والرسم والنحت والعمارة والموسيقى ، وكان بسماتيك تاجراً ماهراً ، وتتحدث النقوش عن أعماله العديدة فى الداخل ، واستمرت فترة حكمه حوالى أربعة وخمسين عاماً زاد معها الرخاء المصرى وقد شجع ذلك الفنانين على البحث والتطور فى الفن والحرف والمهن والعادات القديمة ، مما أدى إلى جذب اعجاب اليونانيين بالنسبة عادات شعب مصر وتاريخه العريق .

كان هناك اتجاه إلى اعادة واحياء التراث القديم [١٥] ، وبدأ الفنانون يقلدون افضل النماذج لفن النحت فى الأسرتين الرابعة والخامسة ، وكذلك فى فن الرسم والعمارة ، وأخذت هذه النهضة ابعاداً كبيرة حتى ان اساليب الكتابة قد تأثرت بصيغ والقاب الدولة القديمة ، وزادت أهمية الشعائر الدينية والعبادات فى غمرة هذا التطور الجديد .

عثر على آثار عديدة لبسماتيك الأول فى مندس والأسكندرية ودفنه وطيبة وادفو ، كما جاء ذكر اسمه على لوحات سرابيوم منف [١٦] . وقام أيضا بمنح وقف من الأراضى لصالح معبد المعبودة نيت [١٧] .

ومن عصر بسماتيك الأول نعرف مقبرة آبا التى تحمل الآن رقم ٣٦ فى العساسيف وكان مشرفاً على الطقوس الدينية للمعبود والرئيس الأول لاستقبال العابدة المقدسة ، ومقبرة باباسا المشرف على عبادة العابدة المقدسة وتحمل رقم ٢٧٩ وتقع فى نفس المنطقة، وواح ايب رع نب بحتى رئيس الاحتفالات وصاحب المقبرة رقم ١٩١ ، وأيضا إرت راو الكاتبة والتابعة الأولى للزوجة المقدسة نيتو كريس وصاحبة المقبرة رقم ٣٩٠ .

حور سيا ايب ــ وهم ايب رع ــ نكاو الثانى (٦٠٩ ــ ٥٩٤ ق.م) :

توفى بسماتيك الأول عام ٦٠٩ ق.م وتولى من بعده العرش ابنه نكاو الثانى ، وكانت الاحوال السياسية قد تغيرت فى شرق العراق ، فأخذت تتكون الامبراطورية الميدية تحت حكم سياكسر ــ Cyaxare ومن عاصمتهم ــ اكباتان ــ نجحوا فى هزيمة شعوب السيث وبدأ صراعهم مع آشور ، وفى عام ٦١٤ ق.م تقدم نابو لاصر البابلى نحو آشور وعندما وصل إلى هناك كانت المدينة قد سقطت فى ايدى ــ سياكسر ــ وفى عام ٦١٢ ق.م تحالف الملكان واستوليا على نينوى وبعد ذلك بثلاث سنوات ساعد الجيش المصرى آخر ملوك آشور « آشور باليت » فى منقطة هاران (١٨) .

وقام ــ يويوت ــ بدراسة عهد نكاو الثانى (١٩) ، وعقب تولى نكاو نجد ان الآشوريين قد فقدو الزعامة التى دانت للفرس ولبابل اللتين اتحدتا فيما بينهما ، وقد استغل نكاو فرصة الصراع بين الفرس والبابليين والآشوريين وقام ــ اثر تولية الحكم ــ بحملة إلى سوريا مكونة من قوات مصرية ويونانية وذلك لاستعادة السيطرة من جديد على هذه البلاد .

وفى هذه الفترة كان يوشيا ملكاً على يهوذا ، وموالياً لآشور ، ولكنه كان ينشد شراً ما من وراء تحالفه مع حكام الامبراطور الآشورية ، وحاول جاهداً ان يحد من تقدم نكاو . وجاء فى الكتاب المقدس السفر الثانى للملوك ٢٣ ، ٢٩ ــ سفر التاريخ الثانى ٢٥ ، ٢٠ ــ ان الملك المصرى « ارسل اليه قائلا ما الذى حدث بينى وبينك ، ياملك يهوذا ، اننى ما جئت اليوم لأعمل ضدك ولكن ضد بيت فى حرب معى (أى آشور) لا تعارض المعبود الذى هو فى جانبى ، والا فانه سيحطمك » .

وعلى الرغم من هذا فقد هاجم يوشيا المصريين فى مجدو التى كان قد احرز فيها تحتموس الثالث — منذ حوالى تسعة قرون — النصر الكبير ، لكن هزم يوشيا وقتل وتقدم نكاو حتى نهر الفرات وبعدها بحوالى ثلاثة أشهر ليهوذا ملكاً جديداً يحمل اسم يهويقيم [٢٠]. وكان اليهود قد اختاروا عقب وفاة بوسياس ، ملكاً هو جواشاز وعزله نكاو عن العرش واخذه كاسير إلى مصر حيث توفى هناك [٢١] .

وبعد ان أخضع فلسطين وسوريا وصل إلى الفرات ، تلك المنطقة التى كانت تمثل آخر مدى لحدود ممتلكات مصر فى فترات مجدها التاريخى الغابر ، وعاد إلى مصر وأهدى الملك المصرى درعه إلى ابللون فى معبده الشهير فى — برانشيدس — بآسيا الصغرى ، اعترافاً بما يدين به للمرتزقة الآيونيين [٢٢] .

وفى عام ٦٠٧ ق.م اختفت القوة الآشورية من مسرح الاحداث ، وكان نابولاصر ملك بابل قد وصل إلى الفرات ، وفى عام ٦٠٥ ق.م تقدم نكاو من جديد حتى الفرات وتقابل البابليون والمصريون الذين كانوا يتحكمون بقوة فى قرقميش ، وكان نبوخذ نصر هو الذى يقود كل العمليات بدلا من ابيه الذى ضعف لكبر سنه ، ونجح فى الأستيلاء على قرقميش وتتبع المصريين الذين انهزموا بالقرب من حماة ، واصبحت فلسطين تحت النفوذ البابلى ولكن وفاة ابيه اضطرته إلى العودة إلى بابل ، ولم يفكر فى ان يستغل نجاحه وتفوقه على المصريين واستطاع نكاو ان يعود إلى مصر بدون مشقة ، واستغل الاضطرابات الداخلية فى بابل لكى يعد تحالفاً ويتدخل فى شئون فلسطين ضد نبوخذ نصر ، ولذلك قرر نبوخذ نصر من ناحيته ان ينتهى من كل هذا وفى عام ٦١٠ ق.م تقدم ضد الملك المصرى،ولكن المعركة بين الملكين لم تنته بنصر حاسم لصالح أى من الطرفين بعد ان فقد نبوخذ نصر الكثير من رجاله فى محاولة الهجوم على مصر ، ولم يخرج الملك المصرى من حدوده بعد ذلك وعاد نبوخذ نصر إلى بلاده ولم يستطع ان يشن اى هجوم مباشر ضد مصر ، واذا كان الخطر قد ابعد فان مصر قد فقدت نهائيا كل نفوذ لها فى آسيا واستولى البابليون على فلسطين مرة أخرى وقضوا بسهولة على التحالف الذى كونه الملك المصرى [٢٣] .

ويصف جريمى هزيمة المصريين الأولى فى قرقميش بنوع من السخرية

بالنسبة لجيشها والمرتزقة اليونانيين (Jeremie:XI,VI) . واستولى نبوخذ نصر على كل ما كان يخص ملك مصر (سفر الملوك الثانى ، ٢٤ ، ٢٧) وعادت القدس من جديد إلى نبوخذ نصر ، وبين عام ٥٩٨ ، ٥٩٦ ق.م اصطحب الرؤساء اليهود إلى الأسر فى بابل .

لم يعد هناك ما يزعج الملك المصرى بعد ذلك ، وتفرغ نكاو فى الفترة الباقية من حكمه إلى العمل على ازدهار ورخاء البلاد وتنمية اقتصادها ــ خاصة بعد ان تجمدت السياسة العسكرية فى تلك الفترة . فقد حاول تنفيذ مشروع يربط بين البحر الأحمر والنيل ، وذلك بحفر قناة تبدأ من مكان على مقربة من الزقازيق الحالية حتى تصل البحيرات فى نقطة قريبة من مكان مدينة الأسماعيلية الحالية . مع اختلاف بسيط .

وقام بوزنر بدراسة موضوع حفر القناة ، وذكر انه فى بداية الأمر كان خليج السويس ممتداً حتى منطقة الأسماعيلية حيث كان يوجد فرع للنيل الذى يأتى من الدلتا ويجرى يمينا نحو الشرق ، لكن المياه تراجعت وتركت آثار سيرها على الأرض ممثلة فى وادى الطميلات ، وبحيرة التمساح والبحيرات المرة كانت من الآثار الأخيرة الباقية (٢٤) .

وكل هذه الآثار اوحت للأنسان بخط سير القناة التى سوف يقوم بحفرها ، وكان لصالح المصريين ان يربطوا بين النيل وخليج السويس لأن عدم وجود هذا الاتصال يضطرهم إلى عبور الصحراء الغربية للوصول إلى البحر الأحمر ، ويضطرون ايضا إلى حمل المواد من الوادى حتى شواطئه لبناء السفن التى تذهب إلى بلاد بونت وإلى محاجر سيناء على أنهم لم يهتموا كثيراً بربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، لأنهم كانوا يرغبون فقط فى ان يبحروا باسطولهم من النيل إلى البحر الأحمر بسهولة مثلما يحدث فى البحر المتوسط .

ولكن تحقيق مثل هذا المشروع كان يتطلب استعدادات كبيرة . ويذكر هيرودوت ان حوالى ١٢٠ ألف مصرى قد هلكوا اثناء محاولة حفر هذه القناة ، إلى جانب هذه الصعوبة كان هناك عامل الخوف من ان تغرق مصر كلها بالمياه لأن

المصريين كانوا يعتقدون ان منسوب مياه البحر الأحمر اكثر ارتفاعاً من منسوب من نهر النيل والبحر المتوسط .

وكان أول من فكر فى هذا المشروع من قبل هو الملك سنوسرت الأول [٢٥] ، ولكن نكاو أول من شرع فى تنفيذه وطبقاً لاقوال هيرودوت فان عبور القناة كان يستغرق اربعة أيام ، لكن القناة ردمت بواسطة عواصف الرمال ، ولم تستخدم اثناء غزو الفرس لمصر ، وتوقف العمل قبل انجازه لأن النبوءة أفادة الملك بان فى اتمام هذا المشروع مصلحة للبرابرة ، ولذا فقد عدل عن تنفيذه وسوف نرى فيما بعد ان الملك دارا هو الذى قام بتنفيذ هذا الممر المائى [٢٦] .

أرسل نكاو بعثة للأكتشافات البحرية حول الشواطئ الافريقية — وربما — ايضا بغرض التجارة ، وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة اعوام ، فقد رحلت المراكب من ميناء على البحر الأحمر ، وعادت عن طريق مضيق جبل طارق بعد ان قطعت رحلتها اكثر من ١٣ الف كم . ويبدو ان هذا المشروع قد نفذ بمساعدة بعض البحارة الفينيقيين [٢٧] .

ولم يحاول نكاو تجديد السياسة المصرية التقليدية تجاه آسيا مرة أخرى ، لأنه رأى ان الظروف قد تغيرت ، وان مصر لم تعد لها القوة المطلوبة لتدعيم مركزها وتجعلها قادرة على التعرض لامبراطوريات آسيا ذات القوة العسكرية الضخمة ، ومن المعتقد ايضا ان نكاو ربما قد حول انظاره عن الصراع ضد بابل على الأقل من ناحية البر — لأنه اراد تكوين اسطول بحرى قوى بمساعدة الاغريق حتى يتمكن من العودة إلى القتال ولكن عن طريق البحر ، وربما كان يريد التريث قليلا حتى يستطيع ان يثرى عن طريق ممارسته للتجارة ومن ثم يستطيع ان يجند قوات أخرى .

وقد حافظ على علاقاته مع اليونانيين وأصبح ضمن قواته إلى جانب المرتزقة الكوشيين والليبيين ، يونانيين من آسيا الصغرى . لكن القدر لم يمهله حتى يكمل تنفيذ مشروعاته العديدة . عثر على آثار باسمه فى محاجر طرة وتل بسطة ودفنه وتل الفراعين [٢٨] . وقام بتخصيص عدة آثار للمعبودة نيت .[٢٩] .

حور منخ ايب ــ نفر ايب رع ــ بسماتيك الثانى (٥٩٤ ــ ٥٨٨ ق.م.) :

ففى عام ٥٩٤ ق.م ترك نكاو العرش لابنه بسماتيك الثانى ، ولا نعلم عن حكمه إلا القليل ، فهو لم يحكم سوى ست سنوات [٣٠] ، واتخذ لقب « فرعون » امام اسمه [٣١] .

وفى البداية كانت بلاد كوش تتبع سياسة اكثر حذار ولكن فى عام ٥٦٤ ق.م اخذت تعد العدة من جديد للهجوم على مصر ، وأحس بسماتيك بذلك الخطر وارسل جيشه الذى كان يشمل كاريين ودورنيين وفينيقيين ، عبروا مناطق النوبة العليا والشلال الثانى ووصلوا إلى نباتا وربما تتبعوا العدو حتى الشلال الرابع وكانت هذه الحملة بقيادة « بوتا سيمتو » [٣٢] . الذى كان يقود أولئك « الذين يتحدثون لغة اجنبية » وكان يقود القوات المصرية امازيس ، وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين عثر عليهما فى تانيس وفى الكرنك . [٣٣]

وعند عودة هؤلاء المرتزقة نقشوا على ركبة أحد تماثيل رمسيس الثانى فى أبى سمبل النقوش اليونانية الشهيرة لبوتاسيمتو ، ويبدو ان بعض المرتزقة الذين اشتركوا فى هذه الغزوة كانوا يهوداً من الذين اقاموا فى مصر منذ مدة طويلة [٣٤] .

وبعد هذه الحملة قام نكاو بمحو كل اسماء ملوك نباتا مثل بعنخى وطهرقا من على كل الآثار .

ويذكر ــ يويوت ــ انه قام بحملة فى آسيا فى العام السادس من حكمه[٣٥] . وكان يعلم انه لا يستطيع الصمود ضد الأمبراطورية البابلية وكان يرى ان قوة الميديين آخذه فى النمو ولهذا اتبع سياسة اكثر حرصاً مع ذوى النفوذ فى سوريا وفى آسيا [٣٦] .

عثر على آثار له فى هليوبولس وتل بسطة واسوان [٣٧] . كما قام بعمل ترميمات فى معبد المعبود نيت ومعبد أوزير فى سايس ومن عصر هذا الملك نعرف شخصية بادى نيت الرئيس الأكبر لاستقبال الأميرة عنخ نس نفر ايب رع وصاحب المقبرة رقم ١٩٧ بالبر الغربى [٣٨] .

حور واح رع ــ واح ايب رع (ابريس) (٥٨٨ ــ ٥٦٨ ق.م) :

بعد فترة حكم قصيرة تولى من بعد بسماتيك الثانى ابنه ــ ابريس ــ الذى خلفه عام ٥٨٨ ق.م واتخذ هو ايضا لقب « فرعون» امام اسمه [٣٩] .

وقد جاء ذكر اسمه فى الكتاب المقدس (هوفرا Hophra) وقد اسماه الأغريق ابريس . لم يكن ابريس حكيماً واعياً ، فقبل ان يحكم هو بعشرة اعوام كان نبوخذ نصر قد حاصر القدس واستولى على المدينة واصطحب معه الملك الصغير « يواقيم » إلى بابل وعين مكانه عمه الذى كان يسمى سد سياس .

وقام هذا الأخير بلا وعى أو روية بلأصطدام ببابل فى السنة نفسها التى ارتقى فيها ابريس العرش ، وذهبت محاولات « جريمى » هباء منثوراً ، عندما اراد ان يمنع هذا التصرف الخاطئ ولم يتوقف نبوخذنصر للأستيلاء على صور وصيدا ، اللتين كانتا ضده وطلبتا المساعدة من الملك المصرى ، عن طريق البحر وذلك بفضل الأسطول الذى شيده نكاو من قبل ، بل اتجه نبوخذنصر مباشرة إلى مملكة يهوذا وحاصرا القدس وصمدت مدينة لاكيش وطلبت العون من مصر ، وبالفعل دعا سد سياس ــ ابريس ــ لكى يرسل جيشه فى سوريا ضد نبوخذنصر ، وحاول ابريس ان يساند أهل يهوذا فقام بارسال جيش يشمل قوات مرتزقة يونان ، ولكن الجيش البابلى كان يفوق فى العدد الجنود المصريين ، ودخل الملك المصرى فى صراع ضد الفينيقيين [٤٠] .

وقام بمحاصرة صور ولكن لم يحرز اى تقدم وانسحب الجيش المصرى امام البابليين ، وسقطت مدينة القدس وتعرضت للنهب والسلب ، وقد تنبأ جريمى بالمأساه ، فقد حوصرت القدس مرة أخرى واعدمت العائلة الملكية [٤١] . تحت سمع وبصر سد سياس ، ثم فقئت اعينهم بعد ذلك ، ثم حدث بعدها عملية اضطهاد اليهود فى بابل ونفيهم [٤٢] .

وعهد نبوخذنصر إلى جودلياس بالحكم فى القدس لكنه قتل بعد عام ، واصطحب القتلة جريمى على الرغم منه إلى مصر ومعه اثنان أو ثلاثة من بيت يهوذا الملكى والعديد من النبلاء . واحتموا مع القوات اليونانية فى حصن دفنه الذى اسمته التوراه « تاشبانس » ، وتنبأ جريمى بموت ابريس . وفى هذه الفترة استقرت الجاليات

اليهودية على شواطئ النيل بعد ان فرت من امام الغزاه ومن بينها جالية استقرت فى الفنتين ، واصبحت معروفة بفضل مجموعة من البرديات كتبت بالآرامية (٤٣) .

وصمدت مدينة صور التى كان يساعدها المصريون من قبل ولم يستول نبوخذنصر عليها وخشى هذا الأخير قوة الميديين لذلك لم يحاول غزو مصر .

انشأ الأغريق مستعمرة كبيرة فى قورنية ، وكان الليبيون يخضعون فى قورنية لحكم مملكة « باتيدس » الصغيرة . وكانت هذه المملكة تقوم بسلب اراضى بعض الليبيين ، ولما لم يستطيع احد الرؤساء الليبيين « اديكران » المقاومة ، طلب العون من ابريس ، لذلك ارسل ابريس جيشاً مكوناً من قوات مصرية فقط لأنه لا يستطيع ان يجعل مرتزقة من اليونانيين يحاربون ضد ابناء جنسهم (٤٤) . لكن هذا الجيش وقع فى كمين محكم دبرته الجالية اليونانية ، ويرى بعض العلماء ان ابريس ارسل هذه القوات إلى الموت المحتم لكى يتخلص من بعض الضباط المصريين الذين كان لهم تأثير سياسى واضح . وقامت على أثر ذلك حركة تمرد بين صفوف القوات .

وارسل ابريس احد قواده ـــ امازيس ـــ لتهدئة الأمر فى ليبيا ولكى يتفاوض مع المتمردين ، وكان امازيس معروفاً بانه مرح وذكى ومحب للشراب ، وقد تخرج فى صفوف الجيش ، وكان يتمتع بشعبية كبيرة فى الجيش وعندما عرض عليه الثوار ان يجعلوا منه ملكاً ، انضم إلى جانبهم (٤٥) ، ووضع نفسه على رأس هذا التمرد ـــ ضد ابريس ـــ ولما علم ابريس بذلك ضم إلى جانبه الجنود المرتزقة من الأغريق وقام بتسليحهم ، وقادهم ضد القوات التمرده وكان معه ثلاثون ألف جندى من المرتزقة الكاريين والآيونيين ، وأسرع اتباع ابريس بالهجوم على القوات المتمرده واتباع امازيس من الأجانب ، والتقى الخصمان عند مدينة مومفيس (كوم الحصن) وانهزم ابريس ، وقد عثر فى القاهرة على لوحة من الجرانيت الوردى تقص علينا انتصار امازيس واخذ ابريس اسيراً إلى مدينة سايس التى كانت مقراً له وأصبحت من الآن مقراً لأمازيس الذى شمل ابريس بالرعاية والمعاملة الطيبة فى البداية ولكنه سلمه إلى الرعاع وعامة الشعب عندما حاول الفرار ، وتوفى ابريس ودفن فى سايس داخل سور معبد المعبودة نيت (٤٦) .

اما عن آثار ابريس فقد ترك آثاراً عديدة فى سايس وعين شمس وميت رهينة منها اللوحة الشهيرة التى اقامها فى منف وهى تمثل بعض القرارات لضمان استمرار تقديم القرابين للمعبودات . واقام قصراً فى منف وكان قصره الملكى فى مدينة سايس ، ضخماً وجديراً بالمشاهدة والأعجاب ، وحكم ابريس حوالى تسعة عشر عاماً [٤٧] .

حور سمن ماعت ــ خنم ايب رع ــ اعح مس سانيت (آمازيس) (٥٦٨ ــ ٥٢٥ ق.م) :

بعد ان قضى آمازيس على القوات المرتزقة التى كانت فى خدمة ابريس ، توج ملكاً تحت اسم « أحمس » اما آمازيس فهى ــ تسمية يونانية ــ واتخذ لقب « فرعون » امام اسمه [٤٨] . وكان ابريس فى الأسر ، ونجده بعد مضى عامين ، يهرب من أسره ليقوم بمحاولة لاستعادة العرش ، لكنه هزم وقتل على ظهر السفينة التى حاول الفرار عليها . وتعد فترة حكم آمازيس الطويلة من فترات الرخاء الكبرى لمصر .

وهو على الرغم من اغتصابه للعرش ، فانه كان يتمتع بتأييد الرأى العام المناهض للأجانب ، وكان من عامة الشعب كما ذكر هيرودوت فى الفصل ١٧٥ فى الجزء الثانى من كتابه . وتحدثنا الوثائق الديموطيقية عن قوة شخصيته ، وكان آمازيس يترك أعباء الدولة من أجل ان ينادم رفاق الشراب ، ويقال ان ملك نباتا كان يتحدى الملك المصرى لشراب البحار من النبيذ .

كان حريصاً على توثيق علاقات الود مع اليونانيين [٤٩] ، فهؤلاء يكونون القاعدة الأساسية فى جيشه ، كما حدث تحت حكم الملوك السابقين . وكان يعلم انه لا يستطيع الأستغناء عن وجودهم أو أهميتهم العسكرية .

ويبدو ان نبوخذنصر قرر استئناف الصراع ضد مصر ، ودخل آمازيس معه فى معركة ، التى يبدو ان نتيجتها لم تكن حاسمة . ولكن لم يعقبها غزو لمصر . ويؤكد المؤرخون الأغريق ان آمازيس قد استولى على جزيرة قبرص ، وليس لدينا اية وثيقة مصرية تؤكد هذا الغزو . ولم يحاول شيئا ما فى سوريا وفلسطين على الرغم من ضعف

خلفاء نبوخذنصر .

واتجه آمازيس إلى الأهتمام بالوضع الداخلى ، واقام الآثار فى كل مكان من شمال الوادى وجنوبه لكنها تركزت فى سايس وفى منف ، وفى ابيدوس . وبلغت الفنون أوج مجدها فى ذلك الوقت ونستطيع ان نحكم على ذلك من خلال تأمل بعض الفنون الزخرفية التى كانت تحاكى النماذج الفنية فى العصور السابقة (٥٠) .

وتأثرت الروح الوطنية فى كبريائها بسبب وجود الأجانب ، وحدثت اضطرابات هامة من جانب الجنود المصريين ضد التجار اليونانيين المتفرقين فى الدلتا . وكان أول عمل قام به الملك لتجنب تدهور الموقف وارضاء للشعور الوطنى ان طلب من اليونانيين بان يستقروا فى اراضى محدودة لكى لا يدخلوا فى صراع مفتوح مع رعاياه من المصريين . وقد اختار لهذا المكان ــ مدينة نقراطيس (٥١) ــ احدى المناطق القديمة لاستقرار المرتزقة اليونانيين ، وسمح للتجار اليونانيين هناك ببناء مدينة خاصة لهم ، والتى اصبحت مركزاً لعلاقاتهم التجارية مع مصر . فقد كانت البضائع تأتى من البحر المتوسط إلى هذه المدينة عن طريق البحر . ومن بين أشهر سكان نقراطيس ، نذكر « دوريشا رودبيس » التى كانت من أجمل نساء عصرها ــ والتى تزوجت اثناء هذا الحكم من « شاركوس » .

وقد ارسل آمازيس الهدايا إلى بلاد اليونان وإلى كورينى ارسل تمثالا للمعبودة آثينا مغطى بالذهب مع صورة مرسومة ، وإلى ليندوس تمثالين من الحجر .

وكان آمازيس ماهراً جداً فى السياسة ، فقد قاد دفة الأمور بنوع من الحرص والذكاء الشديدين ، وذلك اثناء العواصف التى هبت على السياسة الخارجية ، فقد حافظ على علاقات الود والصداقة مع اليونانيين وحرص على المحافظة على مصالح شعبه وكان محباً لليونانين لدرجة ان هيرودوت لقبه ــ بالمحب لليونانيين ــ وعقد معاهدة مع قورنية وتزوج سيدة تنتمى إلى هذه المدينة (٥٢) . وشجع آمازيس اقامة الناس فى الواحات وتعميرها ، وبدأ فى تشييد معبد لآمون فى الخارجه (٥٣) . والذى اتمه دارا بعد ذلك .

وبدأت تظهر فى ذلك الوقت قوة جديدة فى الشرق ، وعما قريب سوف يجد المصريون واليونانيين انفسهم مضطرين للدفاع عن وجودهم . ففى نهاية حكم آمازيس ، نجد ان الفرس الذين لم يتوقفوا فى توسعاتهم عند حد معين ، بدأوا يهددون كل الشرق القديم ، ولتجنب الخطر الفارسى المرتقب اضطر آمازيس إلى التحالف مع كريزيس ملك ليديا ومع اسبرطه وايضا مع برقة وبوليكرات من سموس ، وبابل .

فقد تولى عرش مملكة فارس ــ قورش الثانى فى عام ٥٥٨ ق.م ــ وبعد مرور خمسة اعوام ثار ضد الملك « استياج » ملك الميديين وهزمه فى عام ٥٥٠ واستولى على عاصمته اكباتان ، فقد كان قورش محارباً عظيماً ، وفى عام ٥٤٦ ق.م هاجم كرويسوس ملك ليديا الذى كان متحالفاً مع آمازيس ، وسار تجاه ليديا وغزا آسيا الصغرى بعد معركة ــ بتريا Pteria ــ واستولى على عاصمة ملك الليديين ــ سارد ــ ومن عام ٥٤٥ إلى ٥٣٩ ق.م غزا عدة بلاد وبعد ذلك اتجه إلى بابل وبعد معركة فى « اوفيس ــ Opis » فى شمال بغداد وصل قورش إلى بابل واستولى عليها بسهولة على الرغم من اسوارها الثلاثة التى كانت تحيط بها ويقال انه هو الذى حرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى القدس وتشييد المعبد (٥٤) .

لم يكن لدى الملك المصرى الوقت الكافى لكى يساعد حلفاءه ، وأحس هو نفسه بالخطر ، وبدأ الفرس يتجهون بانظارهم نحو مصر ، ومن المحتمل ان الذى انقذ مصر من الخطر هو وفاة قورش فى عام ٥٢٨ ق.م على حين كان يحارب ضد قبائل التوارنيين ــ Touraniens .

وطبقاً لأقوال هيرودوت فان البلاد كانت آمنه والأوضاع الداخلية مستقرة تحت حكم امازيس على الرغم من انه كان أول من فرض اقرار ضريبة الدخل .(٥٥) .

وتوفى فى عام ٥٢٥ ق.م بعد ان حمل التاج حوالى اربعة واربعين عاماً . وكان الشعور العام السائد هو ان الفرس سوف يجتاحون عن قريب الدلتا من الشرق . وبالفعل بعد وفاته بستة اشهر غزا ــ قمبيز ــ مصر .

عنخ كا ان رع ــ بسماتيك الثالث (٥٢٦ ــ ٥٢٥ ق.م) :

خاف والده آمازيس ، الذى توج على العرش فى القوت المناسب لكى يحاول ان يوقف

الغزو المرتقب الذى لا يمكن تجنبه بقيادة قمبيز خليفة قورش . وقد ترك آمازيس لولده بسماتيك الثالث بلداً يفيض بالرخاء والخير ، لكن المخاطر كانت تلوح فى الأفق ، فبعد قليل من توليه العرش ، هاجمه قمبيز وقد خانه « فانس » وهو أحد رؤساء المرتزقة اليونانيين وهزم الجيش المصرى فى بلوزيوم (تل الفرما) وسقطت منف [٥٦] ، بعد ان قاوم المصريون بقوة . وكانت هذه الهزيمة كفيلة بتقرير مصير مصر ، وترك بعض اليونانيين خدمة الملك المصرى وانضموا إلى معسكر قمبيز ، وعزل بسماتيك الثالث عن العرش وحكم عليه بالموت ، وتوج قمبيز ملكاً على مصر . وخضع له الليبيون وأهل برقة واصبحت مصر مقاطعة فارسية . وهكذا خضعت مصر للفرس كما خضعت غيرها من امم الشرق القديم .

وهكذا تنتهى الأسرة السادسة والعشرون بالهزيمة فى بلوزيوم ، تلك الأسرة التى نجحت فى جعل مصر دولة موحدة تتمتع بنوع من الرخاء فى الداخل . ونجد ان ملوك الأسرة نجحوا ايضا فى السيطرة التامة على معظم اقاليم البلاد وذلك بحسن تصرفاتهم وذكائهم فى توزيع موظفى الدولة ، واستفادت مصر من هذا الرخاء الذى تجدد وانعكس ذلك على الفن فى شتى صوره .

وأصبحت هناك نهضة فنية حقيقية . والأعمال التى حققها ملوك هذه الأسرة فى معبد سايس تستحق ان نتحدث عنها قليلا .

فنعلم انه خلال الأسرة السادسة والعشرين اصبحت مدينة سايس العاصمة ، والمكان المفضل لهؤلاء الملوك الذين زينوها بآثار جميلة ونعلم ان معابدها وخاصة معبد المعبودة نيت كان موضع اهتمام ملحوظ سواء بالترميم ام بالأضافة كما يتضح ذلك من الكتل التى عثر عليها هناك فقد خصص الملك بسماتيك الأول ارضاً فى صالح معبد المعبود نيت ، وهناك بعض الآثار من عصر نكاو الثانى ، ومن عصر بسماتيك الثانى لدينا قاعدة تمثال أبى الهول . ونعلم ايضا من نقوش التمثال رقم ٦٥٨ بالمتحف المصرى ان هذا الملك اكمل اعمال اسلافه واقام مقاصير جديدة للمعبودة نيت منها مسلات صغيرة ورمم القارب المقدس الخاص بالمعبودات . اما عن الملك ابريس فقد خصص بعض الأعمدة فى معبد نيت وشيد المسلات وأيضا ناووس

لتمثال المعبودة . لكن الملك آمازيس كان اكثر الملوك نشاطاً ، فهل اراد ان يخص سايس بذلك النشاط لكى يستميل اليه حب الشعب ويجعلهم ينسون ابريس ؟ فطبقاً لهيرودوت اقام آمازيس للمعبودة نيت البوابات الضخمة ورواقاً رائعاً لنيت (آثينا) وتماثيل ضخمة ، واستعان لذلك باحجار من الجرانيت من الفنتين . وأمر بان تحفر بحيرة مقدسة ، وهى البحيرة التى كانت تقع فى داخل الحائط الخارجى للمعبد .

ويمكن اضافة ان بعض ملوك سايس كانوا يدفنون فى داخل الحائط الخارجى للمعبد مثل بسماتيك الأول ، ونكاو الثانى ، وآمازيس [٥٧] .

وبفضل وجود الجنود المرتزقة والتجار الأغريق خلال الأسرة السادسة والعشرين الذين كانوا يأتون إلى مصر والذين كثر توافدهم عليها فى هذه الفترة لاستيطانها ، أن روج هؤلاء لحضارتها عند عودتهم إلى بلادهم . ولهذا السبب ففى اعقاب نهاية الأسرة السادسة والعشرين زار مصر كثير من الرحالة والفلاسفة اليونان الذين سمعوا عنها وعن حضارتها من بنى جنسهم ، وكانت آثار ملوك الأسرة السادسة والعشرين لازالت قائمة ومحتفظة برونقها وجمالها ، وكانت اعمال هؤلاء الملوك لازالت عالقة فى الأذهان ، ولهذا حضروا وشاهدوا وتعلموا وكتبوا . ويعد ما كتبوه من مشاهداتهم مصدرا هاماً لدراسة تاريخ وحضارة مصر القديمة .

الفصل التاسع عشر

من الأسرة السابعة والعشرين إلى نهاية الأسرة التاسعة والعشرين

الأسرة السابعة والعشرون (٥٢٥ ــ ٤٠٥ ق.م.)

مسوت رع ــ قمبيز (كمبيث) (٥٢٥ ــ ٥٢٢ ق.م.) :

هزم الجيش المصرى فى بلوزيوم ، وتقدم الفرس بعد ذلك وكانوا يستخدمون جنوداً مرتزقة من اليونان كالمصريين تماما ، وقد مهد القائد البحرى وقائد الأسطول « وجا حر رسنت » السبيل للفرس للاستيلاء على مدينة سايس [١] ، ثم حوصرت هليوبوليس حتى استسلمت وفر بسماتيك الثالث ليعتصم فى منف ، وظهر ضعف الجيش المصرى ولم يستطع الدفاع عن المدينة ، واستولى عليها قمبيز ، وذكر هيرودوت انه عامل بسماتيك الثالث معاملة طيبة فى أول الأمر وابقاه على رأس الحكومة ، ولكن سرعان ما حاول الملك المصرى القيام بتمرد ضد الغزاة ولكن الثورة فشلت وأرغم على الانتحار أو توفى [٢] .

ويبدأ مانيتون تاريخ هذه الأسرة بعام ٥٢٥ ق.م. ، أى فى اللحظة التى توج فيها قمبيز ــ ملك الفرس ــ ملكاً على مصر ، وتكونت الأسرة السابعة والعشرون من ملوك الفرس ، واثناء هذه الفترة ، كان المصريون يتمتعون برخاء عظيم ، بعد فترة النهضة التى عاصروها خلال الأسرة السابقة ، وكانوا واثقين من تفوقهم فى جميع المجالات حتى أنهم اصيبوا بدهشة واختلط عليهم الأمر عندما غزاهم الفرس [٣] .

وقد رفضوا ان يعدوا أنفسهم تحت سيطرة ملك أجنبى ، ولكنهم أعلنوا ان قمبيز ملك من اختيارهم وهو بذلك الملك الشرعى . وقد تمسكوا بان يتوجوه ملكاً للوجهين القبلى والبحرى ، بالاسم الحورى ، والنبتى أى المنتمى إلى المعبودتين (نخبت وواجيت) وابنا لرع . وانعموا عليه بكل الألقاب الأخرى المتوارثة والخاصة بالملوك المصريين . ومنحوه أيضا اسماً مصرياً ــ مسوت رع ــ وحرصوا على ان يصوروه وهو يتعبد إلى المعبودات المصرية الرئيسية [٤] .

وتأثر قمبيز كثيراً بثراء وثقافة هذا البلد العريق ، وشعر بنوع من الفخر وهو يرى نفسه متوجاً كملك على الطريقة المصرية . ونرى فى هذا ان ــ صيت مصر الذى كان معروفاً فى كافة انحاء العالم القديم كمهد للحضارة ــ قد عاش على الرغم من كل الكوارث التى حلت بها .

وكان قمبيز ابعد ما يكون عن ان يفكر فى نهب البلاد ، فبعد ان تحقق له غزو مصر حاول الحد من أساليب السلب والنهب التى اتبعها الجيش الفارسى والتى قاست منها البلاد . ومن المؤكد ان استيلاء الفرس على البلاد لم يمر هكذا بسلام اذ ان نار الحمية الوطنية المغلوبة على أمرها لم تخب تماما تحت الرماد ، فقد قامت الثورات فى بعض الانحاء وتؤكد ذلك الوثائق المحلية والمعابد التى أقام فيها الأجانب . وقد شاهد استرابون أيضا كثيراً من الآثار ــ فى عين شمس خاصة ــ التى تدل على حرائق الفرس فى المقاصير .

وتؤكد البرديات الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين هذه المعلومات [٥] ، وهكذا أصبح التاج المصرى من الآن جزءاً من العائلة المالكة فى فارس ، وأصبحت مصر جزءاً من الأمبراطورية الفارسية وأصبحت العاصمة منف بعد ان كانت مدينة سايس .

رغب قمبيز فى اخضاع كل العالم القديم مثل اليونان وقرطاجة وأراد ان يستولى على الواحات ، وواصل طريقه حتى طيبة ، وأرسل حملة هامة إلى الصحراء الغربية لكى تحتل الواحات ولكى تحطم معبد آمون فى واحة سيوه [٦] .

وذلك لأن شعوب العالم القديم كانت تؤمن فى هذه الفترة ايمانا شديدا بنبوءات الوحى التى تأتى من بعض المعابد الكبرى ، ومن بينها نبوءة معبد آمون فى سيوة ، الذى كان يأتى إليه بعض الزوار من بلاد اليونان . فلما سألوا كهنة آمون فى سيوة عن قمبيز وغزو الفرس لمصر ، فجاء الجواب بان الفرس سوف يرحلون وان قمبيز سيلاقى سوء المصير ، ولهذا السبب أرسل قمبيز جيشه للانتقام من كهنة هذا المعبد ولهدمه ، ولكن هذا الجيش بأكمله هلك فى الصحراء ولم يصل جندى واحد منه إلى سيوة ، وما زال هذا الجيش مطمورا تحت رمال الصحراء الغربية حتى الآن . ويؤكد لنا هيرودوت

الذى زار مصر بعد خمسة وسبعين عاماً تقريبا من هذا الحدث ، ان كهنة آمون فى سيوة ذكروا ان آمون أرسل عليهم لعنته وغضبه وانتقامه فقامت زوبعة رملية شديدة ردمتهم جميعاً [٧] .

ويمكن القول بان هذه الحملة تعرضت لكثير من المصاعب بسبب قسوة الصحراء فيما بين الواحة الخارجة وسيوة ، وعاد القليل من رجالها .

وفى ذلك الحين قاد قمبيز بنفسه الجيش ، وصعد النيل بغرض ضم مملكة نباتا الكبيرة التى خرج منها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، وكان يطمع كذلك فى ثروتها وذهبها [٨]، لكن حلت المتاعب بهذه الحملة أيضا ـــ بسبب قلة المؤن .

وبعد ان فقد الكثير من الرجال بسبب صعوبة الطريق وقلة الزاد والظمأ اضطر إلى العدول عن مشروعه هذا ، أو انه اصيب بهزيمة كبيرة على يدى ملوك نباتا [٩]. وبعد هذه السلسلة من الحملات الفاشلة ـــ غير سياسته تجاه مصر ـــ وبدأ يفقد صوابه ، وتقص علينا الروايات التى انتشرت فيما بعد فى العصور التالية ، مدى القسوة التى عومل بها المصريون ، وينسب هيرودوت هذه القسوة ـــ إلى قمبيز نفسه ـــ ويبدو ان ذلك قد بنى على حقيقة مؤكدة ، ومن المحتمل أيضا ان الملك الفارسى كان مسئولا عن بعض هذه الأعمال المهنية ، على الرغم من ان الأمر لم يكن كذلك فى بداية حكمه .

ويقال انه اصيب بلوثة عقلية . وذلك ما يبرر إلى حد ما مثل هذه التصرفات القاسية . فقد كره المصريين فيما بعد ، واحتقر معبوداتهم الدينية ويقال أيضا انه طعن بخنجره العجل أبيس المقدس ، لكى يبين إلى أى مدى كان يكره عبادة الحيوانات ، على انه بهذا التصرف ظهر بمظهر المتعصب أكثر من ان يكون مختل العقل .

وكان يقيم فى منف والفنتين فى ذلك الحين عدد كبير من المرتزقة اليهود [١٠] . ويقص علينا ـــ وجا حر رسنت ـــ كيف كانت سياسة قمبيز معتدلة ـــ فى بداية حكمه ـــ وعمل قائد الأسطول ـــ وجا حر رسنت ـــ على اظهار عظمة مدينة سايس [١١] . وقد شكا لجلالته عن اقامة الأجانب فى معبد المعبودة نيت ، فأصدر جلالته الأوامر باخلاء المعبد منهم ، كما أمر جلالته بهدم منازل المرتزقة من جيوش الفرس ،

وتطهير المعبد ، واعادة كل موظفيه وكهنته وخدمه ، وتجديد أعياده واحتفالاته ، وزار قمبيز بنفسه مدينة سايس ودخل المعبد وأدى الطقوس للمعبودة نيت . وقدم القرابين كما كان يقدمها كل الملوك ، ويذكر بعد ذلك انه بعد وفاة قمبيز حاول خليفته ــ دارا ــ اتباع السياسة التقليدية للملوك الوطنيين ، فأعطى الأوامر بترميم المعابد المتهدمة ، وأعاد للكهنة كافة الحقوق التى كانت قد ألغيت وان تحدد القرابين المقدسة التى توقفت فى ذلك الوقت .

ووصلت أيضا إلينا بعض البرديات الديموطيقية من ــ اقليم اسيوط ــ منها ما يشير إلى انه فى السنة الثامنة من حكم قمبيز ، كانت هناك قوائم بكميات شهرية من النبيذ والزيوت مخصصة لكل من رئيس كهنة الاقليم وحاكمه [١٢] .

وانتهى الأمر ، بان كره المصريون قمبيز ، وشعروا بارتياح كبير عندما غادر البلاد وعهد بحكم مصر إلى « ارياندس » وهو أحد اقربائه الذى استقر فى منف [١٣] واثناء عودته إلى بلاد تلقى خبراً بالقرب من جبال الكرمل ، بان اخاه قد اغتصب العرش فى فارس ، ويقال انه انتحر فى هذا المكان عام ٥٢٢ ق.م.

ستوت رع ــ دارا الأول (تاروشا) (٥٢٢ ــ ٤٨٥ ق.م.) :

خلف قمبيز ولده ــ دارا الأول ــ الذى حكم مصر بدون صعوبة ، وفى بداية حكمه اضطر ارياندس إلى القضاء على ثورة فى قورنية وتوج دارا ملكا عن طريق التفويض وعند مجيئة إلى مصر ، استقبل بحفاوة كبيرة . فوصل إلى منف واستطاع ان يستميل الشعب إليه. ودعا إلى ضرورة اعادة تنظيم البلاد من الناحيتين الادارية والقانونية . وقد حاول ايضا ان يظهر تقديره للديانة المحلية فأمر بدفن ــ العجل أبيس ــ على الطريقة التى كان يتبعها ملوك مصر ، واتخذ لقب « فرعون » أمام اسمه [١٤] .

وكان أول أهدافه فى مجال السياسة الداخلية هو العمل على ــ اعادة حفر القناة بين البحر الأحمر والنيل ــ وكان من دوافع هذا المشروع ، تيسير وصول سفن الجزية إلى فارس . ومساهمة تلك القناة فى تنشيط التجارة البحرية مع بلاد الشرق

القديم . ذلك المشروع الذى بدأه نكاو لتنظيم الاستغلال الاقتصادى لموارد البلاد . وحاول ابراز أهمية النيل التجارية . وفى الواقع ان دارا كان أكثر من ملوك مصر حاجة إلى هذا الممر المائى الذى يسمح له بالاتصال بالعاصمة التى تقع على الخليج الفارسى .

وهكذا قام دارا باعداد هذا الممر المائى فى حوالى عام ٥١٨ ق.م. كما يدل على ذلك اللوحات الخمس الكبريات التى أقامها بطول القناة تخليداً لذكرى هذا العمل [١٥] .

وتحدثنا نقوش هذه اللوحات عن كيفية شق القناة وكيف تم تنفيذها : « انا ، الفارسى من بلاد فارس ــ لقد استوليت على مصر ــ واعطيت الأمر بحفر هذه القناة من عند النهر المسمى بالنيل ، والذى يجرى فى مصر حتى البحر الذى يخرج من فارس ، وعندما انتهى من (هذا) العمل كان هناك اسطول من ثمانين (أو اثنتين وثلاثين) سفينة محملة بالجزية سارت فى النيل ، وعبرت (هذه) القناة ، واتجهت نحو البحر الأحمر لكى تصل إلى فارس » [١٦]. وطهرت هذه القناة عدة مرات ولكنها ردمت مرة أخرى ولم يتم تطهيرها ثانية إلا فى عصر البطالمة .

واثناء حكم دارا كان الرخاء والازدهار يعم البلاد عندما زارها هيرودوت وقام دارا بعدة مشروعات ، فقد حاول اتباع سياسة أكثر مرونة فى مصر ويبدو انه أراد ان يستأنس برأى وجا حر رسنت فاستدعاه إلى فارس فأشار عليه بعدة اشياء أمر بتنفيذها ، ومنها اعادة النظر فى القوانين الصارمة والغاء ما أصدره قمبيز من قوانين تقضى بمصادرة املاك أكثر معابد مصر . وامر بتقديم القرابين للمعبودات المصرية وبخاصة العجل ابيس الذى كان لعبادته فى ذلك العصر أهمية كبرى فى منف [١٧] كماأعطى الأوامر بترميم المعابد ، وسار على سنة ملوك مصر فى اقامة المعابد ، كما قام بارسال البعثات لقطع الأحجار من وادى الحمامات ، ويذكر المهندس المعمارى ــ خنوم ايب رع ــ الذى خدم تحت حكم آمازيس حتى دارا ، ان تلك الأحجار كانت مخصصة لمعابد مين ، حورس ، وايسه بمنطقة قفط ، وآمون وموت وخونسو فى طيبة [١٨] . وقام دارا باصدار أوامره لترميم دار الحياة المتهدمة فى معبد

المعبودة نيت فى سايس ــ الذى كان اشبه بمركز طبى ومدرسة للطب ــ وقد صدر هذا الأمر إلى وجا حر رسنت القائد البحرى وكان فى ذلك الوقت فى فارس فأمره دارا بالعودة إلى مصر للأشراف على انجاز هذه الأعمال [١٩] .

وكان دارا يحمل لقب « ابن نيت » معبودة سايس ، وذلك مما يدل على ان الفرس قد تلقبوا بألقاب ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وجاء هذا اللقب على لوحة « تل المسخوطة » وهى الآن بالمتحف المصرى وهى تسجل اجتماع دارا ببعض النبلاء وشق القناة بين النيل والبحر الأحمر [٢٠] . واتم معبد المعبود آمون فى الواحات [٢١] من الحجر الرملى على غرار المعابد المصرية [٢٢] ، ذلك المعبد الذى بدأ فى تشييده آمازيس وعثر على آثار أخرى لدارا فى أبى صير بالدلتا ، كما عثر على اسمه على بعض الكتل المعمارية فى الكاب [٢٣] .

وعثر له فى عام ١٩٧٢ على تمثال فى سوس بواسطة البعثة الفرنسية التى تعمل هناك ، وهو تمثال مغطى بنقوش هيروغليفية يحدثنا عن حكمه لمصر وعن شعوب الامبراطورية الفارسية [٢٤] .

وكان دارا قد اصدر أوامره لاصلاح القوانين وكتبت نسخة من هذه الاصلاحات بالديموطيقية [٢٥] . وأمر كذلك بان يستدعوا له حكماء البلاد من بين المحاربين والكهنة والكتبه، الذين اجتمعوا فى دور العبادة ، وطلب منهم ان يكتبوا التشريعات القانونية لمصر [٢٦] . وكان لدى الجالية اليهودية بردية تحمل تاريخ حياة دارا بالآرامية [٢٧] .

ومن الوثائق الهامة فى ذلك العصر بردية بالديموطيقية عثر عليها فى قرية الحيبة مركز الفشن بمحافظة بنى سويف ، تتضمن شكوى كتبت فى السنة التاسعة لحكم دارا بواسطة أحد كتبة بيت الحياة وهو « بتزيس » الذى كان يشكو من ظلم وقع عليه وعلى عائلته من كهنة آمون بالحيبة ، وعرض فيها سلالته خلال أربعة أجيال مليئة بالاغتيالات والسجن والتعذيب ، فهو يرجع الأحداث إلى أيام بسماتيك الأول ، وكان يشكو من ان اعداءه كانوا من مختلف الشخصيات ، وكانوا على صلة ببعض ذوى السلطة والنفوذ فى الدولة وكان هؤلاء يحاولون تجريد عائلة بتزيس من حقوقها [٢٨] .

وقد نما إلى علم دارا ان ارياندس ــ الذى كان حاكما على مصر ــ قد قام بصهر العملات الذهبية باسم دارا وباع سبائكها فاضطر دارا إلى عزلة ، وعين مكانة فرنداتس [٢٩] .

ويذكر ديودور انه على الرغم من المعاملة الحسنة من حكام الفرس الجدد إلا أن المصريين قد تحملوا بنوع من الصبر الملوك الفرس ، فقد لاحظوا ان ثروات البلاد تنقل إلى فارس [٣٠] ، ففى نصوص محاجر الحمامات ذكر ان الاحجار التى كانت تقطع هناك تستخدم لصالح الاحتلال الفارسى [٣١] .

وقام المصريون بثورة فى الدلتا فى حوالى عام ٤٨٦ ق.م. ، وكان سبب الثورة هو فداحة الضرائب وهناك اشارة فى بعض الخطابات إلى استيلاء الثائرين على شحنة سفينة محملة بالغلال [٣٢] . لكن دارا توفى قبل ان يستطيع القضاء على هذه الثورة ، وكان يبلغ من العمر أربعة وستين عاما ، حكم خلالها ستة وثلاثين عاماً .

اكسركسيس الأول (خشايارشا) [٣٣](٤٨٥ ــ ٤٦٤ ق.م) :

ابن دارا ، الذى جاء إلى مصر كخليفة له فى عام ٤٨٤ ق.م. ونجح فى القضاء على الثورة بسهولة ، ومن ناحية أخرى لم يستسلم المصريون لليأس . وانشغل اكسركسيس كثيراً بحملاته الشهيرة ضد اليونان ولم يول مصر الرعاية المطلوبة ، على الرغم من انه كان يستخدم فى حروبه السفن والفضة والرجال من مصر ، ويحكى ان مصر قد تعرضت طوال فترة حكمه لاضطهاد كبير . وفى عصره ثار يهود بيت المقدس ، وتحركت قوات اكسركسيس إلى فلسطين لأخماد ثورتهم . وأعيد استغلال محاجر وادى الحمامات بواسطة ايتى واهى [٣٤] ، وفى هذه الفترة أيضا قتل الحاكم ــ فراندتس ــ وعين اكسركسيس اخاه اخمينس بدلا منه [٣٥] . وقام اكسركسيس بفرض الضرائب الباهظة على مختلف الولايات التى كانت خاضعة للامبراطورية الفارسية ومن بينها مصر . ولم يعثر له على نقوش رسمية فى مصر وذكر اسمه على بعض أوان من المرمر وصف فيها بأنه « الفرعون العظيم » [٣٦] .

ارتاكسركسيس الأول (ارتاخشاشا) (٤٦٤ ــ ٤٢٤ ق.م.) :

فى عام ٤٦٤ ق.م. تولى الحكم ــ ارتاكسركسيس الأول ــ وهو الابن الثانى لاكسركسيس الأول ووجد اسمه على أربع أوان وصف عليها بلقب « الفرعون العظيم » [٣٧] ، ولم يترك إلا آثاراً قليلة تخلد سيطرته على وادى النيل ، ولا نعرف الحالة العامة التى وصلت إليها البلاد .

وفى هذه الفترة زار الكثير من الرحالة والمؤرخين الاغريق مصر ، وأقام اناروس وهو من سلالة ملوك سايس فى غرب الدلتا مملكة على الليبيين من ماريا ، وقام المصريون بثورة جديدة بقيادة اناروس وطبقا لنص من محاجر وادى الحمامات نجد ان الذى ساعد على اشعال هذه الثورة هو « اميرتى » وهو أمير من سايس أيضا [٣٨] ، وكان أميرتى حليفاً لليونانيين ، وقام اناروس باعداد المرتزقة لحمل السلاح ضد المستعمر ، واشعل اتون الثورة فى مصر كلها . واستطاع اميرتى ان يحصل على العون من أثينا فى عام ٤٦٠ ق.م. وقد استغل اليونانيون تلك الفرصة للنيل من عدوهم اللدود ، فأمدوا الثوار باسطول كبير كان متجهاً إلى قبرص [٣٩] ، ثم عدل مسيره إلى مصر ، وقضى الثوار على الحاكم اخمينس وأرسلت جثته إلى الملك ، واستولى الثوار على منف ، وهزم الفرس الذين تحصنوا فيها [٤٠] .

وقام اناروس كذلك بطرد بعض اليونانيين الموالين للفرس من منف إلى الاقليم الرابع من أقاليم الوجه البحرى ـ وحدد اقامتهم فى هذا المكان لمدة عام ونصف ، وفر القليل منهم إلى برقة واستسلم الباقون وخضعوا لأناروس ، وكان أميرتى يدير الثورة من جزيرة صغيرة وهى « اليو » فى مستنقعات الدلتا .

وهكذا نجح المصريون فى هزيمة الجيش الفارسى بفضل مساعدة اليونانيين والأسطول اليونانى . لكن هذا النصر لم يستمر طويلا ، فبعد ثمانية عشر شهراً من هذا الانتصار المحلى ، جاء حاكم جديد هو ارسامس ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقية وقوات واستأنف الفرس القتال ، ونجحوا فى هزيمة المصريين ، واخذ اناروس إلى سوس وكذلك بعض القادة اليونانيين وحكم على اناروس بالاعدام ، وهزم اسطول الامدادات اليونانى بواسطة الفينيقيين ، واضطرت العناصر الاغريقية إلى الانسحاب ، فى حين

نجد ان أميرتى قد نحج فى الاستمرار فى ثورته والبقاء فى الدلتا .

وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفرس ولكن ظلت بعض الاضطرابات موجودة فى البلاد ، فقد عين هيدارنس محافظاً لألفنتين ، ووجد ان الفرصة سانحة للثورة ، وعاونه بعض الجنود المصريين والكهنة وقاموا بهدم معبد اليهود الذين استغاثوا بحاكم يهوذا باغوسس لكنه لم يهتم بعمل أى شئ فى معبدهم ، ولم يهتم ارسامس بفعل شئ ما أيضا . وجاء بعض زعماء الجالية اليهودية ليقدموا التماساً إلى الحاكم المحلى فى طيبة فقبض عليهم والقوا فى السجن [٤١] .

دارا الثانى (انتروشا) ـــ مرى آمون رع (٤٢٤ ـــ ٤٠٤ ق.م.) :

تولى الحكم فى عام ٤٢٤ ق.م. ـــ دارا الثانى .. وتوج ملكاً على مصر ، ولم ينجح فى اعادة الهدوء النسبى إلا عندما بدأ يطبق سياسة أكثر مرونة تجاه المصريين ، وفى عام ٤١٤ ق.م. حدثت ثورة وطنية جديدة وكان يرأسها شخص يدعى اميرتى ربما كان حفيد اميرتى السابق ، لكن قوة الجيش الفارسى بدأت فى الضعف فى تلك الفترة ودخلت مرحلة أخرى من التدهور ، وبموت دارا الثانى ، تنسمت مصر الحرية وتمتعت بالاستقرار لفترة من الزمان ، فبعد عشر سنوات أى عام ٤٠٤ ق.م. نالت مصر استقلالها . وتوفى دارا الثانى بعد ان حكم أكثر من سبعة عشر عاماً [٤٢] . ويعد دارا الثانى آخر ملوك الأسرة السابعة والعشرين ، وكان عددهم يبلغ طبقاً لقائمة أوسب وافريكانوس ، ثمانية ملوك [٤٣] ، ولم نذكر منهم سوى خمسة لأننا لا نعلم شيئا عن رابع ملوك الأسرة (ارتامانوس) وأيضا عن سادسها (اكسركسيس الثانى) .

جاء ذكر اسم الملك دارا الثانى على البرديات الآرامية التى عثر عليها فى خرائب الفنتين وتذكر ان حرق المعبد اليهودى فى الفنتين حدث فى العام الرابع عشر من حكم هذا الملك [٤٤] .

وفى العهد الفارسى حفر الأشراف مقابرهم فى أسفل آبار واسعة ، وتتألف من غرف مبنية بالحجر الجيرى بسقوف مقبية . وكانت البئر تردم برمل نظيف وبجانبها بئر صغير تتصل بغرفة الدفن بدهليز صغير ، وكانت تفتح فى السقف بعد الدفن فتحات صغيرة فيملأ الرمل المدخل . ومن طراز هذه المقابر مقبرة بادى امنحتب فى طيبة ،

وتشتمل على احدى وعشرين قاعة تحت سطح الأرض [٤٥].

الأسرة الثامنة والعشرون (٤٠٤ ــ ٣٩٨ ق.م.)

آمن حر ــ آمن رود ــ مر آمون (أميرتى)

يقص علينا مانيتون ان الملك الذى توج فى ذلك الوقت كان اصلا من مدينة سايس ، ويسميه « اميرتايوس » وهو الملك الوحيد فى هذه الأسرة التى كان مقرها فى مدينة سايس [٤٦] . وكان حكمه قصيراً جدا ، وليس لدينا معلومات كافية عن هذا الملك ، فقد كان يحمل اسم جده السابق ــ اميرتى ــ الذى قاد نضال اناروس عقب القبض على هذا الأخير ، فهل كان بالفعل حفيد الثائر السابق أميرتى الذى ظهر فى عام ٤٦٠ ق.م. ، أو انه كان صهراً له ؟ ، وفى الواقع نحن لا نعرف حقيقة العلاقة بينهما [٤٧] وكل ما نعرفه ان اميرتى الثالث كان اميراً من سايس أو قد يكون من سلالة ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، وعن طريقهم أصبح له الحقوق الشرعية للحصول على السلطة والعرش . وعلى الرغم من ان آخر الولاة الفرس قد اتبع سياسة أكثر مرونة وأقل رعونة فى مصر ، إلا ان المصريين لم يجدوا غير سبيل استمرار الكفاح بديلا ، ونرى اميرتى يقوم بثورة ضد الفرس ، انفجرت فى عام ٤١٠ ق.م. ولا نعرف تفاصيل الصراع الذى قام به ضد الفرس [٤٨] .

وثارت الدلتا مرة أخرى وامتد لهيب الثورة إلى الصعيد غير انه فى عام ٤٠٤ ق.م. وبعد صراع دام ست سنوات ، نالت مصر حريتها ، واستقلالها من جديد وتوج امير سايس ملكاً على مصر كلها ، وجاء ذكر اميرتى على بعض البرديات الديموطيقية .[٤٩]

الأسرة التاسعة والعشرون (٣٩٨ ــ ٣٧٨ ق.م.)

كانت الأسرة التاسعة والعشرون اسعد حظاً من الأسرة التى سبقتها ، كانت تتضمن أربعة ملوك فقط ، وهى أصلا من مندس (تل الربع وتمى الأمديد فى الدلتا) [٥٠] .

با ان رع مرى نثرو ــ نايف عاو رود (نفريتس الأول)
(٣٩٨ ــ ٣٩٢ ق.م.) :

كان نفريتس مثل ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، فقد اعتمد على صداقة ومساعدة اليونانيين فى توطيد سلطانه . ولذلك قام فى عام ٣٩٨ ق.م. بتوقيع معاهدة أو تحالف مع اسبرطة ، وضم إلى قواته مرتزقة يونانيين كما كان يحدث من قبل ، ويقص علينا ــ ديودور الصقلى ــ ان نفريتس وضع تحت تصرف ملك اسبرطة « اجيسيلاوس » مهمات حربية تشمل مائة سفينة ، ولكن ما لبث الحظ ان تخلى عنه فى تحالفه مع اسبرطة فقد حطم الأثينيون الأسطول الأسبرطى فى عرض ــ جزيرة رودس ــ ويذكر الكاتب اليونانى اكسنوفون ان الفرس جمعوا جيشاً كبيراً لمهاجمة مصر ولكن هذا المشروع باء بالفشل . ولا نعلم بالاضافة إلى ذلك إلا الشئ القليل عن حكمه الذى استمر فترة قصيرة ، وتمتعت مصر بنوع من الرخاء ، وعاد إليها جزء من استقرارها القديم طوال مدة حكمه.
عثر على اسمه منقوشاً على بعض الآثار فى الكرنك وتمى الأمديد وتانيس [٥١] .

خنم ماعت رع ــ هكر (آخوريس) (٣٩٢ ــ ٣٨٠ ق.م.) :

حكم ــ هكر ــ اثنى عشر عاماً فقد توج على العرش عام ٣٩٢ ، وأطلق عليه الاغريق اسم آخوريس [٥٢]، وعمل على اتباع سياسة أكثر نشاطاً فى الخارج وفى آسيا ، وأدخل ضمن قواته حوالى عشرين ألفاً من المرتزقة اليونانيين لكى يدافعوا عن مصر فى حالة هجوم متوقع من جانب الفرس . وبفضل هؤلاء المرتزقة نجح فى تفادى غزو جديد لمصر .
فقد رأى آخوريس انه لا فائدة من التحالف مع اسبرطة ، وبحث عن حليف آخر هو « ايفا جوراس » ملك قبرص

ويلاحظ ان الحرب قد انهكت كلا من فارس واسبرطة وفى عام ٣٨٦ ق.م. عقدت ــ معاهدة سلام بين الطرفين ــ وبقى كل من آخوريس وايفا جوراس وحدهما . وترك احد القواد الأثنيين المشهورين ويدعى شابرياس خدمة آثينا ليعمل فى الجيش المصرى . وقام بتدريب البحارة المصريين وعمل علة استحكامات بين الفرع

البلوزى للنيل ومستنقعات سيربونيا . وظلت هذه التحصينات معروفة حتى العصر الرومانى باسم « استحكامات شابرياس » (٥٣) .

وكانت مصر أول من تعرض للهجوم الفارسى واستنجد اقليم سوبد فى شرق الدلتا بأخوريس ، واستمرت الحرب نحو ثلاث سنوات من عام ٣٨٥ إلى ٣٨٣ ق.م. وانتهت بانسحاب الغزاة (٥٤) . وفيما يتعلق بايفاجوراس فقد تلقى معونة من آخوريس وكون اسطولا من مائتى سفينة واستولى على صور وبعض المدن الأخرى ولكن قضى عليه فى النهاية .

وأحرزت البلاد فى عصره تقدماً فى الفنون وازدهرت الصناعة ، وامتلأت موائد القرابين فى المعابد ، وانصرف الناس إلى أعمالهم فى الاصلاحات فى أمن واستقرار ، وفى أثناء هذه الفترة انشغل الملك بترميم وتشييد الكثير من الآثار ونستطيع ان نشاهد آثار أعماله فى جميع انحاء البلاد (٥٥) . وعثر على نصوص تحمل اسمه فى معبد أشمون فى شمال صيدا (٥٦) . ويبدو ان آخوريس قد أهمل بعض الشئ فى الاصلاحات القانونية للبلاد لذلك عزل عن العرش أو قامت ثورة ضده . ويقال ان افلاطون قد زار مصر فى عهد هذا الملك ، ومكث فترة طويلة إلى حد ما فى الدلتا (٥٧) .

وسررع ــ ستب ان بتاح ــ باساموت (بسماتيس)
(٣٨٠ ــ ٣٧٩ ق.م.) :

لم يحكم هذا الملك سوى عام واحد فقط ، وترك بعض الآثار فى الكرنك (٥٨) ، ولا نعلم عنه أى شئ آخر سوى ان الثورات الداخلية قد انفجرت فى عهده ، ويضع بعض المؤرخين اسم بسماتيس كآخر ملوك الأسرة (٥٩) وان نفريتس الثانى قد سبقه على العرش .

نايف عاو رود ــ (نفريتس الثانى) (٣٧٩ ــ ٣٧٨ ق.م.) :

لا نعرف عنه شيئا ما سوى انه خلف بسماتيس ، ولم يمارس السلطة سوى بضعة أشهر ، ويعتقد بعض المؤرخين انه عزل عن العرش فى نفس العام تقريبا أو انه قتل بيد أمير من مندس أسس الأسرة الثلاثين (٦٠) .

الفصل العشرون

من الأسرة الثلاثين حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد

خبر كارع ــ نخت نب إف (نختنبو الأول) (٣٨٠ ــ ٣٦٣ ق.م) :

أسس ــ نختنبو الأول ــ آخر الأسرات المصرية المستقلة ، ولم يسجل مانتتون فى تاريخه لمصر سوى ثلاثين أسرة ، ولكن بعض المؤرخين امثال ــ الأفريقى ــ يذكر أسرة أخرى كان ملوكها من الفرس .

تولى نختنبو العرش وكون أسرة جديدة بعد أن قضى على نفريتس الثانى . وحكم حوالى ثمانية عشر عاماً طبقاً لمانيتون (١) . واتخذ لقب « فرعون »امام اسمه (٢) .

ويبدو انه كان ملكاً نشيطاً فى الحرب ، كما كان نشيطاً فى العمران ، وكان ينتمى إلى عائلة يرجع أصلها إلى مدينة سمندس فى وسط الدلتا وربما كان اصلا احد ابناء امراء هذه المدينة ، ويبدو انه ظفر بتأييد كهنة مدينة سايس اثناء تتويجه على العرش ، وتوجع ملكاً فى سايس فى معبد المعبودة نيت . ولأرضاء كهنة سايس ، اصدر مرسوماً على لوحة من الجرانيت الأسود معروفة باسم ــ لوحة نقراطيس (٣) ــ وصور الملك فى اعلى اللوحة فى منظرين ، فى الأول مرتديا التاج الأبيض ، ويقوم بتقديم القرابين إلى المعبودة نيت ، وفى الآخر واضعا تاج الآتف ، ويقدم الحلى إلى نفس المعبودة ــ من سايس ــ وينص مرسوم هذه اللوحة على فرص ضريبة العشر على كل المنتجات المحلية والصادرات والواردات والمواد الخام التى تصل إلى منطقة نقراطيس الجمركية لصالح معبد المعبودة نيت .

وفى الوقت الذى غزا فيه الفرس قبرص كان نختنبو قد اعتلى العرش . وبداوا يوجهون انظارهم نحو مصر ، ولذلك سوف يضطر الملك المصرى إلى مواجهة هذه المحاولة من جانب الفرس لاستعادة سيطرتهم على مصر . واستدعت آثينا قائدها شابرياس فاستغل ــ ارتاكسركسيس الثانى ــ الفرصة لمهاجمة مصر وسوريا فأعد

جيشاً قوامه مائتا ألف رجل ، يضاف اليهم عشرون ألفا من المرتزقة اليونانيين تعضدهم خمسمائه قطعة من الأسطول الحربى [٤] .

ويبدو ان نختنبو قد اتبع سياسة جديدة فى بداية حكمه وهى التخلى عن مخالفة الاغريق على عكس سياسة الملوك السابقين ، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى الأستعانة بهم لمواجهة العدو الذى بدأت قواته فى مهاجمة الدلتا . فقام نختنبو بسد مصاب النيل السبعة وشيد امام كل مصب حصناً منيعاً ، وقام بتحصين بلوزيوم وحفر الخنادق حول المدينة ، ووضع الحاميات القوية التى كانت تتخذ اماكنها فى حصون الحدود .

وكان الغزاه تحت قيادة مشتركة من قائد يونانى يدعى « ايفكراتس» وفارسى يسمى فارنا بازوس . وكان هذا الأخير حاكما على سوريا وتولى قيادة القوات الفارسية ، وقد رأى أنه من الصعب الأستيلاء على بلوزيوم نظراً لتحصيناتها القوية ولذلك اتجه إلى مصب مندس وهناك اخترق صفوف الجيش المصرى وانزل ثلاثة آلاف لمهاجمة الحصون ، ودافع المصريون بشجاعة ، ولكن فارنا بازوس استطاع الأنتصار عليهم وهدم المدينة واسر الكثير من الجنود .

وعندما رأى القائد اليونانى ايفكراتس تطور الأمور ، أمر سفن الأسطول بالتقدم فى النيل للأستيلاء على منف ولكن فارنا بازوس الفارسى رفض التقدم واستفاد المصريون من هذا التأخير ، وقاموا بتحصين منف [٥] .

وعندما تقدم الجيش الفارسى لمحاصرتها لم يستطع الأستيلاء عليها . وعاد فارنا بازوس إلى آسيا وايفكراتس إلى آثينا ، وهكذا نجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس كما حدث أيام آخوريس ، ويبدو أن فيضان النيل [٦] والتنافس بين القائدين على تولى القيادة العليا ، هو الذى عجل بانسحاب العدو ، وقد نسب نختنبو هذا الأنتصار إلى ــ المعبود سوبد ــ وشيد مقصورة هناك ونقش عليها اخبار هذا الأنتصار [٧] .

وبعد هذا الأنتصار ، تمتع نختنبو بنوع من الأستقرار وقام بعدة اصلاحات فى الداخل ، وكان مولعاً بالفن المعمارى فقام بترميم الكثير من المعابد التى تشهد لعصره بنوع من الذوق الفنى الرفيع ، وقد حدثت فى عصره ــ نهضة ذات طابع فنى رفيع فى

مجال النحت والنقش ــ نراها ممثلة فى جميع الأثار المعمارية التى تركها فى كل مكان .

ومن أهم أعمال نختنبو الأول المعمارية ، تلك الترميمات التى قام بها فى ــ ليتوبوليس ــ بمعبد المعبود حورس ، من الأسرة السادسة والعشرين ، وعثر على مقصورة له فى صفط الحنة وأخرى مخصصة للمعبودة نيت من دمنهور وأخرى من سايس ، وعثر على كتل باسمه فى بهبيت الحجر وتل المسخوطة وهليوبوليس وعثر على بعض الأثار الأخرى فى السرابيوم وسقارة . وعثر له على معبد فى ابيدوس جنوب غرب معبد أوزير وايضا مقصورة فى ابيدوس من الجرانيت وعثر على لوحة فى قفط مؤرخة من العام السادس عشر من حكمه وتمثال فى مدامود ومقصورة فى طود ، وعثر على نقوش له من العام الثالث من حكمه فى وادى الحمامات ، وشيد بوابة فى معبد آمون بالخارجه ، واقام لوحة فى الأشمونين سجل عليها أعماله فى معبد المعبود تحوت ونهمت عاوى ، وشيد فى دندرة معبداً للميلاد المقدس من أجل المعبود المحلى ، وحاول احياء أمجاد مدينة طيبة ومعابدها فأقام بعض البوابات فى معبد المعبودة ماعت وفى معبد مونتو بالكرنك ، ورمم معبد خونسو من الأسرة الثامنة عشرة وقام بترميم معبد تحوتمس الثالث . وأضاف مقصورة بنفس المعبد وشيد معبداً صغيراً بالقرب من معبد المعبودة موت ، وقد نسبت إليه بعض الأعمال فى معبد آمون رع وحوراً ختى وفى معبد أوبت ، وقام باضافة طريق الكباش على هيئة ابى الهول الرابض برأس آدمية امام معبد الأقصر حتى معبد خونسو بالكرنك ، وشيد بوابة فى الفناء الأول لمعبد مدينة هابو ، ونسب إليه ايضا ترميم قاعة صغيرة من عصر الأسرة السادسة والعشرين فى نفس المعبد[٨] .

ونلاحظ فى تلك الفترة ان العالم الأغريقى قد اعتنق فى معظمه ــ عبادة المعبود آمون ــ وبدأت تظهر المعابد المخصصة للمعبود « زيوس ــ آمون » الذى كان يسمى هكذا فيى اليونان نفسها .

ومن عصر هذا الملك يوجد فى تركيا حاليا ، مسلة من الجرانيت الأحمر قام بنقلها « انطونيو بريولى » عام ١٥٥٠ ، ومن أشهر آثاره ، تلك القاعة العرضية التى شيدها

جنوب جزيرة فيلة وخصصها للمعبودة ايسة (ايزيس) ، وهى تعد من أقدم الآثار فى هذا الموقع [٩] .

وهكذا نجح نختنبو فى كسب ود الكهنة وظل يمثل فى نظرهم الملك الوفى الورع ولكن كل هذه الأعمال كانت فوق طاقة وقدرة مصر الأقتصادية ، ازاء ما تحملته من استنزاف لخزائنها ومواردها مما أدى إلى عدم وجود الجيش القوى الذى يملك قوة الردع والصمود امام جحافل الفرس .

اير ماعت ان رع ــ جدحر ــ ستب ان انحور (تيوس) (٣٦١ــ ٣٥٩ ق.م) :

اشترك ــ تيوس (ويسمى ايضا ماخوس) مع والده نختنبو فى الحكم ، ولكنه توفى فى عام ٣٦١ ق.م ، وتولى الحكم منفرداً لمدة عامين ، واتخذ لقب « فرعون» امام اسمه [١٠] . كان يفيض حماساً وذكاء ويقظة ، فقد أقر ضرورة التحالف مع اليونانيين كما كانت هى العادة السائدة أنذاك ، والتى لا يمكن اغفالها بالنسبة للمصريين الذين لم يصبحوا بعد اقوياء بالقدر المناسب لكى يقاموا الفرس بمفردهم ، فنجد ان تيوس ، قد سعى إلى عقد معاهدات مع أثينا واسبرطة ، وبدأ فى الحصول على المال بواسطة فرض ضرائب باهظة على المواطنين واستولى على جزء من خزائن المعابد ، واضطر إلى عزل بعض الكهنة لأن مصروفات الحرب أدت إلى اغلاق بعض المعابد ، ونتج عن ذلك تكوين معارضة قوية فى داخل البلاد . وبفضل المرتزقة من أثينا واسبرطة الذين اعتمد على مساعدتهم أصبح على رأس جيش قوى قوامه ثمانون ألف جندى مصرى وعشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين ، وقوة مكونة من الف جندى من اسبرطة واسطول تبلغ قوته اكثر من مائتى سفينة [١١] .

ويذكر ديودور الصقلى ــ ان اجيسيلاوس ، ملك اسبرطة ، جاء إلى مصر على رأس الف من المحاربين ليعاون تيوس ، وجاء ومعه ــ شابرياس القائد اليونانى ــ الذى كان موجوداً فى مصر من قبل [١٢] ، وشكل تيوس قوة وطنية واسطولا منظماً وعزم على التقدم نحو سورياً ووضع على رأس المرتزقة اليونانيين اجيسيلاوس ، وقام شابرياس بقيادة الأسطول ووضع تيوس ابن اخيه ــ نخت حر حبيت ــ على رأس الجنود

الوطنيين ، وتقدم تيوس عبر برزخ السويس ، وتقدم ارتاكسركسيس الثانى لمقابلة الجيش المصرى فى فينيقيا .

وفى الواقع كانت مصر فى حقيقة الأمر غير قادرة على مثل هذا الأستنزاف الحربى ولمثل هذه التضحية لتأمين حدودها ، وقد انتهز ـــ شقيق الملك الذى كان يتولى ادارة البلاد ـــ فرصة غضب المصريين على تيوس نتيجة لفرض الضرائب الباهظة على الشعب ، واعلن الثورة وتولية ابنه نخت حر حبيت ملكاً على العرش الذى اعلن بدوره العصيان فى سوريا حيث كان على رأس الجنود الوطنيين هناك . وفر ـــ شابرياس ـــ إلى آثينا ، وعندما شعر تيوس ان مصر فى ايدى الثوار فقد صوابه ، ولجأ إلى ملك الفرس بعد ان مكث فترة فى صيدا ، وطلب العفو من ارتاكسركسيس الثانى فعفا عنه في عام ٣٥٩ ق.م [١٣] ، وعينه قائداً للجيش .

واراد ارتاكسركسيس ان يرسله إلى مصر كوال له ولكنه توفى فى الطريق ، أو فى فارس نفسها . اما عن اجيسيلاوس الذى كان هرماً وحاد الطباع ، فقد اختلف مع الملك المصرى وايد الثورة التى اندلعت فى مصر ، وأحدثت تلك الثورة انشقاقاً فى صفوف الجيش ، وهكذا تعرض تيوس للخيانة من جانب اخيه الذى تركه فى مصر . وعاد اجيسيلاوس إلى اسبرطة ولكنه توفى اثناء عودته فى عام ٣٥٨ ق.م .

وقام تيوس اثناء حكمه القصير بترميم معبد خونسو فى الكرنك بالأحجار الجيرية وعثر على اسمه فى محاجر طره وفى الجيزة والمطرية وبحيرة المنزلة وبنها ، وظهرت فى عهده أول عملة مصرية [١٤] .

سنجم ايب رع ـــ ستب ان آمن ـــ نخت حر حبيت (نختنبو الثانى) (٣٥٩ ـــ ٣٤١ ق.م) :

كان على نخت حر حبيت ان يترك الحملة فى سوريا ويعود إلى مصر ، وقد توج بالفعل ملكاً فى عام ٣٥٩ ق.م واتخذ لقب « فرعون » امام اسمه [١٥] ، وهو يعد أخر الملوك وحكم لمدة ثمانية عشر عاماً .

ولم يمض على تتويجه على العرش فترة قصيرة إلا وكان عليه ان يواجه الأضطرابات الداخلية وقامت ثورة شعبية (بدأت فيما يبدو) فى اقليم مندس ، ذلك

الأقليم الذى دفع إلى الثورة بواسطة احد افراد سلالة ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ، ونجح نختنبو الثانى فى القضاء على هذه الثورة بمساعدة المرتزقة من اسبرطة ، واذا كان المرتزقة قد نجحوا فى القضاء على الثور إلا انهم لم ينجحوا فى القضاء على سيطرة الفرس .

واذا كان تيوس قد اتبع سياسة اكثر انفصالا عن الكهنة ، فان نختنبو الثانى استطاع ود الكهنة وقام بتشييد المعابد والمقاصير ، والطابع الذى تركه على هذه الأثار يدل على الثراء والرخاء اللذين عاشت البلاد فى ظلهما .

ففى الدلتا عثر فى الأسكندرية على لوحة عليها نقوش سحرية هامة هى « لوحة مترنخ» (١٦) ، وعثر على كتل باسمه فى معبد ايزيس فى بهبيت الحجر ، وفى ضغط الحنة ، كذلك إقام ردهة كبيرة فى بوباست ، وخصص مقصورة فى مندس وسمنود وايضا مقصورة أونريس فن سمنود ونقوشاً أخرى فى تل المسخوطة وبنها ، وعدة مسلات صغيرة فى تل البقلية ولوحة فى المعصرة ، وشيد معبداً فى بلبيس واقام فى منف المسلات الصغيرة ايضاولوحة فى السرابيوم ، وقام بعدة اضافات فى معبد المعبود بتاح فى منف وعثر على مائدة قربان له فى الجيزة ، وشيد معبداً خصص للمعبود بتاح ــ سوكر ــ اوزير فى ابى صير الملق وبعض المسلات الصغيرة فى الأشمونين وكذلك مقصورة ، واقام لوحة فى جنوب ابيدوس ، وشيد معبداً فى منطقة ارمنت ، وعثر على بعض الكتل هناك ، وشيد بوابة فى معبد المعبود مين فى قفط ، وعثر نقوش له فى وادى الحمامات ، وشيد معبداً فى ام عبيده فى واحة سيوة للمعبود آمون ، واضاف ايضا بوابة فى معبد آمون بالواحات الخارجة .

واهتم الملك ايضا بمعبد الكرنك ، وشيد معبداً بالقرب من معبد المعبودة موت ، وقام بعمل مقياس للنيل بالقرب من البحيرة المقدسة فى معبد مدينة هابو وخصص مقصورة للمعبود حورس فى معبد ادفو ، وقام ببعض الأعمال فى معبد المعبود خنوم بفيلة(١٧) .

وسارت الأمور فى مجراها الطبيعى بالنسبة لمصر ، فقد كانت تدين بالولاء لماضيها العريق وتعد مصادرها الأصلية التى تعطى بسخاء لتحقيق « المثالية » فى

تاريخ حضارتها ، وشعرت من جديد بنوع من القوة والأستقلال ، لكن هذه اليقظة لم تستمر طويلا ، وادت المشكلات التى اندلعت فى القصر الملكى فى فارس فى نهاية حكم ارتاكسركسيس الثانى إلى تمتع نختنبو الثانى بنوع من الاستقرار ، لكن الفرس بدأوا يفكرون فى غزو مصر مرة أخرى عندما تولى الحكم فى فارس ـــ ارتاكسركسيس الثالث ـــ وذلك فى بداية فترة حكم نختنبو الثانى . ونجح ارتاكسركيس الثالث فى احياء سياسة الغزو مرة أخرى والقضاء على آخر ملك مصرى مستقل .

تكوين الأسرة الفارسية للمرة الثانية فى مصر ثم دخول الأسكندر (٣٤١ ـــ ٣٣٢ ق.م) :

حاول ارتاكسركسيس الثالث ـــ اوخوس غزو مصر عام ٣٥١ ق.م [١٨] واستعان نخت حر حبيت (نختنبو الثانى) بالمرتزقة اليونانيين ولم يستطيع ارتاكسركسيس الثالث ان يقضى على قوات نختنبو الثانى وذلك بفضل حسن تصرف القائدين « ديوفانتوس » من آثينا وليمياس من اسبرطة ، واستطاع نختنبو الثانى ان يصد هذا الهجوم . وبعد هذا الفشل الفارسى قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسى فى كل مكان فى فينيقيا وقبرص .

وتقدم الملك الفارسى على رأس جيش يقدر عدده بحوالى ثلاثمائة الف مقاتل وقضى على الثورة فى صيدا ، قضاء نهائياً .

وفى عام ٣٤١ ق.م بدأ يعد العدة لغزو مصر من جديد ، واخذ يهاجم عن طريق البر والبحر بمعدات هائلة بالنسبة للعصر [١٩] .

كان نختنبو الثانى لا يمتلك فى ذلك الوقت سوى مائه الف رجل ، واستعان بالمرتزقة من اسبرطة وآثينا ، ولم تكف شجاعة المرتزقة الأغريق فى الحد من تقدم الجيش الفارسى ، وكان ارتاكسركسيس الثالث قد جمع كل هذه الأعداد من المرتزقة من بلاد اليونان ، ووصلوا إلى الدلتا عند بلوزيوم (الفرما) وكان يقوم بالذود عنها فيلوفون ومعه خمسة عشر الف جندى من اليونان ، ولم يستطع ارتاكسركسيس الثالث ان يخترق استحكامات بلوزيوم [٢٠] .

حشد نختنبو الثانى حوالى عشرين الفا ومثل هذا العدد من الليبيين وستين

الفاً من المصريين لوقف تقدم الفرس فى محاولتهم غزو الدلتا ، لكن الأسطول الفارسى استطاع ان يدخل مصاب النيل ، واستسلمت المدن المصرية الواحدة بعد الأخرى ، وعندما رأى المرتزقة اليونانيون ذلك الموقف ، غيروا المعسكر وساعدوا ارتاكسركسيس الثالث الذى استولى على بلوزيوم ، تلك المدينة التى كانت تحمى شرق الدلتا ــ بوباست وبعد ذلك استسلمت له خشية ان تتعرض لمصير صيدا ، وتراجع نختنبو الثانى إلى مصر العليا ، ونجح فى ان يقاوم هناك لمدة عامين ايضا وفى السنة الثامنة عشرة من حكمه اى عام ٣٤١ ق.م توج كملك فى ادفو ، بعد ان بايعه الكهنة والأهالى .

ولكن الفرس بقواتهم الهائلة استطاعوا اخضاع مصر كلها ، ولا نعلم شيئاً ما عن نهاية نختنبو الثانى ، فقد اختفى اثره ، وأصبح بطل اسطورة يرددها الشعب ، ولم يتوج اى امير مصرى على عرش البلاد منذ هذا التاريخ .

اختلف المصريون مع اليونانيين على شروط التسليم للفرس ، وكان الغزو الفارسى الثانى أصعب بكثير من الغزو الأول ، فقد تعرضت البلاد فى هذه المرة للسلب والنهب ، وهدمت دور العبادة ، وانتهكت حرمتها ، ونهبت تماثيل معبوداتها ونقلت إلى فارس ، وطعن ارتاكسركسيس الثالث العجل ابيس المقدس وللسخرية من المصريين وضع مكانه حماراً [٢١] ، وقام بذبح كبش مندس المقدس . ونفى بعض الأمراء المصريين إلى فارس وعاد ارتاكسركسيس الثالث إلى بلاده بعد ان اسس أسرة فارسية هو وخلفاؤه « ارسس » (٣٣٨ ــ ٣٣٥ ق.م) ودارا الثالث ــ قودمان (٣٣٥ ــ ٣٢٥ ق.م) الذى يعد آخر الملوك الفرس . ويرى بعض العلماء ان هؤلاء الملوك يكونون ــ الأسرة الحادية والثلاثين .

ويبدو أن أهل البلاد قد عانوا كثيراً من الظلم تحت نير الاحتلال الفارسى من ارتاكسركسيس الثالث وخلفائه ، ولم يترك هؤلاء الملوك الفرس اثراً لنشاطهم فى مصر ، وكل ما نعرفه انهم عاملوا المصريين بنوع من القسوة ولم يتوجوا كملوك على الأطلاق ، ولم يعلن انهم من نسل المعبودات المصرية ، فهم فى واقع الأمر ليسوا غير ولاة اجانب ، ومصر لم تكن إلا مقاطعة بدون حاكم فى امبراطوريتهم . ولهذا لم يكن غريباً

الا يتقبل المصريون هذا الوضع .

المقاومة ضد الفرس :

وبدأت الثورات تتفجر فى كل مكان ، وكانت اقواها وأهمها تلك التى تزعمها امير وطنى من الدلتا ، الذى ظهر فى حوالى عام ٣٣٦ ق.م ، اعلن نفسه ملكاً وتلقب بالالقاب الملكية :
« سنن تانن ـــ ستب ان بتاح ـــ خباباشا (أو خباش) » [٢٢]واتخذ لقب « فرعون» امام اسمه [٢٣] » .

ولم ينجح فى ان يحكم البلاد حكما حقيقياً ، ولكنه نجح فى مقاومة الفرس لبعضة اعوام واضطر إلى الأحتماء فى احراش الدلتا [٢٤] . وعثر على اسمه بالديموطيقية فى بقايا قصر ابريس فى منف [٢٥] ، وعلى بردية ليبى libby وعلى تابوت احد العجول المقدسة فى السرابيوم المؤرخ بالعام الثانى من حكمه وعلى جعران [٢٦] ، واخيراً على لوحة من عصر بطلميوس الأول (معروفة باسم لوحة الأسكندر الثانى أو الستراب ، [٢٧]ونقش هذه اللوحة عبارة عن مرسوم اصدره بطلميوس الأول ـــ حاكم مصر فى عهد الأسكندر الثانى ـــ ولم تطأ قدم هذا الأخير أرض الكنانة . وهى تسجل احقية ـــ كهنة معبد مدينة بوتو ـــ فى اعادة ضيعة كانت ملكاً لمعبودات بوتو بعد ان اغتصبها الفرس منهم .

وتقص نقوش اللوحة ان خباباشا قام بزيارة لموقع الدلتا ووصل إلى بوتو وشكا له كهنة بوتو من ان اكسركسيس قدا اغتصب ضيعة تخص معبودات بوتو ، ووصف اكسركيس على هذه اللوحة بأنه عدو شرير[٢٨] واستجاب خباباشا لمطالب الكهنة ، وفى عهد الملك بطلميوس الأول طلب كهنة ـــ المعبودة واجيت ـــ عودة ملكية هذه الأراضى إليهم مرة ثانية ، فاعادها بطلميوس إليهم وسجل ذلك على تلك اللوحة التى تعد بمثابة مرسوم دورى لما فعله من مآثر لمعبودات مصر وشعبها ، وانه عامل المصريين معاملة افضل من معاملة الفرس ، وذكر انه اعاد تماثيل المعبودات التى كانت قد نزعت من اماكنها ، وحملت إلى آسيا فى عهد الفرس هذا بالأضافة إلى قيامه بتكملة المعابد المصرية وتزويدها بما يلزم لطقوس العبادة وتقديم القرابين .

ولم ينجح خباباشا فى تحرير مصر من قبضة المستعمر ، ويبدو ان دارا الثالث ــ قودمان حاول اعادة غزو مصر ، وعمل خباباشا على حماية الدلتا ، ولكنه لم يتمكن من قهر اسطولهم وتوج دارا الثالث ــ قودمان ملكاً على مصر عام ٣٣٤ ق.م[٢٩] .

ومن ابرز العائلات التى عاصرت هذه الفترة المضطربة عائلة « بيتوزيريس » التى اقامت فى هرموبوليس عام ٣٣٦ ق.م . ويذكر بيتوزيريس على جدران مقبرته فى منطقة تونا الجبل انه أمضى سبع سنوات مشرفاً على اعمال المعبود تحوت . وكان هناك ملك أجنبى يحكم مصر ويشير إلى حدوث معارك فى مصر الوسطى وفى الجنوب وثورات فى الشمال وكيف عانى الناس فى حالة من القلق والأضطراب العام ، وانه قام بكل الأعمال الجليلة فى معبد تحوت ، وكان المعبد قد أهمل منذ مجئ الأجانب وغزوهم لمصر [٣٠] .

ونعرف من مصدر آخر وهو ماذكره ديودور الصقلى بان المصريين كانوا دائمى الثورة اثناء الاحتلال الفارسى الثانى لمصر[٣١] .

منذ عام ٣٣٨ ق.م ظهرت مقدونيا ، كقوة تسيطر على العالم القديم فاندفع ــ فيليب الثانى ليكون حليفاً مع اليونان ، وجاء من بعده ولده الأسكندر الأكبر ــ الذى ظهر فى ذلك الوقت كمحرر لمصر ، فقد نشأ منذ حداثة سنه كأبن روحى لزيوس ــ آمون لأن امه « اوليمبياس » كانت من عبدة هذا المعبود وقام بغزو بلاد الشرق ، وسار فى حملاته الموفقة على آسيا وكان من بين قواته طبيب ومقاتل مصرى من مدينة اهناسيا يدعى « سماتاوى تف نخت[٣٢] » الذى استعان به لكى ينقذ مصر [٣٣] ، وهزم الأسكندر دارا الثالث ــ قودمان فى معركة اسوس شمال الأسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق.م . وفر دارا الثالث ، فعمت البهجة البلاد ، وبعد هذا الأنتصار أصبحت أبواب مصر مفتوحة امامه باعتباره منقذها المرتقب من جبروت الفرس ، واتجهت النية إلى ان يعترف به كأبن لآمون ، ويتوج كمالك شرعى لمصر لكى يقوم بطرد الجنود والموظفين الفرس الذين قاموا باعمال غير مشروعة ضد المصريين ومقدساتهم ، وكان يهدف ايضا إلى ربط مصر بمقدونيا ، واليونان ، وآسيا الصغرى ، وسوريا بامبراطورية كبيرة تطل على

البحر المتوسط ، وبغرض عرض الحصار على العرش فى الأراضى الواقعة شرق الفرات ودجلة ، كما كان يرمى إلى استغلال الموارد الأقتصادية لهذه الأمبراطورية وموانيها البحرية فى صراعه مع الفرس ، فأستولى على صور وغزه . وفى خريف عام ٣٣٢ ق.م سار نحو مصر التى سارع آخر موظفى الفرس بالرحيل عنها ، واستقبلته البلاد كمحرر لها واستسلم الحاكم الفارسى « ساباسس »(٣٤) .

وكان اليونانيون منذ زمن بعيد حلفاء للمصريين ، ولكن هذه المرة اغفل المصريون ان هؤلاء الأغريق قد جاءوا مستعمرين وليسوا مأجورين وكسادة وليسوا مرتزقة .


وفى منف استقبل الأسكندر بحماس منقطع النظير من جموع المصريين ، وقد بدأ بالذهاب لتقديم القرابين للعجل ابيس المقدس ، ونحر الأضحيات إلى معبودات منف ، مما أدى إلى حب المصريين واليونانيين له . وهذه ما يضيف إلى مجده الشئ الكثير فى نظر « اكثر الشعوب ديانة » على حد قول هيرودوت (٣٥) ، ثم توج بعد ذلك ملكاً فى معبد المعبود بتاح تحت اسم :

ستب ان رع ــ مرى آمون ــ ارسكندرس (الأسكندر) (٣٦) :

وفى بداية عام ٣٣١ ق.م ذهب إلى معبد واحة سيوة فى الصحراء الغربية ، حيث كان لوحى المعبود آمون شهرة كبيرة منذ عدة قرون ، وكان هذا الوحى ذائع الصيت فى كل البلاد اليونانية . وذهب إلى هناك لرؤية آمون معبود سيوة ليستلهمه حول مصير العالم (٣٧) . ورحب به كبير كهنة معبد آمون سيوة ، وقد تركت ــ هذه الزيارة اثراً كبيراً فى نفسه إلى يوم مماته (٣٨) .

وهناك قصة مغزاها ان الأسكندر قد انجب من زواج مقدس بين اوليمبياس وآمون ، لذلك فان حقوقه فى عرش مصر لم تكن محل ارتياب أو شك وعلى الرغم من دمه اليونانى ، فقد كانت شخصيته تحظى باحترام عظيم كمصرى حقيقى ، وقبل يغادر مصر ، أسس على الشاطئ فى الطرف الشمالى غرب الدلتا ، مدينة يونانية اعطاها اسمه، وكان يأمل فى العودة إليها ليستقر فيها من حين لآخر ، وانتقلت إلى هذه المدينة المكانة الرفيعة التى كانت تحظى بها نقراطيس ــ كمركز تجارى اغريقى مصرى ــ واصبحت من أهم الموانئ فى جنوب البحر المتوسط . وقد اقيمت هذه

المدينة « الأسكندرية » فى مكان كانت تشغلة مدينة صغيرة اسمها راقودة [39] وبعد رحيل الأسكندر حكمت مصر اسرة جديدة هى أسرة البطالمة التى استمر حكمها حوالى ثلاثة قرون من ٣٣٢ ــ ٣٠ ق.م ، وكان آخر من تولى الحكم فى هذه الأسرة هى الملكة الشهيرة كليوباترة ، وبعد ذلك دخل الرومان مصر كغزاة عام ٣٠ ق.م . واستمر حكمهم من عام ٣٠ ق.م إلى ٣٩٥ ميلادية ، وبعد ذلك عاشت مصر العصر البيزنطى من ٣٩٥ إلى ٦٣٨ ميلادية حتى جاء الفتح العربى عام ٦٤٠ ميلادية .



الخاتمة

كما رأينا ان الأنسان المصرى القديم منذ فجر العصور الحجرية توصل توصل إلى عدة معارف ، وابتداء من العصر الحجرى الحديث بدأت التجمعات السكانية الكبيرة نسبياً تستقر على ضفاف النيل وتتعاون فيما بينها وبدا يربط بينهم عامل المصالح المشتركة . وبدأت هذه الجماعات تتجمع فى قرى صغيرة وبعد ذلك اندمجت تلك القرى مع بعضها البعض وادى ذلك إلى نشأة الأقاليم ، ثم المدن . وقد مرت هذه الأقاليم والمدن الدينية الكبرى باوضاع شتى من ناحية التكوين السياسى حتى انتهى الأمر بتوحيد البلاد كلها وقيام الأسرة الأولى وبدأ يسود حضارتها طابع واحد متجانس ، وبدأ ما يسمى بالعصور التاريخية لمصر القديمة .

ومع بداية عصر الأسرات المبكرة أصبحت الملكية قوية بما فيه الكفاية وأخذت معالمها تتكون شيئا فشيئا حتى استقرت كل الأمور السياسية والأوضاع الأدارية ، وكان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البلاد أن يكون بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الفصل بينهم وبين رعاياهم ولهذا تمثل الأسرة الأولى والثانية فترة تبلور للحضارة المصرية القديمة وتحولت البلاد إلى مملكة قوية متحدة سياسياً ومتماسكة حضارياً .

وجاءت الدولة القديمة بكل ما تتضمنته من عوامل رخاء فى الداخل ، وظهور قوة ونفوذ الملك فى هذه الفترة ، وأصبح لكل مدينة معبودها المحلى ، وتطور الفكر الدينى والعقائد ، وتطورت نظم الحكم والأدارة واستقرت أمور الدولة مع ارسال الحملات للمحافظة على حدود البلاد ضد أى اعتداء ، وارسال البعثات إلى المناجم لأستغلال مصادرها .

وظهرت مظاهر التقدم الحضارى فى التوصل إلى عدة معارف مختلفة

وتقدمت الفنون وخاصة فن النحت الذى وصل إلى مستوى متقدم لم يسبق لأحد ان يصل اليه. واعظم ما حققه مهندسو الدولة القديمة هى تلك المجموعة المعمارية القديمة المتمثلة فى الأهرام ، وبذلك ظهرت الأسس الحضارية بكثير من المعارف عن الحضارات المجاورة .

يضاف إلى ذلك الصرح الهائل من الحكم والتعاليم الأدبية ، وكان للثورة الأجتماعية اثار كبيرة فى تغيير المعالم السياسيّة والحضارية لمصر القديمة خلال عصر الانتقال الأول فقد خلقت نوعاً من الوعى الأجتماعى مما أدى ظهور طبقة جديدة فى المجتمع تهتم بالفرد ونتج ايضا عن هذه الثورة اختيار الفرد والحاكم الصالح . وبدأ ذلك بالأسرة الحادية عشر ولما بدأ الوضع السياسى فى مصر تتضح معالمه ظهر معالمه ظهر ملوك اقوياء فى الجنوب فى طيبة فى ظل حاكم الشمال فى اهناسيا ، وبعد سقوط الأسرة العاشرة فى الشمال اصبح ملوك الأسرة الحادية عشر يحكمون فى الجنوب كملوك لمصر كلها واسسوا الدولة الوسطى .

بفضل جهود حكام طيبة اتحدت السلطة المركزية فى مصر واتجه ملوك اهناسيا إلى الدلتا وطردوا البدو الأسيوين ، كما دافع أهل طيبة فى الجنوب عن بلاد النوبة ، ولذلك تميز أهل طيبة بانهم محاربون اشداء ، ولم يهتموا بالتعاليم والنصائح مثل أهل أهناسيا ، وترتب على ذلك قضاء حكام طيبة على مملكة اهناسيا ، وبذلك ظهرت أهمية طيبة مع بداية الأسرة الحادية عشرة .

وتعتبر الأسرة الثانية عشرة من الأسرات الهامة فى التاريخ المصرى القديم فقد تمتعت مصر فى ظلالها باستقرار الداخلى وبسلطانها فى الخارج فهى من أزهى عصور الدولة الوسطى ولذلك تمتعت مصر بمكانة عالية فى ظل حكم هذه الأسرة التى كانت تنتمى إلى طيبة ، كما وضحت معالم الحضارة المصرية المتمثلة فى كثير من مظاهرها فى التشييد وما قام به امنمحات الثانى من بنائه لهرمه فى صحراء هرم سنفرو بناحية دهشور ، وتدل عليها ايضا تلك الحلى الفاخره العامرة بالفن المصرى ، والنشاط التجارى المتمثل فى الرحلات إلى بلاد بونت لاحضار الصمغ والبخور .

وتمثلت قوة ملوك هذه الأسرة فى سنوسرت الثالث وتمثل ذلك فى سياسته فى بلاد النوبة وتحقيق المحافظة على النفوذ المصرى هناك حماية لمصر من خطر الأعداء فى الجنوب وما قام به هذا الملك من التحصينات القوية عند الشلال الأول ، وبذلك وضع نهاية لتهديد مصر وحماية لحدودها الجنوبية عند الشلال الثانى ، وما قام به من حملات ضد قبائل النوبة هناك ، كما حارب فى الشمال ووصل إلى رتنو فى سوريا وارسل حملاته إلى فلسطين وأدى ذلك إلى السيطرة المصرية على فلسطين وسوريا .

اما ولده امنمحات الثالث فاستغل الهدوء الذى ساد مصر بعد الحملات التى قام بها ابوه واهتم بالزراعة بوجه خاص واصلاح الوضع الأقتصادى ، فحفر الترع وخاصة عند الفيوم ، وشيد هرمه بالقرب من دهشور ، واهم ما يميز حكمه اوجه النشاط المختلفة ، ولذلك عرفت الأسرة الثانية عشرة التى كان امنمحات آخرها بفترة رخاء طويلة لمصر كان نتيجة للعمل الجماعى الذى قام به ملوك الأسرة . ولا ننسى تقدم الأدب وزيادة الأنتاج الأدبى وخاصة فى مجال ادب القصة فى عصر الدولة الوسطى .

وبالنسبة لعصر الأنتقال الثانى فهى من الفترات الغامضة فى تاريخ مصر لأنها لم تستمر اكثر من مائتى عام ، وحكم ملوك كثيرون خلال هذا العصر ، ورغم ذلك فهى فترة غزو لكل المنطقة فقد جاء الهندواوربيون فى موجات متتالية على آسيا الصغرى ، وبدأت تختفى فى الشرق القديم آثار مصر من الأسرة الثالثة عشرة .

أبدى الشعب المصرى تأييده المطلق لمؤسس الأسرة الثالثة عشرة امنمحات سبك حتب الأول ، الذى كان ينتمى إلى بيت أمراء طيبة أصل الملوك السابقين ، لكن تعرضت مصر للأهتزار فى عصر خليفته وقد حدث انقسام إلى مملكتين فى عهده وبذلك غدت الفوضى ضاربة فى اعماق المملكة ، وما يدل على اضطراب الأمور أن الأسرة الرابعة عشرة بلغ عدد ملوكها سبعين ملكاً وكانوا من اقليم سخا بمحافظة كفر الشيخ وحكموا حوالى ١٨٤ سنة وكان ذلك مظهراً من مظاهر الأنقسام إلى مملكتين . وترك هؤلاء فى اللاهون فى الفيوم وفى اقليم طيبة عدة وثائق عبارة عن عقود ادارية ولوحة المتحف المصرى رقم ٥١٩١١ التى عثر عليها بالكرنك وكذلك

اللوحة ٥٢٤٥٣ ، وعثر على بعض مقابر الأشراف فى منطقة الكاب ، ويلاحظ فى بعض تحف هذا العصر افتقاد فنانيها للأبداع والأصالة .

وتعرضت البلاد فى نهاية الأسرة الرابعة عشرة لغزو الهكسوس الذين دخلوها واستقروا فيها وكونوا الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة واختلفت مدد حكم ملوكهم . وقامت بعد ذلك الأسرة السابعة عشرة الطيبية التى اخذت على عاتقها مسئولية مقاومة المحتلين ونجحت فى هذا الهدف بفضل مجهودات ملوكها سقنن رع ، كامس ، واحمس ، وتم تحرير البلاد على ايديهم .

ومع قيام الأسرة الثامنة عشرة بدأت صفحة جديدة من المجد فى تاريخ مصر القديمة ، وهى فترة اختلفت فى كثير من النواحى عما سبقتها من فترات وتحولت مصر فيها من امة ضعيفة محتلة إلى أمة منتصرة قوية ، واخذ ملوك هذه الأسرة فى اتباع سياسة تأمين الحدود فى الشرق والغرب والجنوب والشمال . ففى هذه الفترة فكر الملوك فى سياسة الدفاع والهجوم باعتبارهما الوسيلتين الوحيدتين لمنع الغزوات المضادة التى تعرضت لها البلاد على غرار غزو الهكسوس ، وحكم فى هذا العصر ملوك كبار وملكات كانت لهن شهرة كبيرة وادوار هامة فى السياسة الداخلية .

ومع الأسرة التاسعة عشرة ، اخذ الجيش يلعب دورا هاماً فى الحياة السياسية فى مصر فى الداخل والخارج ، وقام الملوك بعدة حملات لتأمين الحدود . وتحدثت فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة عن مشكلة الخروج وهل هناك ادلة أو شواهد اثرية عليه ؟ وذكرت مختلف الآراء التى تناولت هذه المشكلة وقمت بالقاء الضوء على الآثار التى تخص مرنبتاح ذلك ان علماء الدراسات المصرية القديمة قد رجحوا الخروج فى عهده وحاولت تحليل المادة الأثرية لأستخلاص بعض النتائج التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع .

وقد رأينا كيف تعرضت البلاد فى بداية الأسرة العشرين لهجوم من قبائل هندواوروبية التى وصلت فى مجموعها كبيرة إلى ليبيا وحوض البحر المتوسط وإلى آسيا . ووقع على عاتق رمسيس الثالث حماية البلاد من ذلك الخطر ، والذى يمثل عهده آخر عهود المجد فى السياسة الخارجية . ثم جاءت بعده مجموعة من الملوك

الرعامسة ليسوا فى قوة الملوك الأوائل من الأسرة ، وأدى ضعفهم إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية . ولهذا عندما قامت الأسرة الحادية والعشرين كانت السلطة مقسمة بين ملك فى الشمال وآخر فى الجنوب وأدى ذلك ايضا إلى قيام الأسرة الثانية والعشرين التى كانت تنتمى إلى اصل ليبى . وتمثل ـــ إلى حد ما ـــ الدكتاتورية العسكرية . ويمكن القول بان هذه الدكتاتورية قد اثارت غضب الشعب ضدهم . وأخذت انظار ملوك هذه الأسرة تتطلع بصفة دائمة نحو الشمال الذى اصبح منذ ذلك الوقت مركزاً للثقل السياسى الحقيقى لمصر .

وازدات مظاهر الفوضى والأضطراب ابان حكم ملوك الأسرة الثالثة والعشرون التى قامت قبل ان تنتهى الأسرة الثانية والعشرون ، لذلك نجد ان الأسرتين كانتا متعاصرتين ، وكانت الأسرة الثالثة والعشرون من أصل ليبى ايضا واصبحت بوباست عاصمة للأسرة الجديدة . وظهرت فى الشمال الغربى من الدلتا اسرات محلية صغيرة ، وعلى الرغم من ان كل هؤلاء الملوك الصغار لم يظهروا العداء لبعضهم البعض إلا ان هذه التجزئة للسلطة ادت إلى نتائج خطيرة بالنسبة للبلاد ، حيث وجدت نفسها فى حالة من التمزق والانهيار .

ورأينا كيف ان الوضع السياسى قد تطور فى نباتا وتكونت مملكة متحدة قوية هناك واعتنق ملوكها الديانة المصرية . وكان هناك ملك كوشى يدعى بعنخى هو الذى اسس الأسرة الكوشية وبدأ يتدخل فى شئون مصر لكى يوسع نفوذه ، ولكى يظهر بمظهر المنقذ لمدينة طيبة التى كانت بالنسبة له المدينة المقدسة للمعبود آمون رع . وبعد رحيل بعنخى عن مصر تكونت الأسرة الرابعة والعشرون فى غرب الدلتا فى اقليم سايس بزعامة تف نخت . اما عن الأسرة الخامسة والعشرين فهى من أصل كوشى ، وقد تعرضت مصر فى نهاية هذه الأسرة للغزو الأشورى اكثر من مرة .

ومع قيام الأسرة السادسة والعشرين استطاعت مصر خلالها ان تحرر نفسها من سيطرة الآشوريين بالأستعانة بالمرتزقة اليونانيين ، وعرفت مصر فى هذا العصر فترة من الرخاء والاستقرار الداخلى بفضل مجهودات ملوك هذه الأسرة الأقوياء . ولكن تعرضت البلاد فى نهاية هذه الأسرة للغزو الفارسى ، وحكم ملوك الفرس خلال الأسرة السابعة والعشرين ، وقامت الثورات ضدهم .

وبعد ذلك قامت الأسرة الثامنة والعشرون ولم يكن فيها سوى ملك وطنى وهو اميرتى ومن الغريب اننا لا نعرف تماما كيف وصل إلى العرش ، ولماذا نحى عنه.

ونشأت الأسرة التاسعة والعشرون وكانت اسعد حظاً من الأسرة التى سبقتها ، وكانت اصلا من مندس ، وتمتعت مصر فى ظلها بنوع من الهدوء والأستقرار الداخلى .

وتعتبر الأسرة الثلاثين آخر الأسرات المصرية المستقلة . ولكن فى نهايتها تعرضت البلاد للغزو الفارسى مرة اخرى ، واصبحت من جديد ولاية فارسية ، وبعد ان هزم الاسكندر الأكبر دارا الثالث ــ قودمان فى معركة ايسوس قرب خليج الأسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق.م ، سار نحو مصر فى نهاية عام ٣٣٢ ق.م واستقبلته البلاد كمحرر واستسلم آخر الولاة الفرس فى مصر.

وهكذا ينتهى تاريخ مصر القديم بمعناه الحقيقى عند الغزو المقدونى لمصر ، وسوف نرى ملوكاً يونان ثم رومان يتحكمون فى مستقبلها ولن يصبح هنا أى ذكر للملوك المصريين ، وغزو الأسكندر لم يكن حادثاً عابراً لكنه كان امراً لا يمكن تفاديه، كما حدث عند الغزو الرومانى ، وأصبحت مصر ابتداء من ذلك التاريخ جزءاً هاماً من عالم البحر المتوسط ــ لا يمكنها الانفصال عنه، وكانت اكثر قوة واكثر حيوية عندما كان فى مقدورها المحافظة على استقلالها وذلك باعتمادها على مواردها ورجالها ، ولكن كما رأينا كانت الأسرات الوطنية الأخيرة غير قادره على ان تبعث قوة مصر القديمة من جديد ، ولم تستطع هذه الأسرات ان تستمر طويلا خلال فترات حكم ملوكها فى مجابهة الأمبراطوريات القوية فى آسيا ، كما لم تستطع الصمود الا باعتمادها على القوات اليونانية المرتزقة .

فمصر التى قضت على غزوات الهكسوس ، وشعوب البحر ، والآشوريين ، نجحت بصعوبة فى طرد الفرس اعتماداً على المرتزقة الأجانب [١] . وهذا يفسر إلى حد ما لماذا قبلت مصر عن طواعية غزو الأسكندر . ويبدو ان الأرهاق قد سيطر على المصريين فسادهم الضعف واليأس من كل شئ بالنسبة لمستقبلهم ولا نجد إلا فى طيبة ــ وبالذات حول معبد آمون ذلك المركز الدينى ــ القليل من روح الاستقلال

القديمة ، ومن هناك اندلعت الثورات القليلة ضد الملوك والحكام الأجانب ، ولم يكن لهذه الثورات أى اثر لأن الحضارة المصرية اكتسبت ثوباً جديداً غريباً رغم انه لم يخف اصالتها القديمة وعلى العكس اثرت بحضارتها القديمة فى الغزاة الجدد .

لقد رأينا عبر تلك الدراسة السريعة أهم احداث تاريخ مصر القديمة ، وعلى الرغم من كثرة الآثار والوثائق المختلفة والقوائم الملكية التى نملكها أو الموجودة فى جميع متاحف العالم فان تاريخ مصر القديمة ، لايزال يعانى من فراغات عديدة لذلك فهو عرضة دائماً لعدة افتراضات مشكوك فيها ، ولا يجب ان ننسى ان ما بقى من آثار مهما كثر فانه قليل ، ولا نملك إلا قطعاً بسيطة من تراث « تاريخ عريق » تكون عبر آلاف السنين ولا يزال هذا التاريخ حتى الآن غامضاً وغير كامل من عدة نواح بالنسبة لنا ، لقد رأينا عن قرب كيف ولدت تلك الحضارة الفريدة فى نوعها ثم ازدهرت ثم خبت ، فبعد فترات من الأكتمال ، رأينا الفوضى تحطم شيئا فشيئاً ذلك الترابط الداخلى لنظم الحكم والأدارة ، ذلك الترابط الذى كان سر كل قوتها فى الواقع . ولا يزال البحث جارياً عن الأسباب التى أدت إلى الأنهيار خلال بعض الحضارات التاريخية الطويلة . فبعض المؤرخين يرجع ذلك إلى العامل الجغرافى وامتداد البلاد طولا ، وبعضهم الآخر يرى ان ذلك ناتج عن التطور التاريخي للشعوب التى كانت تحيط بمصر والقوى التى كانت تناهضها وضعفها امام تلك القوى ، وبعضهم الآخر يرى ان عوامل الأنهيار ترجع إلى اسباب اقتصادية ، وبالطبع تضاف إلى هذه الأسباب ــ المادية فى حد ذاتها ــ اسباب أخرى أكثر عمقاً ، يصعب على التفكير العادى حصرها .

اننا نأمل فى المزيد من الاكتشافات الأثرية الجديدة لنعيد كتابة التاريخ ، كما حدث مع اكتشافات مقبرة توت عنخ آمون ومقابر ملوك تانيس وسرابيوم مومياوات طائر الأبيس (ابو منجل) فى جبانة تونا الجبل ، وسرابيوم مومياوات الصقور والأيبس والبقر فى منف [٢] وخبيئة الكرنك التى تكدست فيها تماثيل عديدة للمعبودات والملوك والأفراد ، انقذ منها ٧٧٩ تمثالا من الحجر و١٧٠٠٠ تمثالا من البرونز وذلك غير ما كان من تماثيل عديدة من الخشب اتلفتها رطوبة الأرض وما كشف عنه حديثا

فى ارضية الفناء الكبير بمعبد الأقصر [٣] ، وهى جميعاً تبين لنا ان ارض مصر القديمة ما زالت تحتفظ . بالعديد من الأسرار والمفاجآت ولذلك يمكن القول بان كل يوم يظهر فيه أثر جديد عن طريق أعمال الحفر والتنقيب يزيد من معلوماتنا عن تراثنا وتاريخنا القومى القديم .

ومن ناحية أخرى فإن دراسة التاريخ المصرى القديم لا تزال فى حاجة إلى المزيد من النشر والبحث العلمى فى جميع فتراته وفى مختلف جوانبه الحضارية لكى نستطيع ان نكون اكثر معرفة بالأنسان المصرى القديم ، ولعلنا بعد هذا العرض نكون أكثر ادراكا بأهمية هذا التاريخ وتلك الحضارة .

ويمكن القول فى النهاية ان دراسة ذلك التاريخ فى خطوطة العريضة وتتبع مراحله المختلفة يزيدنا ايماناً بقيمة تلك الأرض التى نعيش عليها والتى عاصرت أحداث الماضى ، وحفظت لنا آثاره وتجرى عليها احداث الحاضر .

واذا كانت ارض مصر عاشت عصورها التاريخية الطويلة تحكمها اسرات مصرية بما فيها فترات قوة وضعف وعلى أرضها نشأت وتطورت حضارة عريقة ، ثم دخلها البطالمة ثم غزاها الرومان إلا انها ظلت مصرية صميمة فى تراثها وفى اهدافها ، واذا كانت قد آمنت بعد ذلك بالمسيحية ونبذت عنها ديانتها القديمة ، ثم فتحت ذراعيها بعد ذلك لدين الأسلام ، وعاشت اجيال واجيال فى ظل هذه الديانات السماوية ، ولكن ذلك لا يعنى انها تخلصت من تاريخا القديم ، لأن هذا التاريخ باق ومرتبط بما على هذه الأرض وما فى باطنها من آثار ، وسوف تتوارثه اجيال إلى ان يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

ولعل افضل خاتمة لهذا الكتاب هو ماسطره الأستاذ د. أحمد بدوى فى مقدمة كتابه عن التربية فقال :

« ان تاريخ وطننا الخالد ، وسيرة شعبنا التليد العتيد ــ على الرغم من وفرة التراث وغنائه، وعلى الرغم مما اجتمع بين ايدينا من بحوث للمؤرخين ... لا يزال يتكون ويتشكل كالجنين ... ويتكون جيلا بعد جيل ، قبل ان يستكمل خلقة ، ويستقر فى المكان الذى ينبغى له، بحيث تظهر ملامحه الواضحة ، وقسماته البينة ، وبحيث نصبح

مطمئنين أو كالمطئنين ، قادرين على ان نضع له المعايير والأوزان ما يجعلنا نقدره — بعقولنا قبل قلوبنا — حق قدره [٤] » .



هواش الفصل الحادى عشر

(١) بالنسبة لهذا التاريخ ، راجع د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤

(٢) كان يحكم فى الشمال الشرقى من الدلتا ، ويعتقد ماير انه كان معاصراً للهكسوس وربما كان هذا . الملك هو قبل الأخير للأسرة الرابعة عشرة طبقاً لبردية تورين .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٩٥

(٤) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, Paris (1963), p. 73;Mayani, les Hyksos et le monde de la Bible, p. 104

(٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٥

(٦) المرجع السابق ، ص ١٩٦

(٧) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ،ص ١٩٦

(٨) Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 105

وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٨٦ — ١٨٧

(٩) المرجع السابق ، ص ١٨٥

(١٠) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٥ حاشية (٨)

Sethe,die Achtung Feinlicher Fursten, Voker und Dinge auf Altagyt. tongefasscherben des Mitt. Reichs, p. 21

(١١) Posener, Syria 18 (1937),p. 183-190; Id., Princes et Payes d'Asie et de Nubie, Bruxelles (1940), p.63

(١٢) Alt, Die Herkunft der Hyksos in Neur sichtr., Berlin (1954), p. 40

(١٣) Dussaud, Syria 8 (1927), p. 216.

(١٤) Maisler, Palestine at the time of the Middle Kingdom, in (Revue Histoire Juive en Egypt I) Paris (1947), P. 33-68, 59; Dussaud, op. cit. p. 217

(١٥) اطلق هذا اللفظ على الساحل وغربى فلسطين اولا ، ثم شمل الأسم الجغرافى المتعارف عليه الآن فلسطين بالأضافة إلى قسم كبير من سوريا .

(١٦) الفينيقيون ساميون استقروا فى شمال فلسطين منذ اواخر الالف الثالث ق.م وطوال الثالث ومعظم الالف الثانى ، توطدت علاقتهم بمصر . الأموريون هم من أول الشعوب السامية التى بحثت عم موطن لها فى بلاد الشام ، واقاموا فيها قبل الميلاد بنحو ٢٢٥٠ ق.م ، واسسوا دولة فى منطقة الفرات ، ثم اخذوا بالتدريج يظهرون فى سوريا وفلسطين . الكنعانيون ، وهم العنصر الثانى من الجنس الذى سكن بلاد الشام ، وهم من سكان الجزيرة العربية . الآراميون من العنصر السابق ، جاءوا من احدى مناطق الصحراء السورية ، وكانوا فى البدء بدواً رحلا منتظمين . ثم جاء العبرانيون فى الالف الثانى ق.م وهم بدو لهم صلة بفلسطين . وفى الألف الأول جاءت شعوب البلست (الفلسطينيون) الذين استقروا على الشاطئ وحول المدن الهامة . ثم دخلها اليهود للسكن فى ظل نبى الله يوشع بن نون .

(١٧) Mayani, op. cit., p. 107

(١٨) Id., op. cit., p. 108

(١٩) انظر ايضا النص نفسه في : وولترى امرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د. تحفه حندوسه، ١٩٧٠ ، ص ١٧٤ ، د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٤

(٢٠) Mayani, op. cit., p. 108; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 289.
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ حاشية (٢)

(٢١) Drioton-Vandier,op. cit., p. 289; Wadell, Manetho, p. 78-83

(٢٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥

(٢٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٩

(٢٤) Daumas, la Civilisation de L' Egypte Pharaonique, Paris (1965), p. 81; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris (1968), p. 85-86

(٢٥) Te Velde, Seth, God of Confusion, leiden (1967), p. 15; Posener, JEA 37 (1951), p. 75-80

(٢٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ حاشية (٢)

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٤٨ حاشية (٣) .

(٢٨) Montet, Kemi 4 (1931), p. 191; Sethe, ZAS 65 (1930), p. 85; Drioton-Vandier, op. cit., op. 328.

(٢٩) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ حاشية (٤)

(٣٠) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 86; Vercoutter, L'Egypte Ancienne, 73; James, Egypt From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, Cambridge Ancient History (1965), p.164

(٣١) يرى بعض ملوك الهكسوس جعلوا اسم رع جزأ من اسمائهم مثل عاوا سر رع ، عاقنن رع وفى هذا دليل على عدم قيمة ما ادعته حتشبسوت ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣٢) Gardiner, JEA 32 (1946), p. 43-56; Fairman-Grdseloff, JEA 33 (1947), p. 12-23.

(٣٣) Mariette, karnak, pl. 53; De Rouge, Inscript. Hierogl., pl. 188-189.

(٣٤) Save-Soderbergh, JEA 37 (1951), p. 53-72 fig. 3; Id. Bi. Or. 6 (1949), p. 83-90; Blssing, ZAS 71 (1935), p. 38-39

(٣٥) Mayani, Les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 104

(٣٦) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 243; Weigall, op. cit., p. 86.

(٣٧) Drioton-Vandier, op. cit., p. 318 (35)

(٣٨) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٠

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ، Borchardt, ZAS 40 (1902-1903), p. 95
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٠

(٤٠) Daressy, RT14 (1892), p. 26

(٤١) Daumas,la Civilisaticn de l'Egypte Pharaonique, p. 82

(٤٢) Naville, Bubastis, pl. 12, 35 (A)

(٤٣) Schafer, AIB,I, p. 264

(٤٤) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienen, p. 88-84

(٤٥) Id., op. cit, p. 89

(٤٦) Chace, The Rhind Mathematical Papyrus, 2 vol., Chicago (1927-1930), p.5

(٤٧) Dawson, JEA II (1925), p. 216-217; Daressy, ASAE 6 (1906), p. 115- 120

(٤٨) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ١٩٧١ ، ص ٥٢ ــ ٥٣

(٤٩) Mayani, op. cit., p. 115.

(٥٠) Winlock, The Rise and Fall of Middle kingdom in Thebes, New-york (1947), 17; Mayani, op. cit.,p.II0-III

(٥١) P. labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, Gluckstadt (1935), p. 25; Mayani, op. cit., p. 112

(٥٢) Mayani, op cit., p. 112

(٥٣) عرف المصريون الحصان عند غزو الهكسوس لمصر بالعربات التى تجرها الخيل . وكان المصريون القدماء يعنون بتربية الخيل ويستخدمونها فى الأعمال الزراعية والنقل والحرب ، وقد انشأوا لها اسطبلات منظمة وخصصوا لها الخدم للعناية بها وبخدمتها ، راجع وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ١٩٦٦ ، ص ٦٠

(٥٤) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٩

(٥٥) Mayani, op. cit., p. 114

(٥٦) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 82

(٥٧) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 29

(٥٨) Mayani, op. cit., p. 117

(٥٩) Save-Soderbergh, kush 4 (1956), p. 56-58

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٦٠ .

(٦٠) Drioton-Vandier, op. cit., p. 297

(٦١) Mayani, op. cit., p. 107

(٦٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ ؛

وأيضا : PM V, p. 125

(٦٣) Hayes, Egypt : From the Death of Ammenmes III to Seqenenre II, Cambridge Ancient History (1962), p. 26.

(٦٤) Hayes, op. cit., p. 31-34; James, Egypt : From the Expulsion of the Hysksos to Amenophis I, Cambridge Ancient History (1965), p. 3; Gauthier, LR II, p. 156-158 et p- 161

(٦٥) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 83

(٦٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١

(٦٧) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٢٥١ ــ ٢٥٢

(٦٨) Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, Paris (1949), p. 131-136; Maspero, les Contes Populaires de L'Egypte, p. 288-289; Weill, la fin du Moyen Empire Egyptien, Paris (1918), p. 37; Gunn- Gardiner, JEA 5 (1918), p. 36

(٦٩) Carnarvon-Carter, Five Years's Explorations at Thebes (A Record of Work done 1907-1911), pl 17

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١

(٧٠) وعن فرس النهر كرمز للمعبود ست ، راجع :

Te Velde, Seth, God of Confusion, Leiden (1967), p.III

وكان فرس النهر يوجد في النيل منذ اقدم العصور وخاصة في اقليم سايس (صا الحجر) وذلك لوجود المناقع التى تكثر فيها النباتات البرية ويذكر ديودور الصقلى ان فرس النهر كان حيواناً غير محبوب ويرمز للكائنات الشريرة ، وقد عثر على مومياوات له في طيبة احداها في المتحف البريطاني ، راجع : وليم نظير : المراجع السابق ، ص ٧٨ ــ ٧٩

(٧١) كان سقنن رع يقدس آمون رع ملك المعبودات

(٧٢) Gardiner, late Egyptian Stories, p. 85; Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 118-119;

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١٩٢

(٧٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٧٤) Daressy, Cercueils des Cachettes Royales, CGC no 51001; Maspero, Momies Royales, p. 527.

وأيضا : د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٥٢ .

(٧٥) Gardiner, JEA 3 (1916), p. 95-110; Gunn- Gardiner, JEA 5 (1918), p. 36-56; Winlock, JEA 10 (1924), p. 217-277; Carnarvon-Carter, Five years's Explorations at Thebes, pl. 27-28

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ حاشية (٢)

(٧٦) Chevrier, ASAE 35 (1935), p. III; lacau, ASAE 39 (1939), p. 215- 217-

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٢٥٣ حاشية (٣) . وفى عام ١٩٥٤ عثر على لوحة كاملة تحمل نص حرب التحرير ايام كامس ، راجع :

Habachi, ASAE 53 (1956), p. 195; Hammad, CdE 30 (1955), p. 198

وكل ذلك يدل على ان لوحة كارنارفون ما هى إلا نسخة لنص تاريخى اقيم فى معبد الكرنك منذ ايام كامس ، راجع :

د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ـــ ٢٥٥ حاشية (١)؛

James Egypt:From the expulsion of the the Hyksos, p. 3-10

(٧٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ـــ ٢٥٤، د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٢

(٧٨) كان امير كوش يلقب بلقب « حقا ان كاش » وهو يحكم الأرض التى تمتد من الفنتين وجنوبا حتى منطقة الشلال الثانى ، وطبقا للمعلومات المأخوذة من لوحة ها ـــ منخ ـــ اف الذى خدم امير كوش يبدو من المحتمل ان سيطرته كانت تمتد إلى ابعد من ذلك فى الجنوب حتى كرما . ويظن ان مملكة كوش قد نشأت كمملكة مستقلة خلال عصر الانتقال الثانى فى الوقت الذى توقفت فيه مصر عن ان تكون مملكة متحدة ، وانسحبت قوات ملك طيبة من الجنوب وهناك انتقلت المراقبة إلى ايدى حاكم وطنى أو موظف كبير كان يعمل فى ادارة النوبة السفلى وقد استخدم اسم كوش فى القابه مما يؤيد اصله من النوبة السفلى ، وربما كان امير كوش نوبى الأصل ايضا ، انظر :

د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٥٢ ـــ ٥٥

وأيضا : James, op. cit., p. 10

(٧٩) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٢ ـــ ١٩٣

(٨٠) Gardiner, Onom. II, p. 83

(٨١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ حاشية (١)

(٨٢) James, op. cit., p. 5-6

(٨٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ـــ ٢٥٦

(٨٤) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٥٣

(٨٥) James, op. cit., p. 11-12

(٨٦) Id., op. cit., p. 12-13

(٨٧) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 84

(٨٨) Montet, la Stèle du roi Kamose, dans C.R.Acad.Inscr. Belles- lettres (1965), p. 112-120; Save-Soderberg, Kush 4 (1956), p. 51-61

(٨٩) James,op. cit., p. 6

(٩٠) James, Egypt. From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, Cambridge Ancient History (1965), p. 7

(٩١) Vandersleyen, les Guerres d'Amosis, Bruxelles (1971), p. 12-13

(٩٢) James, op. cit., p. 7

(٩٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٤

(٩٤) S. Smith-A. Smith, Kamose Texts, in ZAS 103 (1976), p. 72; Drioton-Vandier, L'Egypte (Éd. 1952), p. 300-301

(٩٥) Loret, L'Inscription d'Ahmes, fils d'Abana, le Caire (1910), p. 13; Urk- IV, p. 1; Breasted,ARII § 1-16,38-39,78-82; Gunn- Gardiner, JEA 5 (1918), p. 48.

(٩٦) Vandersleyen, op. cit., p. 31-40

(٩٧) R. el Sayed, Quelques hommes Célèbres:
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٨ ـــ١٩

(٩٨) عندئذ كان المصريون قد تعلموا من اعدائهم استخدام العربات الحربية والخيول .

(٩٩) كانت قلعة محصنة فى شرق الدلتا وهى مركز القيادة العسكرية للهكسوس والتى كانت تستخدم ايضا كمقر لهم فى أخر المطاف .

(١٠٠) James, op. cit., p. 7-8

(١٠١) مكانها الآن هو تل فرعه وهى المنطقة التى اطلق عليها بترى اسم « بيت بلث » فى تقارير حفائره ، راجع : د. أحمد فخرى : المراجع السابق ، ص ٢٥٧ حاشية (١)

(١٠٢) Goedicke, JARCE II (1974), p. 30; James, op. cit., p. 8

(١٠٣) Vandersleyen, op. cit., p. 31

(١٠٤) وهو تعبير جغرافى استخدم فى الدولة الحديثة لكى يشير إلى سوريا وفلسطين

(١٠٥) James, op. cit., p. 9

(١٠٦) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 84

هوامش الفصل الثانى عشر



(١) Lalouette, L'Empire des Ramsès, Paris (1985), P. 146.

(٢) وهذا لا ينفى الغارات التى كان يقوم بها الجيش المصرى فى مواجهة العدو.

(٣) فى الواقع ان لفظ أخت هنا لا يعنى اختا بالمعنى المفهوم. ففى النصوص التى تعبر عن اشعار الحب والغزل، نجد ان الفتى ينادى محبوبته بلفظ « يا اختى » وتناديه هى بلفظ « يا اخى » وبعد الزواج يستمر الرجل فى مناداة زوجته بكلمة سونت بمعنى اخت بجانب استخدام لفظ حمت « زوجة »، ولفظى سن « اخ » وهاى « زوج » للزوج. ويبدو ان المؤرخين الاغريق هم أول من اساءوا فهم كلمة اخت بالنسبة للزوجة وتبعهم كثيرون من المؤرخين فى العصر الحديث، واعتقدوا ان الزواج بين الأخوة كان شائعا فى مصر القديمة. ولكن نعلم انه عندما سأل قمبيز القضاه الملكيين اذا كان القانون المصرى يسمح لمن يشاء بالزواج من أخته، فاجابوه بانه لا يوجد قانون يسمح بذلك، ولكن يوجد قانون آخر يعطى الملك الحق فى ان يفعل ما يشاء. وحتى الآن لا نجد فى النصوص المصرية فردا مصريا واحدا من طبقة النبلاء أو من عامة الشعب قد تزوج من أخته، راجع:
بيير مونتيه: الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥، ص ٦٥؛ ألفه نخبة من العلماء: تاريخ الحضارة المصرية، ص ٤٢٥ — ٤٢٨. وأيضا:

Drioton-Vandier, l'Egypte (éd. 1952), p. 338 n. (1) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 108; Lalouette, L' Empire des Ramsès, Paris (1985), p. 466-467 n. 25 et p. 248.
ويبدو أن المعنى المقصود به هنا لكلمة سنت « المشاركة له أو الرفيقة له أو المرتبطة به » وكلمتى سن وسنت التى تعنيان أخ واخت قد تعنيان فى بعض الاحيان « اعضاء جماعة » وفعل سنسن يعنى « يتحد أو يرتبط ب »، راجع: بيير مونتيه: المرجع السابق، ص ٤٦٤ حاشية (١٥). ومما يؤكد هذا المعنى ان المرأة الشكلى تودع زوجها بهذه الالفاظ: « يا اخى ... يا زوجى ... يا حبيبى ... ابق » راجع: المرجع السابق، ص ٤٣٧. وقد استخدم لفظ سنت « اخت » فى أكثر من مجال بهذا المعنى، ففى بردية اليأس من الحياة، نجد ان الرجل يخاطب روحه بلفظ « أيتها الأخت » وتجيبه هى بقولها « رفيقى واخى » راجع: د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول: مصر والعراق، ١٩٧٩، ص ٣٤٥ — ٣٤٧؛ واستخدم فى مراسلات تل العمارنة بمعنى « حليف » راجع:

Mayani, les Hyksos et le monde de la Bible, p. 110.
وفى الرسالة التى ارسلتها نفرتارى إلى ملكة الحيثيين بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وخيتا، تقول لها « يا اختى » راجع: د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، ص ٧٣٠.

(٤) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 94

(٥) Id., op. cit., p. 95

(٦) Meyer, Geschichte des Altertums II, p. 54-55.

(٧) Breasted, AR II §27.

(٨) Aryton, Currelly and Weigall, Abydos III, pl. 52.

(٩) وان كان يغلب على الظن انها لابد ان تكون قريبة من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة فى دراع ابو النجا، راجع: د. أنور شكرى: العمارة فى مصر القديمة، ص ٣٩٧

(١٠) James, Egypt: From the Explusion of the Hyksos, Cambridge Ancient History (1965), p. 19-22; وأيضا: د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة ١٩٦٦، ص ٥١٣

(١١) James, op. cit., p. 20

(١٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية . ١٩٨١ ، ص ٢٦٢

(١٣) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 95.

(١٤) وان كان ذلك يتعارض مع مظهرها الرقيق وهى صغيرة ، فنحت لها تمثال صغير موجود الآن بالمتحف البريطانى .

(١٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ حاشية (٣) ، ٢٦٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٤ ــ ١٩٥ .

(١٦) Vandersleyen, les Guerres d'Amosis, p. 175

(١٧) Vandersleyen, op. cit., p. 176.

(١٨) Weigall, op. cit., p. 98; Urk IV, p. 45-49

(١٩) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985), p. 103

(٢٠) د. أحمد فخرى المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٢١) يرجع أصل هذا اللقب إلى الأسرة السابعة عشرة والأسرة الثامنة عشرة ، راجع : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦٠٨ .

(٢٢) James, Egypt: From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, Cambridge Ancient History (1965), p. 22.

(٢٣) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 98.

(٢٤) James, op. cit, p. 23.

(٢٥) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٦ ، ص ٢٠٥ .

(٢٦) James, op. cit., p. 24

(٢٧) Id, op. cit., p. 25

(٢٨) Rosellini, Mon. Storici, vol. III, pl. 108.

(٢٩) Vandier, Manuel d'Archĕologie II, p. 745

(٣٠) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٧ ــ ٣٩٨ شكل ١٦٩
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٦٠ حاشية (١) (٢) .

(٣١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص٢٦٠ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص١٨٥ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٢٩.

(٣٢) legrain, ASAE 4 (1903), p. 15; James, op. cit., p. 26

(٣٣) Černy, BIFAO 27 (1927), p. 161 ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ ؛ د. عبد الحميد زايد مصر الخالدة ، ص ٨١٨ .

(٣٤) Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 252-253

(٣٥) فى الواقع ان تقديس الملوك والأشخاص لم يكن بالأمر الشائع كثيراً فى مصر القديمة ، وقد قال هيرودوت « ان الأبطال لم يكونوا موضع عبادة » ولكن يوجد بعض الأمثلة ، فنجد أولا ان بعض الملوك كانوا موضع تكريم فإلى جانب الطقوس الجنائزية التى تؤدى إليهم فى معابدهم من الأجيال اللاحقة ، نجد مثلا ان سنفرو كرم فى سيناء وسنوسرت الثالث فى بلاد النوبة ، وامنمحات الثالث فى الفيوم وامنحتب الأول وأحمس نفرتارى فى دير المدينة ، وكان سبب التكريم يرجع إلى ما قاموا به من أعمال دفاعية أو اقتصادية أو مهنية ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٨ ، وأيضا : Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 89-90

(٣٦) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 577 .

(٣٧) R.el Sayed, Quelques Personnages célèbres:
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٦ .

(٣٨) Vorcoutter, L'Egypte Ancienne, p. 79.

(٣٩) Weigall, History II, p. 264.

(٤٠) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٦.

(٤٢) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, Paris (1968), p. 101

(٤٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠.

(٤٤) Daumas, La Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 85

(٤٥) Breasted, AR II§, 80

(٤٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ ؛ وأيضا : Weigall, op. cit., p. 102

(٤٧) Gardiner, Onm. I, p. 158

(٤٨) جاء فى وثائق أخرى انه وصل إلى المنحنى العظيم لنهر الفرات بالقرب من قرقميش وأقام فى هذا المكان لوحاً سجل فيه انتصاراته.

(٤٩) Daumas, op. cit., p. 85; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 287

(٥٠) Breasted, AR II§, 80

(٥١) Daumas, op. cit., p. 85

(٥٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٥٨ .

(٥٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢١١ .

(٥٤) المرجع السابق ، ص ٢١٢ حاشية (١) ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٣٠ ;UrK IV, 92

(٥٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢١٢ — ٢١٨ .

(٥٦) Weigall, op. cit., p. 103

(٥٧) Sauneron, BIFAO 76 (1976), p. 394

(٥٨) UrK IV, 94

(٥٩) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ شكل ١٩٣ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

(٦٠) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٨ ، شكل ١٧٠ ، بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ١٩٦٥ ، ص ٥٠٦ حاشية (٢٤) .

(٦١) Taylor, The Tomb of Pahari at El-Kab, p. 5.

(٦٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥١٩ .

(٦٣) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 104.

(٦٤) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 79.

(٦٥) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 287.

(٦٦) Breasted, AR II § 119-122.

(٦٧) Breasted, AR II § 124.

(٦٨) Weigall, op. cit., p. 104-105.

(٦٩) Winlock, JEA 15 (1929), p. 60 n. (4).

(٧٠) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 106; Breasted, AR II § 341; Urk IV, p. 155-176.

(٧١) Weigall, op. cit., p. 106-107; Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 86; Drioton-Vandier, L'Egypte (Éd. 1952), p. 338.

(٧٢) فى الواقع ان حتشبسوت لم تكن اختا له بل عمته ، عن النزاع بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث ، راجع د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، ص ٢٧٢ — ٢٧٤ .

(٧٣) Breasted, AR II § 341; UrK IV, p. 59-60.

(٧٤) Yoyotte, Kemi 18 (1968), p. 85-91

(٧٥) Yoyotte, op. cit., p. 89; UrK IV, p. 216-234; Breasted, AR II § 187-212; Naville, Deir el Bahari II, pl. 46-55.

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٧٦) Frankfort, la Royauté et les dieux, p. 157; Naville, op. cit. II, pl. 56-61.

(٧٧) Edgarton, The Thutmosid Succession (Studies in Ancient Oriental Civilisation) (1933), p. 17; Breasted, AR II § 116-118; Frankfort, op. cit., p. 153 n. (3)

(٧٨) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 338.

(٧٩) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ (٢) .

(٨٠) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 109

(٨١) Suzanne-Ratie, la Reine-Pharaon, Paris (1972), p. 20-22

(٨٢) ظهرت فى نقش واحد وهى ترتدى زى السيدات وذلك على كتلة من الحجر عثر عليها فى الكرنك ، راجع :
Chevrier, ASAE 34 (1934), p. 110 (1) et p. 172 pl 4

(٨٣) Suzanne - Ratie, op. cit., p. 267.

(٨٤) Allen, AJSL 44 (1928), p. 49-55; R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٨٥) Breasted, AR II § 351

(٨٦) R. el Sayed, op. cit., المرجع السابق ، ص ٤٦ — ٤٨

(٨٧) Daumas, la civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 85.

(٨٨) R. el Sayed, op. cit., المرجع السابق ، ص ٥١

(٨٩) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 80.

(٩٠) Chevrier, RdE 22 (1970), p. 33-35.
وتعد هذه المسلة من ابرز ملامح معبد الكرنك وأهمها . أما المسلة الثانية فقد هوت على الأرض وتهشمت ولا يزال جزء كبير من أعلاها يرى بجانب البحيرة المقدسة ، راجع :د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢١٢ حاشية (٢) .

(٩١) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 110.111

(٩٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢١٢ — ٢١٨ .

(٩٣) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 158-165, 669-680,
وأيضا : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٢٩٦ — ٢٩٩ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ — ٣٧٨ .

(٩٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ — ٤١٦ .

(٩٥) Naville, Deir el Bahri VI, pl. 154

(٩٦) Habachi, JNES 16 (1957), p. 88-104

(٩٧) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ . وأيضا :

Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 176 fig. 54.

(٩٨) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 113

(٩٩) Frankfort, la Royauté et les dieux, p. 110.

(١٠٠) Naville, Deir el Bahari III, pl. 69-76.

(١٠١) Brunner, Die Gerburt des Gottkonigs (Ag. Abh:10) Wiesbaden (1964), p. 44-45.

(١٠٢) Hayes, MDIAK 15 (1957), p. 80-90

(١٠٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٥ شكل ٦٧ .

(١٠٤) المرجع السابق ، ص ١٨٦ شكل ٦٨ .

(١٠٥) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 231-232

(١٠٦) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(١٠٧) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٥ ؛
Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946), p. 284, 309 (111); UrK IV, p. 390.

(١٠٨) PM, Theban Necropolis I, p. 28 no 20

(١٠٩) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 679.

(١١٠) Gitton, Negroni et Yoyotte, kemi 19 (1969), p. 295-318.

(١١١) Habachi, JNES 16 (1957), p. 99; Gardiner, JEA 32 (1946), p. 43.

(١١٢) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 86.

(١١٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٦ .

(١١٤) Drioton-Vandier, L'Egypte (ed. 1952). p. 338; Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 80.

(١١٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١١٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١١٧) تسمى تحوتمس الثالث بأكثر من اسم : من خبر كارع ــ تحوتمس نفر خبرو ، من خبر رع ــ تحوتمس حقا واست ، راجع :

Gauthier, LR II, p. 252-270.

(١١٨) Daumas, La Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 86.

(١١٩) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠٨ ــ ٢١٣ .

(١٢٠) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 115-116.
د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٨ ــ ٢٨٠ .

(١٢١) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 86.

(١٢٢) Breasted, AR II § 433.

(١٢٣) UrK IV, 664.

(١٢٤) UrK IV, 779-794.

(١٢٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 117

(١٢٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٨٣ .

(١٢٧) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٤٨ .

(١٢٨) Weigall, op. cit., p. 117.

(١٢٩) UrK IV, 1062, 16; 1063,4; 1064, 16-17; Weigall, op. cit., p. 118.

(١٣٠) Weigall, op. cit., p. 118.

(١٣١) مدينة سورية محصنة تقع بالقرب من نهر العاصى .

(١٣٢) Drioton-Vandier, L'Egypte (Éd. 1952), p. 444;
د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٤٨ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ٢٨٠ — ٢٨٢ .

(١٣٣) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 86.

(١٣٤) UrK IV, 801-806.

(١٣٥) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٤٨ .

(١٣٦) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 119
د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٦ — ١٨٧ شكل ٦٩ .

(١٣٧) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٦ — ١٨٧ ، شكل ٦٩ .

(١٣٨) المرجع السابق ، ص ٢١٢ حاشية (٣)

(١٣٩) المرجع السابق ، ص ٢٢٠

(١٤٠) المرجع السابق ، ص ٢١٨ — ٢٢١

(١٤١) المرجع السابق ، ص ١٩١

(١٤٢) المرجع السابق ، ٢٣٤ — ٢٣٥

(١٤٣) Lipinska, Deir el Bahari, temple of Tuthmosis III. (1976), p. 13-63.

(١٤٤) جاء ذكر ذلك فى مقبرة من خبر رع سنب ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٨ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(١٤٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 120

د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(١٤٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ــ ٢٠٣ .

(١٤٧) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 176 Fig. 55.

(١٤٨) R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:
فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٠ .

(١٤٩) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٥ حاشية (١) .

(١٥٠) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٨ .

(١٥١) عن هذه المقابر راجع : د. أنور شكرى العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٣٣ ــ ٤٣٨ شكل ١٩٤ ــ ١٩٨ .

(١٥٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ حاشية (٤)

(١٥٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ حاشية (٢) . وكان أيضا أحد مهندسى الملك تحوتمس الثالث ، ومن نقوش تمثاله نعلم انه قام بالعمل فى العديد من المعابد فى مصر العليا وفى الوجه البحرى ، راجع : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(١٥٤) الذى دون على جدران مقبرته فى طيبة كيف كان الملك يكافئه فى كل مرة يظهر فيها الشجاعة . مثل اليوم الذى أنقذ فيه حياة الملك عنما هاجمه أحد الفيلة أثناء صيدها فى سهول الفرات ، ويوم أسعفه ذكاؤه فهجم على الفرس التى أطلقها زعيم قادش أثناء الحملة السادسة عشرة لتحدث الاضطراب بين الصفوف فى العربات التى كان يجرها الذكور من الخيل ، ولكن آمن ام حب هجم على الفرس وقتلها ، راجع د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ ، ص ٢٨٦ حاشية (٣) ، ص ٢٨٧ . كما تحدث القائد آمن ام حب فى نقوش مقبرته عن وفاة الملك تحوتمس وتولى امنحتب الثانى مقاليد الحكم .

(١٥٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ حاشية (٣) .

(١٥٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ حاشية (١) .

(١٥٧) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ حاشية (١) .

(١٥٨) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(١٥٩) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٦ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٩ شكل ١٧١ .

(١٦٠) Weigall, op. cit., p. 120

(١٦١) Van de walle, CdE 13 (1938), p. 234-258.
وأيضا د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٠ .

(١٦٢) UrK IV, 976.

(١٦٣) Daressy, Fouilles de la Vallée des Rois, p. 68, pl. 19;
د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٦٦ .

(١٦٤) Keimer, ASAE 39 (1939), p. 106-120

(١٦٥) Davies, The Tomb of Rekh-mi Re, pl. 58-59.

(١٦٦) Chr. Zivie, Giza Au Deuxieme Millenaire (BdE 70).
(1976), p. 64-88; Breasted, AR II S 809.

(١٦٧) Legrain, ASAE 5 (1909), p. 24.

(١٦٨) Badawi, ASAE 42 (1943), p. 1-23, pl. I.

(١٦٩) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 407.

(١٧٠) Kuentz, Deux Stèles d'Amenophis II (BdE 10) (1925), p. 17; Gauthier, le Temple d'Amada, p. 19-24 et pl. 10-11; Edel, Die Stelen Amenophis II aus Karnak und Memphis (1953), p. 98-176.
د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٩١ حاشية (١) .

(١٧١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(١٧٢) أمر الملك بكتابة انتصاراته على هاتين اللوحتين فى أكبر معابد مصر وهما معبد بتاح فى منف ومعبد آمون رع فى طيبة ، راجع :د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩١ حاشية (٢) .

(١٧٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٨ ، شكل ٧٠ .

(١٧٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(١٧٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٩٢ .

(١٧٦) Davis, The Tomb of Ken Amun (1930), p. 15.

(١٧٧) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٧٧ .

(١٧٨) وهى المقبرة الخاصة فى الأصل بأمون نجدح وقد سلبها لنفسه ، راجع :
R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥١ — ٥٢ .

(١٧٩) Lefebvre, Histoire des Grands Prêtres, p. 95; Gardiner, ZAS 47, p. 92, pl. 1, 1. 3-4.

(١٨٠) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٩ شكل ١٧٢ .

(١٨١) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 122

(١٨٢) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 577.

(١٨٣) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 283-284.

(١٨٤) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٧٩ .

(١٨٥) Chr. Zivi, Giza Au Deuxieme Millenaire (BdE 70), p. 135-145.

وايضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٩٣ .

(١٨٦) وهى المنطقة التى تحتد حول أهرام الجيزة .

(١٨٧) Breasted, AR II § 810-815; Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 123-124.

(١٨٨) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(١٨٩) الذى يعنى المعبودة « موت فى قاربها المقدس » .

(١٩٠) Spiegelberg, OLZ 21 (1904), p. 289-290;
وايضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٨١ .

(١٩١) Breasted, AR II § 816-818.

(١٩٢) Carter, Newberry and Maspero, The Tomb of Thoutmosis IV, p. 24 pl. 9; PM, Theban Necropolis (1964), p. 559-561.

(١٩٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ حاشية (١) .

(١٩٤) L D III, pl. 69 (e).

(١٩٥) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٢٣ .

(١٩٦) Yoyotte, Kemi 14 (1957). p. 81-91; UrK IV. 1548.

(١٩٧) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

(١٩٨) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٠ شكل ١٧٣ .

(١٩٩) Engelbach, ASAE 40 (1940), p. 133-165; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 385; Weill, Inscriptions du Sinai, p. 205 (101).

(٢٠٠) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٨٥ .

(٢٠١) المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٢٠٢) R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(٢٠٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ حاشية (٣) .

(٢٠٤) Daumas, le Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 89.

(٢٠٥) Fraser, PSBA 21 (1899), p. 155-156.

(٢٠٦) Quibell, The Tomb of Yuaa and Thuiu (1908), pl. I.

(٢٠٧) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 127

(٢٠٨) نجد ذكر لصيد الثيران البرية والأسود فى : Drioton, ASAE 45 (1947), p. 87-92

Breasted, AR II § 865.

(٢٠٩) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ شكل ٢٦ .

(٢١٠) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ؛ Hayes, JNES 10 (1951), p. 35-38

(٢١١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٢١٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ حاشية (١)

(٢١٣) Weigall, op. cit., p. 131.

(٢١٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٢١٥) Mercer, El Amarna Tablets, vol. 2 no 288, no 301; Knudtzon, Die El Amarna Taflen, no. 29.

(٢١٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢١٧) وهى لوحة ضخمة من الجرانيت ارتفاعها ٣٫١٨ مترا ، وهى معروضة الآن فى الدور الأرضى بالمتحف قاعة رقم 13 ESR. بالنسبة لنص امنحتب الثالث ، راجع :

Lacau, Stèles de Nouvel Empire CGC, p. 47-52 pl. 15-16; UrK IV, 1646-1657 (562), 1722; Breasted, AR II § 878-892, 899-903, p.353 n. (a); Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 210 n. 3-4, 273 n. 3; PM, Theban Temples II (1929), p. 159 (XIV); PM, Theban Temples II (1972), p. 447-448.

(٢١٨) lacau, op. cit., p. 47-48; PM, op. cit. II (1972), p. 447

(٢١٩) lacau, op. cit., p. 47.

(٢٢٠) يذكر جاردنر ان هذه الأعمال المعمارية التى قام بها امنحتب الثالث هى أعمال قام بها فى معبد البر الغربى ومعبدى الأقصر والكرنك ، راجع : Grdiner, Egypt of the Pharaohs, p. 210 n.3

أما عن أعمال الملك فى معبد الكرنك ، راجع :

Barguet, le temple d'Amon-Rê à Karnak, p. 4 (a), 9 (a), 17, 48, 57, 78, 79-80, 306.

(٢٢١) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 210 n. 3.

ويرى د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤١٧ حاشية (١) بان النص يتحدث هنا عن معبد الملك الجنائزى .

(٢٢٢) عد هذان التمثالان ضمن عجائب الدنيا ، ولم يكن لهذين التمثالين فى الأصل أى دور أو أية أهمية سوى انهما يمثلان مدى سيطرة الانسان على الأحجار وقدرته على نحتها ، فقد نحت كل منهما من كتلة واحدة من الحجر الرملى ، ويبلغ ارتفاع كل منهما بدون القاعدة خمسة عشر متراً . وقد أقامها المهندس امنحتب بن حابو الذى شيد معبد الأقصر ، وأتى بأحجارهما من الجبل الأحمر على بعد ٧٠٠ كم من الأقصر . وليس كبر حجمها ولا الدقة البالغة فى نحتهما هى سبب شهرتهما ، ولكن جاءت هذه الشهرة بعد ذلك بعدة قرون من حادث غير متوقع . ففى عام ٢٧ ق.م. حدثت هزة أرضية كانت من الشدة لدرجة ان التمثال الذى يقع أقصى الشمال قد تهشم وقسم إلى جزأين من

الوسط . وابتداء من هذا الحدث وطبقاً لظاهرة طبيعية ثبتت حديثا فى معابد ادفو والكرنك ، ان الأحجار تهتز اثناء تغيرات درجة الرطوبة أو الحرارة التى تصحب طلوع الشمس . ويظن ان الصوت الذى كان يخرج منه انما كان من اثر الندى وأشعة الشمس الأولى على الحجر الرملى للتمثال . وهذه الظاهرة التى لم يعرف المصريون أسبابها قد جذبت انتباه محبى الاستطلاع فأسترابون مثلا ذهب إلى مكان التمثالين لكى يستمع إلى هذا الصوت الغريب ، ولم يستطع ان يقنع نفسه بالتغيرات الطبيعية والسبب فى هذه الظاهرة وقال :

« انه يمكن الاقتناع بأى شئ أكثر من الاعتقاد بان مثل هذه المجموعة من الأحجار يمكن ان تصدر صوتا » .

ولكن شيئا فشيئا اقتربت هذه الظاهرة بالأساطير اليونانية خلال السنوات الأولى من القرن الأول الميلادى ، فقد كان البر الغربى من طيبة يحمل اسم ممنونيا — Memnonie فى الوثائق اليونانية ، واطلقت هذه التسمية المحلية الجديدة على تمثالى امنحتب الثالث وكان الاغريق والرومان يعتقدون ان التمثالين أقيما للبطل ممنون بن تيتون ومعبودة الفجر تيتس . وتحكى اسطورته ان اباه ملك مصر واثيوبيا أرسله لمساعدة أهل طروادة فقتل انتيلوخ ابن نستور ، غير ان أشيل قتل ممنون ، فأخذت أمه الفجر تبكيه بدموعها ، التى هى ندى كل صباح ، وهو يحييها بصوته حين تشرق فى الفجر . وعندما تسمع الأم انين ابنها تتساقط الدموع من عينها وهى ندى الصباح الذى يتساقط فوق تمثاله.

وقد استقبل تمثالا ممنون كثيراً من الزوار ذوى الشهرة مثل حكام مصر البطالمة ، وقواد من طيبة اليونانية وقضاه يونانيين وأحيانا اباطرة مثل هدريان وسبتميوس سفيروس . وكتب بعض الشعراء الكثير من أبيات الشعر على القاعدة وعلى الركبة وهى تعبر عن ذكرى مرورهم بتلك المنطقة وقد حاول سفيروس عن طيب نية ان يقوم ببعض الترميمات ليعيد إلى التمثال المهشم مظهره السابق . وحاول النحاتون ترميم الجزء الأعلى من الرأس وكان من نتيجة هذا العمل ان اصبح تمثالا ممنون كبقية التماثيل الأخرى صامتة بدون صوت ، ولكن بقى الاسم شهيراً مشيرا إلى تلك القصة البعيدة ، راجع :

Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 168-168;

وأيضا : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٦ — ٤١٧ ؛ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٣ حاشية (١) .

(٢٢٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٤٣٦ شكل ١٩٩ .

(٢٢٤) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 688-689.

(٢٢٥) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 577.

(٢٢٦) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ — ٢٠١ ، شكل ٧٣ .

(٢٢٧) ترجع بعض هذه التماثيل إلى عهد امنحتب الثالث ولكن أغلبها يرجع إلى عصر الأسرة الثلاثين مما يؤكد ان هذا الطريق تعرض للاضافة والترميم فى العصر المتأخر ، راجع :

Vandier, op. cit. II, p. 844; Weigall, op. cit., p. 130.

(٢٢٨) د. محمد عبد القادر : آثار لأقصر ، شكل ٧ .

(٢٢٩) Benson- Couraly, Temple of Mout, p. 16.

(٢٣٠) Breasted, AR II § 911-920.

(٢٣١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٩ .

(٢٣٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ص ٢٠٢ ، وأيضا :

Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 577; Giorgini, Kush 7 (1959), p. 154-160.

(٢٣٣) Giorgini, op. cit., p. 159.

(٢٣٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٢٣٥) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٦ حاشية (١) .

(٢٣٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٩ .

(٢٣٧) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 128; Daumas, op. cit., p. 89; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 205; Drioton - Vandier, L'Egypt (éd, 1946), p. 330, 378, 394.

(٢٣٨) Varille, Amenhotep fils de Hapou (BdE 44) (1968), p. 125-142; R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٥٠ ــ ٥٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٢٣٩) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 90.
وأيضا : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ شكل ١٧٤ .

(٢٤٠) Cerny, JEA 50 (1964), p. 37-39.

(٢٤١) Smith, Royal Mummies (1912), p. 48-51.

(٢٤٢) R. el Sayed, Quelques Personnages Celebres
فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٣ .

(٢٤٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

(٢٤٤) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 131.

(٢٤٥) ويسمى أيضا : امنحتب ــ نثر حقا واست ، اخ ان اتون ، راجع :
Gauthier, L R II, p. 342-355.

(٢٤٦) Gardiner, JEA 43 (1955), p. 13; Hari, CdE 51 (1976), p. 252-260.

(٢٤٧) RedFord, JEA 45 (1957), p. 34.

(٢٤٨) Drioton-Vandier, L'Egypte (ed. 1952), p. 384; Hari, op. cit., p. 39.

(٢٤٩) ظن بعض العلماء ان تادوهيبا هذه ما هى إلا نفرتيتى وان أى قام بتربيتها ــ ولم يكن اباها الفعلى ــ ولكن اثبتت سمات وملامح نفرتيتى عكس ذلك ــ فهى مصرية ــ ويمكن استنتاج ذلك بملاحظة رأس تمثالها الشهير الموجود الآن فى متحف برلين . وأيضا نلاحظ ان اسمها من الأسماء الوطنية المصرية التى تشير إلى المعبودة الجميلة حتحور « الجميلة آتية وقادمة » .

(٢٥٠) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 7-8.

(٢٥١) هدم هذا المعبد وعثر على أحجاره ضمن أحجار الصرح التاسع الذى شيده حور محب ، راجع د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٦ حاشية (١) .

(٢٥٢) يرى بعض العلماء انه ترك طيبة خلال السنة الخامسة ، راجع :

Daumas, la Civilisation de l'Egypte. Pharaonique, p. 90.

(٢٥٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٩ شكل ٧٨ ــ ٧٩ .

(٢٥٤) قرئ فى بعض الأحيان « خوان آتون » ولكن هذه القراءة غير صحيحة .

(٢٥٥) كلمة آخ تعنى معانى عديدة ، راجع :

Englund, AKh, Une notion religieuse, p. 84-94.

ــ « الأشياء المقدسة أو الخاصة بالطقوس » راجع :

Englund, op. cit., p. 70, 72, 81, 84, 145, 149-150, 188, 191.

« ما هو ضرورى أو نافع للطقوس » ، راجع :

Meeks, Alex. I, p. 7 no. 77. 0069.

ــ « طقوس » ، راجع :

Moret, Rituel du Culte Divin, p. 125 n. 2 et p. 128, 1. 2.

ــ « الصورة المشعة (للشمس) عند خروجها من الأفق » ، راجع :

Herbin, RdE 35, p. 107, 110 n. b; Alliot, le Culte d'Horus I, p. 77 (4) et n. 3, 79 (c) et n. (3); Yoyott, BIFAO 54, p. 108.

ــ « نعم أو خيرات (المعبود) » ، راجع :

Meeks, Alex II, p. 6 no. 78, 0058

(٢٥٦) PM V, p. 220.

(٢٥٧) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p.8.

(٢٥٨) Wolf, ZAS 59 (1924), p. 109-119.

(٢٥٩) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

(٢٦٠) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 91;
Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 132.

وأيضا : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢٦١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

(٢٦٢) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 344-345.

(٢٦٣) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 136

(٢٦٤) جاء فى احدى البرديات ان معبد آمون بالكرنك كان يحتوى على ٥١٦٤ تمثالا للمعبودات المختلفة وان مجموع

التماثيل بما فيها تماثيل المعبود آمون بلغ ٨٦٤٨٦ تمثالا مصنوعة من مواد مختلفة ، راجع : د. محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٤ حاشية (١) .

(٢٦٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٨٠ ــ ٨٣ ، د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(٢٦٦) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 852-855 fig. 414.

(٢٦٧) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣١٩ ــ ٣٢٢ .

(٢٦٨) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦١٦ .

(٢٦٩) Sandman, Texts from the time of Akhenaton (1938), p. 93;
Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 139;
د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ حاشية (١) ــ ٣١٤ ، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ؛ جيمس برستد : فجر الضمير (ترجمة د. سليم حسن) ، ١٩٥٦ ، ص ٣٠١ ــ ٣٢٠ .

(٢٧٠) Davies, The Tomb of Ramose, pl. 33.

(٢٧١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٢٧ .

(٢٧٢) Davies, The Rock Tombs of el Amarna (1903-1908) III, pl. 4.
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢٧٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٢٤ .

(٢٧٤) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 186.

(٢٧٥) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٤١ .

(٢٧٦) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 91.

(٢٧٧) Gauthier, LR II, p. 345.

(٢٧٨) Breasted, AR II § 973.

(٢٧٩) PM VII, p. 109

(٢٨٠) Davies, The Rock Tombs of El-Amarna Iv, pl. 18-30.

(٢٨١) Id., op. cit. II, pl. 38-40.

(٢٨٢) Chevrier, ASAE 53 (1956), p. 21-40 pl. 19.

(٢٨٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٢٨٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢ .
وأيضا : Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 91.

(٢٨٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Anciennе, p. 431;
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٢٨٦) عن هذه المقبرة راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٠ — ٤٠١ شكل ١٧٥ .

(٢٨٧) Engelbach, ASAE 31 (1931), p. 102-114; Weigall, op. cit., p. 144;
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٣٠ — ٦٣١ .

(٢٨٨) Gauthier, LR II, p. 362-363.

(٢٨٩) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 87.

(٢٩٠) Gardiner, Egypt of Pharaohs, p. 443

(٢٩١) Id., JEA 43 (1957), p. 10

(٢٩٢) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 373.

(٢٩٣) د. أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ، ص ٥٩٦ .

(٢٩٤) Gauthier, LR II, p. 365-369.

(٢٩٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢٩٦) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 147

(٢٩٧) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٥٠ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٢٩٨) ترجمة د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٢٩٩) Davies, The Tombs of Hormhabi and Toutankhamon (1912), p. 128 fig. 4.

(٣٠٠) Gardiner, Egypt of Pharaohs, p. 241; ANET, p. 395.

(٣٠١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

(٣٠٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٩ ، ٤٠١ شكل ١٧٦ .
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٣٠٣) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ — ٦١ .

(٣٠٤) د. بيومى مهران ، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ الحضارة المصرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤ ، ص ٤٤٢ — ٤٤٦ .

(٣٠٥) Davies-Gardiner, Tutankhaman's Painted Box (1962), p. 1.

(٣٠٦) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٣٠٧) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٥٠ .

(٣٠٨) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 147.

(٣٠٩) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٣١ .

(٣١٠) R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres

فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٤ ــ ٥ .

(٣١١) Gauthier, LR II, p. 376-378.

(٣١٢) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 147.

(٣١٣) المقصود هنا الملك توت عنخ آمون ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٥٤ .

(٣١٤) PM V, p. 17.

(٣١٥) Nelson-Holscher, Oriental Institue Communications no 18, 50-51 (1931-1933), p. 106-118.

(٣١٦) Gardiner, Egypt of Pharaohs, p. 242.

(٣١٧) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ شكل ١٧٧ .

(٣١٨) ويسمى أيضا : جسر خيرو رع ــ سنب ان رع ــ حور محب ــ مرى آمن ، راجع :
Gauthier, LR II, p. 381.

(٣١٩) يدخل فى تاريخ ما بين ١٣٥٤ ــ ١٣١٤ حكم سمنخ كارع ، توت عنخ آمون ، آى ، وحور محب ، لأننا نعلم ان الأسرة التاسعة عشرة قد بدأت حوالى ١٣١٤ ق.م. تقريبا .

(٣٢٠) Gardiner, Egypt of Pharaohs, p. 242.

(٣٢١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٥٥ Daressy, RT 16 (1894), p. 123;

(٣٢٢) Hari, Horemheb et la Reine Moutnedjemet (1966), p. 13; Breasted, AR III § 24.

(٣٢٣) يقال ان الثورة الدينية وظهور عقيدة أتون بدأت فى الحقيقة فى عام ١٣٧٦ ق.م. عندما ابعدت الملكة تى زوجها امنحتب الثالث إلى الصفوف الخلفية ، وبدأت تحكم بمفردها .

(٣٢٤) وذلك لسد الفراغ فى تاريخ فترة الانتقال هذه .

(٣٢٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 149.

(٣٢٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣٢٧) Helck, ZAS 80 (1955), p. 109-122; UrK IV, p. 2140.
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ١٩٨١ ، ص ٣٣٦ حاشية (١) ، ٣٣٧ .

(٣٢٨) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ .

(٣٢٩) Bull. Metropol. Mus. of Art 18 (1923), p. 283.
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ حاشية (١) .

(٣٣٠) Schulman, JNES 16 (1957), p. 265, pl. 37.

(٣٣١) Seele, The Coregency of Ramses II with Seti (1940), p. 40.

(٣٣٢) Holscher, Temples of the Eighteenth Dynasty, p. 63; Vandier, Manuel d'Archeologie II, p. 692.

(٣٣٣) د. صبحى البكرى : دليل آثار الأقصر ، ٦٤ ـــ ٦٦ وأيضا : Vandier, op. cit., p. 239;

(٣٣٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ شكل ١٧٨ .

(٣٣٥) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٦٤ .

(٣٣٦) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٣٤ .

(٣٣٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ـــ ٢٣٥ .

(٣٣٨) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 149

(٣٣٩) Yoyotte, RdE 34 (1983), p. 149.

هوامش الفصل الثالث عشر

(١) يذكر مانيتون انه حكم سنة واحدة وأربعة أشهر ، راجع :

Gauthier, LR III, p. 2-3.

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٠٠ .

(٣) Winlock, The Temple of Ramses I at Abydos, p. 10

(٤) PM VII, p. 129.

(٥) وهو أعظم بهو ذى أساطين فى العالم . وتبلغ ساحته نحو ٥٤٠٠ متر مربع وفيه مائة وأربعة وثلاثون اسطوناً فى ستة عشر صفاً ، منها اثنى عشر اسطواناً فى صفين فى الوسط بساق اسطوانية وتاج على شكل زهرة بردى يانعة ، ويبلغ ارتفاع كل اسطون بغير القاعدة ١٩٫٢٥ من المتر ، وقطره نحو ثلاثة ونصف ، ومحيطه أكثر من عشرة أمتار . ويبلغ ارتفاع الأساطين الجانبية وعددها مائة واثنان وعشرون اسطونا نحو ١٤٫٧٥ من المتر بغير القاعدة ، ويقرب محيط كل اسطون من ثمانية امتار ونصف ، وساقه اسطوانية مخنوقة فى أسفلها ، وتاجه على شكل براعم البردى .

ويقال ان المصريين استخدموا لبناء هذه الأساطين جسوراً حول البناء من الطين واللبن لتكون أشبه برصيف ييسر وضع الأحجار فى أماكنها من البناء ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٥ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٤٠ .

(٦) ويسمى أيضا : من ماعت رع ــ حقا واست ؛ مس ماعت رع ــ حقا ايون ؛ من ماعت رع ــ حقا ماعت ؛ من ماعت رع ــ ستب ان رع ؛ من ماعت رع ــ تيت رع ، راجع :

Gauthier, LR III, p. 10-15

(٧) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, P. 244

(٨) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 89

(٩) Vercoutter, op. cit., p. 90; Zivie, BIFAO 72 (1972), P. 112-114

(١٠) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢١ ؛
د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(١١) Maspero, The Struggle of the Nations, P. 370

(١٢) ربما تسمى بهذا الاسم لقوة وعنف المعبود ست ، وربما أراد أن يحمل اسما لم يتسمى به الملوك من قبل .

(١٣) Griffith, JEA 13 (1927), P. 193-196.

(١٤) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, P. 266
د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(١٥) Lalouette, L'Empire des Ramses, Paris (1985), P. 90-92

(١٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ١٩٨١ ، ص ٣٤٠ ؛ Breasted, AR III § 101

(١٧) Gardiner, JEA 6 (1920), P. 99-107

(١٨) PM VII, P. 392

(١٩) PM VII, P. 383

(٢٠) Grdseloff, Une Stele Scythopolitaine du Roi Sethos Ier, le Caire (1949), P. 13-21

(٢١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٨٧ .

(٢٢) المرجع السابق، ص ٢٢٨ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٤١ ؛
Lalouette, L'Empire des Ramses, P. 96

(٢٣) Breasted, AR III § 101; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946), P. 404;
د. عبد العزيز صالح : المرجع لسابق، ص ٢٢٨ ؛
د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٤٠ — ٣٤١ .

(٢٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٤٢ .

(٢٥) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, P. 93;
Faulkner, JEA 33 (1947), P. 34-39
د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة و ص ٧١٢ .

(٢٦) Lalouette, op. cit., P. 97-98, 484-485 n. 36,39

(٢٧) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة، ص ٢٢٩ — ٢٣٣ .

(٢٨) Gunn-Gardiner, JEA 4 (1917), P. 241

(٢٩) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية، ص ٣٤٣ .

(٣٠) Vandier, Manuel d'Archéologie II, P. 696

(٣١) Posener, Dictionnare de la Civilisation Egyptienne, P. 266
وتسمى الآن : Flaminius

(٣٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٢٢ ؛ وأيضا : Goyon, ASAE 49 (1949), P. 337-392

(٣٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق، ص ١٦٢ ، ٢٣٤ .

(٣٤) Habachi, BIFAO 73 (1973), P. 113-125
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

(٣٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, P. 155

(٣٦) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة، ص ٤٠٣ شكل ١٧٩ ؛ د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر، ص ٦٣ — ٦٨ .

(٣٧) د. أنور شكرى : المرجع السابق، ص ٤١٧ .

(٣٨) المرجع السابق، ص ٤١٧ — ٤١٨ شكل ١٨٤ .

(٣٩) المرجع السابق، ص ١٢٦ .

(٤٠) المرجع السابق، ص ٤٠٥ — ٤٠٦ شكل ١٨٢ .

(٤١) ويسمى أيضا : وسر ماعت رع — تيت رع، وسر ماعت رع — حقا واست، وسر ماعت رع — اوع رع، راجع :
Gauthier, LR III, p. 33-35

(٤٢) Schmidt, Ramesses II, A chronogical Structure for his Reign (1973), P. 166; Desroches-Noblecourt, Ramses le Grand, Paris (1976), P.XX (introd); Kitchen, Ramses II, le Pharaon triomphant, p. 293

(٤٣) Schmidt, op. cit., P. 13; Kitchen, CdE 43 (1968), P. 322-324
يعطى د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٤٤ تاريخ حكم رمسيس من ١٢٩٠ إلى ١٢٢٣ ؛

(٤٤) Schmidt, op. cit., P. 26-27; Breasted, AR III § 282

(٤٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 155; lalouette, L'Empire des Ramses, P. 118-123

(٤٦) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول : مصر والعراق، ١٩٧٩، ص٢٢٩ ؛
lalouette, op. cit., p. 115

(٤٧) PM VII, p. 385

(٤٨) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٢٩ — ٢٣٢ ، د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية، ١٩٨١، ص ٣٤٦ — ٣٥٠ ؛ Gaballa, JEA 55 (1969) P. 82-88

(٤٩) د. أنور شكرى : المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

(٥٠) Kuentz, la Bataille de Qadech, MIFAO 55 (1928), P. 14
نقشت هذه القصائد أيضا على جدران عدة معابد، فى الأقصر وفى الرمسيوم وفى الكرنك وفى أبيدوس، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٥٠ .

(٥١) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, P. 409; la louette, L'Empire des Ramses, p. 117-118

(٥٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٤٧ .

(٥٣) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, P. 157

(٥٤) Kuentz, la Bataille de Qadech, P. 237; Daumas, La Civilisation de l'Egypte Pharaonique, P. 409-410

(٥٥) Kuentz, La Bataille de Qadech, P. 319;
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٥٦) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, P. 157-159

(٥٧) Gotze, DLZ 32 (1929), P. 832-838

(٥٨) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, P. 93

(٥٩) لم تكن هذه أول معاهدة مع الحيثيين ، فقد قام حور محب بعقد معاهدة مع مورسيل الثانى من قبل ، راجع : Wilson, The Culture of Ancient Egypt, P. 239

(٦٠) PM II, P. 492; lalouette, L'Empire des Ramses P. 127-130
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ حاشية (١) ؛ د. عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

(٦١) Longdon-Gardiner, JEA 6 (1920), P. 179-205

(٦٢) د. سليم حسن : مصر القديمة ، جزء ٦ ، ص ٣٠٣ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٣٠ .

(٦٣) Kuentz, ASAE 25 (1925), P. 181-238; lalouette, op. cit., P. 132-134
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ ـــ ٣٥٥ .

(٦٤) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٣٢ .

(٦٥) Posener, BIFAO 34 (1933), P. 75-81; Gardiner, Egypt of Pharaohs, P. 266

(٦٦) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٣١ .

(٦٧) Lalouette, L'Empire des Ramses, P. 124

(٦٨) Id., op. cit., p. 124

(٦٩) Id., op. cit., p. 125

(٧٠) Id., op. cit., p. 125

(٧١) Id., op. cit., p. 126, 1. 1-3

(٧٢) Id., op. cit., p. 126, 1. 9-10

(٧٣) Drioton-Vandier, L'Egypte (ed. 1946), P. 432 (c) (1-5); Breasted, AR III §, 353-362

(٧٤) Drioton- Vandier, op. cit., p. 406; lalouette, op. cit., p. 125

(٧٥) Lalouette, op. cit., p. 125

(٧٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٧٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

(٧٨) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٣٣ .

(٧٩) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, P. 160

(٨٠) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ حاشية (١) (٢) (٣) ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٣٤
Daumas, la Civitisation de l'Egypte Pharaonique, P 94; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 270

(٨١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٠٢ .

(٨٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ حاشية (١) .

(٨٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٨ .

(٨٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٨٥) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٩ .

(٨٦) د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٨ ــ ٤٢٢ شكل ١٨٥ ؛
Vandier, Manuel d'Archéologie II, P. 701-711

(٨٧) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٦ شكل ٩٨ ــ ١٠١ .

(٨٨) Vandier, op. cit. II, P. 95-111

(٨٩) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, P. 161;
وولتر امرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د. تحفة حندوسة) ١٩٧٠ ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٩ .

(٩٠) Lalouette, L'Empire des Ramses, P. 423.

(٩١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ شكل ٩٣ .

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ شكل ٩٥ .

(٩٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ــ ٢٤٠ شكل ٩٦ .

(٩٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ، شكل ٩٧ .
Vandier, Manuel d'Archéologie II, P. 954-958;
وأيضا : وولتر امرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ــ ٢١١ .

(٩٥) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, P. 244

(٩٦) Kitchen-Gaballa, ZAS 96 (1969), P. 14-28

(٩٧) قدر بعض المؤرخين أنهم بلغوا ٧٩ ولداً و٥٩ بنتا أو مائة ولد ، غير أن هذا التقدير مبالغ فيه ، ومن المحتمل أن بعض من اعتبرهم المؤرخون أبناء كانوا من عائلته فحسب ، أى من اقربائه الصغار الذين انتسبوا إليه تشرفاً ، حاملين لقب سا ــ نسوت بمعنى ابن الملك ، راجع :
د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ٢٢٥ .

(٩٨) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٢٩ ــ ٤٣٠ شكل ١٩٠ .

(٩٩) Drioton, ASAE 41 (1942), P. 21-26

(١٠٠) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٥٦ .

(١٠١) Frankfort, Kingship and the Gods, p. 79

(١٠٢) Christophe, Abou Simbel et L'Epogée de sa decouverte, Bruxelles (1965), P. 12

(١٠٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٣٤ .

(١٠٤) Gauthier, le Temple de Ouadi-es-Seboua, P.80

(١٠٥) Gardiner, The Inscriptions of Mes, leipzig (1905), P. 5

(١٠٦) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٦٣٦ .

(١٠٧) R. el Sayed, Quelques hommes Celebres,
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٥ ـــ ٨ .

(١٠٨) Gauthier, LR III, P. 110

(١٠٩) Keimer, ASAE 39 (1939), P. 100

(١١٠) Kitchen, Ramesside Inscriptions IV, P. 1-2; Cerny, Amada (dans CEDAE V, 1967), P.1-3; Bouriant, RT 18 (1896), P. 159-160; Breasted, The temple of lower Nubia (1906), P. 46; Id., AR III, P. 259; Youssef, ASAE 58 (1964), P. 274-280 pl. I; lalouette, L'Empire des Ramses, P. 268-269; Gauthier, le temple d'Amada, P. 185 pl. 41; Id LR III, P. 118 (20); PM VII, P. 67

(١١١) Leclant. Orientalia 41 (1972), P. 252; t. 45 (1976), P. 280; Bakry, Aegyptus 53 (1973), P. 3-21; Zivie, GM 18 (1975), P. 45-50; lalouette, op. cit., P.271, 273-275, 278, 413, 491 n. 10; Grimal, les termes de la Propogande Royale, Paris (1986), P. 494 (256), 662 (581), P. 683 (691)

(١١٢) Breasted, AR III §, 593-594, P. 240; Edel, ZAS 86 (1961), P. 101-103 (1); Gauthier, LR III, P. 116; Maspero, ZAS 19 (1881), P. 118 (h). Kitehen, Ramesside Inscriptions IV, P. 23; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946), P. 433 (VIII) (A) (2); lalouette, L'Empire des Ramses, P. 275-276

(١١٣) Kitchen, op. cit. IV, P. 2-12; Mariette, Karnak, pl. 52-55; Breasted, AR III § 572-592, P. 240-252; lalouette, L'Empire des Ramses, P. 270-275 et P. 491 n. 9, 11-15, 17-18; Holscher, libyer und Aegypter, P. 61-63; Zivie; GM 18 (1975), P. 49 n. (5); PM, Theban Temples II (1929), P. 49 (6); PM, Theban Temples II (1972), P. 131 (487).
وعثر على أجزاء أخرى من هذا النص فى الكرنك ، راجع :
legrain, ASAE 2 (1901), P. 269-279; 4 (1903), P. 2-4; RT 31 (1909), P. 176-179; Drioton-Vandier, L'Egypte. (éd. 1946), P. 433 (VIII) (A) (1); Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 271 n. 2-3

(١١٤) Kitchen-Gaballa, ZAS 96 (1969), P. 26 fig. 8 pl. 8; Kitehen, Ramesside Inscriptions IV, P. 23-24; PM II, P. 49; lalouette, L'Empire des Ramses, P. 277 et P. 491 n. 21

(١١٥) راجع فيما سبق ، الفصل الثانى عشر حاشية (٢١٨) .

(١١٦) بالنسبة لمراجع النص الخاص بمرنبتاح ، راجع :

Lacau, Stèles du Nouvel Empire CGG, P. 52-59 Pl. 17-19

(يعطى المؤلف فى ص ٥٨ ــ ٥٩ بيان بأسماء حوالى ٣٥ مرجعاً لهذا النص ، وأيضا :

Kitchen, Ramesside Iuscriptions IV, P. 12-19; lichteheim, Ancient Egyptian literature II, P. 73-78; Breasted, AR III § 602-617 P. 256 n. (d), P. 257 n. (a) ; Pritchard, ANET, P. 376-378; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 273; lalouette, L'Empire des Ramses (1985), P. 276-277; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946), P. 364 (iv), P. 433 (VIII) (A) (3) (b); PM, Theban Temples II (1929), P. 49 (7), P. 159 (XIV); PM, Theban temples II (1972), P. 447-448.

ومن المراجع باللغة العربية التى ذكرت هذه اللوحة : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ حاشية (٨٧) ؛ د.أحمد فخرى مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ حاشية (١) .

نسخة من نص مرنبتاح عثر عليها فى الكرنك ، وهى حوالى ٣٩ سطراً ، راجع :

legrain, ASAE 2 (1901), P. 269; Kuentz, BIFAO 21 (1923), P. 113-117; Zivie, GM 18 (1975), P. 50 n. 7; PM, Theban temples II (1972), P. 131 (487) et P. 448.

(١١٧) Vandier, Manuel d'Archeologie III, P. 713-716 fig. 354

(١١٨) Drioton - Vandier, L'Egypte (éd. 1946), P. 344

(١١٩) Lalouette, L'Empire des Ramses, P. 473

(١٢٠) - يذكرنا هذا بالأثر رقم ٧ الذى نقش أيضا على الوجهين .

(١٢١) لفظ يطلق على منطقة تشمل الجزء الأكبر من فلسطين ، وكانت مجالا لتردد القبائل الرحل ، راجع :

Lalouette, L'Empire des Ramses, P. 33, 530

(١٢٢) عن هذا المعنى لكمة iny ، راجع : Crimal, les termes de la Propogande Royale, Paris, (1986), P.747

(١٢٣) إلى الشمال قليلا من غزة ، راجع : Lalouette, op. cit., P. 124; Pirenne, La Societe Hebraique d'apres la Bible, P. 1 (خريطة)

(١٢٤) عن هذا المعنى لكلمة mh-m ، راجع : Crimal, op. cit., P. 752

(١٢٥) تقع إلى الشمال من عسقلون ، راجع : Pirenne, op. cit., P. 1 (خريطة)

(١٢٦) مدينة تقع فى جنوب فلسطين ، راجع : Lalouette, op. cit., P. 91

(١٢٧) فى نصوص رمسيس الثالث فى مدينة هابو نجد الجملة نفسها :

« ينعم أصبحت كأن لم تكن » راجع : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ . وهذا يعنى ان كتبة الحملات الحربية كانوا ينسخون بعض الجمل لاسماء البلاد المقهورة من قوائم أخرى كتبت فى عصور سابقة ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١، ص ٣٧٤ .

(١٢٨) تقرأ حرفيا : يسيرارو y sy ri3 rw أو يزيرارو . وطبقا لآراء بعض العلماء فى اللغة فان يسيرارو يمكن أن تقرأ يسيرالو ومنها جاءت التسمية : يسيرا (ئيـ) لو = يسرا (ئيـ) لو ، راجع :

Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, P. 59 n. (12)

ونلاحظ هنا أن حرف الهمزة والياء غير موجودان فى الكلمة المصرية القديمة . وقد قرأ جوتيه هذا الاسم Isrealou راجع Gauthier, DG I, P. 172 ولكن من الأفضل قراءة وكتابة الاسم كما جاء فى النص المصرى دون أية تحريف : (الــ) يسيرارو .

(١٢٩) يمكن أن تقرأ fk3 بمعنى « يحطم » ، راجع : Meeks, op. cit. II, P. 148 وأما fk بمعنى « يشرد »
Faulkner, Concise Dictionary, P .99

(١٣٠) حرفيا : « لم يعد له بذور » . كلمة prt تعبر هنا عن معنى « البذور » وذكرت فى نصوص مختلفة بمخصصات عديدة ، راجع :
Baillet, RT 20 (1898), P. 178 (4); Kminek-Szedlo, Bologna P. 361; Petrie, Shabtis, pl.22; Meeks, op. cit. II, P. 78; PN I, 394, 2

وذكر هذا التعبير بمعنى القضاء على كل ما يقتات منه الأعداء فى نصوص رمسيس الثالث فى مدينة هابو ، راجع
Lalouette, op. cit., P. 305 n. 73, P. 306-307 n.78, P. 312 n. 91, P. 492, P. 493 - Kitchen, Ramesside Inscriptions IV, P. 14, 1. 16, P. 21, 1. 13 - Crimal, op. cit., P. 71 (3-7), P. 100 (249)

(١٣١) خارو هى جزء من فلسطين وجنوب سوريا ، راجع :
Pirenne, op. cit., P. 35; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 226 n. (1)

(١٣٢) أى أن فلسطين وجنوب سوريا أصبحتا بدون دفاع أمام مصر ، عن هذا المعنى ، راجع :
Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, P. 95

(١٣٣) تقرأ šm 3w ، راجع : Faulkner, op. cit., P. 266

(١٣٤) ترجمت هذه الفقرة بواسطة مجموعة من العلماء الأجانب :
Pirenne, op. cit., P. 35; Gardiner, op. cit., P. 273; Weigall, op. cit., P. 163; Drioton-Vandier, L'Egypte (ed. 1946), p. 416; Daumas, op. cit., P. 95; lalouette, L'Empire des Ramses, P. 277

وذكرت فى بعض المراجع باللغة العربية منها :
د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ حاشية (٨٧) ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ حاشية (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٤٨ .

(١٣٥) Kitchen, op. cit. IV, P. 19-22; lefebvre, ASAE 27 (1927), P. 21-30 pl. 1-2; Maspero, ZAS 21 (1863) P. 65-67; Breasted, AR III § 596-601 et P. 253-256; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946), P. 433 (VII) (A) (2); Zivie, GM 18 (1975), P. 50 n. (6)

(١٣٦) Černy, Amada V (dans CEDAE, 1967) pl. 5 1.6, II; Fairman, JEA 24 (1948), P. 155- PM VII, P. 159

(١٣٧) Caminos, late Egyptian Miscellanies, P. 43-47; Gardiner, late Egyptian Miscellanies, P. 14-15

(١٣٨) Caminos, op. cit., P. 101-103; Gardiner, op. cit, P. 28-29; Id., JEA 5 (1918), P. 186; Heath,

The Exodus Papyri, P. 85

(١٣٩) بيير مونتيه: الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ١٩٦٥ ص ٥٦ .

(١٤٠) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, P. 95; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946), P. 416

(١٤١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٦ ؛
Wainwright, JEA 25 (1939), P. 148-153

(١٤٢) Lalouette, L'Empire des Ramses, P. 267

(١٤٣) فى عهد رمسيس الثالث استقرت بعض شعوب البحر فى آسيا ، راجع
lalouette, op. cit., P. 306

(١٤٤) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd . 1946), P. 416

(١٤٥) Drioton- Vandier, op. cit., P. 416

(١٤٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ .

(١٤٧) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٦ .

(١٤٨) هيرودوت يتحدث عن مصر : ترجمة د. صقر خفاجة مراجعة د. أحمد بدوى ، ١٩٦٦ ، ٢٢٧ — ٢٢٩ .

(١٤٩) Wilson, ANET, P. 259; Heath, The Exodus Papri, P. 183; Caminos, late Egyptian Miscellanies, P. 293; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 274
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٤٨ .

(١٥٠) جنوب فلسطين .

(١٥١) لمعنى كلمة **K3 nswt** ، راجع Meeks, Alex. I, P. 375

(١٥٢) ذكر هذا اللقب « فرعون » لمرنبتاح على بردية ساليه رقم ١ ، راجع
Caminos, op. cit., P. 324-325; Gardiner, late Egyptian Miscellanies, P. 88-87

(١٥٣) Vandier, Manuel d'Archeologie III, P. 398

(١٥٤) Gauthier, LR III, P. 110-120 .

(١٥٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٢٦ — ١٢٧ ، شكل ٣٤ .

(١٥٦) Vandier, op. cit., II, P. 713-716 fig- 354

(١٥٧) Lalouette, op. cit., P. 286

(١٥٨) ويطلق عليه أيضا اسم : من مى رع — ستب ان رع ، راجع :
Christophe, Bi. Or. 14 (1957), P. 10-13

(١٥٩) يضع بعض المؤرخين ترتيبا مختلفا لخلفاء رمسيس الثانى ، راجع :

Christophe, op. cit., P. 10-13

(١٦٠) يعطى جوتيه ترتيبا آخر ويطلق عليهم مرنبتاح الأول والثانى والثالث، راجع :

Gauthier, LR III, P. 130-141

(١٦١) ويسمى أيضا : أوسر خبرو رع ستب ان رع، راجع : Gauthier, LR III, P. 132-133

(١٦٢) Vandier, Manuel d'Archéologie II,P. 933-934; PM II, P. 9-11

(١٦٣) Gardiner, JEA 44 (1958), P. 12-22

(١٦٤) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, P. 94; ANET, P. 260

(١٦٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٢٧ .

(١٦٦) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, P. 94

هوامش الفصل الرابع عشر

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٥٩ حاشية (١) ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٣) De Wit, The Data and Route of the Exodus, (1960), p. 20

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ؛ د. على حسن : النبى موسى المصرى الذى قاد اليهود ، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(٥) Desroches - Noblecourt, Ramses le Grand (1976), p. XXVIII-XLV; lalouette, L'Empire. des Ramses (1985), p. 259 r. 167 et, p. 490; Fairman, Egypt in the Bible, p. 236.

وقد جاء فى كتاب مدام نوبلكور أحدث الآراء بالنسبة لقصة الطرد ، فهى تضعه فى أيام حكم رمسيس الثانى . وملخص رأيها الذى جاء فى كتابها فى المقدمة ابتداء من الصفحة رقم XXVIII-XLV ان الطرد قد حدث بين العام العاشر والثامن عشر من حكم رمسيس على الرغم من انه ليس هناك أية وثيقة مصرية تشير إلى ذلك ، وذكرت ان اسم سيدنا موسى هو اسم من أصل مصرى . ونشأ فى بلاط الملك وكان هناك فى ذلك الوقت الكثير من اليهود الذين يعملون بمناطق الحدود المصرية فى زراعة الكروم وعمل الطوب اللبن . وكان البعض منهم قد تعلم فى المدارس المصرية . وكان سيدنا موسى يتمتع بحماية خاصة من الملك حورمحب الذى كان مشغولا بمشكلات الآسيويين فى مصر .وقام الملك سيتى الأول بتشييد الحصون فى شرق الدلتا وشيد قصره فى قنطير التى أصبحت العاصمة فى عهد رمسيس الثانى . وكانت الأيدى العاملة التى عملت فى تشييد هذا القصر والحصون من القبائل الآسيوية . وهنا تواجد سيدنا موسى بين أهل عشيرته . وكان الملك يقوم باضطهاد اليهود فى بيثوم وهرب سيدنا موسى إلى مدين بعد مقتل أحد زبانية الاضطهاد وتزوج من ابن كاهن مدين فى غرب وادى عربة ــ ايلات . وعاد سيدنا موسى مرة أخرى إلى مصر بعد ان تولى رمسيس الثانى الحكم . وكان سيدنا موسى شخصية كبيرة فى مصر وطلب من رمسيس ان يذهب مع شعبه لعمل تضحية فى الصحراء على بعد مسيرة ثلاثة أيام ولكن الملك رفض هذا الطلب وكان هذا الرفض سبباً فى بداية الصراع . وحدث هذا الطلب بين السنة الخامسة والسابعة من حكم رمسيس . وفى خلال هذه السنوات شاعت القلاقل على الحدود المصرية الشرقية . وتمادى الملك فى اضطهاد اليهود فى بيثوم ومدينة رمسيس وذلك بعد وفاة الابن الأكبر للملك . وحدث الطرد وبدأ الخروج من مدينة رمسيس واتجه اليهود إلى وادى الطميلات نحو جنوب خليج السويس وهو طريق خال من التحصينات . ويبدو ان الصدام مع الجيش المصرى قد حدث فى المناطق الضحلة فى كليسما Clysma على البحر الأحمر . وهنا حدثت معجزة انشقاق مياه البحر ، واتجه سيدنا موسى بعد ذلك إلى جنوب صحراء النقب فى سيناء .

(٦) Kitchen, Ramses II, le Pharaon Triomphant p. 344; Id., Ancient Orient and Old Testament, p. 57-60; Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 94; Pirenne, la Socite Hebraique d'apres la Bible, p. 35; Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 160 (8); Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 109; Drioton, la Date de l'Exode, dans Revue d'histoire et de Philosophie Religieuse no 35 (1955),

وأيضا ؛ د. بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨١ حاشية (١) ، ص ٣٠٢ حاشية (٥) .

(٧) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٨) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٦ حاشية (١) ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ حاشية (٨٨) .

(٩) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، ص ٤٨٨ ـــ ٤٨٩ .

(١٠) The Cotic Version of the New Testament in the southern Dialect, vol. VI, The Acts of the Apostles, Oxford (1922), p. III-IV (introduction).

(١١) Id., op. cit., p. 144-145, Acts Vii, p. 36-38.

وذكر هذا النص فى رسالة الماجستير الغير منشورة التى أعدها وجدى رمضان عن « عصر مرنبتاح وآثاره » عام ١٩٨٦ ، ص ٤٧٥ حاشية (٣) .

(١٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ـــ الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ـــ الجزء الأول ، ص ٤٢٣ .

(١٣) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 108-109.

(١٤) عثر على نسخة أخرى من هذه اللوحة فى معبد الكرنك ، ولكن لم يذكر عليها حملة الملك فى فلسطين راجع :
Legrain, AsAE 2 (1901), p. 269-270; Kuentz, BIFAI 21 (1923), p. 113-117.

(١٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ حاشية (١) ؛ جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم ابو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ حاشية (٨٧) . وتذكر اسرائيل فى جميع المرجع الأجنبية منها :

Ph. Von Zabern, official catalogue:
The Egyptian Museum, Cairo (1984), no. 212; la cau, steles du Nouvel Empire CGC, p. 52; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 273; Daumas, op. cit., p. 95; posener, op. cit., p. 109; Pirenne, op. cit., p. 34 h. (3). p. 35 et p. 36 n. (2); Kitchen, op. cit., p. 59; lalouette, l'Empire des Ramses, p. 277; Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 163.

(١٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(١٧) د. فيليب متى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق ، دار الثقافة ببيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٦٤ ـــ ٦٥ .

(١٨) أصبح هذا الاسم يطلق فيما بعد على الساحل وغربى فلسطين ثم أصبح الاسم الجغرافى المتعارف عليه لفلسطين وجزء كبير من سورية ، راجع : د. فيليب متى : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(١٩) د. فيليب متى : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢٠) جزر هى تل الجزر جنوبى شرقى الرملة ، راجع د. فيليب متى : المرجع السابق ، ص ٢٦ . وقد عثر للملك مرنبتاح على ساعة شمسية (مزولة) من القاع فى تل جزر ، راجع :
PM VII, p. 370.

(٢١) د. فيليب متى : المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٩ ، ٣٥٠ .

(٢٢) د. فيليب متى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٢٣) عثر على اسم مرنبتاح على العديد من الآثار التى عثر عليها فى شبه جزيرة سيناء وفى تل الدوير ورأس الشمرا ، راجع :
PM VII, p. 351, 364, 371; Kitchen, Ramesside Inscriptions IV, p. 24.

(٢٤) **Ph. Von Zabern, op. cit., n. 212; Grimal, les Termes de la Propogande Royale, p. 254, 284, 314, 467, 541, 649, 661 (505); lalouette, op. cit., p. 277, 528; Zivie, GM 18 (1975), p. 46 n. 7, p. 50 n. 11 et p. 18; Kitchen, op. cit., p. 59 h. 12; Posener, op. cit., p. 109; Daumas, op. cit., p. 557, 629, 539; Drioton - Vondier, l'Egypte (ed. 1946), p. 415 -416, 433 (VIII) (A) (3) (b); Pirenne, op. cit., p. 36; lefebvre, ASAE 27 (1927), p. 25 n. b, p, 26 n. e, p. 28 h. d; PM, Theban Temples 11 (1929), p. 159 (XIV); PM, op. cit., 11 (197Z), p. 447.**

(٢٥) يسميها كريشتن ب « لوحة امنحتب الثالث » ، راجع :
Kruchten, ASFE 103 (juin 1985), p. 15 n. 21 Ph. Von Zabern.
ويسميها « لوحة انتصار مرنبتاح » وأيضا « لوحة اسرائيل » .

(٢٦) **Kitchen, op. cit., p. 57-59**

(٢٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥١ حاشية (١) .

(٢٨) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ ــ ٣٧٩ حاشية (٣) .

(٢٩) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٣٠) **Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 95; Pirenne, la socité Hebraique d'apres la Bible, p. 36 n. (2).**

(٣١) **Gardiner, Egyptian Grammar (ed. 1957), p. 513 (T. 14).**

(٣٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ .

(٣٣) وجاء فى نص لوحة عمدا السطر ٢ لقب « قاهر جزر » راجع :
Gardiner, Egypt of the Pharaohs p. 273 n. 5; Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, p. 60
جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم ابو بكر) ، ص ٣٠٢ حاشية (٥) .

(٣٤) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣٥) **Daumas, op. cit., p. 95; Pirenne, op. cit., p. 36.**

(٣٦) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ .

(٣٧) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٣٨) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٢ حاشية (١) .

(٣٩) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١ حاشية (١٨) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٤٠) De Rouge, Inscriptions Hieroglyphiques, pl. 188-189; Mariette, Karnak, pl. 53; Drioton-Vandier, l'Egypte (ed. 1946), p. 284, 310.

(٤١) Yoyotte, RdE 7 (1950), p. 66.

(٤٢) سورة الاسراء : آية ١٠٣ ؛ القصص : آية ٤٠ .

(٤٣) سورة يونس : آية ٩٢ .

(٤٤) مختصر تفسير ابن كثير .

(٤٥) سفر الخروج : ١ ، ٦ — ١٠ .

(٤٦) Gauthier, LR III, p. 110-120.

(٤٧) Lalouette, op. cit., p. 178-180, 268-286



هوامش الفصل الخامس عشر



(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 95

(٢) Gauthier, LR III, p. 152

(٣) يعطى جوتيه اسم الملك تيتى سارع ـــ مران بتاح كآخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، راجع :
Id., op. cit. III, p. 148- 149

(٤) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 97

(٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 167.

(٦) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 167

(٧) Id., op. cit., p. 168.

(٨) وايضاً : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٧٥

(٩) Birch, Fascimile of An Egypt. Hier. Pa p., pl, 75,Eisenlohr, Transactions S.B. A. I, p. 362; Eisenlohr- Birch, Records of the past. 8, p. 46, Breasted, AR IV § 399.
وايضا : د . عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، ص ١٥٧ ، د . ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة شاكر ابراهيم ومراجعة د . ابو المحاسن عصفور) الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ص ٧٢

(١٠) د . احمد فخرى : مصر الفرعونية (طبعة ١٩٨١) ، ص ٣٧٥

(١١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 170- 171

(١٢) Id., op. cit., p. 172
وتشير إلى هذه الحملة نقوش معبد مدينة هابو التى تتحدث عن زعيم آمورو الذى « اصبح لا شئ واقتلعت بذوره » ، راجع : د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١

(١٣) Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 301-302

(١٤) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ـــ ٢٣٦

(١٥) Edgarton- Wilson, History Records of Ramses III, p. 19
وايضا : د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ ـــ ٣٧٢

(١٦) Medinet- Hobu, publ. of Oriental Ihstitute of Chicago I, pl. 34, lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 302- 315
وايضا : د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ـــ ٣٧٣ ، د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الاول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٦ ـــ ٢٣٩ .

(١٧) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 173

(١٨) د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٣

(١٩) Breasted, AR IV § 405

(٢٠) Edgarton- Wilson, op. cit., p. 74

(٢١) د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٧٤ وايضاً : Lalouette, op. cit., p. 316-318

(٢٢) Breasted, AR IV § 407

(٢٣) Lalouette, L'Empire des Ramsès, Paris (1985), p. 112 4 p. 493

(٢٤) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 176

(٢٥) د . انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٢٢ ـــ ٤٢٩

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٤٢٦ شكل ١٨٩

(٢٧) المرجع السابق ، ص ١٣١ ـــ ١٣٣ شكل ٣٧ ا ، ب

(٢٨) د . انور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ ـــ ٤٢٩ شكل ١٨٦ ـــ ١٨٩

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٤٢٦

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٤٢٧

(٣١) المرجع السابق ، ص ٤٢٨

(٣٢) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٧

(٣٣) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 745- 790

(٣٤) خصص رمسيس الثالث ٢٧٠٧ من اسراه لاملاك المعبود آمون ، و٢٠٩٣ لا ملاك رع و٢٠٥٠ لاملاك بتاح ، راجع : د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ . وتذكر وثيقة من عهده ان دخل معابد آمون فى طيبة وحدها بلغ ٦٢ كيلو جرام من الذهب ، و١١٨٩ كيلو جرام من الفضة ، و٢٨٥٥ كيلو جرام من النحاس ، راجع : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩

(٣٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 174

(٣٦) Id., op. cit., p. 174

(٣٧) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 98

(٣٨) Edgarton, JNES 10 (1951), p. 137- 145

(٣٩) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ـــ ٢٤٣ ؛ د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ .

(٤٠) Sauneron- Yoyotte, BIFAO 50 (1952), p. 107-111; Gardiner JEA 42 (1956), p. 8-20; Bedell, Criminal law in the Egyption Ramesside Period (1973), p. 10,

وايضاً : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٧٧ ـــ ٣٧٨ ؛ د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٠

(٤١) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 177

(٤٢) بردية تورين القضائيه وبرديتا لى وورلان راجع بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٢٩٥ ، ٤٩٢ حاشية (٤٣)

(٤٣) Erichen, Pap. Harris I (BAe V) Bruxelles 1933, p. 59, 1. 10- 11; Erman, Zur Erklarung des Pap. Harris, dans Sitzungberichte d. kgl. Preuss. AK. P. Wissen Schaften (Berlin 1903), p. 456- 474; Breasted, ARIV § 151-152

وايضاً :ــ د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص.٣٧٧

(٤٤) د . انور شكرى : العمارة فى مصر الفرعونية ، ص ٤٠٤ شكل ١٨٠

(٤٥) Schulman, JNES 22 (1963), p. 177- 184

(٤٦) Wolf, Das Alte Agypten, Munchen (1971), p. 233; Gauthier, LR III, p. 178- 185

(٤٧) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 179

(٤٨) Piankoff, BIFAO 43 (194,), p.1- 50

(٤٩) Weigall, op. cit., p. 136

(٥٠) Peet, JEA 10 (1924), p. 116- 127

(٥١) Carter- Gardiner, JEA 4 (1917), p. 130- 149.

وايضا : احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ ؛ د . انور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٩٤ شكل ٢٤

(٥٢) فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٢ R. el Sayed, Quelques hommes Célèbres

(٥٣) Bruyer, Fouilles de Deir el Medineh (1922 - 1923), p. 67- 68

(٥٤) المرجع السابق ، ص ٢٣. ٢٤ R. el Sayed, Quelques hommes Célèbres

(٥٥) Gauthier, LR III, p. 198

(٥٦) Id., op. cit., p. 199

(٥٧) Gauthier, LR III, p. 203

(٥٨) Id., op. cit., p. 205

(٥٩) Id., op. cit., p. 207- 216

(٦٠) Id., op. cit., p. 218- 219

(٦١) Id., op. cit., p. 220- 221

(٦٢) Menu, Régime Juridique des Terres et du Personnel attaché à la terre,

d'apres, le Papyrus Wilbour, lille (1970), p. 34; Gardiner, Wilbour Papyrus II (1948), p. 112- 113

وايضاً : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٨٠ حاشية (٢)

(٦٣) Gardiner, op. cit., p. 110

(٦٤) Naville, Bubastis, p. 46 pl. 25

(٦٥) د . صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٢ ــ ٦٣ ؛ د . عبد العزيز صالح المرجع السابق ، ص ٢٤٢

(٦٦) Breasted, AR IV § 474

وايضا وولترايمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د . تحفة هندوسة) ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٤ .

(٦٧) AIB II, p. 186

(٦٨) Vandier, Mannel d'Archéologie III, p. 402

(٦٩) د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٨٢ . ٣٨٣ ؛ د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٣

(٧٠) Drioton - Vandier, l'Egypte (éd. 1952), p. 362, 514, 519, 557, Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 175- 175; Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 100

(٧١) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٣٠ ، وعن تصميم المقبرة راجع : د . انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٥ شكل ١٨١

(٧٢) كانت ادواتهم من الحجر والنحاس والبرونز والخشب ، راجع : د . انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٩

(٧٣) Cerny, Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty -First Dynasty, Cambridge Anc. Hist. (1965), p. 17- 23

(٧٤) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 180

(٧٥) Id., op. cit., p. 181

(٧٦) R. el Sayed, Quelques hommes Célèbres:

مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٤ ــ ١٥

(٧٧) عن دور بانحسى فى بلاد كوش ، راجع : د . محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ١٩٧١ ، ص ٨٠ ــ ٨٢

(٧٨) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaoique, p. 100- 101

(٧٩) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٨٥ ؛ د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٤

(٨٠) Wente, late Ramesside letters, p. 4 n. 15

(٨١) عن توقيت قصة ون ــ آمون بنهاية عصر الاسرة العشرين ، راجع : د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ حاشية (١٣١) ؛ د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٨

(٨٢) د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٩

(٨٣) Lefebvre, Histoire des Grands Prêtres, p. 205- 213; Gauthier, LR III, p. 241, kees, Hohenpriester, p. 16; Nims, JNES 7 (1947), p. 161; Petrie, History III, p. 203 fig. 80; Černy, Egypt from the Death of Ramesses III, p. 32; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 305; Id., Apolitical Crime in Ancient Egypt (1912-1913), p. 57- 58; Daressy, ASAE 17 (1917), p. 29- 30; Wente, JNES 26 (1967), p. 162- 168; Id., Was Paiankh Herihor'sson ? in Drerie Vostok (Mel. koroslovstsev I) (1975), p. 36- 38.



هوامش الفصل السادس عشر

(١) عن ملوك هذه الأسرة ، راجع : د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ٦٠٧

Young, JARCE II (1963), P. 99-100; Wente, JNES 26 (1967),p. 167- 172,
Černy, Egypt from the Death of Ramesses III, (1965), p. 40-54; Gauthier, LR II, p. 235 et p. 288

(٢) ظهر اسم تانيس ذ الأسرة الحادية والعشرين ، راجع :
د. انور شكرى . العمارة فى مصر القديمة ، ص ٧٥ حاشية (١) وكانت تقع فى مكان إستراتيجى على احد فروع النيل ، مناسب للتجارة مع آسيا ، تحميها من جهة البحر بحيرة كبيرة ، وقد زينها رمسيس الثانى وشيد فيها المعابد راجع : المؤلف نفسه ، ص ٧٦ ــ ٧٧

(٣) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٤٤

(٤) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p.186

(٥) Maspero, ZAS 21 (1883), p. 62- 74; Gauhtier, LR III, p. 237 (XIX).

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٦

(٧) Young, JARCE II (1963), p. 99-100

(٨) Gauthier, LR III, p. 248 et p. 289

(٩) يذكر مانيتون بعد اسم بسوسينس الأول اسم ملك آخر يسمى نفر كارع ــ حقا واست ــ آمن ام نسو ، راجع :
Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 233; Černy, op cit, p. 42-43,
وايضاً : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٥١

(١٠) شيد بعض ملوك الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين مقابرهم فى حرم المعبد فى تانيس وكانت مقبرة بسوسينسى تتألف من دهليز وردهة وثلاث قاعات وجد فى احداها التابوت ، راجع : د. انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٣٠

(١١) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٤١

(١٢) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦١٠

(١٣) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 189

(١٤) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 101

(١٥) Gauthier, LR III, p. 296

(١٦) Daumas, op. cit., p. 101

(١٧) هذا هو الاسم الفعلى لبسوسينس الثانى كما ذكره ولف فى كتابه :
Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 233,
وليس كما ذكر جوتيه فى كتابه عن الملوك :
Gauthier, LR III, p. 299.

(١٨) د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٩٠ — ٣٩٢

(١٩) د . عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، فى ٦٠٩

(٢٠) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، فى ٢٤٧ ، ص ٦٠٩

(٢١) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦٠٩ ؛ د . محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٩ — ١٩٩

(٢٢) د . احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٢

(٢٣) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 190

(٢٤) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦١٠

(٢٥) د . محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٨٨ — ١٨٦

(٢٦) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦١٠

(٢٧) يرى بعض المؤرخين ان هناك بسوسينس الثالث مثل :
Gauthier, LR III, p. 302; Daressy, RT 21 (1899), p,9- 12
ولكن الذى اختتم هذه الأسرة بالفعل هو بسوسينس الثانى ، راجع :
Wolf,op. cit., p. 233, Drioton- Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 517,
Černy, Egypt from the Death of Ramesses III, p. 44.

(٢٨) Gardiner, Onom. I, p. 120

(٢٩) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦١ ؛
Yoyotte, Melanges Maspero I fasc. 4, Paris (1961), p. 60

(٣٠) Id., Histoire Universelle I, p. 121

(٣١) Leclant, Elements pour une étude de la divination dans l'Egypte pharaonique (études recueillis par A. Caquot I, paris (1968), p. I- 23); Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 194

(٣٢) Suys, la Sagesse d'Ani, An. Orient II (1935), p. XV-XIX

(٣٣) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٠

(٣٤) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 101

(٣٥) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٠

(٣٦) يذكر يويوت فى دراسة حديثة له ان هناك ملكا غير معروف يدعى ايضا اوسركون ابن « مهيت اونش » وكان والدا لششنق الاول ، وذلك بالاضافة إلى الأربعة اوسركون المعروفين ، راجع :
Yoyotte, Osorkon fils de Mehytonshe, dans BSFE 77- 78 (1177), p. 48- 49

(٣٧) Mokhtar, Ihnasya el- Medina, BdE 40 (1983), p. 199

(٣٨) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique,p. 102; Weigall Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 195

وايضاً : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٩٧ ـــ ٣٩٨ ، د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ ـــ ٢٦٤

(٣٩) عرف المصريون ركوب الخيل وكانوا يستخدمونها فى الحروب ، فقد عثر فى مقبرة حور محب التى عثر عليها فى سقارة على نقش يمثل فارس يمتطى جوادا ، وعثر على رسم على اوستراكا يمثل فارسه مصرية تمتطى جوادا ، راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى ـــ المجلد الأول) ص ٢ شكل ١٨

(٤٠) Barguet, le temple d'Amon - Re à Karnak (1962), p. 48- 49; legrain, karnak, p. 54- 62; University of chicago, Oriental Institate publ. 74, Relief and Inscriptions at karnak III, The Bubastite portal, p. 74

(٤١) PM, Theban Temples, p. 34- 35

(٤٢) Breasted, AR IV § 709- 722; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 267; Muller, Egyptalogical Researches I, p. 51- 54

(٤٣) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٥٧ . Caminos, JEA 38 (1952), p. 46- 61, pl. 10- 13,

(٤٤) Gitton, l'Epouse du. Dieu, Paris (1976), p. 87-89, Drioton- Vandier, l'Egypte (éd 1952), p. 449

(٤٥) Von Beckerath JARCE 5 (1966), P. 44- 49; Traunecker,la Tribune du quai de karnak, dans karnak V (1970- 1972), le Caire (1975), P. 58- 59.

(٤٦) Kamal, ASAE 2 (1901), P. 88-89; Gauthier, LR III, p. 326 (X); Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467.

(٤٧) Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467.

يقول ان الجزء الاول من اسم هذا الملك غير معروف .

(٤٨) Gauthier, LR III, p 33 4n. (1)

(٤٩) Leclant, les Relations entre L'Egypte et le Phenicie, Beirut (1968),p.13

(٥٠) Naville, Festival Hall of Osorkon II (1892), p. 18- 19, pl. 2-10

(٥١) يضع كيتشن شِشنق الثانى بعد اوسركون الأول ، راجع :

Kitchen, The Third Intermediate Period, p.467

(٥٢) Drioton- Vandier, l' Egypte (ed. (1952), p. 529 n.(1); Gauthier, LR III, P. 361n. (1)

وايضاً ـــ د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، حتى ٨٥٨

(٥٣) Montet , la Nécropole Royale de Tanis I, Paris (1947), P. 61- 63, Fig -18-19

(٥٤) Kitchen, op. cit., p. 467

(٥٥) د . عبد الحميد زايد . مصر الخالدة ، ص ٨٥٩ Drioton- Vandier, op. cit., p. 528- 529,

(٥٦) وايضا د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٨٥ Gauthier, LR III, p. 351-354 (I-XIII).

(٥٧) Gauthier, op. cit., p. 369; Kitchen, op. cit.,p. 467.

(٥٨) وليس ابتداء من عصر الملك شنشق الأول كما هو كان معروفا من قبل ، راجع :

J- Gordon, Hommages Sauneron, p. 180-182

(٥٩) Drioton- Vandier, op. cit., p. 512 et 631

(٦٠) Id., op. cit., p. 512- 514

(٦١) Gauthier, LR III, p. 403 (B); Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 233; Drioton-
Vandier, op. cit., p. 601

(٦٢) Mariette, le Serapeum de Memphis (1857), p. III, pl. 31; Breasted,
AR IV § 785-792; Montet, le Drame d'Avaris (1940), p. 197; Drioton
Vandier, op. cit., p. 540- 559 et p. 566.

هوامش الفصل السابع عشر



(١) د . احمد فخرى : مصر الفرعوية ، ص ٤٠١ ـــ ٤٠٢ ؛ وقد وصفها هيرودوت بأنها كانت من أبها ما يرى من مدن مصر كلها ، وان ارضها مرتفعة وان معبد المعبودة باستت فى وسطها حيث يرى من جميع الجهات . وكان يؤدى اليه طريق مرصوف بالحجارة وعرضه اربعمائة قدم ، وتكتنفه احجار عالية ، راجع : د . انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ص ٧٧

(٢) Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467

(٣) Yoyotte, RdE 24 (1972), p. 216- 223

(٤) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 199

(٥) Kitchen, op. cit., p. 467

(٦) Drioton- Vandier, L'Egypte (éd, 1952), p. 507, 511

(٧) Gauthier, LR III, p. 373- 374

(٨) Id. , op. cit. III, p. 375 (x)

(٩) احيانا يضاف الى اسم اوسركون الثالث : سايزه ، راجع Id. , op. cit. III, p. 382- 386

(١٠) يضعه جوتيه فى الاسرة الثانية والعشرين ، راجع :
Id., op. cit., III. p. 383.

(١١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaoique, p. 102

(١٢) Leclant, MDIAK 15 (1957), p. 166- 167

(١٣) يوجد هذا النقش فى الركن الشمالى الغربى لبهو الاعمدة فى معبد الأقصر ، راجع :
Daressy, RT 18 (1896), p. 181- 184, Vandier, La Famine, La Caire (1936), p. 123; Breasted, AR IV § 743 et p. 369.

يعتقد بعض العلماء ان ذلك الحدث وقع فى عصر الملك اوسركون الثانى ، راجع :
Legrain, RT 28 (1906), p. 154; Daressy, ASAE 26 (1926), p.7 n. (3),
Id., RT 18 (1896), p. 108.

(١٤) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٨٨ ، ٨٨٦ وايضاً :
Yoyotte, Melanges Maspero, Fasc. 4, p. 120- 159.

(١٥) Yoyotte, op. cit., p. 130

(١٦) leclant, Sur la Nubie Ancienne, quelques publications recentes (extrait Revue Historique no 489) (1969), p. 163- 178; Bietak, Ausgrabungen in Sayala- Nubien 1961- 1965; Denkmaler der c, Gruppe, Wien (1966), p. 5

وايضاً :ـــ د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٥،

(١٧) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 102

(١٨) Yoyotte, Histoire Universelle I, p. 231,

وايضاً : د . عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ، الجزء الاول : مصر والعراق ، ص ٢٦٥ ؛

د . محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ١٩٧١ ، ص ١١٠ — ١٣٧

(١٩) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٨٦

(٢٠) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 103- 104

وايضاً : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧

(٢١) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 201- 202

وايضاً : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٠٧ — ٤٠٩

(٢١) Weigall, op. cit., p. 202

(٢٢) Id., op. cit., p. 202

(٢٣) Id., op. cit., p. 202

(٢٤) Weigall, op. cit., p. 203

(٢٥) توجد لوحة بعنخى الآن فى المتحف المصرى وقد عثر عليها فى جبل برقل عام ١٨٦٢ ، راجع :

Grimal, la Stele Triomphale de Pi, (CAnkh) y, (1978), p. 24, Drioton- Vandier, L'Egypte (éd. 1952); p. 537 (III); Breasted, AR IV § 796- 883 et p. 406 n. (9), Schafer, Urk I, p. 1- 56; Gauthier, LR III, p. 400 et. t. IV, p. 2 (1)

وولترامرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د . تحفة حندوسة) ص ٢١٨ — ٢٢٩

(٢٦) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 103,

د . محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ١١٥ .

(٢٧) Gauthier, LR III, p. 383- 384

(٢٨) Id., op. cit. III, p. 387- 390

(٢٩) Id., op. cit. III, p. 392

(٣٠) Id., op. cit. III, p. 399- 400

يضع كيتشن الملك اوسركون الرابع كآخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، راجع :

Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467

(٣١) Id., op. cit., p. 467

(٣٢) Drioton- Vandier, L'Egypte (éd 1952), p. 601

(٣٣) Id., op. cit., p. 537; Gauthier, op. cit. III, p. 392 (II)

(٣٤) R. el Sayed, Documents Relatifs à Sais (BdE 69) (1975), p. 44- 45, pl. VII

وايضاً : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١٠ حاشية (١) ؛ د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩

(٣٥) هذه هى القراءة الصحيحة لهذا اللقب وليس « سياايب » كما ورد فى كتابنا : R. el Sayed, op. cit., p. 44

(٣٦) R. el Sayed, op. cit. p., 35- 53 pl x; Id., dans Vetus Testamentum, Vol xx, I, Leiden (1970), p. 118

(٣٧) هذه هى القراءة الصحيحة لهذا اللقب وليس « سياايب » كما ورد فى كتابنا : R. el Sayed, op cit., p. 35

(٣٨) Revillout, Notice des Papyrùs Demotiques Archaiques, (1896), p. 213- 218

(٣٩) Gauthier, LR III, p. 410- 411; Moret, De Bocchori Rege, p. 7; Petrie, History III, p. 316; Breasted, AR IV § 884
Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 205,

(٤٠) د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١١ ؛ د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٦٨

(٤١) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 103,

(٤٢) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٩٤

(٤٣) Yoyotte, Biblica 37 (1956), p. 457- 476

(٤٤) Gauthier, LR IV, p. 2 n. (2)

(٤٥) Gauthier, LR IV, p. 4 (VI- VII).

(٤٦) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩

(٤٧) Leclant, Recherches Sur les Monuments Thebains (BdE 36, le Caire 1965), p. 160- 205; Gauthier, LRIV, p. 13 (I), 14 (VIII), 15 (IX-XII)

(٤٨) طبقاً للتعبير « بوصة محطمة » سفر الملوك الجزء الثانى : ١٨ ، (٢) ربما كان اشارة إلى اللقب الملكى نسوت (المنتسب إلى نبات السوت اى ملك مصر العليا) والذى كان يكتب بعلامة البوص او الأثل او الخيزران . راجع : د . احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١٤

(٤٩) لاتزال مدة حكم شاباكا موضع خلاف بين العلماء ، اذ ان بعضاً منهم يعطى تاريخيا هو ٧١٥ ــ ٧٠١ ق.م ، راجع : Drioton - Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 571

(٥٠) Gauthier, LR IV, p. 20 (c); Mariette, Karnak (1875), pl. 45 (c)

(٥١) Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 232

(٥٢) Mariette, Monuments Divers, pl. 29 (e)

(٥٣) Gauthier, op. cit.IV,p. 29 (11)

(٥٤) Id., op. cit. v, p. 30 (v)

(٥٥) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 237; Gauthier, LR IV, p. 31 (6)
وايضاً :ــ د . أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١٤ ــ ٤١٦،

(٥٦) Gauthier, op. cit. IV, p. 441

(٥٧) Weigall, op. cit., p. 209; Petrie, Tanis II, london (1888), p. 12, pl. 9, Breasted, AR IV § 892- 896, p. 455 n (a); Gauthier, LR IV, p. 38 (28).

(٥٨) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 103

(٥٩) Leclant, Montouemhat (BdE 35), le Caire (1961), p. 259- 279; R. el Sayed, Quelques hommes célèbres,

مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٥ ــ ١٧

(٦٠) Gauthier, LR IV, p. 36- 40

(٦١) Leclant, BIFAO 53 (1953), p. 113- 172; Id. Recherches Sur les Monuments Thêbains, p. 200- 265

وايضاً : د . انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩

(٦٢) Breasted, AR IV § 879 - 899; Gauthier, op. cit. IV, p. 35 (G); Maspero, Histoire III, p. 364- 365

(٦٣) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 103

(٦٤) د . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٤

(٦٥) Weigall, op. cit., p. 209

(٦٦) Daumas, op. cit., p. 103

(٦٧) Dunham- Macadam, JEA 35 (1949), p. 139- 149; Leclant- Yoyotte, BIFAO 51 (1951), p. 1- 39; Macadam, The Temples of kawa I, The Inscriptions, london (1949), p. 15- 36.

(٦٨) د . عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٩٥

(٦٩) Goossenes, CdE 22 (1947), p. 239- 244

(٧٠) وجدت فى جبل برقل وهى محفوظة بالمتحف المصرى ، راجع :

Mariette, Monuments Diviers, pl. 7- 8; Schafer, ZAS 35 (1897), p. 67- 69; Id. Urk I (1905), p. 57-77; Breasted, AR IV § 919- 934; Gauthier, LR IV, p. 43 (B)

(٧١) Leclant, Montouemhat (BdE 35), p. 275- 276

(٧٢) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 103

(٧٣) G. Mokhtar, General History of Africa II, p. 288- 289

(٧٤) Id., op. cit., p. 209

(٧٥) Id., op. cit., p. 292

(٧٦) C. Mokhtar, op. cit., p 322 pl. II, 1; Macadam, kawa I, p. 125, Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 570- 571,

د . أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٣٥٦ ـــ ٣٦٢

(٧٧) G. Mokhtar, op. cit., p. 292- 293

(٧٨) Leclant, Montouemhat, p. 202- 204; Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 212; Breasted, AR IV § 901- 916; Mariette, karnak, p. 42-44

(٧٩) Leclant, Montouemhat, p. 171- 238

هوامش الفصل الثامن عشر



(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. III-112

(٢) Gauthier, LR IV, p. 441

(٣) R.el Sayed, Documents Relatifs à Sais (BdE 69), le Caire (1975), p. 5-217

(٤) Drioton- Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 575-576

وايضا د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٢٠ ــ ٤٢١

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٢٠ ــ ٤٢١ ، وايضا :
Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 106; Drioton-Vandier, op. cit., p. 546-547

(٦) Leclant, Montouemhat, p. 239; Barguet, le Temple d'Amon-Re à karnak, p. 52 (4); Vandier, ZAS 99 (1972), p. 29; Caminos, JEA 50 (1964), p. 71-100, pl. 8-10; Drenkhahn, MDIAK 28 (1968), p. 115; Gauthier, LRIV, p. 84 (f) ; PM, Theban Temples II, p. II

(٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٢

(٨) Ranke, ZAS 44 (1908), p. 42-54;

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢٧٤؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢١

(٩) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 215

(١٠) R.el Sayed, Quelques hommes célèbres:

مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٣ ــ ٣٤

(١١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 106

(١٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧

(١٣) Weigall, op. cit., p. 215

(١٤) د. ابراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى ــ عصر البطالمة) ، ص ٢٠٠

(١٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٣

(١٦) Gauthier, LR IV, p.65-82

(١٧) R.el Sayed ,les activités des Rois de le XXVIe dynastie à Sais, Revue d'Etudes Historiques 21 (1974), p. 27

(١٨) Daumas, la Civilisation de L'Egypte. Pharaonique, p. 106-107

(١٩) Yoyotte, Dictionnaire de la Bible, Supplement VI (1958), col. 365-370

(٢٠) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٤، Daumas, op cit., p. 107

(٢١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧٨

(٢٢) Mallet, les Premiers Etablissements des Grecs en Egypt, Paris (1893) (MMIFA 12), p. 88-101

(٢٣) Daumas, op. cit. , p. 107

(٢٤) Posener, CdE 26 (1938), p. 259-279; Id. Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 40; Newberry, JEA 28 (1942), p. 64-66

(٢٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، ص ٢٧٩

(٢٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٠

(٢٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ،

Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 584

(٢٨) Gauthier LR IV, p. 86-91

(٢٩) R. el Sayed, les Activités des Rois de la XXVIe dynastie à Saïs, Revue d'Etudes Historiques. 21 (1974),p. 27; Habachi, ASAE 42 (1943), p. 379 p. 379 fig. 100

(٣٠) Gauthier, op. cit. IV, p. 96

(٣١) Id., op. cit. IV, p. 441 (٢)

(٣٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٠

(٣٣) Sauneron-Yoytte, BIFAO 50 (1950), p. 157; Montet, kemi 8 (1946), p.39-40

(٣٤) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٦

(٣٥) Id., Vetus Testamentum I (1951), p. 140-144

(٣٦) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 108

(٣٧) Gauthier, LR IV p. 92-99

(٣٨) R.el Sayed, Documents Relatifs à Saïs, p. 107-108

(٣٩) Gauthier, LR IV, p. 441

(٤٠) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٧

(٤١) Daumas, op. cit., p. 108

(٤٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ـــ ٢٨١

(٤٣) Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine, leipzig (1912); Vincent, la Religion des Judeo-Arameens d'Elephantine, Paris (1937)

(٤٤) Weigell, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 217

(٤٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٤٨ ؛ وأيضا :

Daressy, RT22 (1900),p. 1-9

(٤٦) Herodote II, 169=trad. legrand, p. 185

(٤٧) Gauthier, LR IV, p. 104-112

(٤٨) Gauthier, LR IV, p. 441

(٤٩) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٣.٢٨٢

(٥٠) Id. , op. cit., p. 113-129

(٥١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٩

(٥٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٠

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٠ ، ص ٤٣٥

(٥٤) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 110

(٥٥) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p.8

(٥٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣١

(٥٧) R.el Sayed, Les Activités des Rois de la xxxVIe dynastie à Sais, p. 27-29

وكانت عبارة عن رواق كبير من الحجر مزدان باساطين تحاكى النجيل . وبداخل هذا الرواق بابان بينهما التابوت ، راجع :

د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٣٠



هوامش الفصل التاسع عشر

(١) R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:
فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٢ ــ ٤٤ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص٤٣١ .

(٣) Posener, la Première Domination Perse (BdE 11), le Caire (1936), 1-26; Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, P.220.

(٤) صور قمبيز على لوحة للعجل أبيس كملك مصرى ، راجع :
Posener, op. cit., p. pl. 3; Paker, Persian and Egyptian Chronology, dans American Journal of Semitic languages 58 (1941) p. 286.

(٥) Cowley, Armic Papyri of the Fith Century B.C. Oxford (1923), P. 15

(٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣١ ، ٤٣٣ .

(٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢٨٦ .

(٨) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ؛ ١٩٧٩ ، د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٩) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

(١٠) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢٧ .

(١١) Posener, op. cit., p. 164-171.

(١٢) Sottas, ASAE 23 (1923), p. 34-46.

(١٣) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. III.

(١٤) Gauthier, LRIV, p. 441.

(١٥) Kent, Old Persian Texts, dans JNES (1942), p. 415-423; Cameron, JNES 2 (1943), p. 307-313; Posener, la Primière Domination Perse, 48, 87.
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣٥ .

(١٦) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 40.
وتستطيع السفن التى تجوب البحر الأبيض أن تواصل طريقها فى النيل حتى منف ، ثم تأخذ طريقها فى الفرع البوبسطى ، ومنها تخرج إلى هذه القناة فتصل إلى مياه البحر الأحمر ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، ص ٢٨٧ .

(١٧) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

(١٨) Posener, la Première Domination Perse, p. 99-100; Couyat-Montet, les Inscriptions d'Ouadi-Hammamat, no 14.

(١٩) Posener, op. cit., p. 170; lefebvre, Essai sur la medecine, Paris (1956), p. 19; Gardiner, JEA 24 (1938), p. 157-158 (1); Daumas, BIFAO 56 (1957), p. 50; Jonkheere, les Medecins de l'Egypte Pharaonique, Bruxelles (1958), p. 32-33.

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

(٢٠) Posener, op. cit., p. 55, pl. 4 et p. 60 n. f, p. 179; PM IV, p. 52.

(٢١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٢٢) Davies, Hibis, p. 17 pl. 13; Winlock, Temple of Hibis at Khargeh Oasis I, p. 20. PM VII, P. 282 (71),

وأيضا : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ .

(٢٣) Naville, Mound of the Jew and the city of Onias, London (1809), p. 27; Clarke, JEA 8 (1922), p. 27-28.

(٢٤) Yoyotte, Inscriptions Hieroglyphiques Egyptienne de la statue de Darius, C.R. Academie des Inscriptions et Belles lettres, Paris (1973), p. 256-259; Id. Journal Asiatque (1972), p. 253-266 et p. 235-239.

(٢٥) Spiegelberg, Die Sogenannte Demotische Chronik, (1914), p. 30

(٢٦) Id., op. cit., p. 30.

(٢٧) Cowley, Aramaic Papyri of the Fith Century B.C., p. 248.

(٢٨) Griffith, Demotic Papyri in the John Rylands library, vol. 3, p. 60; R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres:

فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥ ــ ٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٤٨ .

(٢٩) Milne, JEA 24 (1938), p. 245-246.

(٣٠) Diodore XI, 46,4 = Trad. Goukowkys (Paris 1976).

(٣١) Couyat-Montet, les Inscriptions d'Ouadi-Hammamat, no 146.

(٣٢) Cameron, JNES II (1943), p. 310; Drioton-Vandier, l'Egypte (éd. 1952), p. 619.

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٨ .

(٣٣) Gauthier, LR IV, p. 150-152.

(٣٤) Posener, la Première Domination Perse, p. 120; Couyat-Montet, op. cit., no 52.

(٣٥) Id., op. cit., no 45-77.

(٣٦) Burchardt, ZAS 49 (1911), p. 76-77; Gauthier, op. cit., IV, p. 152.

(٣٧) Couyat-Montet, op. cit., no 89 et p. 61.

(٣٨) Id., op. cit., no 89 et p. 61

(٣٩) كان هذا الأسطول يتكون من السفن ذات الثلاث طبقات ووصلت من البحر الأبيض حتى منف ، راجع : أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٤٠) Cowley, Aramaic Papyri, no 11.

(٤١) Cowley, op. cit., no 30-31, 36.

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٤٢) Parker, Persian and Egyptian Chroology, p. 290.

(٤٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٤٢ .

(٤٤) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٣٩ ، د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ٦٢٠ — ٦٢١ وأيضا :

Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 111.

(٤٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٤٤ .

(٤٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٤٧) Gauthier, LR IV, p. 158-159.

(٤٨) Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 223.

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٤٩) Gauthier, op. cit., IV, p. 159.

(٥٠) De Meulenaere-Mackay, Mendes II, Bruxelles (1976), p. 183.

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٥١) Gauthier, LR IV, p. 162-163.

(٥٢) عد بعض العلماء ان اسم هذا الملك من أصل أجنبى ، راجع :

Posener, RdE 21 (1969), p. 148; Bakry, ASAE 58 (1964), p. 1-2, pl. 1.

(٥٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٩٥٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢٩١ .

(٥٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٠٥ .

(٥٥) Leclant, Orientalia 41 Fasc. 2 (1972), p. 254; Gauthier, LR IV, p. 166-170.

(٥٦) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥٦ .

(٥٧) Gauthier, LR VI, p. 169 (3).

(٥٨) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 111.

(٥٩) في الواقع أن آخر ملوك الأسرة هو : « هرنب خع ــ موتيس » الذي لم يذكره سوى أوسب وغالبا انه لم يحكم ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٥٤ وأيضا : Gauthier, op. cit., p. 170;

(٦٠) Id., op. cit. p. 170.



هوامش الفصل العشرون

(١) من المعترف به الآن بين العلماء ان نخت نب اف هو نختنبو الأول ونخت حر حبيت هو « نختنبو الثانى » ، راجع :
Clère, RdE 8 (1951), p. 25-29; le Corsu, RdE 21 (1969) p. 178; Drioton-Vandier, L'Egypte, (éd. 1952) p. 624-625; Gauthier, LR IV, p. 171

وليس كما يذكر جوتيه

(٢) Id., op. cit., p. 441

(٣) عثر عليها فى كوم جعيف وهى الآن بالمتحف المصرى ، راجع :
Brunner, Hierogl. Chrestomathie, pl. 23-24; Gunn, JEA 29 (1943), p. 55-59; Posener, ASAE 34 (1934), p. 141-148; Gauthier, op. cit., p. 182 (2); PM IV, p. 50.

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩ ص ٢٩٢ .

(٥) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥٩ .

(٦) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤١ .

(٧) Naville, Goshen and the Shrine of Saft el Henneh, london (1885), p. 5-13, pl.1-7

(٨) عن جميع آثار هذا الملك ، راجع :
Gauthier, LR IV, p. 183-191; PMIII, p. 179, 205, 221; Id. IV, p. 10,40,49-50,55,60,68,72; Id. V, p. 43, 71, 130, 148,168; Id VI, p. 15; Id VII, p. 278,336; Id., Theban Temples (1972), p. II, 208, 217, 245, 255, 272,302,463, 474.

(٩) PM VI, p. 206-207

(١٠) Gauthier, LR IV, p. 441

(١١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 112; Budge, History of Egypt VII, p. 103,

وايضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٢

(١٢) Budge, op. cit., p. 103; Diodore XV, 90,92

(١٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 112

(١٤) Id., op. cit., p. 563

(١٥) Gauthier, LR IV, p. 441

(١٦) موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان ، راجع :
Sander-Hansen, AAe 7 (1956), p. 34-44; Brnnner, Hireogl. Chrestomathie, pl. 27; Golenischeff, die Miternichstele, pl. 1-4; Yoyotte, BIFAO 54 (1954), p. 86-87 (3); Gauthier, LR IV, p. 178 (29A); PMIV, p. 5.

(١٧)	عن جميع آثار الملك واعماله، راجع :
PM lll, p. 3, 205, 213, 221; Id. IV, p. 3,5,13,40, 43-44, 55 61,72,104, 168; Id. V, p. 106, 124, 128, 157,227; Id. VI, p. 146, Id .VII, p. 278-279, 311, 336; PM, Theban Temples (1972), p. ll, 12, 243, 275,475; leclant, Orientalia 41, fasc.2 (1972) , p., 254; t. 43 fasc. 2 (1974) , p. 179.

(١٩)	فقد وضع ارتاكسركسيس الثالث فى الخطوط الأمامية اكثر من ثلاثمائة ألف رجل وثلاثمائه سفينة مكونة من عدة طوابق .

(٢٠)	د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٥

(٢١)	د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٦٧

(٢٢)	د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ وايضا :
Gauthier, LR IV, p. 195

(٢٣)	Id., op. cit. IV, p. 441-442

(٢٤)	Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 119

(٢٥)	د. عبد الحميد زايد : الم رجع السابق ، ص ٩٦٨

(٢٦)	Gauthier, op. cit. IV, p. 195-196
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٣

(٢٧)	عثر على هذه اللوحة فى القاهرة عام ١٨٧١ فى جامع شيخون ، وهى محفوظة الأن بالمتحف المصرى ، راجع :
Kamal, Stèles Ptolémaiques, p. 168-171, pl. 56; Urk I, p. ll; Andersson, Sphinx 15. (1911), p. 100-104; Gauthier, LRIV, p. 202, p. 208 (3), p. 214; Bouché-Leclerq, Histoire des lagides I, p. 104-109; Budge, History of Egypt, p. 169-174; Bevan, A History of the Ptolemaic Dynasty, p. 28-32,
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٣ حاشية (١) يذكر اللوحة على انها تمثال لستراب

(٢٨)	ربما المقصود هنا هو ــ اكسركسيس الأول ــ الذى حكم هو وابنه اثناء الغزو الفارسى الأول ، (لأن هذه اللوحة تذكر ان المعبود حورس معبود بوتو ــ قد طرد اكسركسيس وولده من مصر عقابا لهما) .

(٢٩)	د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٦٨

(٣٠)	Lefebvre, le Tombeau de Petosiris I, p. 3-15;
د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢٩٦ ؛
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٧ ؛
R.a Sayed, Quelques Personnages Célèbres
فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٦

(٣١)	د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ وايضا :
Diodore XVI, 51

(٣٢) Schaefer, Aegyptiaca. Festschrift für Ebers, p. 92; Urk II, p.1; Tresson, BIFAO 30 (1930) ,p. 369-391;

وايضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع ، السابق ، ص ٢٩٦ ؛ د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٨٤

(٣٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ،ص ٤٤٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦

(٣٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٧

(٣٥) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 113

(٣٦) وكان يتخذ القاب ملكية عديدة منها : برعا (فرعون) ، مكى كمت (اى حامى مصر) حقا قن (الحاكم الشجاع) ، وساآمون (ابن آمون) ، راجع :

Gauthier, LR IV, p.. 200-203

(٣٧) Fakhry, Siwa Oasis, Cairo (1944), p. 34-44

(٣٨) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٤

(٣٩) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٤



هوامش الخاتمة

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 123

(٢) راجع أخبار الحفائر التى تجرى فى أرض مصر والتى يكتبها سنويا البروفسور لكلان فى :
leclant, Orientalia 37 fasc. I (1968), p. 102; t. 38 fasc. 2 (1969), p- 253-254; t. 39 fasc. 2 (1970), p. 331; t. 41 fasc. 2 (1972), p. 254; t. 43 fasc. 2 (1974), p. 179.

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٣ ـــ ٢٥٤

(٤) د. أحمد بدوى ـــ د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الأول ـــ العصر الفرعونى) ، ١٩٧٤ ، ص ١١ ـــ ١٢



سلسلة الثقافة الأثرية

مشروع المائة كتاب

صدر منها

١ ــ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية

تأليف : د. أحمد قدرى

ترجمة : مختار السويفى ــ محمد العزب موسى

مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٢ ــ تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة

منجزات ١٩٨٢ ــ ١٩٨٥

اعداد وصياغة

د. أحمد قدرى

عاطف عبد الحميد

آمال صفوت

٣ ــ الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة

تأليف : د. بهاء الدين ابراهيم محمود

مراجعة : د. محمود ماهر

٤ ــ الايجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية

من القرن ٤هـ / ١٠م الى ١٠هـ / ١٦م

تحقيق ونشر : د. أحمد رمضان أحمد

٥ ــ لمحات فى تاريخ العمارة المصرية

تأليف : د. كمال الدين سامح

٦ ــ الديانة المصرية القديمة

تأليف : ياروسلاف تشرنى

ترجمة : د. أحمد قدرى

مراجعة : د. محمود ماهر

٧ ــ تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط « العصر الوسيط (٣٥هـ / ٦٥٥م ــ ٩٧٨هـ / ١٥٧١م)

تأليف : د. أحمد رمضان أحمد

٨ ــ فن الرسم عند قدماء المصريين

تأليف : وليم هـ بيك

ترجمة : مختار السويفى

مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ ــ نصوص الشرق الأدنى القديمة

ترجمة : د. عبد الحميد زايد .

مراجعة : محمد جمال الدين مختار

١٠ ــ الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة

تأليف : أبى حامد المقدسى الشافعى

تحقيق : د. آمال العمرى

١١ ــ دراسات فى العمارة والفنون القبطية

تأليف : د. مصطفى عبد الله شيحة

١٢ ــ إيمحتب

تأليف : هارى

ترجمة : محمد العزب موسى

مراجعة : د. محمود ماهر

١٣ ــ الفن المصرى القديم

تأليف : سيريل ألدريد

ترجمة : د. أحمد زهير

مراجعة : د. محمود ماهر

١٤ ــ جبانة البجوات فى الواحة الخارجية

تأليف : د. أحمد فخرى

ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب

مراجعة : د. آمال العمرى

١٥ ــ العمارة المصرية القديمة (جزء أول)

تأليف : د. اسكندر بدوى

ترجمة : د. محمود عبد الرازق ــ صلاح رمضان

مراجعة : د. أحمد قدرى ، د. محمود ماهر

١٦ ــ تاريخ مصر القديمة (الجزء الأول)

تأليف : د. رمضان السيد

١٧ ــ مصر الاسلامية (درع العروبة ورباط الاسلام)

تأليف : د. ابراهيم أحمد العدوى

١٨ ــ صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم

تأليف : د. محمد إبراهيم بكر

١٩ ــ الآثار والزلازل

إجراءات الطوارىء وتقدير الأضرار بعد الزلزال

تأليف : بيير بيشار

ترجمة : د. على غالب

: م. هبة النشوقاتى

مراجعة : أ. د. محمد ابراهيم بكر

٢٠ ـ واحة سيوة

تأليف : د. أحمد فخرى

ترجمة : د. جاب الله على جاب الله

كتب تحت الطبع

١ — **المراسم منذ أقدم العصور حتى اليوم**

تأليف : د. ناصر الأنصارى

٢ — **الدليل العام لرشيد**

تأليف : عبد الرحمن عبد التواب

٣ — **تراث مصر القديمة**

النسخة الأنجليزية اشراف : هاريس

النسخة العربية اشراف : د. محمد ابراهيم بكر

د. محمود ماهر

٤ — **المسلات المصرية**

تأليف : لبيب حبشى

ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف

مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٥ — **مصر القديمة (دراسة طبوغرافية)**

تأليف : هرمان كيس

ترجمة : د. محمود عبد الرازق

مراجعة : د. جاب الله على جاب الله

٦ — **التناسب فى عمارة مدارس العصر المملوكى فى القاهرة**

تأليف : د. على غالب أحمد غالب

مراجعة : د. آمال العمرى

٧ ــ سجاجيد جورديز فى متحف محمد على بالمنيل

تأليف : كوثر أبو الفتوح

٨ ــ نهب آثار النيل

تأليف : بريان فاجان

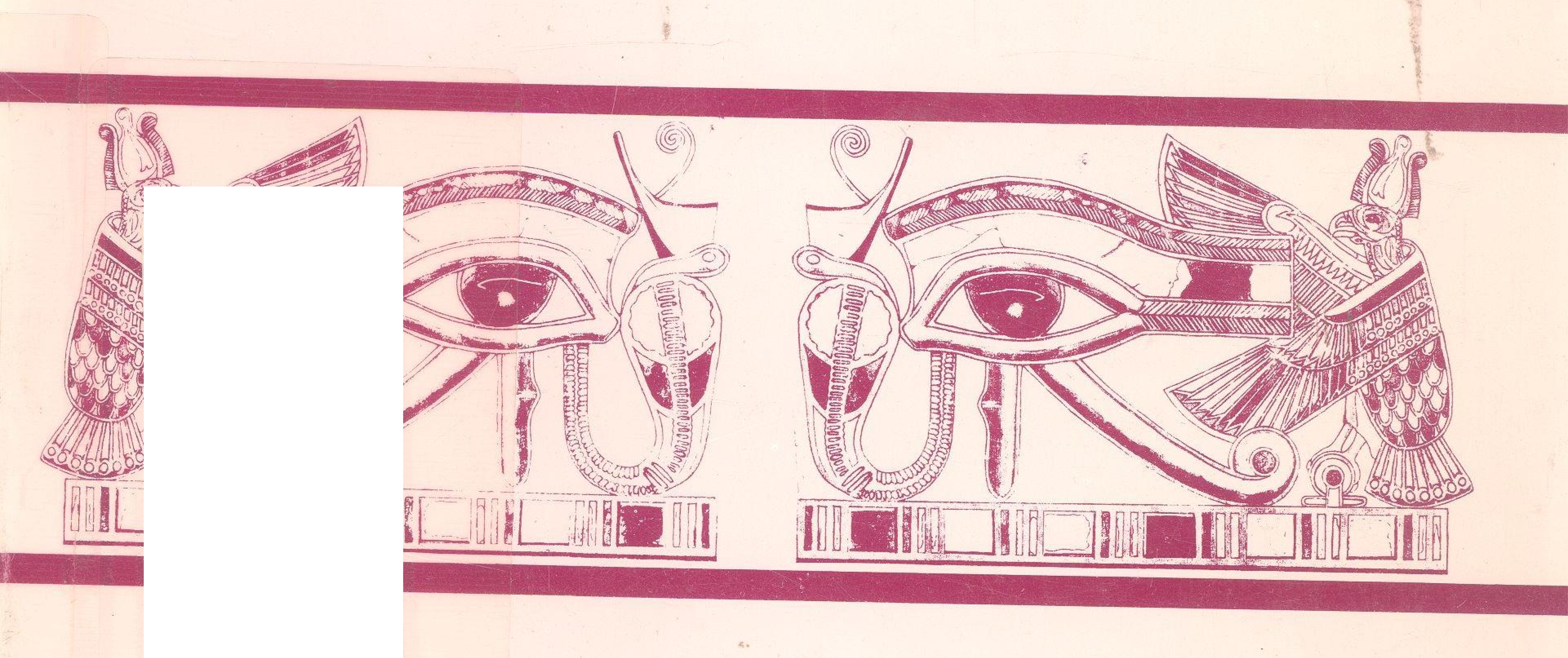
ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب ــ محمد غطاس

مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ ــ دراسات فى اللغة المصرية القديمة

تأليف : أحمد باشا كمال

رقم الايداع ٩٣١٥ / ١٩٩٣
دولى ٩٧٧ - ٢٣٥ - ١٤٣ - ٩
مطبعة هيئة الآثار المصرية



إحدى عشرة جنيها ونصف